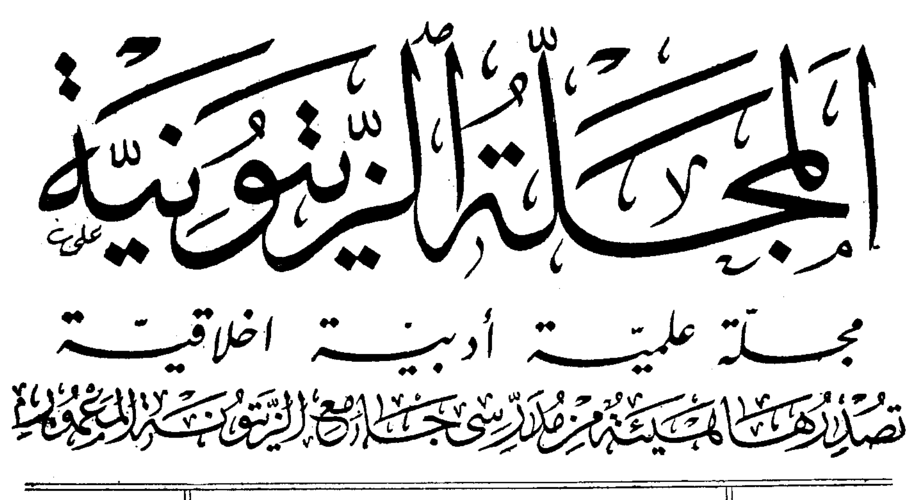


الجزء الاول	تونس في شعبان عام ١٣٥٦ وفي اكتوبر ١٩٣٧	المجلد الثاني

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

فهرس العدد

الجزء الاول — المجلد الثاني

الاشتراك

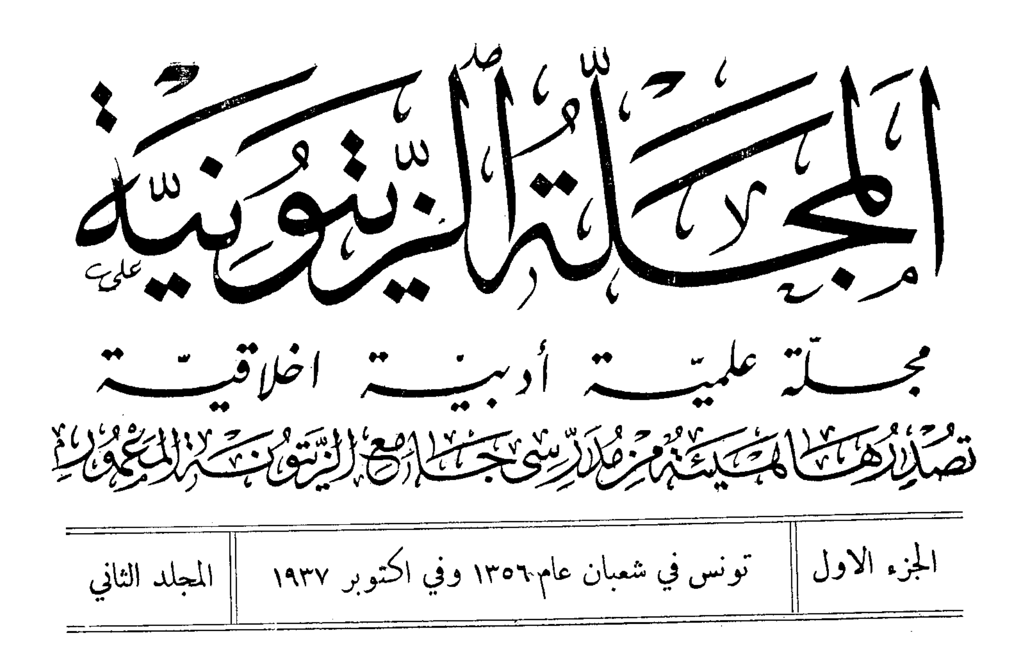
عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لاتعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لاتكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



المجلد الثاني	تونس في شعبان عام ١٣٥٦ وفي اكتوبر ١٩٣٧	الجزء الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها.

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٠٩

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

بسم الله الرحمن الرحيم

دخول المجلة الزيتونية في عامها الثاني

نحمدك اللهم حمدا يقيد ما افضته علينا من نعمك . وما غمرتنا به من بحر جودك وكرمك . ونصلي ونسلم على نبيك الاعظم . وصراطك التام الاقوم . منبع الفضائل والكمالات . والشمس التي طلعت على العالم فمزقت حجب الكفر والنفاق والضلالات . وعلى ءاله الاطهار . واصحابه الابرار .

اما بعد فان من اجل ما ينعم الله به على عبده ان يوفقه لعمل نافع يسديه . او لقول صالح يبديه . وغاية ما يتمناه الانسان ان يقوم بواجب النصح والارشاد . وان يوفقه الله الى ان يكون منارا يهتدى به الناس الى طريق السداد . ومما يدل على شرف هاته الرتبة ويعليها مقاما . مدح القرآن للذين قالوا واجعلنا للمتقين اماما . وتاكد شرفها بما اعد لها من الجزاء العظيم على لسان سيد العرب والعجم في قوله : لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم .

وان من اهم وسائل الارشاد في عصرنا الحاضر نشر المجلات العلمية بين عموم الطبقات فهي سهلة التناول . كثيرة التداول . يستفيد منها الناس على اختلاف درجاتهم . وتفاوت مداركهم . ويجد منها العالم منبرا يرتقيه ليصدع بما امره الله . فيسمع اقواما كانت عن طريق الرشاد نائية ويرشد من تنكب منهم عن طريق الصواب وينقذ من كان منغمسا في مبتدعات الامور ومحدثاتها . ويبين للناس الجادة المثلى التي يجب عليهم سلوكها حتى تحصل لهم النجاة في الآخرة والاستقامة في الدنيا . وبذلك يكون قد قام ببعض ما فرض الله عليه . وادى الامانة التي التزم ان يقوم بها . ومن اجل ذلك اسسنا في العام الماضي هذه المجلة . ووضعنا لها منهاجا لتسير على مقتضاه . واجتهدنا في تنفيذه ولكننا عند التطبيق وجدناه متسع النطاق . والمجلة في عامها الاول . فاجتهدنا في تنفيذ ما امكننا ان نقوم به . وتعللنا عن تقصيرنا في القيام بالباقي بان هذه المشاريع العظيمة يحسن فيها الريث . واول القطر غيث .

بذلنا الجهد في القيام بالواجب نحو الرقي بالمجلة من جميع النواحي فنشرنا من المباحث العلمية . والتحقيقات العالية . والمواضيع الشائقة . ما جادت به اقلام العلماء بهذه البلاد . جازاهم الله احسن الجزاء . فتكون من مجموعة العام الاول سفر علمي عزيز المنال . غزير الفائدة .

وقد تحقق لنا بهذه المجلة غرض آخر من اهم الاغراض التي دفعتنا لتاسيسها وهو ربط الصلة

بين علماء البلاد التونسية وغيرهم من بقية العلماء في سائر الاقطار . فحصل التقارب بين الفريقين وقام الدليل على ما للعلماء بهاته البلاد من القيمة الكبرى . والشان العظيم . وتواردت علينا رسائل التأييد والاستحسان من اعيان علماء الاقطار الاسلامية . وكبار المفكرين فيها . وكلهم محبذون مسلك المجلة ويثنون عليها ونحن مع شكرنا لهم على ما ابدوه من حسن التقدير . فاننا نعترف باننا لم نصل بعد الى الغاية التي نصبوا اليها من الارتقاء بهذه المجلة الى مستوى المجلات العلمية الكبرى بالعالم. وهي الغاية التي نريد ان نصل اليها بحول الله

واذ قد تحدثنا عن التأييد الذي لاقيناه من اعيان العلماء فان مما يجب علينا ان نسجله بافتخار ما لا قيناه من التأييد والاعتبار من لدن صاحب الجلالة ملكنا المعظم سيدنا احمد باشا باي . فانه ابقاه الله قد نظر الى هذه المجلة بعين الاكبار واظهر ابتهاجه وسروره بها . وصرح برضاه عنها في مناسبات متعددة . ومن شدة اعتنائه بها انه قد ارسل الينا في منتهى السنة احد اعيان خاصته ليبلغ الينا شكره ودعاءه الصالح . واخبرنا بان بعض الاعداد قد تلاشت له ويريد منا تعويضها لتضم الى مكتبته العلمية بقصره العامر . كما انه منح المجلة عطية سنية شرفنا بارسالها الينا على طريق تابعه المشار اليه . وبذلك فقد اظهر اعتناءه بهذه المجلة ادبيا وماديا . ولا غرابة في صدور هذا من اميرنا الجليل . وهو ابو الخيرات . ومصدر الفضائل والكمالات من ازدهرت في دولته الحياة العلمية . وشمل فضله سائر الرعية . الذائد عن حمي الدين . والحافظ له من دسائس المشركين والملحدين . ابقاه الله . وادام عزه وعلاه . كما يجمل بنا هنا ان نقدم لقرائنا الكرام ومشتركينا الافاضل خالص شكرنا وعظيم امتناننا على ما ابدوه من العطف والتقدير نحو هذا المشروع والرجاء ان تلاقي المجلة من اعانتهم وتشجيعهم في عامها الثاني نظير ما لاقته منهم في عامها الاول او ازيد . وليعذرونا فيما اضطررنا اليه من ترفيع ثمن المجلة الامر الذي دعا اليه كثرة مصاريف الطبع بسبب ارتفاع ثمن الورق وزيادة اجور العملة فقد تحملنا من جراء ذلك في العام الفارط مشاق مادية لا يستهان بها وحرصا على حياة المجلة رفعنا ثمنها في هذا العام فان هذه المشاريع التي لا تقوم الا بالمال يلزم ان يكون لها في دخلها ما يوفر عليها مصاريفها الضرورية والا فهي الى الاضمحلال السريع صائرة . ولا نخال قراءنا الكرام الا عاذرينا في هذا الترفيع ملبين صوت الواجب في الاقبال على اقتنائها والكرع من منهلها فانه مهما زادونا اقبالا وتشجيعا زدناهم اتقانا وتحسينا

وها نحن اليوم ندخل بالمجلة في عامها الثاني . راجين من الله ان يمدنا بتوفيقه وعنايته . ويشملنا بلطفه ورعايته . حتى نسير بها اشواطا الى الامام . ويكون النجاح في البداية بشيرا بحسن الختام .

محمد المختار بن محمود

الحسنة الملوكية الخالدة

انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

مبرة جديدة وحسنة اخرى خالدة تلك التي وفق لها حضرة ولي النعم صاحب البركات ومصدر الخيرات الامير ابن الامير سيدنا ومولانا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية ايد الله دولته من تعمير بيت من بيوت الله وتسهيل العبادة واقامة الشعيرة الدينية الكبرى الا وهي الصلاة على من وفق لها من عباد الله .

ضاق مسجد الصلاة بالمرسى مصيف الامير الجليل عن ايواء عدد المصلين الكثيرين المقبلين على اداء فريضة الجمعة هناك حتى فقدوا الطمائنينة اللازمة في الصلاة وتعالت اصوات المشتكين من ضيق المكان فبلغت المسامع الشريفة وهناك اذن ابقاه الله في توسيع المسجد المذكور من ماله الخاص فتهللت لهاته البشرى وجوه المصلين وابتهلوا الى الله تعلى ان يطيل عمر اميرنا المحبوب وان يضاعف له عن عمله هذا الاجور فوقع الشروع في تنفيذ الارادة السنية من طرف الادارة الخاصة للحضرة الملوكية واول عمل بدىء به في هذا السبيل هو اشتراء الخان المجاور للمسجد ليقع ضمه له وكان ذلك في رجب من العام المنصرم ١٣٥٥ واستمر الصناع في عملهم الى ان انتهى العمل في رجب الفارط وقد ظهر المسجد بعد هذا التجديد بهجة للناظرين وروضة من رياض الجنان المعدة لعباد الله الصالحين ووقع فرشه بالفرش الغالية الثمينة وعلقت به الثريات البلورية الجميلة التي تأخذ بالالباب فكان مسجدا من الطراز الاول في اتقان الصنع وجمال التأثيث واتساع المحمل يأوي ما لا يقل عن الفي مصل

وفي يوم الاحد الثاني والعشرين من شهر رجب المنصرم اقيم احتفال باهر بمناسبة فتحه لاداء الصلاة فيه حضره مولانا الامير ومعه رجال الحاشية الملوكية من امراء ووزراء وكبراء الدولة وشيوخ الشرع العزيز وشيخ جامع الزيتونة الاعظم ورجال التدريس فيه والسادة الاشراف وايمة الجامع الاعظم وكثير من اعيان الامة وسراتها وتليت بمحضر الامير الجليل آيات من الذكر الحكيم ثم تلى امام الجامع العالم الخير الحافظ الشيخ احمد البناني على الاسماع الشريفة القصة المولدية للبرزنجي تيمنا وتبركا بسيرة وشمائل المشرع الاعظم صلى الله عليه وسلم ثم القى خطبة بليغة بين فيها فضائل بناء المساجد في الاسلام وما يصنعه المسلمون في المساجد من الامور العامة ومصالح الدولة في القديم والحكمة في اقامة الصلاة الجامعة في الاسلام .

وبعد ذلك قفل الامير راجعا لقصره العامر فادى اليه الحاضرون مراسم التبريك والتشريف والقى بين يديه العلماء الازكياء المشائخ الجلة محمد البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة . الناصر الصدام المدرس من الطبقة الاولى الحنفية . علي النيفر المدرس من الطبقة الاولى المالكية . الطاهر القصار المدرس من الطبقة الثانية ومدير هاته المجلة (١) قصائد من غرر الشعر وعيونه في تهنئة الامير والاستزادة من فيض خيره فجزى الله جلالة اميرنا المعظم عن هذا العمل المشكور احسن ما يجازى به عباده العاملين على رفع منار الدين واعلاء كلمته .

(١) نشرنا قصيدة الشيخ الطاهر القصار التي القاها يوم فتح الجامع بين يدي الامير بالقسم الادبي من هذا الجزء .

القرآن الكريم

سورة فاتحة الكتاب

السورة قطعة معينة من القرآن بمبدإ ونهاية لا يتغيران مسماة باسم مخصوص تشتمل على ثلاث آيات فاكثر وكونها تشتمل على ثلاث آيات مأخوذ من استقراء القرآن مع حديث عمر فيما رواه ابو داود عن الزبير قال جاء الحرث بن خزيمة (هو المسمى في بعض الروايات خزيمة وابا خزيمة) بالآيتين من آخر سورة براءة فقال اشهد اني سمعتهما من رسول الله فقال عمر وانا اشهد لقد سمعتهما منه ثم قال لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة الخ فدل على ان عمر ما قال ذلك الا عن علم ان ذلك اقل مقدار سورة ثم يحتمل عندي ان يكون اطلاق السورة على القطعة المعينة في الكتاب مستعملا عند العرب قديما بان كانوا يطلقونه على اجزاء التوراة والانجيل اذ كانت مترجمة للعربية عند المتدينين من العرب لثبوت الترجمة في خبر ورقة بن نوفل في صحيح البخاري في بدء الوحي فلما جاء القرآن اطلق هذا الاسم على القطع المعينة منه وقد نستروح لهذا بما جاء في القرآن « ويقول الذين كفروا لولا نزلت سورة » ويحتمل ان يكون اطلاق السورة من اصطلاح القرآن لقب به السور الاول التي نزلت كسورة العلق وسورة المدثر وسورة الفاتحة ثم شاعت تلك التسمية عند العرب حتى المشركين منهم وعلى كلا الاحتمالين فالتحدي للعرب بقوله تعلى فاتوا بعشر سور مثله . فأتوا بسورة من مثله، لا يكون الا تحديا باسم معلوم المسمى والمقدار عندهم وقت التحدي فان آيات التحدي نزلت بعد السور الاول .

وجمع سورة سور بتحريك الواو كغرف ونقل في شرح القاموس عن الكراع (١) انها تجمع على سور بسكون الواو وتسوير القرآن من السنة الماضية من زمن النبيء صلى الله عليه وسلم فقد كان القرآن يومئذ مقسما الى مائة واربع عشرة سورة باسمائها ولم يخالف في ذلك الا عبد الله ابن مسعود فانه لم يثبت المعوذتين في سور القرآن وكان يقول انما هما تعوذ امر الله رسوله بان يقوله وليس هو

---

(١) هو علي بن حسن الهناءي المعروف بكراع النمل المصري توفي بعد سنة ٣٠٧ الف المنضد في اللغة ثم اختصره وسماه المجرد ثم اختصره وسماه المنجد

من القرآن كما في صحيح البخاري واثبت القنوت الذي يقال في صلاة الصبح على انه سورة من القرآن سماها سورة الخلع والخنع(١) ولم يحفظ عن الصحابة حين جمعوا القرآن انهم ترددوا ولا اختلفوا في عدد سوره وانها مائة واربع عشرة سورة روى اصحاب السنن واحمد بن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت الآية يقول ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا فترتيب الآيات في السور هو بتوقيف من النبيء صلى الله عليه وسلم كما نقله ابن عطية عن مكي بن ابي طالب وجزم به السيوطي في الاتقان وبذلك يكون مجموع السورة من الآيات ايضا توقيفيا ولذلك نجد في الصحيح ان النبيء صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة بسورة كذا وسورة كذا من طوال وقصار ، واما ترتيب السور بعضها اثر بعض فقال ابو بكر الباقلاني يحتمل ان النبيء صلى الله عليه وسلم هو الذي امر بترتيبها كذلك ويحتمل ان يكون ذلك من اجتهاد الصحابة ونقل ابن عطية عن الباقلاني الجزم بان ترتيب السور بعضها اثر بعض هو من وضع زيد بن ثابت بمشاركة عثمان قال ابن عطية وظاهر الاثر ان السبع الطوال والحواميم والمفصل كانت مرتبة في زمن النبيء صلى الله عليه وسلم وكان من السور ما لم يرتب فذلك هو الذي رتب وقت كتابة المصحف

وذكر في الاتقان ان من الصحابة من رتب مصحفه على ترتيب النزول وكذلك كان مصحف علي رضي الله عنه وكان اوله اقرأ باسم . ثم المدثر . ثم المزمل . ثم التكوير وهكذا الى آخر المكي ثم المدني ومنهم من رتب على حسب الطول والقصر وكذلك كان مصحف أبي وابن مسعود فكانا ابتدءا بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران وعلى هذه الطريقة امر عثمان رضي الله عنه بترتيب المصحف المدعو بالامام وفي باب تأليف القرآن من البخاري عن عبد الله بن مسعود انه ذكر النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة فسئل علقمة عنها فقال عشرون سورة من اول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرها من الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون على ان الجمهور جزموا بان كثيرا من السور كان مرتبا في زمن النبيء صلى الله عليه وسلم . ثم اعلم ان ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري باب تاليف القرآن انها لاترى القراءة على ترتيب المصحف امرا لازما فقد سألها رجل من العراق ان تريه مصحفها ليؤلف عليه مصحفه فقالت «وما يضرك أية آية قرأت قبل انما نزل اول ما نزل منه سورة فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا ثاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام » وفي صحيح مسلم عن حذيفة ان النبيء صلى الله عليه وسلم صلى بالبقرة ثم بالنساء ثم بآل عمران في ركعة قال عياض هو دليل لكون ترتيب السور وقع باجتهاد الصحابة حين كتبوا المصحف وهو قول مالك رحمه الله وجمهور العلماء وعلى الاحتمالين يجوز ان يقرأ بعض السور قبل البعض المثبت في

(١) بفتح الخاء فيهما لان في لفظ القنوت ونخلع لك ونخنع ونترك من يكفرك

المصحف قبله قال ابن بطال (١) لانعلم احدا قال بوجوب القراءة على ترتيب السور في المصحف بل يجوز ان تقرأ الكهف قبل البقرة واما ماجاء عن السلف في النهي عن قراءة القرآن منكسا فالمراد منه ان يقرا من آخر السورة الى اولها اه)

وفائدة التسوير قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعلى فآتوا بسورة من مثله « ان الجنس ان انطوت تحته انواع كان احسن وانبل من ان يكون بيانا واحدا(٢) وان القارىء اذا ختم سورة اوبابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا

واما اسماء السور فقد علمتم من حديث ابن عباس الذي قدمناه ان النبيء صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا نزلت الآية ضعوها في السورة التي يذكر فيهاكذا فسورة البقرة مثلا تلقب بالسورة التي يذكر فيها البقرة قلت واصل ذلك من باب التوصيف ثم شاع فحذفوا الموصول وعوضوه بالاضافة فقالوا سورة ذكر البقرة ثم حذفوا المضاف واقاموا المضاف اليه مقامه فقالوا سورة البقرة وسورة الفتح مثلا او انهم لم يقدروا مضافا واضافوا السورة لما يذكر فيها لادنى ملابسة وقد ثبت في صحيح البخاري ان عائشة رضي الله عنها قالت لما نزلت الآيات من آخر البقرة الحديث وقد روي حديث عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذلك القرآن كله ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله قال احمد بن حنبل هو حديث منكر وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ويذكر عن ابن عمرانه كان يقول مثل ذلك ولا يرفعه الى النبيء صلى الله عليه وسلم ذكره البيهقي في شعب الايمان وكان الحجاج يمنع من يقول سورة كذا ويقول قل السورة التي يذكر فيها كذا وهذا كله غلو وشدة ولم يجئى عن السلف ولهذا ترجم البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن بقوله باب من لم ير باسا ان يقول سورة البقرة وسورة كذا وسورة كذا واخرج فيه احاديث تدل على انهم قالوا سورة البقـرة . سورة الفتح . سورة النساء . سورة الفرقـان . سورة براءة وبعضها من لفظ النبيء صلى الله عليه وسلم . والظاهر ان الصحابة سموا السور بما حفظوه عن النبيء صلى الله عليه وسلم واخذوا لها اشهر الاسماء التي كان الناس يعرفونها بها ولو كانت تلك التسمية غير ماثورة فقد سمى ابن مسعود القنوت سورة الخلع والخنع كما مر فتعين ان تكون التسمية من وضعه ، واسماء السور اما ان تكون بأوصافها مثل الفاتحة وسورة الحمد واما ان تكون بالاضافة لشيء اختصت

---

(١) هو علي بن خلف بن بطال القرطبي ثم البلنسي المالكي المتوفى سنة ٤٤٤ كان عالما جليلا نبيلا جيد الفهم له شرح على صحيح البخاري كبير جم الفوائد يتنافس العلماء فيه ومعظمهم عالة عليه

(٢) قوله من ان يكون بيانا واحدا قال السيد اراد بالبيان الشيء وفي حديث لئن عشت الى قابل لالحقن آخر الناس باولهم حتى يكونوا بيانا واحدا وكأن هذه الكلمة يمانية قلت ويعني صاحب الكشاف ان كثرة الانواع تدل على رفعة الجنس كانواع الحيوان بخلاف الجنس الذي ليس تحته انواع كالرمل

بذكره نحو سورة لقمان ويوسف والبقرة . واما بالاضافة لما كان ذكره فيها اوفى نحو سورة هود وسورة ابراهيم . واما بالاضافة لكلمات تقع في السورة نحو سورة براءة وسورة حم عسق وسورة حم السجدة كذا سماها بعض السلف وسورة فاطر . وان سورة الفاتحة من السور ذات الاسماء الكثيرة والمظنون ان بعض اسمائها ليس توقيفيا . واحسب ان الصحابة لم يثبتوا في المصحف اسماء السور بل اكتفوا باثبات البسملة في مبدأ كل سورة وتسمية هذه السورة فاتحة الكتاب قال السيد الشريف في حواشي الكشاف ان فاتحة الشيء اوله فقيل الفاتحة في الاصل مصدر بمعنى الفتح كالكاذبة بمعنى الكذب (قلت ونظيره الباقية بمعنى البقاء في قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وكذلك الطاغية في قوله تعلى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية في قول ابن عباس اي بطغيانهم بناء على ان الباء سببية) وانما سمي اول الشيء بالفاتحة اما تسمية للمفعول بالمصدر (الاتي على وزن فاعله) لان الفتح يتعلق باول اجزاء الفعل ففيه يظهر مبدأ المصدر (يعني وأول اجزاء فعل الفتح هو المفتتح به الاول فاطلق على المفتتح به لفظ المصدر) قال السيد وقيل الفاتحة صفة فهي اسم فاعل ثم جعلت اسما لاول الشيء اذ بذلك الاول يتعلق الفتح لا بالمجموع فهو كالباعث على الفتح فالاصل فاتح الكتاب (يشير بهذا الوجه الثاني الذي ارتضاه الى ان مبدأ الشيء قد شبه بالباعث على الفتح لان الفتح كان بسببه وان اسناد صيغة فاعل من فتح حينئذ اسناد مجازي من الاسناد للسبب الادعاءي فهو مجاز عقلي . واذ قد كان اطلاق الفتح على الابتداء مجازا لغويا لان حقيقة الفتح هو افراج الباب او نحوه يكون في هذا الوجه مجازان لغوي وعقلي) اما التاء اللاحقة لفاتحة فقال السيد والتفتزاني في حواشي الكشاف هي للنقل من الوصفية الى الاسمية كالنطيحة (والمراد من الاسمية في كلامهما ليس هو العلمية بل المراد انهما صارا اسمين لمقدار معين من كتاب ونحوه اي اسمي جنس قال التفتزاني في حواشي الكشاف « ولعدم اختصاص الفاتحة بالسورة ونحوها كانت التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية دون تأنيث الموصوف في الاصل اه فاشار الى ابطال كون التاء للتأنيث بان الفاتحة والخاتمة تستعملان صادقتين على مذكر كما تستعملان صادقتين على مؤنث كقولهم فلان خاتمة العلماء وكقول الحريري « ادتني خاتمة المطاف وفاتحة الالطاف » فانه اضافهما الى المطاف وهو مذكر والى الالطاف وهي جمع لطف وهو مذكر ثم جعل هذا المركب علما على هاته السورة ولا حاجة للغلبة لانحصار معنى هذا التركيب في هاته السورة ومعنى فاتحة الكتاب انها اوله في القراءة او في التنزيل على القول بانها اول ما انزل . واضافة السورة الى فاتحة الكتاب من اضافة العام الى الخاص ان اعتبرنا فاتحة الكتاب علما على المقدار المخصوص من الحمد لله الى الضالين واضافة العام الى الخاص وردت في كلام العرب مثل قولهم شجر الاراك ويوم الاحد وعلم الفقه . والفرق بين ما ورد من ذلك وبين ان تقول انسان زيد باد لمن له ادنى ذوق في كلام العرب ولم يفصح علماء العربية عن وجهه فكان حقا علينا اظهار وجه حسن ما حسن من هذه الاضافة وقبح ما ليس مستعملا

الحديث الشريف

عن ابي الـدرداء رضـي الله عنه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ من دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ والصَّدَقَةِ قالُوا بَلَى قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ فإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ

البيـان

هذا الحديث رواه ابو داود والترمذي واخرجه البخاري في الادب المفرد وقد وقع في بعض هذه الروايات زيادة : لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين

— الفضل الزيادة ـ الدرجة المراد بها الرتبة ـ الصلاة والصيام العبادتان ـ الصدقة الزكاة او مطلق الصدقة ـ بلى كلمة جواب كنعم ـ الاصلاح ضد الافساد ـ ذات البين العداوة والبغضاء واصلاحها اصلاح الفساد بين القوم واسكان الثائرة ـ الحالقة الخصلة التي من شانها ان تحلق اي تهلك وتستأصل الدين كما تستأصل الموسى الشعر

اعلم أن الشريعة الاسلامية جاءت بمصالح العباد الخاصة والعامة وربط الصلة بين العبد وربه وبين العباد مع بعضهم ليتم العمران على الوجه الاكمل وحببت للانسان طاعة الآله بما يترتب عليها من المثوبة الاخروية كما رغبت المسلمين في عقد الخناصر على الاخوة ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد

منها وذلك ان اضافة العام الى الخاص تحسن اذا كان المضاف والمضاف اليه اسمي جنس اولهما اعم من الثاني فهنالك يجوز التوسع بالاضافة لقصد الاختصاص ثم تكسبه غلبة الاستعمال قبـولا نحو شجر الاراك ويوم الاحد عوضا عن ان يقولوا الشجر الذي هو الاراك واليوم الذي هو الاحد وقد يكون جائزا غير مقبول لقلة استعماله او عدم استعماله بالمرة نحو حيوان الانسان فان كان احد المتضائفين غير اسم جنس لم تسغ الاضافة نحو انسان زيد ولذلك جعلوا شهر رمضان منقولا من الاضافة الى العلمية واما اضافة فاتحة الى الكتاب فاضافة حقيقية باعتبار ان المراد من الكتاب بقية الكتاب عدا الفاتحة كما تقول ديباجة التقليد . . .

(له بقية)

محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

بعضه بعضا ويكونوا من جراء ذلك يدا على من سواهم فاذا تخلق المسلمون بهذا الخلق العظيم امكن لهم توقيف شرور النفس الامارة وابتعدوا عن نتائج الفرقة المهلكة .

وقد اظهر سبحانه عظيم منته بنعمة الالفة في قولـه (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم) وذم سبحانه التفرقة وزجر عنها فقال جل من قائل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فهـذا الامر والنهي ونحوهما كلها تثبت اصلا من اصول الملة الحنيفية يقام عليه هيكل الامة باسرها .

وقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم دهرا وهو يثبت هـذا الخلق في نفوس المسلمين يرغبهم في الاخوة مرة فيقول : ان اقربكم مني مجالسا احاسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون . ويقول ان احبكم الى الله الذين يالفون ويولفون ويحذرهم من التنافر واسبابه مرة اخرى فيقول وان ابغضكم الى الله المشاءون بالنميمة المفرقـون بين الاخوان . لعلمه عليه الصلاة والسلام ان تمكن ذلك الخلق من النفوس ليس بالهين السهل

وعلى قدر اهتمام الرسول بتكوين هـذا الخلق في المسلمين كان اهتمامه بتعهده بعد حصوله او أشد . فترى نصوص الشريعة تترى بامر اصلاح ما تداعى للانتقاض والتهدم حفظا على كيان الوحدة الاسلامية الـذي اسسها الرسول من التصدع وتحذيرا من لوازمه الفتاكة قال تعالى (واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) فقارن بين طاعة الله ورسوله واصلاح ذات البـين بل هو داخل في عمومها ومرتبته لا تقل عن غيره من الطاعات وربما فاق كثيرا منها اعتبارا بما يحصل بسبب هذا الاصلاح من مقومات الدين والرحمة بالمؤمنين وكذلك قولـه تعالى (انما المؤمنـون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) فالاصلاح بين المسلمين من تقوى الله واعظم انواع الالفة ما كانت الرابطة فيها هي التقوى فكما ان من التقوى الالفة والاخوة كذلك من التقوى اصلاح ذات البين . وكذلك قوله عز وجل (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما) فبين تعالى ان من يتولى الاصلاح بين الناس احتسابا له تعالى وابتغاء مرضاته له درجة ممتازة واجر عظيم وذلك بحسب ما يترتب على هذا الاصلاح من الكمالات . وعلى هـذا النحو جاء قوله صلى الله عليه وسلم : الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى: قال : اصلاح ذات البين الحديث فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان درجة اصلاح ذات البين مقامها رفيع حتى انها فضلت درجة اعلى انواع الطاعات .

وظاهر الحديث ربما تعارضه بعض النصوص الدالة على ان الصلاة والزكاة والصيام هاتـه الثلاثة هي من قواعد الاسلام الخمسة التي لا يماثلها شيء من الطاعات فكيف يفوقها اصلاح ذات البين ونحن نجيب عن ذلك باحد امور

الاول ان يكون المراد في قولـه افضل من درجة الصلاة الخ ليس ذلك في الثواب وانما هو في المصالح المترتبة على هذه الطاعـة وتلك الطاعات بل ان تلك الطاعـات لا يكون لها اثر في نفوس المسلمين على الوجه الاكمل الا اذا ساد الصلاح بينهم اما وهم حرب على بعضهم لا يهتـم المسلم الا بخويصة نفسه تعبث بهم الاهواء وتمزقهم الاحقاد كل ممزق فهـذا تقاومه الشريعة بكل الوسائل ولا يرضى الله من عباده الكفر والفساد .

الثاني ان يكون المراد من الصلاة والصيام والصدقة غير المفروضة بقرينـة التعبير بالصدقة

الثالث ان نصوص الشريعـة كما دلت على عظم درجة الصيام والزكاة وعلى الاخص الصلاة، دلت ايضا على ان الطاعة الواحدة لها درجات وتفاوتها يكون بحسب ما يلابس العبد عند ادائه لها حتى انه في بعض الحالات تكون الطاعة وبالا عليه كما جاء في حديث . رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه وكالمرائي في عبادته الذي فضل ثواب الناس العاجل بشكرهم له على ثواب الله الآجل الذي وعده به يوم الجزاء الاكبر فيكون المعنى الذي جاء به الحديث هو ان العبد الـذي صلى وصام وتصدق وهو مع ذلك منغمس في الشرور بل في اعظم الشرور وهو الافساد بين الناس خطره عظيم وبلاءه لم يكن يقف عنده فقط بل يتسرب الى افراد المجتمع الواحد تلو الآخر فهـو حرب على الوحدة الاسلامية الـتي اقامها صاحب الشريعة فهو في رتبة المحارب او قريب منها كما يرشد الى ذلك آخر الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام : لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين فهو لا ينتفع بعبادته الا من جهة سقوط الطلب واما بقية المراتب فليس له نصيب منها ومن قام من المسلمين باصلاح ما افسده امثال ذلك الشرير فقد احيا سنة الرسول وربط ما تصدع من القلوب على اساس الدين والاخوة الاسلامية ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا فدرجته عظيمة عند الله ورسوله والناس اجمعين ومرتبته لا توصف وحسناته تكاد تبلغ حد الكمال فاين طاعة هـذا باصلاحه ذات البين من صلاة ذاك وصيامه وصدقته ما دام لم تنهه صلاته عن المنكر فهو ليس له من الصلاة الا الصورة ومن كان كذلك لا غرابة اذا كان يتخبط في الفحشاء وليست صلاة هذا هي المعنية في قولـه تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) فهو اتى بالطاعة من حيث الظاهر ولم يفهم منها المعنى الاسمى الذي يجلب له مراقبة المعبود في سائر الاوقات ولو راقبه لما تجرأ على مخالفته بايقاد نار الفتنة بين اخوانه المسلمين .

وهذا الخطر العظيم هو الـذي غاب عن انظار كثير من المسلمين وحسبوا ان الله كلفهم بعبادته وتركهم وشانهم فيما يرتضونه لانفسهم من طرق الحيـاة فسادت بينهم الفوضى في كثير من النواحي ولو ردوا امرهم الى الله والرسول في حياتهم الدنيا لما كانوا على هـذا النحو من الانحلال والفساد .

وهذا الحديث لم يذكر اسباب الفساد وطرق الاصلاح بل جاء عاما ليتناول مـا حدث في تلك العصور وما سيحدث في مختلف الازمان ولنات على بعضها تذكيرا لاخواننا المسلمين لعلهم يصلحون ما

يقدر كل على اصلاحه عساهم يبلغوا تلك الدرجة التي وصفها النبيء عليه الصلاة والسلام في حديثه .

وهذا بعضه يرجع الى الاخلاق كالنميمة والحسد والوشاية والنفاق والغش والبغضاء كما جاء في حديث دب اليكم داء الامم قبلكم البغضاء وهي الحالقة

وبعضه يرجع الى معاملات الناس مع بعضهم كالخيانة والغصب والاستئثار على الغير والظلم والمماطلة في اداء الحقوق واللدد في الخصومة

وبعضه يرجع الى الجنايات كقتل النفس والبغي على الطائفة

وبعضه يرجع الى الاسرة في المعاشرة كتعدي احد الزوجين على الآخر وعقوق الوالدين ومعاملة احد الابناء بما لا يعين على الطاعة ويجلب الضغينة

وبعضه يرجع الى الحياة العامة كالغلو في التشيع الى فكرة او عقيدة وايذاء الاجوار والغلو في المجادلات وكشف عورات المسلمين

فهذه الاشياء ونحوها مما نتعرض اليه في غير هذا المقام اسباب للفساد مباشرة او غير مباشرة وطرق الاصلاح تكون بعلاجها نفسها وذلك بتهذيب النفوس حتى تدرك خطرها فتبتعد عنها وعلى هذا النحو جاءت نصوص الشريعة لتربية المسلمين تدعوهم الى تجنبها وتسمو بهم عن الوقوع في حبال نتائجها واقامت من المسلمين من يكون ساهرا على تنفيذ هاته الخطة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم تجعله خاصا بطائفة معينة بل كل من وقع تحت نظره شيء من ذلك وجب عليه بحكم الشريعة ان يغيره باحدى الطرق التي يقدر عليها واقلها ان يذكر به نفسه ويرشدها حتى لا تؤثر فيها العدوى الاثيمة وكل ذلك الاصلاح انما هو بدفع الفساد من اصله وقبل وقوعه . قد يكون بارجاع الالفة مكان الفرقة بعد وقوع الفساد وهذا النوع من العلاج يكون بطرق عديدة منها الوساطة بكلمة طيبة صادرة من نفس طاهرة وازالة اسباب الفساد ورد المظالم الى اهلها ونصرة الحق والضرب على ايد المفسدين وعدم التاثر بالعصبية بل بالرجوع الى الاصل الجامع وهو الاخوة الاسلامية . واسكان الثائرة بالمعروف والاخلاص في النصيحة . والارشاد الى عواقب الفرقة ونحو ذلك مما يوصل الى الاصلاح المنشود واطفاء نار الفتنة .

وما دام في الامة رجال يعملون بوصايا الرسول ويقومون باعلاء صوت الحق يدفعون الشر عن امتهم فابشر لهاته الامة بحياة مطمئنة ما دامت الأمة تسمع النصيحة وتقدرها حق قدرها .

وعلى عكس ذلك اذا فقدت الناصح الامين واشد من ذلك اذا اعرضت عن النصحاء واستحكم الشر منها حتى اصبحت تفضل الفساد على الاصلاح اما لعدم ادراكها حسنه او لظنها ان ما عليه افرادها هو الكمال . فليعتبر الوا الابصار وليهبوا من سباتهم ويحذقوا اصول الشريعة التي اقامت هاته الامة على الاخوة في الاسلام وليصلح كل ما هو تحت يده وفي متناوله من الفساد والله لا يضيع اجر المحسنين

محمد الشاذلي ابن القاضي

التآليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف من التآليف
وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ
محمد عبد الحي الكتاني الشريف

« ٣ »

حرف اللام

« اللفظ الرائق » في مولد خير الخلائق لحافظ الديار الشامية الشمس محمد ابن ناصر الدمشقي المتقدم ذكره في حرف الجيم مولد صغير الجرم لطيف السياق اوله الحمد لله الذي اصطفى من عباده من شاء واختار موجود بالمكتبة الكتانية منه نسخة خط (تم نسخها عام ١٢٧٧) وهو من النوادر .

« اللفظ الجميل » اختصار الدر المنظم الذي هو في مجلدين كلاهما للشيخ محمد ابن عثمان كذا في كشف الظنون .

« اللخمي » في ترجمة الحافظ ابن الربيع من النور السافر عن اخبار القرن العاشر (للسيد محي الدين عبد القادر ابن شيخ العيدروسي ص ٢١٧) وجدت بخط شيخنا الشيخ ابي السعادات الفاكهي المكي قال وجدت بخط شيخنا الحافظ وحيد الدين عبد الرحمن بن علي الربيع ما لفظه الحمد لله مصنف كتاب مولد النبي صلى الله عليه وسلم المفتتح بالحمد لله الذي شرف الانام بصاحب المقام الاعلى هو للشيخ الامام شهاب الدين احمد ابن علي ابن قاسم المالكي النجاري الاندلسي المرسي اللخمي الشهير بالحديدي وهذا المولد هو الفصل ٩ من كتابه الذي صنفه في الوعظ والدقائق وقفت على الجزء الاول منه اشتمل على خمسة وعشرين فصلا بعد طول البحث عن مؤلف هذا المولد وعدم معرفته عند اكثر العلماء وهذه فائدة تساوي رحلة اه ما وجدته قلت وبذلك يعلم عدم صحة نسبة هذا المولد لابن الجوزي فاني سمعت كثيرا من الناس ينسبه له والله اعلم اه كلام صاحب النور السافر قلت وللشيخ محمد مقروتي ابن عمر بن عرب الجاوي المكي فتح الصمد العالم عن مولد الشيخ احمد ابن القاسم قال في اوله هذا شرح نافع على المولد الذي الفه الشيخ احمد ابن القاسم المالكي الشهير بالحديدي على ما ذكره السيد احمد المرزوقي لكن اشتهر على السنة الناس ان هذا المولد لابن الجوزي فيحتمل هذا على ان كلا منهما الف مولدا وكان تاليف احدهما مماثلا لما الفه الآخر كما وقع للسيوطي والقسطلاني ويحتمل ان

احدهما الف الابيات والآخر الف المنثورات كما افاده بعضهم ولاجل ذلك سميت هذا الشرح باسمين احدهما فتح الصمد العالم وثانيهما البلوغ الفوزي لبيان الفاظ مولد ابن الجوزي الخ وهذا الشرح في ص ٥٣ في القالب الكبير اتمه مؤلفه سنة ١٢٨٦ (طبع بمصر عام ١٣٢٨) بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى .

حرف الميم

« المولد الجسماني والمورد الروحاني » لابن الشيخ ءاق شمس الدين حمد الله ذكره في كشف الظنون .

« المولد الجليل » لفتح الله بن محمد المناوي الاحمدي الشاذلي مولد مطبوع بمصر عام ١٣٣٨ ص ٨٨ وطبع ايضا مرارا عام ١٣٠٠ - وعام ١٣٠٢ - وعام ١٣٠٦ - وعام ١٣٠٨ - اوله الحمد لله الذي انار الوجود بطلعة خير البرية .

« المولد الزاهر » للمولد الطاهر للشيخ يوسف الطاهر ابن احمد ابن ابراهيم طاهر الشبراوي المصري المالكي اكمله عام ١٣٢٨ - وطبع بدمشق في ص ٨٠ - اوله الحمد لله الذي اطلع من سماء الازل شمس الحقيقة المحمدية .

« مولد المدابغي » هو العلامة شيخ الديار المصرية حسن ابن علي المدابغي الازهري الشافعي المتوفى سنة ١١٧٠ - له مولد صغير اشتهر في مصر وغيرها قال في اوله سئلت في اختصار المولد الشريف للشيخ الغيطي فاجبته الى ذلك وزدته فوائد جمة فتح بها القادر المالك فقلت الحمد لله الذي انار الوجود بمولد سيد المرسلين الخ وقد ساق الاسناد اليه الشيخ الشنواني في ثبته قال مولد النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ حسن المدابغي ارويه سماعا عن شيخنا الشيخ عطية الاجهوري وعن شيخنا الشيخ علي العدوي سماعا عن الشيخ المذكور واما القصة للمدابغي فارويها سماعا من الشيخين المذكورين والشيخ محمد البسلي عن المؤلف اه وقد خدمه المصريون كثيرا فللعلامة المسند الشمس محمد ابن علي الشنواني الازهري الشافعي المتوفى بمصر عام ١٢٣٣ عليه حاشية في عدة كراريس أولها الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الانبياء الى يوم القيامة وخرق لهم العادات الخ فهذه تقييدات جمعناها من تقرير بعض مشائخنا الاعلام ومن متن المواهب وحاشية الطرابلسي ومن بعض كتابات وجدتها بخط بعض الفضلاء ومن الاصل للغيطي وسميتها الجواهر السنية بمولد خير البرية اتمها عام ١١٨٧ - وفي المكتبة الكتانية نسخة اخرى من هذه الجواهر منقولة من خط الشنواني وممن خدمه من المصريين العلامة الشيخ عبد الله ابن على الدمليجي الشافعي الازهري الشهير بسويدان شرحه في عدة كراريس قصد بشرحه حل الفاظه وتبيين مراده على وجه الاختصار اكمله عام ١١٩٥ - قال في ءاخره هذا ءاخر ما

تيسر جمعه على وجه الاختصار في هذا الزمان الذي توالت فيه الاكدار فضاع فيه الحق في هذه الديار والامصار وظهر فيه امارات البوار اللهم اقبضنا اليك غير مفتونين ولا ضالين ولا مضلين ولا مغيرين ولا مبدلين . وفي المكتبة الكتانية من الشرح المذكور نسخة نقلت من خط المؤلف عام ١٢٢٩ - بخط عبد الرحمن بن محمد الدمشقي الشافعي وممن خدمه علامة الديار المصرية الشيخ محمد الامير الكبير المالكي الازهري المتوفى عام ١٢٣٣ - له عليه تعليق في كراريس بالمكتبة الكتانية منه نسخة وممن كتب عليه ايضا شيخ هؤلاء علامة الازهر الشيخ عطية الاجهوري له عليه حاشية في كراريس بالمكتبة الكتانية منها نسخة فرغ من كتابتها عام ١١٩٧ - بخط تلميذه محمد عاشور وفي المكتبة الكتانية نسخة من مولد المدابغي هذا عتيقة بهامشها تحريرات وعلى اولها اعلم ان جميع ما على هذه النسخة نقلته من حواشي نسخة العلامة الشيخ محمد زهران الاجهوري التي كتبها بخطه وكتب على اولها ما نصه الحمد لله قد كنت كتبت على بعض مواضع من هذا الكتاب في نسخة اخرى ما قد يخفى جوابه على ذوي الالباب فعرض ذلك على شيخنا المؤلف فاجاب عن اكثره على ما ستراه غير متكلف ثم كتب على ءاخر النسخة الحمد لله قد اطلعت على ما كتبه بالهوامش هذا الفاضل الفهامة فاعجبني ذلك ووددت ان يطلع على جميع ما جمعته كثر الله من امثاله اه وهذا الانصاف عجيب وممن خدم المولد المذكور من الازهريين العلامة الشيخ احمد الصاوي المالكي الازهري محشي الجلالين المتوفى عام ١٢٦٤ - له عليه تقارير جمعها تلميذه السيد محمد الششتي ونسخته التي بخطه في المكتبة الكتانية .

« مولد الميقاتي » هو ابوالحسن نورالدين علي ابن الميقاتي الحلبي المتوفى عام ١٢٢٠ منه نسخة بالمكتبة الاسكندرية على ءاخرها خط المؤلف بتاريخ ١١٧٣

« مولد العزب » هو العالم الصالح الشيخ محمد العزب الدمياطي ثم المدني الشافعي مولد منظوم اولــه :

الحمد لله الـذي قـد اوجـدا من نوره نـورا به عم الهدى

وهو مطبوع بمطبعة الفيحاء بالشام في ص ٩

« مولد المارديني » هو الاديب علاء الدين ابن مشرف المارديني اوله الحمد لله الذي حلت سحائب فضله في ربيع الخ منه نسخة في مجلد في المكتبة السلطانية بمصر تم نسخها عام ١١٠٧

« مورد الصفا » في مولد المصطفى لمفتي بيروت الصوفي الاديب البارع صاحبنا الشيخ مصطفى ابن محي الدين بن مصطفى نجا البيروتي له مولد منظوم اوله :

باسم باري الخلق ذي العرش الرفيع ابتـدى في نظـم ميـلاد الشفيـع

وهو نظم بديع لا يوجد في المواليد المنظومة اعذب منه طبع في المطبعة الادبية في بيروت عام ١٣١٨ في صفحات ١٧

(يتبع)

كشف شبهات

ورد على ادارة المجلة رسالة من مدينة ليون من مدن البلاد الفرانسية يطلب صاحبها كشف شبهة قام بها احد الملحدين هناك ليضل الناس ونص الرسالة بعد الديباجة .

ايها السادة ان هنا في مدينة ليون بفرانسا انسان بربري قد قال لنا في احدى محاضراته او دسائسه ان هذا القرآن المعجز الذي جاء به محمد هو من عند نفسه . وان لا آله ولا رسول ولا ملك ولا روح . وانما محمد من فرط ذكائه اخترع الدين الاسلامي وجعله صالحا لكل زمان ومكان واحاطه بسياج القوانين الغير القابلة للالغاء وجاء بهذا القرآن المعجز وتحدى البشر لكونه يعلم من نفسه انه فوق البشرية . فلهذا تحدى الخلائق تحدي الواثق بنفسه انه غالب « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » لكون محمد يعلم علم اليقين بانه لو اجتمعت ملايين الفلاسفة . وفكروا على ان يضاهوه في فكره الخارق لكانوا منه بمثابة الصبي الرضيع من اكبر فيلسوف بل هم اقل وهو اعلى بما لا يتصوره العقل لكون محمد شذت الطبيعة في خلقه من علة اقتران ابويه لكونهما فيهما قابلية فوق (السبرمان) فجاء منهما محمد الخارق في تركيب جسمه الخارق وفي عقله الخارق وفي كل احواله .

فأبواه عبد الله وآمنة هما علة هذا الخرق لناموس الطبيعة حيث جمعت المصادفة بينهما في بلد واحد وعصر واحد مع ان الطبيعة لا تشذ بخلق واحد من امثال عبد الله الا في ملايين السنين بل مرة واحدة في الوجود كله . واما آمنة فالشذوذ بخلقها من غرائب الطبيعة لكون آمنة عقلها يرجح على عقل مليون فيلسوف وهذا محال ان تشذ به الطبيعة مرتين في الوجود . . .

الجواب

تمهيد

الانسان كلف بالبحث عن السعادة واسبابها واستعمل مواهبه لادراكها فمرة وفق وكثيرا لم يوفق او ظن انه وفق وهو في الحقيقة اخطأ الطريق وسار على غير هدى حتى حسب انه بلغ الغاية وما هو ببالغها فضل واضل وما علم ان هذا العقل الذي استعمله لبلوغ درجة الكمال قد يقف به في أثناء البحث او يغور فينتج له خلاف الواقع اذا لم يحطه بسياج يتقي به بنيات الطريق .

ولا يغتر الانسان بما يبدو له من ظاهر قول الحكماء ان الانسان بعقله يقدر ان يصل الى المثل الاعلى للكمال الانساني فيرخي العنان لعقله فيصبح يخبط خبط عشواء على غير قاعدة ولا اساس . بل احكام العقل انما يعتد بها اذا كانت مقامة على صحيح البرهان وليس كل عقل بمتهيء لبلوغ هذه

المرتبة هـذا من جهة . ولان مرادهم بذلك الكمالات الداخلة تحت نظام هذا العالم الدنيوي دون الكمالات التي تدرك الروح بها مدارج الارتقاء في العالم الاخروي)

وعلى هذا المنهج نسير في بحثنا عن سعادة البشر المنشودة في معرفة ان هـذا العالم له صانع وهـذا الصانع هو الآله الواجب الوجود الذي يجب ان يخص بالعبادة والانقياد وانه الفاعل لما يريد وانـه اصطفى من عبـاده من يكون سفيرا ورسولا منه الى النوع الانساني ليصحح له ما عجز عن ادراكه واوحى الى من اصطفاهم بتعاليم ترجع في جملتها وتفصيلها الى سعادة هذا النوع من الخليقة . وذلك السر المكتوم الذي لم يحض به الا من اراده الله لتبليغ رسالته هو الذي اطلق عليه اسم الـوحي الآلهي فمدار البحث هو الآله والرسول والوحي .

الآلـه

اعلم ان البشر ليسوا سواء في معرفة الآله وادراك ان هذا العالم لا بد ان يكون له صانع حكيم هو الذي اوجد كافة المخلوقات ولا في معرفة كنه العالم وانه مركب من جواهر فردة وان هاته الجواهر تتكيف باعراض لا تبقى زمانين او ان مادته ازلية وما هو مسمى الازل ولا في معرفة حياة اخرى بعد حياة المشاهدة يعبر عنها بحياة النشور وان تقار الناس كلهم على الخضوع الى قوة اسماها البعض بما اصطلح عليه واسماها آخر باسم غير الاسم الاول والكل مذعن الى ذلك الناموس المختلف في تسميته الخاضع الى عظمته المدرك بالبداهة انه قوة اسمى من جميع القوى الشاعر باحتياجـه اليها عند الشدائد وفي ادق الحالات . فهو يتصورها في ساعة الرخاء لا على النحو الذي تتجلى له عند تراكم المحن والشدائد . ومن أجل ذلك يختلف تعبيره وهي لا تتغير وتصدر عنه انفعالات يتبعها انعـكاس في الخارج فتراه يقر بما انكره من قبل .

فتعين حينئذ انـ نرجع الى المنطق السليم الموصل الى الاعتراف بالحقيقة الـتي لا مناص منها ونسلم به من الخطأ في البحث .

وذلك ان انبحث عن آله الكائنات يكون من بحثنا في الكائنات نفسها ضرورة انهـا متاثرة بغيرها والاثر لا بد له من مؤثر والا لزم الترجيح بدون مرجح وهـو محال في نظر المفكرين وتولد المتأثرات عن هذا المؤثر على الوجه التي هي عليه يوجب الاعتراف بوجوده لا على نحو باقي الموجودات المتـأثرة بايجاده والا لكان مفتقرا لمن اوجده وهكذا الى ما لا نهاية له فيتوقف العقل عند ذلك في ادراك حقيقته بعد تسليمه بوجوب وجوده من جراء دلالة الصفة على وجود الموصوف والا لزم قيام الصفة التي هي من الاعراض بذاتها وهذا مستحيل عقلا وحسا فلم يبق معنا الا تلـك المعرفة المتحصلة من تلك الدلالة فمعرفة الآلـه الواجب الوجود توصل اليها العقل من ادراكه انـ العالم

المتركب من الجواهر والاعراض انما هو اثر لـه مؤثر وهـذا المؤثر هو مصدر سائر الكائنات المركب لاوضاعها على النمط المحدث المشاهد وهو المرجح لانفعالاتها لحكم قد تتوصل اليها بعض العقول السليمة وقد تخطىء في فهمها عقول او تحتار في بعض المرات ٠

وعلى هذا النحو من التفكير اعترف الانسان بواجب الوجود الآله الذي كبر الاعتراف بـه على من وقف في تفكيره عند حد تسليم بعض الضروريات كدلالة الاثر على المؤثر وعدم تسليم ما سوى ذلك من لوازم تلك البراهين ٠

ونرى من تفكير بعض الفلاسفة ان العالم بمادتـه واشكاله مجموع عناصر تتألف من الهيولى والصورة وبقوة الجاذبية والدافعة تتكون الاشكال وتتسلسل عنها الحوادث ويتراجع بعضها الى بعض على حالات متغايرة ونسب مختلفة وهذا التفكير ونتائجه المفروضة لا يعدمنا الحجة بالزامهم اللازم الاول في بحثنا الاول من ان المادة المؤلفة منها العناصر سواء سلموا انها مؤلفة من الجواهر الفردة ام لم يسلموا هي قابلة للتكييف ويعرض لها الاختلاف بحسب العوارض التي تكون عليها والاستحالات التي انتهت بها الى العناصر وهذه التكيفات ترجع في تقلباتها واختلاف اشكالها الى قوة عظيمة ذات علم واختيار تتأثر بها المادة وتكون هي مصدر ذلك التاثير وهي ما نعبر عنه بالآله الفاعل المختار والقول بتوالد القوى من بعضها بمفعول الجاذبية والدافعة لا يغني فتيلا فهي زيادة على كونها ترجع في اصلها الى قوة فوق القوى هي مصدر تلك الانفعالات كذلك هي متاثرة من ناحية تكيفاتها العرضية كتأثرها من الناحية المادية وترجيح بعض انواع التولدات والاستحالات على البعض الآخر ٠

والتعبير عن التاثير بالخلق وعن المؤثر بالخالق كانه هو الذي احرج بعض النفوس البشرية التي لا ترى الا الاسباب الظاهرة كما احرجها اطلاق اسم الآله عليه وذلك ضرب من المكابرة بعد التسليم والاعتراف بالقوة العظيمة التي هي مصدر لسائر المؤثرات ٠

وبما ان التفكير البشري قد يسلم بعض الضروريات ويقف متحيرا في تسليم لوازمها وان ادراك كنه الآله امر ليس في مقدور البشر الوصول اليه وقصاراه ان يتوصل بدلالة الاثر على وجود المؤثر وصفاته وافعاله وان ادراك ما وراء المادة ليست فيه العقول على سواء فلا بدع اذا قلنا ليس في وسع الانسان ان يدرك بسهولة من الله ما يجب ان يدرك وانما تيسر ذلك لمن اختصه الله بنور البصيرة وسرى بشرف الاقتداء ذلك النور الى سائر الاقوام بهدى نبوي اذا بلغه الانسان كان اسرع الناس الى اتباعه ويحصل له العرفان الصحيح على وجه يليق ان يعلم تحت ضوئه الجلال الآلهي الذي تحيرت الافكار فيه ٠ ويتتبع بذلك الهدى من آثار الفاعل ما يدله على وجوده ومن اتساق المصنوعات على صفات الصانع الحكيم ومن احوال الحياة ما يتولد منه قوة الايمان ٠

لذلك كانت الامم في حاجة الى ذلك النور النبوي فاقتدى الناس بالانبياء وادعنوا لتعاليمهم لما

تبين لهم من الحق وصحة دعواهم ورجحان عقولهم فانقادوا لهم عن طواعية واختيار ولذلك ارسل الله رسله مبشرين ومنذرين لئلا تكون على الله حجة بعد الرسل .

وهنا ننتقل الى القسم الثاني في بحثنا وهو الكلام على النبيء والرسول .

النبي والرسول

إذا تقرر ان هذا العالم له آله هو الذي احكم صنعه وله من الصفات ما يناسب كماله وان البشر بلغ ما بلغ من صفات الكمال لا يصل بمواهبه الى ادراك المثل الاعلى وانه بفطرته طموح الى المعالي بيد انه يعجز عن ادراك ما وراء المادة من مجاهل الروح مع كونه مركبا حيا تلتقي فيه المادة بالروح وليس للانسان وجود اذا فقد هاته الروح الجاثمة فيه

فكيف له ان يخبُر ما وراء عالم المشاهدة اذا لم تكن قوة نافذة توضح له ما هو عاجز عنه بمواهبه لذا كانت بعثة الرسل امرا ضروريا يبلغ بهم النوع الانساني الى اسمى تلك الغايات حيث انهم يبلغون عن الآله ما خفي عن الانام مما ليس في وسع الانسان تبصره مع شدة الحاجة الماسة اليه ضف الى ذلك سائر مشاكل الحياة التي ما فتيء البشر في خلاف عن صالحها من فاسدها فهم الذين يوضحون له طرق السعادة واسبابها ويكشفون الغطاء عن دخائل الامر فينجلي للانسان ما هو جاد في تحصيله . بقي ان ننظر في مشخصات هذا النوع من البشر وما هي مميزاته والى اي حد يبلغ بهم الكمال ومتى يكون لزاما علينا ان نصدق بهذا الرسول ونكذب ذاك ممن يدعي الرسالة وهو كاذب في دعواه وهذا كله يرجع الى آيات النبوة والرسالة وما يكتنف النبي والرسول في حياته الاولى قبل الجهر بهذه الدعوة وبعدها

اما آيات النبوة والرسالة فعلى قسمين ما يدل على النوع وما يدل على الشخص اما الذي يدل على النوع فهو الامر الذي يتحدى به الرسول او النبيء من عانده وانكر بعثته فتقوم عليه الحجة بذلك وهذا مصدره الله تعالى يرسمه كعلامة لصدق الرسول في دعواه الرسالة عن الآله فاذا ظهرت الآية وظهر العجز عن معارضتها كان ذلك اعظم دليل على اختصاصها بالانبياء وان من ادعى النبوة ولم تكن له هاته الآية ظهر كذبه ولا يلتفت لقوله ومدعاه وعموم البشر ممن لا يدرك الحاجة الماسة الى الارسال اعتمد هذا الاصل وهو آيات النبوة فايقن بوجود الانبياء واذعن لخصائصهم وآمن بهم حتى ان من لم يسبر هذه الخصائص او لم يكن له بها علم كفلاسفة اليونان ومن تخرج من مدرستهم لم يكن له في الانبياء قول . كما لم ينقل لنا عن ان إرسطو وتلامذته فيهم قول . وهذا لعدم العلم بحقائقهم وعدم الاطلاع على خصائصهم وآياتهم لا للعلم بالعدم .

وذهب من عرف النبوة من متأخري الفلاسفة الى انها من قوى النفس وقوى النفوس متفاوتة فمن بلغت منه تلك القوى حد الكمال وصل تلك الرتبة وهذا تخريج منهم امر النبوة على اصول

قوم لم يبلغهم امرها ولم يعرفوا منها كثيرا ولا قليلا وجاء التعبير الحديث فاختار للنبي اسم العبقري، لكن لما صدم قسم منهم بحقيقة واقعية يدركها كل من بحث عن علة الارسال نحا فريق منهم في تفسير النبوة منحا غير الذي عليه اهل الاديان فقالوا ان الرسالة امر لازم لحفظ نظام العالم المؤدي الى صلاح النوع الانساني على العموم لكونها سببا للخير العام المستحيل تركه في الحكمة والعناية الآلهية الا انهم يفسرونها بما يخالف حقيقتها الواقعية رجوعا منهم الى تلك الاصول التي لا تجامع ما فسرها به اهل الاديان فيقولون ان النبوة او الرسالة امر مكتسب وهذا المذهب الباطل مقام على اصلين . اولهما انهم ينكرون جواز اتصال الملك بالرسول ليتلقى منه الوحي الثاني انهم ينكرون نزول الملك ليتصل بالرسول لاستحالة خرق الافلاك (١)

فانت ترى ان هذا الفريق يقر بحاجة العالم الى الرسل موقن بوجودهم سوى انهم ينكرون اتصال الملك بالرسول ويتغالون فيقولون ان امر النبوة غير اختياري لله تعالى اعتبارا بان صلاح النوع الانساني موكول اليهم فامرهم لازم حفظا لنظام العالم وما اوجبته الحكمة فهو واجب بدون اختيار . تعالى الله عما يصفون

واما الفريق الآخر فقد ظل ينكر النبوات كما انكر بعضهم وجود الآله . وهؤلاء هم الملاحدة الذين عرفوا بالقول بتفاوت القوى النفسية وتوالد القوى من بعضها من غير ان يرجعوا بها الى مصدرها وهؤلاء نلزمهم بوجود فرق بين الذي بلغ بعقله درجة تقارب الكمال المسمى عندهم بالعبقري وبين الرسول المرسل من قبل الآله وذلك ان العاقل الذي من ذلك النوع قد سمت به مداركه من تاثيرات العلم المكتسب الذي صقل عقله فارتقى به وكشفت له الحقائق فهو قد اجتمع له سمو المدارك وغزارة العلم فيخيل لساكنيه في العالم انه بما امتاز به عن نوعه الفرد العلم الذي يتمتع من وراء علمه بتلك الانكشافات . يسميها قسم انكشافات ويسميها آخر الهامات ربانية ويسميها غير ذينك القسمين وحي الضمير وفيضان العقل السليم وهي على كل تقدير ليست صفات النبوة

اما النبي فصفاته ليست كذلك فان مداركه امتازت عن العقول وصفت حتى علت الى ارقى مدارج التلقي وتعاليمه مصدرها الوحي الآلهي لا العلم المكتسب

واما القسم الثاني وهو الذي يعرف به الرسول المعين فآياته الخاصة ومميزاته الواضحة وان هذا بشخصه من ذلك القبيل والذي نتعرض له هنا هو بيان نبوة خاتم المرسلين عليه من الله افضل الصلاة والسلام حسبما جاء في السؤال وذلك ينحصر في مسلكين المسلك الاول في بيان آيات نبوته عليه السلام والمسلك الثاني في نقض ما جاء في السؤال من الشبهات

اما الاول فان آيات صدقه صلى الله عليه وسلم كثيرة منها القرآن الذي تحدى به معانديه

---

(١) انظر المسامرة للكمال وشرحها

فعجزوا عن ان ياتوا بسورة من مثله حتى اداهم عجزهم الى تصديقه وبقيت هاته الآية معجزة خالدة الى ان يرث الله الارض ومن عليها . وكذلك ما اكتنفه من مشخصات الرسول التي جاءت على النحو مما كان عليه سلفه المرسلون وما لابسه من مميزات الرسالة وما ظهر في حياته وبعد انتقاله الى الرفيق الاعلى مما بهر العقول من انتشار الدعوة بين اطراف الجزيرة في مدة اقل من ربع قرن ومن اقصى المشرق الى اقصى المغرب في اقل من قرن ودخل الناس افواجا في هذا الدين الذي رفع عنهم الاصر والاغلال التي كانوا مكللين بها

فامر هذا الرسول وما جاء به ودعى اليه لم يكن بدعا من الرسل فهذه ملوك العالم الذين اوفد اليهم الرسول من اصحابه من يبلغ لهم وقومهم رسالته ويدعوهم الى الايمان بالله وحده وان محمدا رسول يسألون الرسل عن خصائص هذا الذي يدعي انه نبي مرسل من قبل الله ولنذكر من ذلك قصة هرقل . . . . .

فقد حدث ابو سفيان بن حرب ان هرقل (١) أرسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد (٢) فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه وهم بايلياء (٣) فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال ايكم (٤) اقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي فقال ابو سفيان قلت انا اقربهم نسبا فقال ادنوه مني وقربوا اصحابه فأجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبني فكذبوه قال فوالله لولا الحياء من ان يأثروا علي كذبا لكذبت عنه (٥) ثم كان اول ما سألني عنه ان قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب . قال فهل قال هذا القول منكم احد قط قبله قلت لا . قال فهل كان من آبائه من ملك قلت لا . قال فأشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم . قال ايزيدون ام ينقصون قلت بل يزيدون . قال فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه قلت لا . قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قلت لا . قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها قال (ابوسفيان) ولم تمكني كلمة ادخل فيها شيئا غير هذه الكلمة (٦) قال فهل قاتلتموه قلت نعم . قال كيف كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه . قال ماذا يامركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويامرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال لترجمانه قل له سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب

---

(١) ملك الروم ويلقب بقيصر (٢) هي مدة الصلح الذي وقع في الحديبية (٣) هي بيت المقدس (٤) الخطاب لابي سفيان والرهط الذين كانوا معه وكلهم كان غير مؤمن بالنبي في ذلك التاريخ (٥) الكذب قبيح في معتقدهم . واتقاء من ان يؤثر عليه في قومه تجنبه وألا لاخبر عن الاسئلة بخلاف الواقع تشفيا وبغضا واستنقاصا وتضليلا . (٦) لاجل ان يستنقصه .

فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها ، وسألتك هل قال احد منكم هـذا القول فذكرت ان لا فقلت لو كان احد قال هذا قبله لقلت رجل ياتسي(١) بقول قيل قبله ، وسألتك هل كان في آبائه من ملك فذكرت ان لا قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك ابيه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا ، فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ، وسالتك اشراف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه ، وهم اتباع الرسل ، وسالتك ايزيدون ام ينقصون فذكرت انهم يزيدون ، وكذلك امر الايمان حتى يتم وسالتك ايرتد احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا ، وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب ، وسالتك هل يغدر فذكرت ان لا ، وكذلك الرسل لا تغدر ، وسالتك بما يامركم فذكرت انه يامركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين .....

فانظر الى هرقل كيف يسأل عن علائم النبوة وبعض خواصها حتى ياتيه اليقين ، وكيف كان ابوسفيان بن حرب الذي لم يسلم في ذلك التاريخ كيف كان يتحرى الصدق وهو مع ذلك يتحفز لو تسمح له الفرصة لدس شيء من شأنه ان ينفر ويضل الناس به .

واما المسلك الثاني فالشبهة التي جاء بها هذا الدعي تنحصر في نكران ان يكون القرآن من عند الله بعد تسليمه اولا انه معجز وانه صلى الله عليه وسلم تحدى به البشر فعجزوا على ان يأتوا بمثله وتسليمه ثانيا انه لو اجتمع فلاسفة العالم في مختلف العصور لما قدروا ان يدركوا ما وصل اليه هذا النبيء وهم منه بمثابة الصبي الرضيع من اكبر فيلسوف بل هم اقل وهو اعلى ، وتسليمه ثالثا ان الدين الذي جاء به كان صالحا لكل زمان ومكان محاطا بسياج القوانين الغير القابلة للالغاء وان جميع الشرائع الاولى نقضها العلم ما عدى القرآن الذى لا يقدر على نقضه احد ، فهذه التسليمات الثلاثة تصاح ان تكون ردا عليه إذا علم أن هذا النبي هو رجل امي لا يقرأ ولا يكتب ولم يتلق المعارف عن استاذ قصارى إمره انه رعى الغنم في صباه وخرج تاجرا في شبابه لا يعلم من طرق الحياة الا كما يعلم اهله . وما له من الصفات النفسية لا يقدر به وحده ان يحدث في العالم هذا الانقلاب العجيب ويثور على الاديان كلها فينسفها نسفا ويقضي عليها بعد ان يقيم الحجة على انها ليست تلك التي جاء بها الرسل ويحول تفكير العقل عن مجراه الذي آنسه الى ادراك الحقائق كما هي فيصبح سياسيا لا كالسياسين ومشرعا لا كاهل القانون الى غير ذلك مما لا يتحمله المقام الآن فكيف يصح ان نحكم عقولنا فيه على ضوء هذه المعلومات فنستنتج انه سمت به مداركه حتى اتى بما تعجز عنه فطاحل الفلاسفة وان هذا القرآن جاء به من عنده وان هذه الشريعة هو الذى سطر بنودها بمواهبه اجل لو كان هـذا القرآن

(١) يقتدي

كلامه ولم يكن موحى به اليه ولا هو بكلام الله فما بالنا نراه غير جار على الاسلوب الذي جاءت به السنة التي هي من كلام الرسول لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى فالفرق الذي بين الكلامين اكبر دليل يدلنا على اختلاف المتكلم وهذه الحقيقة لم تخف على المشركين واهل الكتاب الذين كانوا في حرج عندما بلغتهم الدعوة ولولا تلك الفوارق لقالوا كما قال هذا المعاند انك تنطق في كل كلامك على نمط واحد فما بالك تدعي هذا لله وهذا لنفسك . وما نقل الينا انهم ادركوا الاعجاز في كلام الرسول وغاية ما هنالك انه تحداهم بالقرءان فحسب فعجزوا عنه لا عن سواه

واما دعوى انه صلى الله عليه وسلم رجل شذت به الطبيعة من علة اقتران ابويه الى ان يقول لكون آمنة عقلها يرجح على عقل مليون فيلسوف الخ فهي دعوى مجردة لم يقم على صحتها اي دليل بل الواقع بخلاف ذلك فان ابوي النبي لم يظهر عليهما من المميزات ما يفوق اشراف قريش وغاية ما جاء في وصفهما انهما شريفان في قومهما تعلوهما المهابة ونحو ذلك من الصفات .

فاين هذا من دعوى رجحان عقلهما على عقل مليون فيلسوف واين آثارهما اذا كانا على نحو ما ذكر وفي وسع الانسان ان يتخرص بما شاء لكنه لا يقام لكلامه وزن الا اذا اقام عليه الحجة اما مجرد القول ان محمدا شذت به الطبيعة وعلة ذلك اجتماع ابويه الذين فاقا بعقليهما عقول سائر الفلاسفة فهو كلام منقوض من اصله حيث ان الواقع يخالفه وكذلك قوله ان تركيب جسميهما ليس لعقل ان يحدد صورة تركيبهما وقوة قابليتهما لولادة انسان لا كالبشر فهي اوهام اداه اليها ما بهره من صحة الشريعة الاسلامية فكبر عليه ان يقر بالرسالة بعد ما اقر بصحة تعاليمها وما دام هذا المكابر يؤمن بسمو هذا العقل ويؤمن انه لا يتأتى لاي فيلسوف ان ينقض هذا القرآن الذي جاء به هذا الامي صلى الله عليه وسلم فما راعه ان لا يؤمن بما تضمنه القرآن ويقتدي براس الفلاسفة الاوحد عليه الصلاة والسلام ويهجر تقليد اولئك الفلاسفة الذين اقر بانهم دونه بمراحل .

على انا لسنا في مقام نصحه وانما هي الزامات كلامه . واضيف الى ذلك نوعا آخر من النقض وهو انه كيف يصح له ان يقول ان القرآن لا ينقض ولو اجتمع لنقضه فلاسفة العالم في مختلف العصور ثم بعد ذلك ينكر الاله والرسول والروح والقرآن لا تكاد تخلو سورة منه عن ذكر احد هذه الثلاثة واقامة الادلة عليها .

فهو ينكر الآله ويقر بصحة القران ويؤمن بعدم جواز نقضه والقرآن يقول : ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون . وهو ينكر الرسالة ويسلم صحة القرآن والقرآن يقول : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل .

وهو ينكر الروح ويؤمن بسلامة القرآن من النقض والقرآن يقول : ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي

أبعد هذه المتناقضات الظاهرة في كلامه يقام لكلامه وزن ويضاع الوقت في الاصغاء الى ترهاته . ولننتقل بعد ذلك الى القسم الثالث

الـوحي

هو التعاليم التي يتلقاها النبيء من قبل الله وتحل في نفسه بواسطه الملك او بدون واسطة مـع علمه ان ذلك من قبل الله وهذاكله يفارق به الوحي الالهام حيث ان الالهام حديث النفس تنساق اليه عن وجدان من غيران تتنبه الى مصدره ولا استحالة في شان الوحي الآلهي يحكم بها العقل فان مراتب النفوس تتفاوت كما ان العقول تتفاوت فقد تزكوا بعض النفوس الى حد انها تكاد تلحق بالارواح المجردة وهذا من القضايا المتفق عليها عند اهل النظر والمشاهدة اكبر دليل . فلا غرابة اذا بلغت بعض النفوس من نقاء الجوهر بسلامة الفطرة ما يكون لها اكبر مساعد لتلقي الفيض الآلهي والاتصال بعالم ما وراء المادة فيحصل لها من الانكشافات ما حجبته عن البصائر ستر الانسانية الكثيفة وما دام الانسان مركبا من المادة والروح فايهما صفا الا وتغلب على الآخر

اما تلقي النبيء الوحي بواسطة الملك فهذا ايضا لا استحالة فيه ما دمنا متفقين على عدم استحالة وجود ارواح يشملها الوجود الكوني حالة فيما هو الطف من المادة بل العلم اقر ذالك ولم يخالفه الشرائع فيه واتصال الملك بالنبيء لا دليل يعارضه واما القول بعدم امكان خرق الافلاك فهاته قضية مبحوث فيها ودليلها مخدوش في مقدماته التي ركبت على اوهام او ظنون ما زالت بعيدة عن الحقيقة وما يدريك ان البحث العلمي المجرد سينتج تسليم امكان ذلك الاتصال وغاية ما هنالك عدم الاستحالة وهي الدرجة الاولى في الانتاج

هذا ما امكن ذكره في الجواب عن تلك الشبهات . واذا بقي على الناظر توقف فليخاطبنا في كل ما اشكل عليه عسانا نهتدي الى وجه حله .

وبعد فاننا نهب باخواننا المغاربة المقيمين بليون وسائر بلاد اروبا ان يقعوا في حبال امثال هؤلاء المتصيدين ويبتعدوا عن مجالسهم وليعملوا على دعوة عالم من علماء المسلمين ليقيم بين اظهرهم ويرجعوا اليه في شؤونهم الدينية ويدفع عنهم امثال تلك الشبهات . ونحن بدورنا لا نألو جهدا في كشف كل ما يشكل عليهم امره والله يوفق الجميع الى الصواب واعلاء هذا الدين انه قريب مجيب .

محمد الشاذلي ابن القاضي

الاخلاق ومبلغ عناية الشارع بها

آداب الزوجية وحكمها (٢)

ذكرنا في حديثنا السابق عن آداب الزوجية ان هذا البحث يرجع الى ثلاث شعب . الشعبة الاولى في بيان الآداب المتعلقة بكيفية انعقاد رابطة الزوجية بين الزوجين وقد اشبعنا القول في هذه النقطة في العدد الثامن من المجلد الاول فليرجع اليه من اراده . الشعبة الثانية والثالثة في بيان آداب المعاشرة وآداب المفارقة والى شرح هذين الفصلين نسوق الكلام في هذه العجالة .

اعلم ان ارتباط الزوجين بعضهما ارتباط الفة واحتكاك دائم متصل الحلقات فان رابطة الزوجية من اقوى روابط الصلة بين الافراد فبه تندمج مصالح كل واحد من الزوجين في مصالح الآخر حتى لا يعود يشعر باستقلال مصالحه عن مصالح الآخر فتراه يفرح بكل ما يفرح به صاحبه ويسوؤه جميع ما يسوء صاحبه ويرى كل واحد من الزوجين انْ اي نفع يناله شريكه فهو له وان اي ضرر يقع على شريكه فهو عليه واذا كانت صلة الزوجية على هذا النحو من الاهمية فلا بد من احاطتها باسوار منيعة تحميها من صروف الدهر وترد عنها كيد الكائدين وما ذلك الا بمراعات قواعد الالفة وحسن المعاشرة فعلى الزوج ان يعتبر الزوجة شريكته في حياته ومصالحه وانها عضو منه يسرها ما يسره ويغيضها ما يغيضه فيشركها في اموره ويستشيرها في شؤونه ويعاملها بالحسنى ويحميها مما يحمي منه نفسه وولده ولا يقصرها على قضاء لبانته واعتبارها آلة لهو يأوي اليها في اوقات انسه وفراغه ليمتع بها نفسه حتى اذا قضى منها حاجته رماها بكلتا يديه ولم يزد على محادثتها في شؤون البيت .

المرأة كائن حي له من الاحساس والشعور وعليه من المسؤولية مثل ما للرجل وما عليه وهي شطر الامة فلا يحسن بنا اهمال شطرنا واعتباره جزءً مهملا لا يصلح الا للهو وقضاء الوطر بل علينا ان ننتفع بكل جزء منا وان نستعمله فيما اعدله . فليفهم كل واحد من الرجل والمرأة وظيفته في الحياة وليعمل على تكميل نفسه والقيام بواجبه وليتعاونا على مصالحهما كشريكين يعلم كل واحد منهما ان ما يجنيه احدهما من المنافع فهو لهما وما يقع لاحدهما من الخسارة فغرمه عليهما

واذا كانت طبيعة كل واحد من الزوجين قاضية بان يقوم كل واحد منهما بمصالحه بمعزل عن الآخر ويستقل باموره التي هي امس بوظيفته فالزوج يعمل خارج المنزل في مصنعه او في مكتبه او في مزرعته او متجره ليحصل ما يعول به اهل بيته المسؤول عن اعالتهم فيهيء لهم ما يحتاجونه من مسكن وملبس ومطعم وغير ذلك من لوازم الحياة . والمرأة تعمل في البيت لتهيء لزوجها وولدها

بيتا نظيفا منظما مستكمل الحاجات والضروريات وتقوم على تربية الطفل وتنمية جسمه وعقله وتهذيب روحه بما تزرع فيه من فضائل يشب عليها حتى تصير فطرية فيه تزول الجبال ولا تزول فان وراء ذلك تعاون واشتراك بالرأي واسداء النصح وابداء الملاحظة فعلى الزوج ان يطلع زوجته على ما يعرض له في عمله من كل ما يحتاج فيه لرأي مع رأيه كما يعرض على صديقه وعلى اخيه من الرجال فعليه ان يعرض الامر فيه على زوجته لتشعر بأنها عضو في هذا المجتمع الانساني وانها كالرجل يمكن ان تؤدي نفعا عاما او تقوم بحق مشترك كما ان على المرأة ان تحدث الرجل في امورها البيتية وما اليها من شؤون تربية ابنائها واصلاح ملبسهم ومأكلهم وشؤون ترتيب امور المنزل وشؤون الطبخ هذا عدا ما يجب ان يحدثها به من الشؤون العامة والاخبار العالمية ويسترعي انتباهها للشؤون الاصلاحية العامة وفي عالم الاختراع والابتكار على الخصوص وعلى الاخص ما يستجد في صفحة السيدات وشؤون المرأة فيخلق فيها بمثل هذا الحديث شعورا فياضا بالعزة وحب العمل فتنشط للقيام بواجباتها وتوفير سبل السعادة لاهل منزلها ولن تجد منزلا سعيدا توفرت فيه اسباب الهناءة لاهله والا وتجد عليه امرأة عاقلة قائمة بواجباتها العائلية على اكمل وجه ولا يتم هذا للمرأة الا اذا كان بينها وبين زوجها حبا متبادلا وهوى مشتركا فان المرأة اذا شعرت بوفاء زوجها وحبه لها محضته النصح وادت كل ما في وسعها تأديته له من وجوه المبرة والاحسان وفي الحكمة القديمة « اذا رأيت رجلا موفقا فيما يحاوله مسدد الخطى الى الهدف الذي يرمي اليه فاعلم ان وراءه امرأة يحبها وتحبه » فان لم تأتلف الارواح ولم يحصل الازدواج المطلوب من الزواج بعد تجربة ليست بالقصيرة بحيث وجد نفرة منها او وجدت نفرة منه ولم يتمكنا من القضاء على تلك النفرة بعد محاولات كبيرة من الطرفين فانه قد يتمكنا من القضاء على تلك النفرة الاولية بسبب حسن اخلاقهما وطيب معاشرتهما فكثيرا ما شاهدنا زوجين يظهر عدم توافقهما وركون احدهما للاخر اول عهدهما بالزواج ثم لا يلبثان ان يحصل بينهما ائتلاف كبير وميل ومحبة لم تكن ليحصل شيء من ذلك لولا صبرهما في اول الامر وركون احدهما للاخر مدة يسبر فيها اخلاقه وتربيته وحسن ادبه حتى اذا وجده على احسن ما تتطلب المعاشرة الزوجية انقلبت نفرته ميلا ثم ينقلب الميل حبا وهكذا الى ان يصلا الى درجة التحابب والتوادد العليا فيحصل المقصود من رابطة الزوجية ويتم المأمول فان لم يتمكنا من القضاء على تلك النفرة واستمرت معهما او زادت رغم محاولتهما لجئا الى ابغض الحلال وهو الطلاق الذي به تنفك تلك الرابطة التي لم يتمكنا من احكام عقدها (كما قال تعلى فإمساك بمعروف او تسريح باحسان) ولا شك ان الافتراق في مثل هذه الحالة خير من الاستمرار على الزوجية الفاقدة لروحها وهو الحب المتبادل والهوى المطاع فالطلاق مبغوض في ذاته لما فيه بحسب صورته من قطع لرابطة هي من اعظم الروابط المفيدة والشركات الرابحة بين البشر ولكنه عند الالتجاء لهذا القطع حيث لم تتيسر اسباب الربط والتحصيل على النتائج المرجوة من وراء هذا العقد



صفحة من تاريخ تونس

متى كان ظهور النياشين التونسية

ملخصا من كتاب العيون النرجسية في الاوسمة التونسية لمحرره*

العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان الاوسمة الافتخارية وعلامات الامتياز ليست من اوضاع الدول الاسلامية وانما هي من مبتكرات الامم الاروباوية كان ظهورها عندهم حوالي القرن الرابع عشر للميلاد وبتوالي السنين والاعوام اتسع نطاقها عندهم فكان في مبادي القرن التاسع عشر لكل دولة نيشان او اثنان او اكثر ومن اعرق تلك الدول في هذا النظام الدولة الفرنساوية صاحبة وسام اللجيون دونور اخترعه نابليون الاول في سنة ١٨٠٢ لمكافاة ارباب الخصال الحميدة من العساكر وغيرهم. اما في الدول الاسلامية فان اوسمة الامتياز لم تعرف عندهم الا في خلال القرن الماضي اقتبسوها عن الامم الاروباوية بعد رسوخ قدمها وتدخلها في احوال الشرق ويلوح ان ظهورها في الاول كان ببلاد الفرس وعن الفرس اخذ

فالافتراق الذي لا ضرار فيه خير لا محالة ثم ان النفرة لا يخلو اما ان تكون من قبله او من قبلها فان كانت من قبله فعليه ان يطلقها طلقة رجعية وهي التي يتمكن فيها من المراجعة ما دامت في العدة فكثيرا ما يندم الزوج على الفرقة ويظهر له خطأه في التعجيل بالطلاق فيتمكن من جبر الخرق الذي خرقه بالطلاق وذلك بمراجعتها والاحسان اليها واظهار التندم على ما صدر منه عن غير روية ولاشك ان قلب المرأة ضعيف يسهل استهواؤه والتسلط عليه باظهار علامات التحبب والخضوع وان كانت النفرة من قبلها فقد شرع الخلع الذي هو عبارة عن طلاق من الزوج بعوض من المرأة وانما شرع لدفع مكروه المرأة ولذا شرع دفع المال له من قبلها لان نفع الطلاق في هذه الحالة عائد اليها وبالجملة فان تمكن الزوجان من القيام بواجبات الزوجية اثمر الزواج ثمرته المرضية وآتى اكله طيبا شهيا والا فالفرقة الشرعية حفظا لحقوق كل منهما ومصالحه على اوفق الوجوه المرعية.

محمد الهادي ابن القاضي

* لم يطبع هذا الكتاب

الاتراك هذه البدعة يدلك عليه لفظ نيشان الذي هو كلمة فارسية معناها علامة ومهما كان الحال فقد افاد التاريخ ان السلطان سليم خان الثالث دبر في ايجاد وسام عثماني اثناء حكمه ولكنه لم يجسر على الاستظهار بمشروعه مراعاة للفكر العام ببلاده التي كانت تنفر في زمنه التشبه بالاخلاق الاروباوية فلما دالت دولة ءال عثمان لحكم السلطان محمود خان الثاني اعتبر في جملة التنظيمات التي ادخلها لممالكه خلال سنة ١٢٤٧ احداث وسام اسماه نيشان الافتخار وتقلده وقلده لرجال دولته ولبعض اهل العلم منهم الشيخ الالوسي صاحب كتاب روح المعاني في تفسير القرآن الكريم وعن هذا النيشان العثماني اقتبس المرحوم مصطفى باي نيشان الافتخار التونسي في سنة ١٢٥٢

نيشان الافتخار

لما احدث المولى مصطفى باي نيشان (١) الافتخار جعله في صنف وحيد قلده في البداية لترجمانه ومستشاره في الشئون الخارجية الكونت جوزافين رافو الطاياني (٢) مكتفيا بذلك حتى ينظر ماذا سيكون من التأثير لهذا الحادث بالبلاط الحسيني وبالمحافل التونسية ولكون الظروف ايضا لم تسمح له يومئذ بتقليد متوظف نصراني رتبة جهادية في النظام العسكري المحدث بتونس عن اذن الباب العالي في اواخر دولة اخيه المرحوم حسين باي والى هذا النظام الجديد يشير العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع في قصيدته التي مطلعها :

نظامك ايها الملك الهمام ... به للدين قد ظهر ابتسام

ويستفاد مما كتبه المعلم الاميرألاي كاليقارس معين المشير احمد باي والمدير الاول لمدرسة الضباط باردو ان النيشان الذي احدثه مصطفى باي انما هو نتيجة اختراع دبره اخوه حسين باي وعاقه اجله عن اتمامه . وكان شكل هذا النيشان بيضيا تعلوه نجمة وهلال وبوسطه بالحجارة الكريمة اسم الباي « مصطفى » قال الشيخ الباجي المسعودي في الخلاصة النقية ان هذا الباي هو اول من لبس النيشان (العثماني) من بني الحسين بن علي وهو اول من صاغ نيشان الافتخار (التونسي) ونقش عليه اسمه بحجر الالماس والبسه وزير الامور الخارجية (الكونت جوزافين رافو) اه ويوجد لهذا اليوم بسراية باردو رسم بالدهن لذات هذا المأمور السامي يرى الناظر فيه على صدر صاحبه صورة ذلك النيشان مطرزا باسم « مصطفى » باحرف جلية ولم ينقل لنا التاريخ اكثر مما تقدم في حق نيشان الافتخار

---

(١) لفظ نيشان يجمع على نياشين ونواشين وهذا الجمع الثاني يستفاد منه بحساب الجمل عدد ١١١٧ الذي هو موافق لتاريخ دخول ملك تونس في قبضة المولى حسين بن علي مؤسس العائلة المالكة وهو اتفاق غريب

(٢) ارتقى لرتبة امير الامراء مع الوزارة الخارجية في دولة المشير احمد باي ومات بباريس في سنة ١٨٦٢ ونقل جثمانه لتونس وبها دفن .

على عهد مصطفى باي لان وفاته كانت في العام التالي للعام الذي احدث فيه نيشان الافتخار فلما ءالت نوبة الملك لابنه المشير احمد باي ابتدأ من حيث انتهى ابوه فاتخذ اولا نيشان والده ولبسه بدون تغيير سوى وضع اسمه « احمد » مكان اسم « مصطفى » ثم بداله التوسع في ذلك المشروع مع تغيير شكل النيشان المتحدث عنه بمعنى انه جعله مستديرا عوض شكله البيضي الاول ورتبه في اربعة اصناف اول يحمل على الصدر للجهة اليمنى وثان يلبس بالطوق (كمندور) وثالث ورابع يحملان على الصدر للجهة اليسرى وجعل كل تلك الاصناف مرصعة بالياقوت وتقلد هذا النيشان وقلده لوزرائه ورجال دولته ورؤساء عساكره منهم الضباط الفرنساويون الذين استحضرهم من فرنسا لتعليم الفنون العسكرية للجيوش التونسية وكان عدد هذه الجنود في مدته يتجاوز الثلاثين الف جندي

ومن الغريب ان الشيخ احمد بن ابي الضياف مورخ دولة المشير احمد باي وكاتب سره لم يتعرض في تاريخه لنيشان الافتخار الا بالنزر القليل وعبارة ما جاء في تاريخه هي قوله ان الباي المذكور هو الذي رتب اصناف نيشان الافتخار وقبلها منه ملوك واعيان من الوزراء والكبراء وذوي الشان من غير المملكة وبالغ في اعطائها للناس حتى قال له ديقرانج مترجم سلطان الفرنسيين يا سيدي ان النيشان هو عمل السلطان وليس السلطان هو النيشان وارتمض لسماعها اه بلفظه.

قلت ان الشيخ ابن ابي ضياف يشير بكلامه هذا لما صرح به غيره من المؤرخين من ان المشير احمد باي افرط في البذخ والاسراف لمجاراة اهل الثروة من الملوك اصحاب المدنية الراسخة ناهيك انه لما زار فرانسا في اواخر سنة ١٢٦٢ قلد لرجال الدولة بها نحو الثلاثين نيشانا من اصناف مختلفة تتراوح اثمانها بين العشرة ءالاف والثلاثين الف فرنك بما تكون جملته لا تقل عن ستمائة الف هكذا نقل بعض رواة ذلك العصر والعهدة عليه وقد اتفق اثناء وجوده هنالك حصول طوفان بجهات نهر لوار أهلك الحرث والنسل فتبرع على المصابين بخمسين الف فرنك حتى اعتقد بعض ارباب الجرائد انه كان متربعا على خزائن قارون والحال ان دولته في ءاخر مدته اشرفت على الافلاس وجملة ميزانيتها السنوية كانت مقدرة اذ ذاك باقل من عشرة ملايين ولما عاد من تلك الرحلة اضاف لاصناف نيشان الافتخار الصنف الاكبر المصحوب بوشاح الشريط الاخضر اقتبس ذلك من نظام وسام اللجيون دونور (وسام الشرف الفرنساوي).

ولما التحق المشير احمد باي بالدار الآخرة في سنة ١٢٧١ لم يسلك وريثه في الملك المشير محمد باي مسلكه فقد سعى لمجرد جلوسه على العرش الحسيني لتدارك بعض التفريط الواقع في عهد سلفه من ذلك تسريح نحو الثلثين من العساكر وابطال النياشين المرصعة بالياقوت وانتزاع جميع ما كان منها موجودا بيد اصحابه وبيعه لفائدة صندوق الدولة عدا الصنف الاكبر الخاص بذات الملك وهو النيشان الذي كان يلبسه المشير احمد باي الاول وهو الان في نوبة ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني ادام

الله ملكه واجرى في بحر السعادة فكله وفي الوقت الذي انتزع فيه المشير محمد باي النياشين المرصعة من حامليها عوضها لهم بنياشين افتخارية من الفضة بالشكل الموجود لهذا الزمان .

ولما دالت الدولة للمشير الثالث محمد الصادق باي في سنة ١٢٧٦ اكتفى بما وقع في عهد اخيه المشير الثاني محمد باي ولم يدخل تغييرا جديدا على نيشان الافتخار سوى وضع ترتيب له في قانون مسطور لان المشير احمد باي رتب شعار النيشان وغفل عن تقنين احواله. وكانت النياشين قبل عصر الحماية تصنع بدار السكة باردو حسبما تقتضيه الحاجة المتوقعة ورايت في بعض التقاييد انهم صنعوا في سنة ١٢٩٠ خمسمائة نيشان من الصنف الثاني ومثلها من الصنف الثالث ومثلها من الصنف الرابع بلغت قيمة مجموعها فضة وصناعة الى ثلاثة واربعين الف ريال .

وكانت مراسيم النياشين تكتب بخط اليد لا بورقة خاصة للمثال المنعوت كما هو الآن بل لم يكن لديهم ضوابط لحفظ النيشان من الاتجار فيه خلسة بالبيع والشراء كما وقع في مدة وزارة مصطفى بن اسماعيل فلما استهل افق الملك بطلوع شمس الدولة العلوية كان في مقدمة الاصلاحات التي انجزها الدور الجديد تنظيم احوال نيشان الافتخار ووضع تعريفة في ضبط المعاليم الموظفة عليه ومما تضمنه الامر العلي الصادر في ذلك قوله : وفقا للحالة الجديدة التي ترتبت عليها دولتنا . اه بلفظه مما يدل على الاختلال التي كانت عليه حالة نيشان الافتخار في الدور القديم وبالتالي الحقت زيادات كثيرة في انظمة هذا الوسام اهمها تخصيص الاموال الواردة لصندوق الدولة من المعاليم الموظفة عليه لاسعاف المشاريع الخيرية وهذه المبرة من حسنات دولة الحماية التي تولت بنفسها وعلى عهدتها مباشرة احوال نيشان الافتخار

وكانوا في القديم لا يمنحون نيشان الافتخار الا للرجال وفي هذا الزمان صاروا يمنحونه لشقائقهم النساء على حد سواء وممن اتحفن به من السيدات المصونات مدام الابتيت زوجة الوزير المقيم الاسبق ومدام بلان زوجة الكاتب العام الاسبق ومدام ايجنشنك مديرة مدرسة البنات المسلمات ولهذه الآنسة فضل على ابناء هذه البلاد لما قامت به من تربية وتهذيب وتعليم بين عموم الاوساط التونسية - اما الرجال المتازون بنيشان الافتخار فهم في هذا الزمان الاغلبية الساحقة بين الوجهاء والاعيان بتونس واعمالها وقل ان تجد ضابطا او متوظفا تونسيا او فرنساويا غير ممتاز بهذا النيشان وكل من تدعوه المناسبة لحضور موكب العيد بسراية باردو لا يسعه الا التعجب من كثرة اوشحة الصنف الاكبر المحلاة بها صدور اهل الدائرة والوافدين على سمو الباي من المديرين والاعيان ولم يكن يوجد من ذلك مقدار ربعه او ثلثه في عهد الدور القديم ومن اوفق المناسبات لمنح هذا الوسام الرحلات الملكية لفرنسا فان المقدس المولى محمد الناصر باي تكرم بنحو الاربعمائة نيشان من اصناف مختلفة بمناسبة زيارته لباريس في سنة ١٣٣٠

الادب

في موكب تدشين جامع المرسى

خط المعالم والانام تمجد ... والله يكتبها لكم ويخلد
وارفع على قمم العلاء دعائما ... من دونهن يلوح ذاك الفرقد
لله يا خير الملوك فضائلا ... ذا الموئل الاحمى وهذا المسجد
بيت به المرسى تكامل حسنها ... فغدت لها آي الثناء تردد
بيت على التقوى اقمت بناءه ... ولغير ذلك لا يكون المقصد
بيت تشع من الجلال قبابه ... فيؤمه متيقن وموحد

هذا وقد جرت العادة بتونس من قديم ان الفقهاء لا يلبسون النياشين ولم نسمع ان واحدا منهم طلب نيشانا من الدولة والدولة بدورها لم تعرض عليهم اوسمتها ونياشينها والسبب في ذلك والله اعلم ان ظهور نيشان الافتخار بتونس وافق وجود طبقة صالحة من العلماء الاعلام بلغوا المنتهى في الورع والتقوى فلم يكن ليخطر ببال احد من رجال الدولة في ذلك الزمان عرض افتخار او امتياز على احد منهم وعلى تلك القاعدة درج اعقابهم من شيوخ الفتوى والقضاء الى هذا الزمان اقتداء بذلك السلف الصالح

بابه اقتدى عدي في الكرم ... ومن يشابه ابه فما ظلم

وهذ النظرية تجرنا للكلام على كون الاوسمة في بداية ظهورها بالممالك الاسلامية كان بعض اهل الورع يراها من البدع التي ربما ينكرها الشرع ناهيك ان المشير احمد باي لما اهداه الملك فيكتور عمانويل الثاني نيشان تاج ايطاليا الملوكي الشبيه في شكله بالصليب لم يقدم على لبسه قبل معرفة النظر الشرعي(١) فيه ولما افتاه اهل العلم بالجواز لبسه في جملة نعوته وشاراته الملكية

(له بقية)

(١) افتاه بذلك الشيخ الجد من الفقهاء الحنفية والشيخ احمد بن حسين القمار من الفقهاء المالكية وللوزير الشيخ محمد العزيز بو عتور تعليق نفيس على كلام الشيخين يدل على تضلعه في العلم كتضلعه في الكتابة والسياسة

تعنو التقاة له فمنهم ركع بيض سرائرهم ومنهم سجد
يستوهبون مراحما لا تنقضي نفحاتها ومواهبا لا تنفد
يسترحمون الله بالآي التي نزل الامين بها وجاء محمد
بيت حباه الدر من لالائه ثوبا لجينيا وشاه العسجد
بيت لو اكتحل البصير بنوره لاتمت الزرقا به تسترشد
خلع الجمال عليه من ءاياته حللا تتوق لحسنهن الخرد
من مرمر فاق الحرير ملاسة ذا ابيض يقق وذلك اسود
ودعائم تسبي العقول بحسنها تخشى انزلاقا من صقالتها اليد
لو شاهدت الفاتها مسطورة عين ابن مقلة لازدراه المشهد
رفعت سماء البيت فوق كواكب حلت بافلاك البها تتوقد
يزري على وضح الشموس سناؤها وبنورها جيش الدجى يتبدد
واذا نظرت الى الثريات العلى اعشى عيونك حسنهن المفرد
متشاكلات الحسن بلورية بسموطها الدر اليتيم منضد
تجري بهن الكهرباء فتمتلي ساحاته بسواطع لا ترصد
نفثت يد الصناع في محرابه سحر الصناعة باديا لا يجحد
من احمر في ابيض في اخضر من وشيها زهر الربى يتورد
فرشت به البسط الثمينة فاغتدى روضا ببهجته الخمائل تشهد
نسجت محاريبا كأن قد شاقها الـ محراب وهو مخرم ومشيد
واذا رددت الطرف نحو رحابه ايقنت ان النور فيه ممدد
بمرخم الارجا كأن اديمه ذوب اللجين معبد وممهد

❀ ❀ ❀ ❀

قم يا بلال البيت واصدع قائلا لله فليأت التقاة الهجد
هذا حمى الرحمات والكنف الذي قد شاده الملك المؤيد احمد
هذا التقي ابن التقي اخو الهدى هذا الكريم ابن الكريم السيد
ملك به لهج الزمان وكم شدا كرم الخلال بعزه والسؤدد
ملك يقضي في المحامد عيشه ءانا يجود وتارة يتعبد
ملك يريد لشعبه ما يرتجي لبنيه من نعمى لهم تتجدد
ملك تذل له الصعاب خواضعا بجلال سدته الكوارث ترعد

ملك لبهجة عرشه تحنو المنى ... وبتاجه لعرى السعادة معقد

❀ ❀ ❀ ❀

مولاي ملكك بالمعارف والنهى ... سام وانت لها الرعي المرفد
مولاي كعبة ملككم مفئودة ... فتكت بها الادوا وانت المنجد
فانك مؤمل اهلها فلقد قضوا ... زمنا تكاد نفوسهم تتصعد
واكلأ اساتذة لعرشك اخلصوا ... لهج الزمان بهم وتاه المعهد
فالملك يعظم بالمعارف شأنه ... والعلم ناموس البقاء الاوحد
لا زلت في حلل السيادة رافلا ... تملي المفاخر والدهور تردد
في هالة عقد الحسين نطاقها ... كرمت ارومتها وطاب المحتد
تحنو لطيبها الرضى وكمالها ... همم العزائم ان بدت تتوقد
ولديك من وزراء ملكك عمدة ... بحلا رضاك مطوق ومؤيد
واليكها عذراء اندلسية ... قد زفها لحماك هذا المنشد
فاذا تفضلتم بحسن قبولها ... حقت امانيها وتم المقصد

الطاهر القصار

سائقة حسناء

كنت في نزهة مع بعض الرفاق فمرت بنا سيارة كهربائية وكان مقودها بيد عذراء ناهد تأخذ بالالباب . مرت السيارة كانها السهم يخترق الفضاء فاضطرب الرفاق لذلك وغشى عيونهم ما غشاها من نقع دواليبها . فقلت في ذلك مرتجلا

مسكت مقود (الاتو) بايد ... عاجيات قد سورت بزبرجد
بعد ما اسدلت نقابا خفيفا ... ليس يخفي سهم العيون المسدد
وجرت تنهب الطريق بسير ... ظل شمل الجموع منه مبدد
فنصيب الرفاق كان غبارا ... ونصيبي حصباء در منضد
بين مرجانتي شفاه رقاق ... باسمات الي عن حسن موعد

القصار

زيتونة تونس

شجـــرة مباركـــة يكـــاد زيتهـا يضيء

وثباتها

في خطراتها

التهذيب رعاتها

القوى في ضعفها وثباتها

فتونس اضوتها صروف حياتها ⊛

سيرة ⊛ تنيل العلا والعز بعض هباتها

⊛ كوارث ما اسطعتم قراع ظباتها

ما تبيكم ⊛ حبته رياض الفضل من ثمراتها

فمن لاذ بالحجا ⊛ وانتم من العليا على هضباتها

الرأي الحكيم فصبحوا ⊛ ايا قادة الخضرا وخير أساتها

لسعي بجمع الناس غيبه

هذه الشجرة مؤلفة من قصيدة بها واحد وعشرون بيتا وطالع القصيدة اصل الشجرة ثم تقـرأ البيت الثاني من أول كلمة من الاصل وتضيف لها الدوحة اليمنى ثم اليسرى وتقرأ البيت الثالث من الكلمة الاولى مضافا لها الكلمة التي بعدها وتجمعهمـا بالغصن اليميني فالشمـالي وهكذا الى ءاخر القصيدة.

(مدير المجلة)

خواطـر

صوت من اعماق الماضي

في عشية وادعـة النسيم قـرب مغيب الشمس وقـف على راس تلك الربـوة العاليـة مستسلما لخواطر كثيرة تعبث بأحشائه . تتجاذبه الارياح من كل صوب ومد بصره المثقل بالدموع في الفضاء الواسع الى حد الافق الازرق المتصل بالغيم الرقيق . واصغى بسمعه لاصوات الطبيعة الباكيـة المنبعثة من رؤوس الجبال البعيدة . ثم اخذ يرجع البصر الى السماء العالية فيرى السحب متلبدة تسير ببطء متجهة نحو الغرب وقد آذنت الشمس بالمغيب فانتشرت صفرة حزينـة على الكون الصامت فأكسبته روعة وجمالا وقف هاتـه الوقفـة يرى الطيور آيبـة الى عشاشها بخفة ونشاط وقد ملكها الطرب تتناجى وسط سمائها بألحان عذبة تملا القلب طربا .

ويرى الناس سائرة مع الطريق الموصلة لداخل البلاد على اخلاف اشكالهم . هذا ينهب الارض بسيارته الفخمة يرى غايتـه قيـد بصره ، وآخر يمشي على رجليه يرى غايتـه لم تزل بعيدة فيتصبب جبينه عرقا ويضاعف السير ، وثالث يمشي على مهل وبيده ابنه الصغير يسير على سيره ويتحدث إليه بحديثه . ومن ساعة الى اخرى يهوي عليه فيطبع على ثغره قبلة حارة صادرة من اعماق قلب الابوة . ورابع يمشي مع اصدقائه يرى الحياة قد اجتمعت في تلك الحصة القصيرة .

راى ذلك كله . ووقف مبهـوتا معلقا انفاسه . وقد فاضت عواطفه وتأججت نيران الاسى في دواخل ضميره لم يدر كيف شبت بين جوانحه ولم يعرف مصدر هاته الكآبـة الـتي انصبت على كاهله في هاته البقعة ولماذا لا ينصرف عن هاته الربوة التي طال وقوفه عليها . ويذهب الى سواها من سائر البقاع ؟

نعم كان في عزمه هذا ولكن شيء قوي لا يدري ما هو . ألصق رجليه بالارض .

فكر قليلا ثم جلس واستقبل الرياح بوجهه واستغرق في تفكير عميق له ، لو رآه راء لظن انه يبحث عن شيء قد أضاعه . وهنا يقف مذعورا واذا بصـوت رقيق من اعماق الماضي يشق لفائف قلبه « هذه ايها المسكين تلك الربوة التي كنت وقفت عليها - يوم ان كنت سعيدا - مع صديقيك » .

ثم تتضارب عواصف الذكريات في راسه فيتفكر يوم كان مع صديقين واقفين على راس هاتـه الربوة . ويتفكر حين كانوا يمشون على حافة هاته الطريق وحين كانوا يفكرون في امال ضخام تتراءى لهـم على ضوء المستقبل ولكن المستقبل انطمس نوره وصار ظلاما حالكا لا يظهر منه شيء وحين كانوا يجتمعون في اول عهدهم بالصداقة فتقع بينهم مناقشات خفيفة تنشأ عن فهم مسالة علمية او ذوق نكتة ادبية او مقارنة بين شاعر وشاعر او ناثر وآخر .

تفكر هذا كله ، وتفكر شيئا آخر ، تفكر خيالات لطيفة تمر على ذاكرته ثم لا تلبث ان تتلاشى حتى لا يبقى منها شيء ، مسكين لقد لعبت به الحياة الاعيبها القاتلة ، ودار الزمن دورته ، واجرى قوانينه الصارمة ففرق بينهم وهذه الايام تمر سراعا تلتهم المستقبل التهاما والشهور تتبعها الاعوام وهذا المسكين قد هد كيانه الدهر واختطف الشقاء عزمه، مستميتا على احتمال نبال المصائب ،

حقا كان يبسم للحياة بثغر ملؤه الفرح والسرور اما الان فهو ينظر اليها بوجه عبوس قمطرير يتطاير منه الغضب والمقت والياس ..

فكر في هذا كله وفهم صوت الماضي وصبر لنبال المصائب ولكن ماذا عساه ان يفعل ؟ وماذا يفعل اليائس المغلوب على امره ؟ لكن لا اقل من ان يثبت هاته اللحظة التعيسة في تاريخ حياته المظلم الحافل بالمتاعب والمشاق اراد ان يفعل ويا للاسف لا قدرة له على اثباتها اذ هو عاجز عن ذلك ولكن على كل حال يثبتها على اي صفة كانت ،

جلس ثانيا ، وتناول القلم باناملٍ مرتعشة ، وفؤاده يضطرب واخذ دفتر مذكراته ، وكتب لكنه لم يكتب سطرا حتى اغرورقت عيناه بالدموع ، وغلبه ثوران بركان نفسه فامسك القلم قليلا حتى سكنت ثورة نفسه وهدأ بركانها بعض الهدوء ثم اعاد اليراعة الى القرطاس وكتب ..

« اخوي العزيزين على هاته الربوة الصامتة كنت واقفا معكما وهذه الطبيعة الساحرة كنت اناجيها معكما وهذه الصفرة السابغة لرؤوس الجبال كنت اقرا فيها سطور الراحة والهناء معكما ، وها انا الان اقف وحدي كالطير الذي عاقته المقادير في جناحيه اللذين ينهض بهما ، أقلب طرفي في الفضاء الواسع فلا ارى الا سماء متصلة بالارض وحيدا يمضني لذع العواطف المرة ، ورمض الجوانح المحطمة ، انشد الراحة فلا أظفر بها والسعادة فلا اعثر عليها ، فإليكما اكتب هاته القطعة النارية المتجمعة من شرارات الشوق واليكما اهدي هذه الجمل المشوشة النائحة فان بين تشويشها ونوحها روحا معذبة ضائعة بين مجاهل الوحشة ، فأنتما اول من فتح قلبي لنور الصداقة وانار امامي سبيلا غامضا الى الود الخالص وبكما انتقلت من غم الحياة الى فرحها وسرورها وبكما اعود الى غمها وظلمتها كما كنت ...

كنت أرى الاصدقاء تمشي فلا اعبأ بهم ، وأرى الرسالة معنونة بعنوان .. صديقي العزيز او زميل الروح فأسخر واتلو قول القائل :

ثلاثة ليس لها وجود الغول والعنقاء والودود

اما الآن ارى الاصدقاء مجتمعة فتثور نفسي ويملكني الحزن على حضي الضائع ، وارى الرسالة بعنوانها فأقول لعلهم ممن شملتهم الصداقة بعطفها الواسع » كتب هذه الجمل في اول الرسالة ولا دري ماذا كتب بعد، هكذا حكى عنه بعض اصدقائه ،

العالم الاسلامي

المسلمون في رومينيا وبلغاريا

ذكرت الاحصائية الرسمية المحررة سنة ١٩٢٧ ان عدد المسلمين بمملكة رومينيا يبلغ (٢٢٠،١٢٠) ساكنا اي ١،٠٣ في المائة من كامل سكان تلك المملكة . منهم ١٥ في المائة من التتار والبقية من الاتراك . ومعظم المسلمين مستقرون بجهة دبروجة وبولايات تلطشيه وكسطنزة وسيلستريه وبازرجيك ؛ غير ان نسبة توزعهم ما بين البادية والحاضرة مختلفة جد الاختلاف بمدينة كسطنزة التي بها من السكان ٥٨،٢٥٨ نسمة ليس بها من المسلمين الا ٦٤١٢ ساكنا ؛ ومدينة بازرجيك الواقعة بجنوب ناحية دبروجة والتي تبلغ جملة سكانها الحضريين ٢٩،٩٣٨ تعد من المسلمين ٢٠،٧٢٥ ؛ وبلدة سيلستريه التي هي حضرة صغيرة ذات ١٧،٤١١ نسمة واقعة على نهر الطنة (الدانوب) تعد ٧٩٧٠ مسلما لكن البادية المجاورة لها والمحيطة بها لا يقل سكانها المسلمون عن ٨٠،١١٨ شخصا بينما ولاية تلطشية الواقعة بشمال دبروجة لا تحتوي جملتها على اكثر من ٥،٧٨٥ من المسلمين ويوجد ايضا بعض افراد قليلين جدا بشمال نهر الطنة بولاية بيساراييه ولكن عددهم طفيف . كما يجب ان نظيف الى جملة هذه الاعداد نحو الثمانين الفا من النور (التزيقان) المسلمين بين مقيمين ومرتحلين ينبون عن كل مراقبة واحصاء

هذه حيرة عميقة . وحسرة اسيفة اثارتها وقفة ساعة في تلك العشية الماضية على راس هذه الربوة الباقية . ولهذه العشية العجيبة شأن غريب وسبب مهم ، اذ تقدمتها اجتماعات كثيرة لكن حينما تذكر لم تؤثر فيه تلك الاجتماعات مثل ما اثرت فيه هاته العشية . وحقا كان وتر الصداقة ساكنا هامتا حتى جاءت هاته العشية فضربت على هذا الوتر الباهت ببنانها الروحي فتكلم بنغمة حلوة مبهمة فيها شتى المعاني لا تزال تتردد في خاطره حتى ساعة وقفته . ولا غرابة إن اثرت فيه هاته الفرقة وتركته نحيف الجسم منهوك القوى ينظر الى الوجود بنظرة غير النظرة الاولى اذ هي صداقة قوية بنيت على صروح من الاخلاص والود واسس من المعرفة التامة تعارفوا ليكونوا رجالا كسائر الرجال تعارفوا ليكونوا عمادا للمستقبل كسائر الشباب اذ بفقدهما فقد الحياة وصار حليف حزن ممض واسى دائم . هذا ما علمته من حال هذا الصديق الذي رماه الزمن بفرقة صديقيه اما الآخران فلا ادري ماذا كان منهما وارجو ان يجمعهم الله في اسعد الاوقات . . ؟

تونس　　　　احمد اليحياوي

ان الاتراك والتتار الرومينيين يستعملون عادة في احاديثهم اللغتين التركية والرومينية ، ومعظمهم يتعاطون الفلاحة . غير انه – منذ الحرب العالمية – قد تكونت نخبة مفكرة محدودة تتطلب المهن الحرة والوظائف الادارية ففي مدينة كستنزة – مثلا – يوجد ثلاثة من المحامين بعد وطبيبان وبعض الموظفين المسلمين ، ويعد الجيش الروميني بضعة عشر ضابطا مسلما منهم صاغقلاسيان (كولونيل) . وقد ساعدت الحركة التركية الحديثة على هجرة الرومينيين المسلمين الى بلاد الغازي مصطفى كمال ، لكن هذه الحركة التي ظهرت بناحية لابروجة لا تزيد عن الخمسين عائلة سنويا . غير ان هذه الحركة تضاءلت بصورة عجيبة في هذه السنوات الاخيرة.

يوجد بجهة دبروجة نحو ٤٠٠ جامعا كلها من النمط المعماري التركي المشتمل على القباب الخضر والمآذن المنمقة . وفي مدينة كسطنزة نفسها توجد خمسة وفي بازرجيك عشرة وتقام فيها الصلاة باللسان العربي غير انه لا يفهم الا من القضاة والمفتين . والاغلبية الساحقة من الذين آمنوا يصومون شهر رمضان ، لكنهم وان كانوا لا يأكلون لحم الخنزير فهم يتناولون الكحول ولا يصلون الخمس بانتظام تام . والقليل منهم من يحجون الى بيت الله الحرام ففي سنتنا هذه لم يحج الا روميني واحد بينما قد حج عشرة منذ عامين . اي قبل الازمة الاقتصادية

يدرس التعليم الاسلامي العالي بمعهد المجيدية الذي هو مدرسة لتخريج الموظفين العاليين المسلمين . توجد هذه المؤسسة بجهة دبروجة وتعد ٩٥ طالبا موزعين على ثمانية اقسام . وتدرس بها – الى جانب العلوم الاسلامية البحتة – العلوم الدخيلة باللغة الرومينية . اما الفنون الدينية فيقوم بتعليمها سبعة اساتذة مسلمون وهي الفقه والنحو والتوحيد الى غير ذلك ، بينما ثمانية اساتذة رومينيون يدرسون العلوم الدخيلة . وما زالوا يعلمون اللغة التركية بالحروف العربية وربما اصدرت الحكومة الرومينية قرارا في تعويضها بالحروف اللاطينية

يسمي القضاة وزير العدلية ويراقبهم مفتشون قضائيون ، ويسمي المفتين وزير المعتقدات وكلهم متخرجون من معهد المجيدية او هم حملة شهادات من المعاهد الاسلامية بالاستانة او شومن (بلغاريا) أو الازهر بالقاهرة . فمن ذلك ان المفتين الاربعة المتولين على الولايات الاسلامية الاربع اي ولايات لطشية وسيلسترية وكسطنزة وبازرجيك قد تخرج اثنان منهم من معهد المجيدية واثنان من مدارس استامبول .

يقوم القضاة بوظيفة ضباط الحالة المدنية بالنسبة الى لمسلمين لكنهم يحررون رسوم الولادات والوفيات والزواج بدار شيخ المدينة . وتشمل منطقة نفوذهم جميع مسائل الحالة المدنية الاسلامية التي لم يعدل عنها المسلمون الرومينيون ولا رضوا بها بديلا . يوجد تعدد الزوجات عند بعض الاتراك غير ان الحكومة اصدرت قانونا سنة ١٩٣٠ يقتضي ان كل روميني لا يستطيع ان يتزوج اكثر من امراة

واحدة ولا يقدر ان يتزوج بغيرها ما دامت في عصمته . على ان هذا القانون غير خاص بالمسلمين ولا يقصدهم بالذات لكنه حرم تعدد الزوجات بصورة عملية قانونية . ولما كانت الاغلبية الساحقة من المسلمين موحدة الزوجات فهذا الاصلاح لم يضايقها اية مضايقة

تستأنف احكام القاضي في مسائل الاحوال الشخصية لدى المحاكم الرومينية . واذا اتفق الطرفان المتخاصمان فهما يستطيعان ان يترافعا لدى المحاكم الرومينية مثلما يجري العمل به في بولونيا . والمسلمون الرومينيون حنفيون مثل المسلمين البولونيين

المسلمون ببلغاريا

ان حالة المسلمين ببلغاريا مخالفة لاحوالهم ببولونيا ورومينيا . وذلك انه منذ القرن الرابع عشر - وان شئت بالضبط - فمن سنة ١٣٩٦ دخل البلغار في حكم الاتراك ولم يسترجعوا استقلالهم الا منذ خمسين سنة تقريبا اي منذ معاهدة سان سطيفانو المنعقدة سنة ١٨٧٨ والمقررة لاول مرة حدود بلغاريا الجنسية والترابية . فالاتراك قد تركوا في البلاد عند ما هاجروها جالية اسلامية قوية العدد بالرغم عن الحرب والمهاجرة . فاعلم ان بلغاريا تعد ٦٥٠٠٠٠ من المسلمين الاتراك منهم افراد قليلون من التتار . فاذا زدت الى ذلك ٧٠٠٠٠ بوماك مسلم من الجنس البلغاري وممن يتكلمون اللغة البلغارية ونحو ١٢٠٠٠٠ من النور المسلمين (وهؤلاء يتكلمون النورية والتركية) فيكون متحصل الجميع ٨٤٠٠٠٠ مسلما في جملة سكان تبلغ ٤٤٥٠٠٠٠ اي سدس سكان المملكة تقريبا

قد تفرقت الجاليات الاسلامية بكامل البلاد لكن اهم جالية هي المستقرة بمدينة شومن . وهذه المدينة عبارة عن مركز اسلامي كبير ومقر مدرسة اسلامية عليا قد طبق ذكرها الخافقين

وقد ظهرت في السنوات الاخيرة حركة مهاجرة الى تركيا مثل الحركة التي ظهرت برومينيا ولكنها سرعان ما وقفت وانتهت . وذلك لان الحكومة البلغارية قد توخت نحو المسلمين - مثل حكومة رومينيا - سياسة حرة بتمام معنى الكلمة . من ذلك ان احد نواب مجلس الامة البلغاري (وهذا المجلس يسمى سوبرانيه) قد وضع على منصة المجلس مشروع قانون يرمي الى حرمان المسلمين من التمتع بالحالة المدنية الاسلامية وجعلهم من اتباع المحاكم الاعتيادية فلما طرح هذا المشروع على بساط المناقشة صرحت الحكومة بغاية الصراحة انها عازمة على ان تبقي للمسلمين حريتهم في التمتع بحالتهم الشخصية كيف شاؤا واختاروا وانها لا تريد ان تجري في هذا الامر مجرى الاتراك . فاسترجع النائب مشروعه وطوي الامر بسلام .

لا تقل الجاليات الاسلامية ببلغاريا عن ٨٥٠ جالية لها ١٥٠٠ جامع . وبالرغم عن وجود بعض التراخي في القيام بالفرائض الدينية المتعلقة بالجوارح – لا سيما عند الاحداث – فان الاسلام

ما يزال في تزايد ببلغاريا. من ذلك ان ٦٠ بلغاريا قاموا بفريضة الحج في سنة (١٩٣١) واذا تناقص هذا العدد الى ١٥ في سنة الحال فان موجبه الازمة الاقتصادية التي اشتدت في بلغاريا اكثر من كل بلاد بلقانية سواها.

توجد في البلاد عدة مؤسسات خيرية تقوم بها الاوقاف. اما التعليم فيزاوله صغار المسلمين في ١١٢٠ مدرسة اسلامية و٣٠ معهد ثانوي و١٥ معهدا عاليا شرعيا. وتوجد ايضا مدرستان عاليتان لترشيح المعلمين والموظفين الدينيين الاولى بشومن والثانية بكيرجالي. لكل هذه المدارس اوقاف تنفق منها ولكن عددا كبيرا منها يتقاضى منحة من الدولة التي تقوم بجميع نفقات مدرستي شومن وكيرجالي.

يتمتع المسلمون البلغار بجميع الحقوق المدنية والسياسية بدون ان يكونوا قد عدلوا عن احكام الشريعة في نوازل الاحوال الشخصية. وفعلا فان الفصل الاول من قانون المرافعات البلغاري ينص على ان المحاكم الشرعية الاسلامية تنظر في مسائل الزوجية والطلاق والتقاديم والوصايات والنفوذ الابوي والنفقة والحضانة والميراث. غير ان الطرفين اذا اتفقا فلهما الحق في التقاضي لدى المحاكم الاعتيادية وقد رأينا ان حق الخيار موجود ببولونيا ورومينيا مع الفرق الواحد الكبير الذي تتجلى فيه كمال حرية الحكومة البلغارية وهو ان الاحكام لا تستأنف لدى المحاكم الاعتيادية ولكن لدى المفتي الكبير بمدينة صوفيا التي هي العاصمة البلغارية وهو وحده الذي له حق النقض والابرام. وتتولى السلطة البلغارية تنفيذ هذه الاحكام

والمسلمون البلغاريون على المذهب الحنفي مثل البولونيين والرومينيين.

منقولة عن مجلة المباحث الاسلامية سنة ١٩٣٢
عثمان الكعاك

مجلة الجامعة

ظهرت في عالم المطبوعات التونسية منذ اول شهر جويلية الفائت مجلة علمية ادبية اجتماعية عنوانها (الجامعة للعلم والادب والاجتماع) يقوم على اصدارها نخبة من رجال العلم والادب بتونس من شيوخ التعليم بالمعهد الزيتوني ومن اساتذة مبرزين بالمدارس الثانوية ومن كتاب بارزين في عالم النشر والتحرير ويكفي ان نشير هنا لمديرها وهو الكاتب القدير السيد محمد ابن الحسين المتوظف بادارة المال ورئيس تحريرها وهو العالم النحرير الشيخ محمد صالح النيفر المدرس بالجامع الاعظم تقع المجلة في ٣٢ صفحة من الورق النصفي وعلى الغلاف الخارجي للمجلة صورة واجهة الجامع الاعظم وواجهة المدرسة الصادقية اشارة لاشتراك الثقافتين الشرقية والغربية في تحريرها وقد برز منها لحد اليوم اربعة اجزاء حافلة بالمواضيع المفيدة في الادب والاخلاق والنقد والاجتماع وقد سدت هذه التحفة الفنية فراغا في عالم الصحافة التونسية فكانت خير تعريف لما بلغته تونس من رقي ظاهر في عالم التحرير والنشر فنرجو للقائمين بهذا العمل العلمي الجليل التوفيق وتسديد الخطى وللمجلة ماهي اهل له من سعة الانتشار

تنظيم الاوقاف والشئون الاسلامية ❋

(١) التمثيل الطائفي — (٢) المحاكم الشرعية
(٣) الاوقاف الخيرية والذرية — (٤) التعليم
الديني — (٥) الارشاد والشعائر

الاسباب الموجبة لتنظيم الاوقاف و لشئون الاسلامية

ان تنظيم الطوائف والجماعات امر لا بد منه في امة كأمتنا كثرت فيها الطوائف الدينية والعرفية وفي زمن كزمننا . نظمت فيه الجماعات تنظيما اوجد لها الشركات والجمعيات والنقابات . واذا نظرنا الى ضرورة ايجاد الصالح العام والتعاون المشترك يعمل لهما الافراد وتشتغل بهما الجماعات لخير المجموع ادركنا ضرورة التطور والاخذ بقاعدة التنظيم حتى لا يحرم الفرد ضمانة لحياته وحقوقه في معترك التنازع وليكون نجاحه آتيا من تضامن اخوانه ومشاركتهم اياه في جهاده . فاذا وقع القضاء وكان اضطراريا توزع مصابه وشقاؤه بينه وبينهم . واذا حدث الخير وكان عاما توزعت نعمته بينه وبينهم . وفي كلا الحالين رحمة لما يصاب به الفرد من بؤس وعجز . وعدل في تقسيم ما يكسبه من فائدة ومال والفرد مهما كان قويا في حد ذاته وقديرا على اتيان ما يفوق مقدرة المجموع لوجود النبوغ عادة بين الإفراد وفقدانه بين الجماعات فان دوام عمل الفرد ودوام فعاليته ونفعه يفقدان بفقده . بخلاف عمل المجموع وفعاليته اللذين وان كانا دون الاول نجاحا وقوة لكنهما على كل اقوى في النتاج وادوم في النفع واضمن للبقاء لتعذر فقد الجماعة وموت الامة . وقياسا على ماتقدم واتباعا لسنن النشوء والارتقاء نجد ان الطائفة الاسلامية ليس لها في الوقت الحاضر كيان منظم وقد كانت مصالحها مرتبطة بالحكومة وقوتها مستمدة من الخليفة وكان تطورها متاثرا بفعل الزمن غير قائم على معالجة حكيمة ومعقولة ولاهمال التجديد في شئونها الدينية وعدم الاهتمام بالنواحي الحيوية التي ترتقي بها الطائفة سادت الفوضى وكثرت المفاسد والعيوب . فالصالح العالم الذي يضمن للمسلمين رقيهم ويفي بحاجاتهم كطائفة لها مطاليبها ولها حقوقها ولها فقراؤها ومعوزوها لم يكن موجودا وان وجدت الحاجة للتعليم الديني وتعميم المعارف ومداواة الفقراء واغاثة المحتاجين ومعالجة المرضى وايواء الارامل واليتامى ومساعدة البائسين وتربية

❋ اتصلنا بهذا التقرير الذي سيقدمه سعادة وزير معارف الحكومة السورية الى اعضاء البرلمان السوري لتقع المناقشة في شانه من صديقنا الاستاذ محمد كامل التونسي نزيل دمشق ونظر الما اشتمل عليه من آراء جديدة في بعض الشؤون الاسلامية الخاصة رأينا المبادرة بنشره ليطلع قراؤنا الافاضل على ما يستجد من الآراء حول بعض المشاكل الاسلامية الحاضرة وسنتبعه ببيان راينا فيه وستكون مجلتنا اول مجلة تنشره في العالم الاسلامي

الطفل وتشغيل اليد العاملة ومساعدة الاعمى والمقعد فليس لها مسئول يشرف عليها او يتداركها وليس لها صندوق يصرف عليها وعلى المؤسسات اللازمة لها . وان وجدت قضايا تحتاج للمعالجة والمداواة والحل كقضايا تعليم المرأة وتعليم الاطفال والطلاق والزواج والمهر والتبرج والبناء والخمور والقمار الخ . . . فليس لها من يدرسها او يفتي بالعلاج المطلوب لها . او يعد لها العدة فلا يخرج الناس عن العادات والتقاليد الصالحة ولا يتبعون المدنية الزائفة ولا ينغمسون في الشهوات والموبقات التي كلما استفحلت اضعفت المجتمع وافسدت اخلاقه وذهبت بمزاياه وقواه وعدا هذا فان الشعائر التي يجب ان تقام في بيوت الله قد تولاها ائمة لا يهمهم من الواجب غير نيل الراتب . وان المواعظ والخطب والتدريسات يأخذها احيانا من لا يحسن العلم ولا الكلام وان وجد الصالح في دينه وعلمه فهو ممن يجهلون مقتضيات العصر وحاجات الزمن فلا يجهد النفس للبحث والاطلاع ومعالجة المسائل والقضايا مما يفيد افراد الشعب وينهض بهم . وامر الارشاد يحتاج لعلم ودراسة ووقوف واختبار وسياحة وفهم ذهنية الناس وتطور الحوادث لا ان يبقي صاحبه جامدا بعيدا عن الحوادث والحاجات فاذا بحث تكلم عن القرون الماضية . واذا قال بوسيلة كانت من وسائل الازمنة البالية واذا خاطب اتجه لفئة دون فئة والناس اصناف وطبقات وفرق وجماعات لكل منهم لسانه وعقليته وحاجاته وامراضه وعاداته . هذا والجوامع امرها واهميتها وحالتها لا تخفى وكيف تخفى وقد غدت لا تتفق مع الغاية ولا مع مكانة الاسلام وعز المسلمين وتعاليم الشريعة السامية . فالكثير منها مهمل في ترميمه او اصلاحه وفرشه ومنها ما تشمئز النفوس من التعبد فيه لفقد النظافة وشروط الصحة . والنظافة اصل من اصول الدين وشرط من شروط الايمان والصحة مطلب من مطالب الحياة وفريضة من فرائض المدنية فتأخر الجوامع التي كان يجب ان تتعهدها يد الاحسان ويد العمران ويد العلم لم يحصل لولا سوء الادارة وفقدان التنظيم وعدم وجود المسؤول الحقيقي الذي يستطيع ايقاف المهملين عند حدهم ومعالجة الحاجة والضرورة عند وقوعهما . وليت الجوامع كان لها الرعاية الكافية والعناية التامة فلا تفقد الفوائد الدينية والاجتماعية التي كان يتمتع بها المسلمون في صدر الاسلام . وليتها لم تخل من الاهداف النبيلة التي جعلتها لقضاء الحاجات وتغذية الروح وللقضاء بين الناس في مسائلهم واختلافاتهم وللمشورة وتدبير الامور وتداول الرأي . ولتعليم المسلمين وارشادهم الى مصالح الدين والدنيا ولعقد عقودهم وانكحتهم وتلاوة قرآنهم ولسماع المواعظ التي تفتح القلوب وتنير الافكار وتهذب النفوس وغيرها مما لم نعد نراه في زماننا بل اصبحنا نرى ونلمس تحولا من عبادة روحية تتجلى فيها طهارة الوجدان وقدسية الدين الى عبادة ميكانيكية تظهر فيها جمودية الفكر واستمرار العادات ولا شعورية القلوب .

وما جرى في المعابد وفي امور المسلمين التعبدية جرى مثله في اوقافهم وفي محاكمهم الشرعية واحكامهم ولماذا ؟ لا شك ان الاسباب كانت واحدة فلا عجب اذا كانت النتائج واحدة

ان الوقف كان عملا فرديا قام به صاحب الملك فحصر ريع ملكه من مرافق وعقارات لجهة بر لا تنقطع قاصدا ايصال النفع الى نفسه اما في حياتــه او في مماته وذلك ليدرأ مخاطر تسلط الامراء وارباب السلطة على ملكه او امواله كما كان يجري سابقا ثم ليستفيد من الريع مباشرة ثم لنــيل الثواب تكفيرا عن ذنوبه وآثامه او يزيد في مثوبـاته يوم الآخرة . واذا كان في عداد مــا اراده ايصال الخير والمعروف الى الغير عن طريق اطعام الفقراء وايواء الغرباء ومداواة المرضى والعجز وخدمة الدين بتشييد الجوامع واقامة الشعائر الدينية وتلاوة الاوراد والادعية فان في كلتا الحالين تأمين لمصلحته الذاتية وتغلب على الخير المطلق والصالح العام . ولتغلب المصلحة الذاتية قــام في ذهن بعض الواقفين انـ يحصروا ريع اوقافهم في ذريتهم ويتخذوا الشريعة ذريعة لمشروعية عملهم بحصرهم جهة البر في امر يكاد يكون وقوعه من المستحيل كقولهم واذا خلت الارض من ذريتهم وذرية ذريتهم انــاثا وذكورا فيعود نفعها الى البيت الحرام مثلا او الى فقراء المحلة او الى كذا وكذا . وانقطاع الذريــة لا يحصل الا في الالف مرة واحدة كما هو مشهود ومعلوم ولذا بقي الوقف لورثتهم ولم يستفد الناس منه وكان السائق لهذا العمل خوفهم ان يصيب ابناءهم الفقر او العوز او الذل بعد مماتهم وهو عمل انــاني لا مبرر له . ان الخوف لا يمنع الفقر والحرص لا يجلب الغنى ومقدرات المرء منوطة باهليته واستعداده وتربيــته وزمانه فما عليه الا السعي والكسب والاعتماد على الذات لا على غلة موقوفة او رزق مقنن يسوقانه الى التوكل والرضى وفي تفضيل المصلحة الخاصة وجعل ادارة الوقف منوطة بفرد وفي تحديــد الشروط التي مع مرور الزمن اعتبرها القضاة واعتبرها الناس كنص الشارع وفي تقادم العصور تــغالى المتولون وطغت مطامعهم فعبثوا في الشروط التي اباحت لهم حق التصرف واستباحوا الامــوال وتجرأوا على التبديل والتغيير والحذف والتحكير واستعانوا باهل الولاية العامة وبممثليهم وبمرور الزمن والتعامل وبشهادات الزور نفذوا ما ارادوا وكان من اضاعة القيود وتبديل النصوص تعطيل الوقف وسرايــة الفساد الى ابناء الواقف وحصول الاختلافات . ما كان اغنى المسلمين عن التقيد فى شروطهم واوقــافهم وما كان اغناهم عن تعويد ابنائهم الكسل والاتكال . الا نجد ان علة الوقف وعلة التــفرد هما سبب اضطراب القضاء وفوضى الخيرات . الا تجد ان الجوامع والشعائر لولا التفرد لما آلت الى ما الت اليه .

هذه مجالس الاوقاف وادارة الاوقاف والمحاكم الشرعية وهذه الحكومة وهــذه المحــاكم الم يعجزوا جميعا عن ازالة الاختلافات وعن اصلاح حالة الاوقــاف وحالة المسلمــين ولعل البعض يظن ان الاوقاف ثروة يجب الاحتفاظ بها وعدم التفريط في أعيانها وان القول بحل اوقاف الذرية يسوق ابناء الواقفين وذريتــهم الى التشرد والفقر وهذا ضعف للمسلمين .

انـ هذا القول ليس بحجة وهو مردود من وجوه اهمها « ان الثروة اذا لم تنم اكل عليهما الدهر وشرب وفي نظام الاوقاف الخيرية والذرية قلما يوجد اساس يضمن تــنمية الوقــف . ثــانيا ان

الثروة لا تنمو اذا لم تعامل بحسب تطور الزمن والاساليب الآيلة لتنميتها . واسلوب ادارة الوقف لا يرجى معه تطور ولا هو متفق مع اساليب التجارة او الشركات او الجمعيات التعاونية فكيف ينمو ثالثا ان الغلة حينما تصرف للشعائر والموظفين والمستخدمين والمستحقين وللترميم والتعمير واداء الضرائب لا يبقى منها الا نزر لا يكفي لشراء عقار ولتنمية الواردات واذا وجد تسلط عليه المتولون فيصرف في غير سبيل او يؤكل بطريقة شرعية . ولو فرض وجود علة كافية واضيف عقار الى اصل الوقف فهل هذا كل ما يرجى من النمو . كلا . ان الاوقاف الخيرية قد تزداد اعيان عقاراتها وقد يصلح ولاتها ولكن الاوقاف الذرية هي على العكس ادعى للبوار والخراب واسرع للوهن والنقص لحرص المرتزقة على تقسيم فائض الغلة وعدم اهتمامهم بصرفها على التعمير والزيادة . رابعا إن العادة جرت في المحافظة على معالم الوقف اتباعا لما قيل (شرط الواقف كنص الشارع) ولذا فمعالم الوقف لا يجوز تحويلها او تحريرها او تبديلها وكل عين لا يتبدل ولا يتغير لا ينمو ولا يتقدم وبعد نفينا ان الوقف الذري ليس ثروة نعود الى ذكر الاضرار التي نجمت عن وجود الاوقاف الذرية وهي :

١ — وجود المشاحنات والضغائن بين افراد العائلة

٢ — تعويد اولاد الواقفين الكسل والاتكال

٣ — تقييد العمران حيث عقارات الوقف قد تمنع توسيع الطريق وتجميل الابنية والمحلات

فيتبين لنا مما تقدم اولا ان التفرد في ادارة الوقف مهما يكن مضر بالمصلحة . ثانيا — ان اسلوب ادارته لا يوافق شرط الحفظ والتنمية . ثالثا — ان التقيد المطلق بشروط الواقف دون مراعاة الزمن والحاجة والغاية لا يضمن الصالح العام ولا تقدم العمران . رابعا — ان الاوقاف الذرية ليست ثروة بل هي مجلبة الكسل والفساد . ولتدارك الاخطار والقيام بادارة الاوقاف التي يجب ان تكون مجردة للخير ادارة حكيمة معقولة تدعو لتحقيق النفع العام وما تتطلبه حاجات المسلمين التعبدية والارشادية والتعليمية « فيجب ان لا يبقى غير الاوقاف الخيرية . وان تحصر ادارتها بايدى جماعة او جماعات مسئولة . وان يعتبر مجموعها ثروة موقوفة وان تنظم ادارتها ويصرف ريعها للخير الذي اراده الواقف وللغاية التي فيها نفع للمسلمين . ولا يجوز التصرف بها تصرفا يدعو لضياعها او لتمكين الفرد من احتكارها سواء لعائلته و لذريته او لنفسه . ولتكون الاوقاف الخيرية تحت ادارة عامة واشراف مسئول . يقتضي جمعها سواء كانت مشروطة او ملحقة او مضبوطة . واوقاف الذرية يؤخذ منها مقدار يوازي ربعه الى جهة البر وما تبقى يترك للمستحقين ان شاؤا تقاسموه مهاياة او تصرفا او حازوه وكان لهم ما للمالك في ملكه »

ولا شيء يسهل اصلاح الاوقاف واصلاح حال المسلمين الا العمل بقول الكتاب المبين (ما جعل عليكم في الدين من حرج « وقوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » الدال على

الوعظ والارشاد

شهر رجب

هو من الاشهر الحرم تقرر تحريمه في الجاهلية عند مضر كلها دون بقية العرب من العدنانيين والقحطانيين فالظن ان تحريمه لم يكن من عهد ابراهيم عليه السلام لانه لم تجمع العرب كلهم على تحريمه والظاهر ان مضر جعلوه شهرا حراما ليكونوا آمنين فيه قصداً لزيادة الامن في العام ولذلك جعلوه شهر العمرة ليكسبوه مهابة عند غير المضريين من العرب والعرب كلهم يعظمون القاصدين زيارة البيت قال النابغة يصف حجه

مشمرين على خوص مشممة نرجو الاله ونرجو البر والطعما

ومن تعظيم الحجيج ان اقسمت العرب بالله بعنوان كونه تعلى رب الحجيج قال الحجاج

ورب اسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم

فحصل من ذلك تعظيم هذا الشهر عند معظم العرب وقد اشار الى ذلك النبيء صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع في ذكر الاشهر الحرم اذقال « ورجب مضر الذين بين جمادى وشعبان » وقد لقبه العرب بالاصم ارادوا انه لا يسمع الناس فيه قعقعة السلاح للقتال فجعلوه اصم عن سماعها على طريقة المجاز العقلي ولقبه المولدون بالاصب بالباء ولعله تحريف او قلب خفيف ولقبوه ايضا بالفرد لانه شهر حرام فرد بين اشهر حلال بخلاف الاشهر الحرم الاخرى فهي متتابعة فلذلك شاع ارداف

ان الشريعة الغراء تأمر باليسر الذي فيه الخير وتنهى عن العسر الذي فيه الضرر . والحديث الشريف (انما الاعمال بالنيات) الذي يعلمنا ان قيمة العمل بالنية وما وراءها من غاية . فنيات الواقفين ان كانت العمل لوجه الله والخير المطلق فكل ريع يصرف لخير المسلمين ونفعهم حسب حاجتهم ومقتضى زمانهم هو مقبول عند الله — ومقصود لوجهه . وقول الفقهاء في اصولهم — **تتغير الاحكام** بتغير الزمان — وهو يتفق مع قول المشرع الاعظم « انتم اعلم مني بامور دنياكم » وكلا الاساسين يفيدنا توجيه الامور الى ما هو افيد وعدم التقيد بما حدده الماضي لان الزمان السابق اذا اقتضى له اقامة تكية او زاوية او سبيل فان الزمن الحاضر يتطلب اقامة مستشفى ودار توليد ودار رضاعة ودار تمريض ومستوصف وغيرها من ضروريات المدنية والاجتماع كيلا يبقى المسلمون في عسر وعالة على غيرهم تنتابهم الاقدار ولا راحم لهم . والامة التي ليس فيها فئة او جماعة تعطف على الضعفاء وتواسي البؤساء لا يعم الهناء مجتمعها ولا تحافظ على كيانها (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) امر يقصد منه اصلاح المجموع ودعوة توحي الواجب لمن فيه المقدرة على انقاذ بني جنسه وقومه . والمصالح الدنيوية امور تتطور مع الحاجة ورقي العصر ولو بقيت شروطها وطرق معالجتها واحدة لا تتبدل لما امكن الاصلاح والمداواة

(يتبع)

شهر رجب عند الكتاب والمؤلفين بوصفه باحد هذه الاوصاف (وليتهم تركوا ذلك فانه من الفضول في الكلام والتطويل الذي لا طائل تحته وما كانت العرب تفعل ذلك ولا هو ماثور عن السلف

فلما جاء الاسلام اقر تحريم هذا الشهر في جملة ما اقر من المنافع كما اشار اليه قول النبيء صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « والله لا يسالونني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اجبتهم اليهـا » فورد اعتباره من الاشهر الحرم في قوله تعلى « ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها أربعة حرم » اذ فسره النبيء صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع بقوله « وان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها اربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان »

وان تحريم الاشهر الحرم في الاسلام لم يبق له حكم عملي بعد عموم الاسلام بلاد العرب في نظر جمهور العلماء لان القتال في الاسلام قد انقسم الى مأذون فيه ومحرم فالقتال الماذون فيه لا يتعطل اذا وجد سببه والقتال الحرام ممنوع في كل وقت فلم يبق للاشهر الحرم مزية في الاسلام غير الفضيلة التي تقررت لها من سالف الايام فهي معدودة من الاوقات الفاضلة ولذلك يرغب الناس في الصوم فيها قال علماؤنا ان جميع ايام الاشهر الحرم اوقات للصوم المرغب فيه ويزداد الترغيب بالنسبة للتسعة الايام الاول من ذي الحجة وللعشرة الايام الاول من المحرم وخاصة التاسع والعاشر . ولم يثبت في الدين تفضيل لصوم ايام معينة من الاشهر الحرم غير ما ذكرنا واما ما روي عن انس يرفعه رجب شهر الله وشعبان ورمضان شهرا امتي فهو حديث موضوع او ضعيف ولم يرد في تخصيص يوم من ايام رجب بصوم او صلاة حديث. والاحاديث المروية في ذلك لا تخرج عن الموضوع والضعيف . أما ما ورد في سنن ابن ماجة من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم رجب كله فمعناه عند العلماء الكراهة لئلا يظن الناس وجوب صومه كوجوب صوم رمضان ولم يقل احد من ايمة مذاهب اهل السنة باستحباب صوم يوم معين من رجب بله سنيته . ويوم الجمعة الاول من رجب يسميه الناس جمعة الرغائب ولا وجه لهذه التسمية وانما ورد في حديث عن انس مرفوعا ان الملائكة تسمي اول ليلة من رجب ليلة الرغائب وهو حديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع ورجاله مجهولون ولم يتعقبه السيوطي في اللالي المصنوعة هذا وقد قيل ان شهر رجب كان فيه الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك احد اقوال فقيل كان الاسراء في ربيع الاول ليلة سبعة عشرة وقيل ليلة سبع وعشرين وقيل كان ليلة تسع وعشرين من رمضان وقيل ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب واختار هذا الحافظ عبد الغني المقدسي وقيل كان الاسراء في شوال وقيل في ذي الحجة

وقد جرى عمل المسلمين على متابعة ما اختاره الحافظ عبد الغني المقدسي فجعلوا ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة ذكرى الاسراء ولعل الله قد وفقهم في هذا العمل فيكون ترجيحا لذلك الاختيار

شهر شعبان

هو شهر يستحب الصوم فيه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صومه حتى ورد في الصحيح من طرق كثيرة ان رسول الله لم يكن يصوم شهرا كاملا دون شهر رمضان الا شهر شعبان

وليس لشهر شعبان فضيلة غير هذه واما ما روي ان رسول الله قال فضل شهر شعبان على الشهور كفضلي على سائر الانبياء فهو حديث موضوع ولعل هذا الحديث هو الذي حمل الكتاب على ان يتبعوا اسم شعبان بوصف الاكرام وهو فضول زايد كما قلناه في شهر رجب وقد تقدم آنفا الكلام على حديث رجب شهر الله وشعبان شهري الخ

وقد شاع عند كثير من الناس ان لليلة النصف من شعبان فضائل ومزايا خاصة : منها اعتقادهم ان فيها صلاة خاصة يروون فيها كيفيات منها كيفية في حديث يروى بطرق عن علي بن ابي طالب وابن عمر وجماعة من الصحابة مرفوعا ان من صلى ليلة النصف من شعبان اعدادا مختلفة الركعات باعداد من فاتحة الكتاب وسورة الاخلاص اعطاه الله خيرات في الدنيا والاخرة وصفت في ذلك الحديث وصفا طويلا ركيكا وهو حديث موضوع بجميع طرقه وعلى اختلاف رواياته لاختلال اسانيده ولما عليه من دسمة الوضع في ثقله واسهابه قال الحافظ علي بن سلطان المكي احاديث صلاة ليلة النصف من شعبان كلها باطلة والعجب ممن يشم رائحة العليم بالسنة كيف يغتر بمثل هذا الهذيان ويصليها وهذه الصلاة وضعت في الاسلام بعد الاربعمائة ونشأت بيت المقدس فوضع لها عدة احاديث لا يصح منها شيء اه قال ابن العربي في العارضة وقد اولع الناس بها في اقطار الارض اه ومنها ما رواه في صوم يوم النصف منه وقيام ليلته وقد روي في ذلك حديث ضعيف في سنن ابن ماجه ومنها اعتقادهم ان ليلة النصف من شعبان يغفر الله فيها ذنوبا كثيرة وقد روي في ذلك حديث في سنن الترمذي وابن ماجة بسند واحد عن عائشة مرفوعا قال الترمذي سمعت محمدا يضعف هذا الحديث وروى ابن ماجة في ذلك حديثا آخر هو ايضا ضعيف ورويت احاديث أخر قريبة من هذا المعنى لا تخرج عن حالة الضعف ومنها اعتقادهم ان ليلة النصف من شعبان يميز فيها من يعيش في العام التي هي مبدؤه ومن يموت من الناس وقد انجر لهم ذلك الاعتقاد من كلام بعض القصاصين من المفسرين اذ جعلوا ليلة نصف شعبان هي الليلة التي في قوله تعلى انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم. وجعلوا معنى يفرق اي يقضى وجعلوا معنى الامر الحكيم هو الارزاق والاجال قال ابن العربي في العارضة « وهذا باطل لان الله لم ينزل القرآن في شعبان قال تعلى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس الآية فهذا كلام من تعدى على كتاب الله ولم يبال ما تكلم به ونحن نحذركم من ذلك وانه قال فيها يفرق كل امر حكيم وانما تقرر الملائكة الامور في ليلة القدر المباركة لا في ليلة النصف من شعبان اه ». ومن خرافات العوام بتونس زعمهم ان من يقف في ضوء القمر ليلة النصف من شعبان وينظر الى ظل عنقه في ضوء القمر ان وجد ظل عنقه واضحا فهو حي في تلك السنة وان لم يجد لعنقه ظلا بل وجد ظل راسه متصلا بظل كتفيه فهو ميت في تلك السنة وهذا جهل واختلال مبين فان امتداد الظل وانقباضه يتبع موقع سمت القمر من جسد الواقف في ضوئه فيكون القمر في اول طلوعه في الافق وما يقرب منه فهو في سمت جانب الجسم فيظهر ظله طويلا ويكون في اواسط الليل في كبد السماء فيسامت اعلا الجسم فيظهر ظل الجسم قصيرا فلا يبدو ظل العنق قاله محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي في ٢٥ رجب وفي ٢ اكتوبر ١٣٥٦ — ١٩٣٧

افتتاح السنة الدراسية

التعليم في جامع الزيتونة وحل مشكلة التلامذة

لقد ابتهجت الاوساط الزيتونية يوم السبت الثاني من شهر اكتوبر الجاري الموافق للخامس والعشرين من شهر رجب المنصرم بافتتاح الكلية الزيتونية فقد كان السرور في هذا اليوم عظيما تبادل الزيتونيون خصوصا والتونسيون عموما فيه عبارات التهاني برجوع التلامذة الى معهدهم العظيم بعد ان فارقوه مدة سبعة اشهر ونيف مضربين عن التعلم واقفين مكتوفي الايدي ينتظرون جواب الحكومة الحاسم عن المطالب التي قدموها اليها .

وقد تداخل في حل هاته المشكلة عدة هيئات واخيرا الوفد المركب من المشايخ السادة الناصر الصدام وعلى النيفر وصاحب المجلة نائبا عن المشايخ المدرسين لمواجهة المولى الوزير الاكبر في شان قضية الجامع واستلفات انظاره السامية اليها وقد تبادر اليه حسبما ابداه جناب الوزير انه سيفض هذه المشكلة في اقرب وقت وقد نشر ذلك في وقته في الجرائد المحلية وبعد ايام صدر البلاغ الرسمي المنتظر فكان شاهدا على عناية الدولة بامر التعليم بجامع الزيتونة وما هي عازمة على القيام به من الاصلاحات المرغوب فيها ومطمنا للتلامذة على انجاز مطالبهم اذا هم لا زموا الهدو ورجعوا الى دروسهم في مفتتح السنة الدراسية فكان لهذا البلاغ الوقع الحسن في نفوس الزيتونيين ووضعوا ثقتهم في جناب الحكومة لتنفذ ما قطعته على نفسها من الوعود ورجعت المياه الى مجاريها

استؤنفت الدروس في اليوم الاول من السنة الدراسية على احسن وجه وحل الاطمئنان محل الاضطراب . ونحن بقدر ما نهتم بمصالح الكلية والدفاع عنها ناسف لضياع امثال هاته الحصص من اوقات التلامذة وما يتبع ذلك من الويلات ونتمنى ان لا تعاودنا امثال تلك الغيوم وننصح تلامذة الجامع ان لا يتخذوا امثال هاته الطرق للوصول الى رغباتهم المشروعة

كما نطلب من جناب الحكومة التي عودتنا الاهتمام بمصالح الكلية واهلها ان تناجز فيما تعد به حتى لا يدخل الياس في بعض النفوس فيؤثر فيها التاثير السيء الذي لا يرضاه الجميع فان التمهل ربما يفضي الى نحو ما حدث وتكرر في هاته السنوات الاخيرة ان التعليم بالجامع هو كغيره من التعليم بالكليات يحتاج الى التعهد المتواصل ليدوم نفعه كما ان مصالح اهله تستدعي شيئا من الاهتمام ليقع الاصلاح العام وما هو على همة الحكومة بالشيء العسير

ونستبشر باستقبال عصر سعيد دخلت فيه قضايا المعهد في طور جديد سيشمل جميعها بعناية الله وحسن توفيقه للمتولين امر المعهد والمشرفين عليه

كما انه استأنفت جمعية اعانة ضعفاء التلامذة اعمالها ووزعت مقتطعات المونة على التلامذة الذين تحت رعايتها وقد بلغ عددهم مائة وخمسة وسبعين وقد وقفت عند هذا الحد لعدم سماح ميزانها بالزيادة عليه وعدم اتصالها من جناب الحكومة بالقدر المقرر بالمجلس الكبير في ميزان العام الجاري ١٩٣٧ ـ حسبما نشر في الصحف المحلية واستفاده مجلسها من رئيس اللجنة المالية السيد محمد شنيق والسيد الاخضر بن عطية نائب الرئيس بالمجلس الكبير ايضا . اه



مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها الهيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء الثاني	تونس في رمضان المعظم عام ١٣٥٦ وفي نوفامبر ١٩٣٧	المجلد الثاني

فهرس العدد

ثمن العدد ثلاثة فرنكات

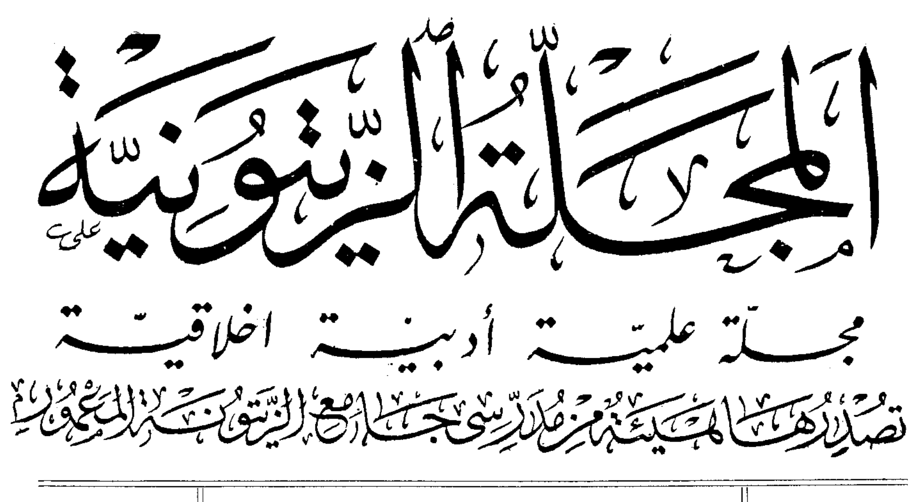
المطبعة التونسية

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لاتعتبر الا اذا
كانت ممضاة من امين المال
والمخابرات المالية لاتكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ – تونس



الجزء الثاني	تونس في رمضان المعظم عام ١٣٥٦ وفي نوفامبر ١٩٣٧	المجلد الثاني

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع الزيتونة

من اقدم الكليات العلمية في العالم واكثرها انتاجا

فما هي مهمته وهل هو قائم بها ؟

« ١ »

جامع الزيتونة مسجد أسس على التقوى من اول يوم (مسجد اذا بدا لك تبلج نوره اللامع ايقنت انه الجامع المفرد والفرد (الجامع) (١) روض العبادة ومعبد الرياضه . بستان علوم زهر دوحاتها الفتح ، وثمارها الافاضه ، بحر بركات شحنت فلكها ببضائع الاسرار . وطود عنايات يقتبس من جانبها نور المدد بالعشي والابكار . ما سرح ناظر المؤمن في اثنائه الا امتلا علها من بادرات ثناياه يحكى بجماله اجمل عروس . صيغ لها من معادن الطروس . قلايد حلق الدروس . تحسب مدرسيها اسود غياض . ودواير تلامذتهم حياضا في رياض . لا عيب فيه غير انه غدا بين اقرانه بمرتبة الصدر . واختص بان ينشرح لوارديه الصدر . فما ضاق صدر مهموم ودخله الا انفرج . وانفتحت له بلطيف عنايته ابواب الفرج . به اماكن اشتهرت برجاء قبول الدعا . فطوبى لمن اخلص ودعا) ﻫ (٢)

وقد إختلف المؤرخون التونسيون في مؤسسه واصح تلك الروايات ان الذي أسسه هو عبيد الله بن الحبحاب (٣) في العام الرابع عشر من القرن الثاني للهجرة . وعليها اقتصر غالب المؤرخين من القدماء والمحدثين . وذكرت رواية اخرى ان للذي اسسه هو حسان بن النعمان (٤) وقد جمع

---

(١) من غرائب الصدف ان لفظ (جامع) هو تاريخ تاسيس جامع الزيتونة بحروف الجمل . وذلك لانك اذا جمعت اعداد هاته الحروف الاربعة يحصل لك مائة واربعة عشر . وذلك هو تاريخ تأسيس جامع الزيتونة على اصح الروايات

(٢) من الجزء الاول من تاريخ الوزير التونسي ابن السراج من الفصل الثاني من الباب الخامس نسخة خطية توجد بمكتبة محرره .

(٣) كان عاملا لهشام بن عبد الملك على مصر وارسله الى تونس سنة ١١٠ عشر ومائة

(٤) حسان بن النعمان من بني مزيقيا بن عامر وكان يلقب بالشيخ الامين . ارسله عبد الملك بن

ابن دينار بين الروايتين (بان حسان هو الذي فتحها (اي تونس) وبنى بها مسجدا وعبيد الله بن الحبحاب زاد في ضخامته كما ان زيادة الله بن الاغلب (١) زاد فيه وضخمه . وكملت ضخامته في ايام بني حفص) (٢)

اذا فجامع الزيتونة قد أسس فى خير القرون او في القرن الذي يليه على يد كبار التابعين رضي الله عنهم . فمن اجل ذلك كان منظورا اليه بعين الاجلال والتعظيم من جميع المسلمين وخصوصا من اهل تونس الذين جعلوه قبلة انظارهم وبالغوا في تعظيمه حتى ان الشيخ احمد برناز نقل في شهبه عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني في بعض كتبه انه قال ، جامع الزيتونة في بلاد المغرب ملحق بالمساجد الثلاثة . ونقل بعض المؤرخين عن الشيخ سعيد الشريف ان نوحا عليه الصلاة والسلام في يوم الطوفان الاكبر وقفت به السفينة في وسط البحر فاوحى الله اليه ان تلك بقعة يقال لها جامع الزيتونة (٣)

ولا يخفى على القارىء اللبيب ان هذا من المبالغة التي لانصيب لها من الصحة . اذ ليس هناك ما يؤيدها وغاية ما تدل عليه هو مقدار الاجلال والتعظيم اللذين ملئت بهما نفوس التونسيين نحو جامع الزيتونة ومعلوم ان النفوس اذا توجهت الى شيء وبالغت في تعظيمه نسبت اليه امورا كثيرة يمليها عليها الخيال فكانها تعتقد ان الحقيقة مهما كانت ناصعة لاتكفي لتوفية ذلك الشيء العظيم حقه

وقد أسس جامع الزيتونة على ان يكون محل عبادة . ولما كان المسلمون في العصور الاولى يقومون في الجوامع بكل ما يهمهم من الشؤون التى لا تنافي ما يجب لبيوت الله من الاحترام . فقد صار جامع الزيتونة محلا للتعليم تلقى فيه الدروس العلمية على اختلاف مواضيعها وانواعها . ولا يعلم بالضبط تاريخ جعله محلا للتعليم ولا تاريخ تنظيم التعليم فيه لان تلك الدروس لم تكن في اولها نظامية بالاسلوب المتعارف اليوم . فمن العسير ضبط تاريخ وجودها به والظاهر ان الدروس صارت تلقى فيه من القرن الثالث . ثم اخذت تنتظم شيئا فشيئا الى ابتداء الدولة الحفصية سنة ٦٠٣ هـ فعند ذلك ازدهر التعليم بجامع الزيتونة وكثر انتشاره وتفنن الناس في مختلف العلوم والفنون وتخصصوا فيها حتى اشتهر كل واحد بما تخصص فيه وظهرت في ذلك العصر التاليف الكثيرة واعتنى الناس بالدروس العليا حتى برعوا فيها

مروان لافريقية فوصل الى القيروان سنة ٧٩ ومعه جند عدده اربعون الفا . وله مآثر عظيمة منها تجديد بناء جامع عقبة بالقيروان وتاسيس اول مصنع اسلامي لصنع السفن والمراكب الحربية وقد أسسه بالقرب من قرطجنة وهو المكان المسمى بدار الصناعة . وصار يسمى اليوم (اميلكار) ابعادا لذكراه المجيدة عن الافكار . وقد جلب لهذا الغرض الف عائلة من قبط مصر فاقرهم هناك ومن مآثره نصب الخراج على الاراضي وتدوين الدواوين الدولية بافريقية وجعل اللغة العربية لغة رسمية .

(١) تولى الملك بتونس سنة ٢٠١ وتوفي ملكاة سنة ٢٢٣

(٢) المؤنس في اخبار افريقية وتونس لابن دينار صفحة ١٣ المطبوع بمطبعة الدولة التونسية سنة ١٢٨٣

(٣) من تاريخ الوزير ابن السراج المنقول عنه سابقا

وكان هناك تبادل في الاراء والابحاث بين علماء الزيتونة وبقية علماء المشرق والمغرب . وكان من اعلام ذلك العصر ابن عبد السلام وابن عرفة وابن خلدون والابي والبرزلي (١)

ثم اخذ التعليم بجامع الزيتونة يترقى ويأخذ الصبغة النظامية ويتدرج في ذلك مع مرور الزمان وان طرأ عليه شيء من الفتور والاختلال في بعض الاحيان ... الى ان ءالت الدولة في هذه البلاد للعائلة الحسينية ادام الله ملكها . فعند ذلك ازدهرت الحياة العلمية . وتظافرت هممم من تداول الملك من ابنائها على ترقية العلوم والسعي في انتشارها . وتسهيل سبل تحصيلها على القاصدين . ولكن مع ذلك لم يأخذ التعليم بالجامع صبغة نظامية محكمة ، حتى تولى الملك المشير الاول ابو العباس احمد باشا . وهو الملك ذو الهمة العاليه . والمرامي الساميه . فقد اراد ان يرقي البلاد التونسية من جميع النواحي . وحيث كان اكبر مظهر لرقي الامم يتجلى في اعتنائها بالناحية العلمية فقد توجه هذا الامير العظيم الى جامع الزيتونة ووضع الحجر الاساسي لتنظيم التعليم فيه . باصداره للامر العلي المؤرخ بيوم ٢٧ رمضان سنة ١٢٥٨ (الموافق ليوم ٢٦ نقامبر سنة ١٨٤٢) (٢) وقد تضمن هذا الامر تعيين عدد المدرسين والزام كل واحد منهم بدرسين وضبط هيئة ادارية للجامع مكلفة بتنظيم الدروس ومراقبة احوال المدرسين . وضبط مرتباتهم وتكوين موارد قارة لها من ميزانية الدولة . ولكنه لم يتعرض لتعيين الفنون التي تدرس بالجامع ولا لضبط احوال التلامذة ولا لكثير من التراتيب التي لا بد منها لتنظيم التعليم . فمن اجل ذلك يعتبر هذا الامر كشروع في التنظيم . وكان من الضروري ان تمتد يد الاصلاح لتدارك ما اهمله من الانظمة التي لابد منها

ولما تولى الوزارة الكبرى بتونس الوزير المصلح خير الدين باشا رحمه الله اراد ان يتدارك ذلك فانتخب لجنة من كبار العلماء وعهد اليها بوضع قانون للتعليم . فوضع هذا القانون وكان محكم النظام وافيا بما تستدعيه حاجة ذلك الزمان . وكان ضابطا لادارة الجامع ولاحوال المدرسين والتلامذة ومعينا للعلوم التي تدرس بالجامع وللكتب التي تدرس بها . وصدر به الامر العلي المؤرخ بيوم ٢٨ من ذي القعدة ١٢٩٢ (الموافق ليوم ٢٦ ديسامبر ١٨٧٥) من المشير الثالث محمد الصادق باشا باي رحمه الله وألحق هذا الامر بعدة اوامر صدرت من الامير الجليل علي باشا باي رحمه الله . على عهد الوزير

---

(١) انظر تلخيص محاضرة الاستاذ الجليل الشيخ البشير النيفر عن تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة بصفحة ٥٥٣ من المجلد الاول للمجلة الزيتونية

(٢) يعرف هذا الامر في الاوساط العلمية بالمعلقة . لان الامير المذكور اذن بكتابته بالذهب وتعليقه في اطار كبير بداخل جامع الزيتونة قرب باب الشفاء . وهو لا يزال معلقا في موضعه الى اليوم . وعلى من يريد الاطلاع عليه ان يراجع كتاب (تراتيب التدريس بجامع الزيتونة عمره الله تعلى) المطبوع بالمطبعة الرسمية عام ١٣٣٠

العالم الفقيه الشيخ محمد العزيز بوعتور . ولكنها اوامر تتعلق ببعض جزئيات لم تمس بجوهر ذلك القانون فبقي معمولا به الى عام ١٣٢٨ فعند ذلك (ظهر ان التراتيب المذكورة صارت لا تفي بحاجيات التعليم التي اقتضاها هذا الزمان وادرك ضرورة تنقيحها وادخال احكام جديدة عليها كل من يهمه امر العلم والتعليم من رجال الدولة وشيوخ المجلس الشرعي والمشائخ المدسين ونهض التلامذة انفسهم مطالبين باصلاح التعليم بالمعهد الزيتوني المعمور) وبمقتضى ذلك تكونت لجنة من رجال العلم والادارة وكلفت بوضع قانون جديد للجامع يحتوي على كل ما تدعو اليه الضرورة من الانظمة الادارية والتراتيب العلمية . وزيادة فنون وكتب لابد منها فوضعت هذه اللجنة قانونا ضابطا لتلك الامور كلها . وصدر به الامر العلي المؤرخ بيوم ٥ شوال ١٣٣٠ (الموافق ليوم ٢٦ سبتامبر ١٩١٢) من الامير الجليل محمد الناصر باشا باي رحمه الله على عهد الوزارة اليوسفيه

واستمر العمل بهذا القانون وظهرت نتائجه وألحق بعدة اوامر ومناشير لتنقيح بعض فصوله حسبما دعت الضرورة اليه في ذلك الحين الى ان تولى الوزارة الكبرى الوزير الخير المرحوم مصطفى دنقزلي في عام ١٣٤٠ فتعلق غرضه بأن يحور القانون السابق ويضم اليه ما ابانت الظروف وجوب ادخاله من العلوم والتراتيب . واعتنى بالموضوع اعتناء جديا . واصدر معروضا«١» من الامير محمد الحبيب باشا باي رحمه الله بتكوين لجنة لهذا الغرض انتظم عقدها من اعضاء مجلس النظار وبعض رجال المجلس الشرعي والمدرسين بالجامع وكثير من رجال الدولة من تونسيين وفرنسويين وكان هو الرئيس المباشر لهذه اللجنة . وشرعت هذه اللجنة في اعمالها واستمرت عليها بانتظام . الى ان وضعت لائحة قانون لاصلاح التعليم تام الموجبات من جميع النواحي (٢)

ولكن لاسباب لا نعرفها لحد الآن . قد تعطلت تلك الاعمال ونسجت عليها عناكب النسيان

محمد المختار بن محمود

---

(١) انظر المعروض الصادر من الامير محمد الحبيب باشا باي بتاريخ ١٨ ذي القعدة ١٣٤٢ (الموافق ليوم ٢١ جوان ١٩٢٤)

(٢) هذه اللائحة قد طبعت مع المعروض الذي اشتمل على تعيين اعضاء اللجنة وعلى تحديد موضوعها في سفر خاص بالمطبعة الرسمية عام ١٣٤٨ ووزعت على اعضاء اللجنة التي سياتي الكلام عليها فيما بعد لتجعلها كنواة للعمل الذي ستقوم به . وفعلا فانها قد اقرت الكثير من فصولها . ومما ينبغي تسجيله بهاته المناسبة ما حكاه لي كاتب اللجنة الاديب الفاضل الشيخ محمد المقداد الورتاني عن مبلغ اعتناء الوزير مصطفى دنقزلي بهذا الموضوع حتى انه كان يقضي معه عدة ساعات تستغرق احيانا الى ما بعد نصف الليل في خدمة ذلك والاسراع بانجازه رحمه الله برحمته الواسعه



سورة فاتحة الكتاب *

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

واعلم ان اسماء فاتحة الكتاب كثيرة يهم التعرض لاثنين منها وهما ام القرآن والسبع المثاني لاشتهارهما عند السلف ووقوعهما في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . فاما التسمية بام القرآن فقد وردت في السنة وفي كلام السلف فالام اما بمعنى الاصل والمنشا تشبيها بالوالدة والام ايضا اعلى الشيء ومنه ام الراس قالوا وجه تسمية الفاتحة ام القرآن انها مبدؤه ومفتتحه فكأنها اصله ومنشؤه يعني ان افتتاحه الذي هو وجود اول اجزاء القرآن قد ظهر فيها فجعلت كالاصل والمنشإ . الثاني انها تشتمل على انواع مقاصد القرآن وهي ثلاثة انواع الثناء على الله الجامع لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه عن جميع النقائص . والاوامر والنواهي ولما توقفت الاوامر والنواهي على معرفة الآمر وانه الله الواجب وجوده خالق الخلق لزم تحقيق معنى الصفات ولما توقف تمام الامتثال على الرجاء للثواب والخوف من العقاب لزم تحقق الوعد والوعيد والفاتحة مشتملة على هاته الانواع فان قوله الحمد لله الى قوله يوم الدين حمد وثناء . وقوله اياك نعبد الى قوله المسقيم من نوع الاوامر والنواهي . وقوله صراط الذين الى ءاخرها من نوع الوعد والوعيد قيل وذكر المغضوب عليهم والضالين يشير الى ألقصص . الثالث انها تشتمل معانيها على جملة معاني القرآن من الحكم النظرية والاحكام العملية فان معاني القرآن اما علوم تقصد معرفتها واما احكام يقصد منها العمل بها فالعلوم كالتوحيد والصفات والنبوءات والمواعظ والامثال والحكم والقصص والاحكام اما عمل الجوارح وهو العبادات والمعاملات وهو تهذيب الاخلاق وءاداب الشريعة وكلها تدل عليها معاني الفاتحة بدلالة المطابقة والتضمن والالتزام فالحمد لله يشمل سائر صفات الكمال التي لاجلها حصر استحقاق الحمد له تعلى لما تدل عليه « الحمد لله » من اختصاص جنس الحمد به تعلى واستحقاقه لذلك كما سياتي « ورب العالمين يشمل سائر صفات الافعال وصفات التكوين عند من أثبتها « والرحمان الرحيم » يشمل بعثة الرسل بالشرائع

* تابع لما نشر بالجزء (١) مجلد (٢)

الراجعة للرحمة بالمكلفين « وملك يوم الدين » يشمل احوال القيامة كلها « واهدنا الصراط المستقيم » يشمل الاحوال كلها من عبادات ومعاملات وءاداب « وصراط الذين انعمت عليهم يشير الى احوال الامم الماضية الفاضلة . و « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » يشمل سائر الامم الضالة قلت فيحصل لقاريء الفاتحة علم اجمالي بما يحتوي عليه القرآن يبعث نفسه الى تطلب التفصيل على حسب التمكن والقابلية .

واما تسميتها بالسبع المثاني فهي تسمية ثبتت بالسنة وقيل انها المراد من قوله تعلى « ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني » فقد روى البخاري في صحيحه عن ابي سعيد بن المعلى (١) قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله فلم اجبه فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي (٢) فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال الا اعلمك سورة هي اعظم السور في القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل الا أعلمك سورة هي اعظم سورة في القرءان قال الحمدلله رب العالمين هي السبع المثاني والقرءان العظيم الذي اوتيته . دل هذا على ان الفاتحة تسمى السبع المثاني ووجه تسميتها بذلك انها سبع ءايات كما ورد في الحديث القدسي قسمت الصلاة نصفين بيني وبين عبدي . واتفق على انها سبع ءايات القراء والمفسرون ولم يشذ عن ذلك الا الحسن البصري فقال هي ثمان ءايات والا الحسين الجعفي (٣) فقال هي ست ءايات وقال بعض الناس تسع ءايات ويتعين حينئذ كون البسملة ليست من الفاتحة لتكون سبع ءايات ومن عد البسملة منها ادمج ءايتين . واما وصفها بالمثاني فهو مفاعل جمع مثنى بضم الميم وتشديد النون او مع تخفيفها او بفتح الميم مع التخفيف ويقال مثناة بهاء التانيث على الوجوه الثلاثة والكل مشتق من التثنية وهي بناء ثان على اول ووجه الوصف بذلك ان تلك الآيات تثنى في كل ركعة كذا قال في الكشاف اي تثنى بسورة بعدها وهي عبارة مأثورة عن عمر بن الخطاب واستشهد على كل ذلك بانها لا تثنى في الركعتين الاخريين من الصلاة الرباعية والركعة الثالثة من المغرب وتحير الكاتبون في تصحيح هذا الكلام حتى لجاوا الى حمل الركعة على الصلاة بمجاز التبعيض ولذلك غير البيضاوي عبارة الكشاف عند اختصارها

(١) اسمه الحارث بن نفيع بضم النون وفتح الفاء الرزقي الانصاري المتوفي سنة ٧٤ رضي الله عنه

(٢) اعتذر عن عدم الجواب بانه شغلته الصلاة فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بان نبهه الى عموم قوله تعلى استجيبوا لله كانه رءاه اعتقد ان المراد من الاستجابة المامور بها خصوص الامتثال للاحكام بدليل قوله تعلى اذا دعاكم لما يحييكم فبين له ان الاستجابة على عمومها الشاملة لاستجابة امر الفعل واستجابة امر الاقبال وهو النداء وقد قيل ان هذا خاص بالنبيء صلى الله عليه وسلم وقيل يشمل كل من له حق كالابوين وقوله الا اعلمك اي افيدك واخبرك فعلم فيه فعل من اخوات اعلم مثل خبر وليس هو علم الذي هو بمعنى لقن لظهور ان ابا سعيد كان يعلم الفاتحة

(٣) هو حسين بن علي بن الوليد الجعفي مولاهم الكوفي المتوفي سنة ٢٠٣ كان من اعلام المحدثين روى عنه الاعمش وغيره وروى عنه احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ويحي بن معين

فقال « وتثنى في الصلاة » اذ لا تخلو صلاة من قراءة سورة مع الفاتحة في بعض الركعات وانا لا ارى احتياجا الى هذا واقول انما جعل هذا الاسم للفاتحة حين فرضت الصلاة وجعلت الفاتحة ركنا منها وقدكانت تضم اليها السورة في كل ركعة من الصلاة لان الصلاة اول ما فرضت فرضت ركعتين ثم اقرت صلاة السفر واطيلت صلاة الحضر على ماصح من حديث عايشة رضيَ الله عنها وقيل سميت بذلك لانها تثنى اي تكرر بنفسها في الصلاة فتكون التثنية بمعنى مطلق التكرير بناء على ما شاع عند العرب من استعمال صيغة المثنى في مطلق التكرير نحو ارجع البصر كرتين وقولهم لبيك وسعديك فلذلك استعملوا فعل ثنى بمعنى كرر وعليه فيكون المراد بالمثاني هنا مثل المراد بالمثاني في قوله تعلى كتابا متشابها مثاني اي مكرر القصص والاغراض تحديا باعجازه والمراد بالصلاة المفروضة فلا ترد صلاة الوتر عند مالك رحمه الله وقيل سميت المثاني لانها ثنيت في النزول فنزلت بمكة ثم نزلت في المدينة وهذا قول بعيد جدا وقد اتفق على انها مكية فاية حكمة لاعادة نزولها بالمدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام عليها ينحصر في ثلاثة مباحث الاول في بيان اهي آية من اوائل السور ام لا . الثاني فى حكم الابتداء بها عند القراءة عند الفقهاء . الثالث في تفسير معناها . فاما المبحث الاول فلا خلاف بين المسلمين في ان لفظ بسم الله الرحمن الرحيم هو لفظ قرءاني لانه جزء ءاية من قوله تعلى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمان الرحيم كما انهم لم يختلفوا في ان الافتتاح بالتسمية في الامور المهمة ذوات البال ورد في الاسلام . ولم يختلفوا ايضا في ان البسملة رسمها الصحابة في المصاحف في اوائل السور ما عدا سورة براءة وانما اختلفوا في ان البسملة هل هي ءاية من سورة الفاتحة ومن اوائل السور غير براءة بمعنى ان الاختلاف بينهم ليس في كونها قرءانا ولكنه في تكرر قرءانيتها كما اشار اليه ابن رشد الحفيد في البداية فذهب مالك والاوزعي وفقهاء المدينة والشام والبصرة وقيل باستثناء عبد الله بن عمر وابن شهاب من فقهاء المدينة الى انها ليست بآية من السور الا سورة النمل فانها منها جزء آية وذهب الشافعي في احد قوليه واحمد واسحاق وابو ثور وفقهاء مكة والكوفة الى انها ءاية من سورة الفاتحة خاصة . وذهب عبد الله بن المبارك والشافعي في احد قوليه وهو الاصح عنه الى انها آية من اول كل سورة . ولم ينقل عن ابي حنيفة فيها شيء واخذ منه صاحب الكشاف انها ليست من السور عنده فعده في اللذين قالوا بعدم جزئيتها من السور وهو الصحيح عنه لانه قال بعدم الجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية وكره قراءتها في اوائل السور الموصولة بالفاتحة في الركعتين الاوليين اه وازيد فاقول انه لم ير الاقتصار عليها في الصلاة مجزئا عن القراءة

اما حجة مذهب مالك رحمه الله ومن وافقه فلهم فيها مسلكان احدهما من طريق النظر والثاني من طريق الاثر فاما المسلك الاول فللمالكية فيه مقالة فائقة للقاضي ابي بكر الباقلاني وتابعه ابو بكر ابن العربي في كتاب احكام القرءان والقاضي عبد الوهاب في كتاب الاشراف قال الباقلاني (لو كانت التسمية من القرءان لكان طريق اثبات ذلك اما التواتر او الآحاد والاول باطل لانه لو ثبت بالتواتر كونها من القرءان لحصل العلم الضروري بذلك ولامتنع وقوع الخلاف فيه بين الامة . والثاني ايضا باطل لان خبر الواحد لا يفيد الا الظن فلو جعلناه طريقا الى اثبات القرءان لخرج القرءان عن كونه حجة يقينية ولصار ذلك ظنيا ولو جاز ذلك لجاز ادعاء الروافض ان القرءان دخله الزيادة والنقصان والتغيير والتحريف اه) وهو كلام وجيه والاقيسة الاستثنائية التي طواها في كلامه واضحة لمن له ممارسة للمنطق وشرطياتها لا تحتاج لاستدلال لانها بديهية من الشريعة فلا حاجة الى بسطها . زاد ابن العربي فقال ويكفيك انها ليست من القرآن الاختلاف فيها والقرآن لا يختلف فيه اه وزاد عبد الوهاب فقال إن رسول الله بين القرآن بيانا واحدا متساويا ولم تكن عادته في بيانه مختلفة بالظهور والخفاء حتى يختص به الواحد والاثنان ولذلك قطعنا بمنع ان يكون شيء من القرآن لم ينقل الينا وابطلنا قول الرافضة ان القرآن حمل جمل وانه عند الامام المعصوم المنتظر فلو كانت البسملة من الحمد لبينها رسول الله بيانا شافيا اه

وقد عارضه ابو حامد الغزالي في المستصفى فقال نفي كون البسملة من القرآن ايضا ان ثبت بالتواتر لزم ان لا يبقى الخلاف (اي وهو ظاهر البطلان)وان ثبت بالآحاد يصير القرءان ظنيا قال ولا يقال ان كون شيء ليس من القرءان عدم والعدم لا يحتاج الى الاثبات لانه الاصل بخلاف القول بانها من القرآن لانا نجيب بان هذا وان كان عدما الا ان كون التسمية مكتوبة بخط القرآن يوهن كونها من القرآن فهنا لا يمكننا الحكم بانها ليست من القرآن الا بدليل وياتي الكلام في ان الدليل ما هو فثبت ان الكلام الذي اورده القاضي لازم عليه اه وتبعه على ذلك الامام الرازي في تفسيره وقد صار مرجع استدلال الغزالي وفخر الدين الى رسم البسملة في المصاحف وسنتكلم على تحقيق ذلك عند الكلام على مدرك الشافعي . وتعقب ابن رشد في بداية المجتهد كلام الباقلاني والغزالي بكلام غير محرر فلا نطيل به

واما الاستدلال من الاثر فجملة الادلة خمسة الاولى ما روى مالك في الموطا عن العلاء بن عبد الرحمن الى ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى قسمت الصلاة نصفين بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين فاقول حمدني عبدي الخ والمراد بالصلاة القراءة في الصلاة ووجه الدليل منه انه لم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم . الثاني حديث ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه في الموطا والصحيحين ان رسول الله صلى

الحديث الشريف

باب الزكاة من الاسلام

وقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة

اخرج البخاري (عن مالك بن انس عن عمه ابي سهيل بن مالك عن ابيه انه سمع طلحة بن عبيد الله يقول جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل نجد ثائر الراس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة فقال هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيام رمضان قال هل علي غيره قال لا الا ان تطوع وذكر له صلى الله عليه وسلم الزكاة قال هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع فادبر الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح ان صدق) .

الشرح

بقلم العلم الامام صاحب الفضيله الشيخ
محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي

قد تقرر ان الكمال في الدين انما يحصل اذا حصل الاصل والفرع معا وهما الايمان والاعمال فالاعمال بلا ايمان كسراب بقيعة يحسبه الضمئان ماء والايمان بلا اعمال مفوت للكمال ونستروح

الله عليه وسلم قال له الا اعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل مثلها قبل ان تخرج من المسجد قال بلى فلما قارب الخروج قال له كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال أبي فقرأت الحمد لله ربّ العالمين حتى أتيت على آخرها فهذا دليل على انه لم يقرأ منها البسملة . الثالث حديث انس في صحيح مسلم انه قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم لا في اول قراءة ولا في آخرها . الرابع حديث عائشة رضي الله تعالى عنها في صحيح مسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين . الخامس وهو الحاسم عمل أهل المدينة فان المسجد النبوي من وقت نزول الوحي الى زمن مالك رحمه الله صلى فيه رسول الله والخلفاء الراشدون والامراء واهل العلم ولم يسمع احد قرأ بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة الجهرية وهل يقول عالم ان بعض السورة جهر وبعضها سر فقد حصل التواتر بان النبيء والخلفاء لم يجهروا بها ولو جهروا بها لم يبق خلاف .

لهذا بالجمع في التسبيح بين التنزيه والحمد وفاقا لما قيل (وفي البدء من علم الختام حصول) وعلى ذلك الاصل العظيم نبه القرآن الكريم في مواطن كثيرة وءايات متعددة (ءامن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل ءامن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا) (رب هب لي حكما والحقني بالصالحين) (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وهذه الآية هي التي عزز بها البخاري ترجمة الباب لمناسبتها للحديث . وللمفسرين في تاويلها وجهان احدهما ان المعنى وما امر اهل الكتاب بما جاء به النبيء صلى الله عليه وسلم الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتخصيص على هذا باهل الكتاب نظرا لاقرب المذكورين وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة . ولو جعلت الكناية للابعد لم يكن بعيدا فيعم اهل الكتاب والمشركين لوجود الدليل على ذلك وهو ان كلا من الفريقين مامور بما جاء به النبيء صلى الله عليه وسلم على وزان ووهبنا له اسحآق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فان الضمير لسيدنا ابراهيم عليه السلام لكونه المتحدث عنه لا لاسحآق ولا ليعقوب ولم ار من تعرض لهذا الاحتمال . الوجه الثاني ان المعنى وما امر اهل الكتاب في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله مخلصين وعليه اقتصر صاحب الكشاف ثم قال فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قال قلت معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة اه وفي الجواب بيان لكون صلة الامر مقدرة وان الامر بمعنى التكليف فيعم النهي وان الاستثناء من اعم العلل اي وما امروا بما في الكتابين لاجل شيء الا ليعبدوا الله مخلصين وكلا التأويلين على ان اللام لام الغرض وما بعدها علة للامر . وقد اختلف في تعليل الاحكام الشرعية فقال الرازي ان احكام الله كافعاله غير معللة البتة لانه تعالى منزه عن الاستكمال بالغير وقال الجمهور هي معللة بالحكم والمصالح الراجعة الى العباد قال ابو اسحآق الشاطبي ان وضع الشرائع انما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل قطعا بدليل الاستقراء الذي لا ينازع فيه الرازي ولا غيره لان بيان الحكم والمصالح للاحكام المبثوثة في الكتاب والسنة اكثر من ان تحصى فقد قال تعالى في البعثة وهو الاصل (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وفي الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي الصوم كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وفي الوضوء ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم الى غير ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على ان الاحكام انما شرعت لمصالح العباد وان قصد الشارع من التشريع اقامة المصالح الدنيوية والاخروية وعلى ذلك اسست قواعد القياس اه وبهذا التحقيق الذي قرره الشاطبي يتهيأ لنا ان نقول لا خلاف بين الرازي وغيره لان الرازي انما منع التعليل على وجه الاستكمال بالغير كما يصرح به مستنده المتقدم وذلك ما لا ينازع فيه الجمهور والجمهور يقولون انها

تعلل بالحكم والمصالح الراجعة للعباد وذلك ما لا ينازع فيه الرازي لانه تعليل لا على وجه الاستكمال كما يتهيأ ان نقول ان ما جنح اليه اهل الاصول من تفسير العلة في باب القياس بالعلامة المعرفة للحكم فرارا من التعليل مما لا حاجة اليه وان الاحسن ان يقال هي الحكمة او المصلحة المترتبة على الحكم ولقد دلت هذه الآية الكريمة على ما يجب ان يؤول به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ان الحكمة التي ارادها الله تعالى من خلق الثقلين هو الامر بالعبادة لا العبادة نفسها والا لما تخلفت لاستلزام الارادة الالاهية للمراد كيف وقد تخلفت في الكثير بدليل المشاهدة والحس فالمعنى وما خلقت الجن والانس الا للامر بالعبادة وقد امروا فمنهم من امتثل ومنهم من لم يمتثل والقرآن يفسر بعضه بعضا وتاويل الآية بهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وتأولها البيضاوي على التجوز في لام التعليل فقال لما خلقهم على صورة متوجهة للعبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك اه يعني خلقهم على صفة مقتضية للعبادة حيث ركب فيهم عقولا وخلق لهم حواس ظاهرة وباطنة لو خليت ونفسها عرفت صانعها وانقادت له لوجود الاستعداد والتهيؤ كما يشير اليه حديث كل مولود يولد على الفطرة فشبه اقتضاء خلقهم على تلك الصورة للعبادة باقتضاء العلة الغائية للفعل واستعملت اللام فيما ليس علة للفعل على طريق الاستعارة التبعية مبالغة في الاقتضاء فالعبادة ليست هي الحكمة بل تشبيه بها وهذا طراز من البلاغة بديع في مقابلة استعمال اللام فيما يعقب الفعل وليس علة له لان هذه باعتبار الابتداء والاخرى باعتبار الانتهاء واني ارى تسمية هذه اللام بلام التهيؤ والاقتضاء كما سموا نظيرتها بلام العاقبة ولم نقف على هذا الضرب من التجوز بلام التعليل لا في اساطير النحاة ولا في كلام علماء البلاغة وكائين من وجه في العربية لم نعثر عليه الا في غضون التفاسير وقد اطلق البيضاوي لفظ الصورة على الصفة المعنوية كما تأول بذلك القاضي ابوبكر بن العربي حديث خلق الله ءادم على صورته وفي رواية على صورة الرحمان فقال ليس لله خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الرب جل وعلا يعني من حيث مطلق الصفة والا فليس كمثله شيء قال وعن هذه الصفات وقع البيان بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله ءادم على صورته اي على صفاته التي قدمنا ذكرها اذ ليس لله صورة مشخصة فلم يبق الا ان تكون الصورة معاني وصفات ثم ايد ذلك بما رواه عن ابي علي المحسن (هو ابن اخي المنصور) وهو ان عيسى بن موسى الهاشمي قال يوما لزوجته هي طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فاحتجبت وقالت وقع الطلاق اي لانها ليست احسن من القمر فبات بليلة عظيمة ولما اصبح غدا الى ابي جعفر المنصور وقص عليه الخبر فاحضر المنصور الفقهاء وسالهم عن ذلك فاجاب كلهم بوقوع الطلاق الا واحدا كان ساكتا فقال له المنصور ومالك لا تتكلم فقال الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم قال يا امير المؤمنين الانسان احسن ما خلق

الله فقال المنصور لعيسى الامر كما قال . وبما فطر عليه الانسان من الاستعداد والتهيؤ لمعرفة الخالق كما اشار اليه البيضاوي مع ظهور الادلة قال ابو منصور الماتريدي وغالب العراقيين من اتباع ابي حنيفة بوجوب الايمان على الصبي العاقل لوجود التمييز ووضوح الآيات فسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج افلا يدلان على الحكيم الخبير ومن ثم شاع عن الماتريدية انهم يقولون بالحسن والقبح العقليين القائل بهما المعتزلة وتلك مسئلة نقص عليك من انبائها امورا تتجلى بها الحقيقة ان شاء الله . الاول ان القائل بوجوب الايمان على الصبي العاقل هو الماتريدي وتلميذه من العراقيين لا الحنفية قاطبة . الامر الثاني ان ما شاع عن الماتريدية مخصوص بالايمان دون سائر الاحكام الفرعية . الثالث ان الماتريدي واتباعه انما صرحوا بوجوب الايمان على الصبي المميز ولم يصرحوا بان الحاكم بالوجوب هو العقل فيحمل على انه يجب شرعا ولا يتوقف عندهم على البلوغ لتحقق الاستعداد بالتمييز وظهور الادلة بخلاف الاحكام الفرعية فلا غرو ان يكون خطاب التكليف بالايمان بمثابة خطاب الوضع لوجود ما يقوم مقام البلوغ وبعد ما لاح لي هذا رايت في شرح البزدوي التصريح بان الماتريدية وان قالوا بوجوب الايمان على الصبي العاقل لكنهم لا يجعلون العقل موجبا بل يقولون ان الموجب هو الله تعالى وهو عين ما قلناه فالحمد لله على الموافقة . وعليه فان الماتريدية كجمهور الحنفية على طريقة الاشعري وقصارى الخلاف ان الماتريدية لم يشترطوا في وجوب الايمان صفة البلوغ لظهور الادلة ووجود التمييز ولذلك حظ من النظر اما ما يقال بانه روي عن ابي حنيفة لا عذر لاحد في الجهل بخالقه لما يرى من خلق السماوات والارض وخلق نفسه وانه روي عنه ايضا لو لم يبعث الله للناس رسولا لوجب عليهم معرفته بعقولهم فليس ذلك بثابت عن الامام لانه لم يوجد شيء من القولين في الفقه الاكبر الذي وضعه الامام في عقايد الايمان ولان ابن السبكي لم ينقل مسئلة وجوب الايمان بالعقل عن ابي حنيفة في منظومته المشهورة التي حرر فيها المسائل الواقع فيها الخلاف بين ابي حنيفة والاشعري ولم يذكر شيئا من ذينك القولين وذلك كله مما يقضي ببطلان نسبتهما الى ابي حنيفة ومع هذا فقد قال العلامة ابن امير حاج في شرح التحرير ان المقالة الاولى وهي لا عذر لاحد في الجهل بخالقه محمولة على ما بعد البعثة وان الوجوب في المقالة الثانية محمول على معنى انه ينبغي . وقوله مخلصين له الدين اي قاصدين بعبادتهم وجه الله وحده فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا حنفاء . يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك اي اخلاص العبادة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة دين القيمة اي دين الملة المستقيمة والاشارة هنا بصيغة البعد كالاشارة في قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه قال صاحب الكشاف فان قلت لم وقعت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى آلم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول ذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال تعالى

لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حيز البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك اه وحاصله ان المشار اليه وان كان قريبا لكنه في حكم البعيد لوجهين احدهما التقضي والمتقضى بمنزلة البعيد والثاني وصوله من المرسل الى المرسل اليه والواصل كذلك بمثابة المتباعد هذا ما اختاره صاحب الكشاف واختارصاحب المفتاح ان ايراد صيغة البعد للتعظيم تنبيها على بعد درجة الكتاب في الهداية وقال الرازي للاشارة الى ان القرآن وان كان قريبا من حيث الالفاظ فهو بعيد من جهة الاسرار قلت ولا مانع من الجمع بين هذه المعاني ولا يخفى ان ما ذكره صاحب المفتاح لا يجري في مثل لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك اذ لا يظهر وجه لتعظيم المشار اليه اعني الفارض والبكر ومعنى لا فارض ولا بكر غير مسنة وغير فتية فحرف النفي جزء من الصفة على طريقة العدل عند المناطقة قال القاضي ابو عبد الله المقري (جد صاحب نفح الطيب ومن اشياخ ابن الخطيب) إن اهل المنطق يزعمون ان الاسماء المعدولة لا تكاد توجد في كلام العرب وهي موجودة في القرآن وذلك قوله تعالى لا فارض ولا بكر فان زعم زاعم ان ذلك على حذف المبتدا وان لا داخلة على الجملة والتقدير لا هي فارض ولا هي بكر قيل له ان كان يسوغ ذلك في هذا الموضع فانه لا يسوغ في قوله تعالى لا شرقية ولا غربية فصح ان الاسم المعدول موجود في فصيح كلام العرب . وقد وصف الله تعالى في هذه الآية المؤمنين الذين احرزوا على الكمال بالجمع بين الايمان والاعمال بانهم خير البرية وفي ءاية البقرة بالهدى والفلاح اولئك على هدى من ربهم واولائك هم المفلحون وفي ترجمة ابي عمران الفاسي احد علماء القيروان وصلحائها في القرن الخامس ان رجلا قال انا خير البرية فهمت به العامة ثم حمل الى ابي عمران واخبروه بقول الرجل فقال له ابو عمران انت مؤمن قال نعم قال تصلي وتصوم وتفعل الخير قال نعم قال لا باس عليك قال الله تعالى ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات اولائك هم خير البرية ومن اجل ان الكمال انما يحصل بالاعمال وصف النبيء صلى الله عليه وسلم الرجل في الحديث بالفلاح اذا صدق فيما وعد به من العمل والامتثال وذلك ان هذا الرجل جاء يسأل عن الاسلام اي عن احكامه ومشروعاته واخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والصوم والزكاة وقال الرجل في كل واحدة منها هل علي غيرها فقال له النبيء صلى الله عليه وسلم لا الا ان تطوع فرجع الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح ان صدق ولم تذكر في هذه الرواية بقية المشروعات اختصارا يدل على ذلك رواية البخاري في الصوم فقد جاء فيها فاخبره رسول الله بشرائع الاسلام وذلك شامل لبقية الفرائض وسائر المنهات وبذلك يندفع الاستشكال بانه كيف اثبت له الفلاح ولم يذكر له جميع الواجبات والمنهيات . ثم الاستثناء اما متصل كما هو الاصل اي لا يجب عليك شيء ءاخر الا ان تشرع في تطوع فانه يلزمك اتمامه وبه استدل على لزوم النفل بالشروع

كما هو مذهب ابي حنيفة ومالك رضي الله عنهما او منقطع اي لكن ان اردت ان تتطوع فذلك مستحب لك وبه استدل الشافعي على عدم اللزوم بالشروع وقد اتفقت كلمة شراح البخاري على ان حرف المسئلة دائر على الاتصال والانقطاع ولا اعجب من الحافظ ابن حجر والقسطلاني في نسبة الاستدلال للحنفية بهذا الحديث بناء على الاتصال عجبي من العيني بل ومن الزيلعي في ذلك فان المستثنى عند الحنفية مسكوت عنه غير محكوم عليه بالنقيض فكيف يمكن الاستدلال به على الوجوب وانما الدليل عندهم قوله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم والاحاديث الواردة في الامر بالقضاء لمن افطر في صوم النفل المعارضة للاحاديث الدالة على اباحة الافطار في بسطة شريفة من مدارك الايمة رضي الله عنهم وبهذا يندفع الاعتراض بان الاتصال لا يدل على الوجوب وانما يدل على الفرضية الذي هو نقيض الحكم والحنفية لا يقولون بفرضية الاتمام بل بوجوبه وهما متباينان عندهم. وقول الرجل لا ازيد على هذا ولا انقص اي لا ازيد على المفروض ولا انقص منه شيئا وعلى هذا قيل ان الفلاح راجع لقوله ولا انقص خاصة لان رجوعه لقوله لا ازيد يقتضي انه اذا زاد لا يكون مفلحا وليس كذلك والتحقيق انه راجع اليهما قال النووي لانه لما ثبت له الفلاح بعدم الزيادة كان فلاحه بالزيادة اولى وقال الطيبي يحتمل ان يكون المراد بهذا الكلام المبالغة في التصديق والقبول اي قبلت كلامك قبولا لا مزيد عليه من جهة السؤال ولا نقصان فيه من طريق القبول وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المعنى لا ازيد على ما سمعت ولا انقص عند التبليغ لمن ورائي لانه كان وافد قومه جاء يتعلم ويعلمهم وهذا الاحتمال ناظر الى ان الرجل في الحديث هو ضمام ابن ثعلبة الذي خرج حديثه البخاري في باب القراءة والعرض على المحدث عن انس وان حديث الباب وحديث ضمام حديث واحد وبذلك جزم القاضي وابن بطال وءاخرون قالوا لان في كل من الحديثين ان الرجل بدوي وان كلا من الرجلين قال في ءاخر الحديث لا ازيد على هذا ولا انقص وخلاصة حديث ضمام انه وفد على النبيء صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة تسع على الاصح بعثه قومه بنو سعد ليسأل عن الاسلام فقال للنبيء صلى الله عليه وسلم اني سائلك فمشدد عليك فلا تجد علي في نفسك اي لا تغضب فقال له النبيء صلى الله عليه وسلم سل عما بدالك فقال اسالك بربك ورب من قبلك ءالله ارسلك للناس كلهم فقال النبيء صلى الله عليه وسلم اللهم نعم قال انشدك ءالله امرك ان نصلي الصوات الخمس في اليوم والليلة قال اللهم نعم قال انشدك بالله ءالله امرك ان نصوم هذا الشهر قال اللهم نعم قال انشدك بالله ءالله امرك أن تاخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا فقال النبيء صلى الله عليه وسلم اللهم نعم فقال آمنت بما جئت به وانا رسول من وراءي من قومي وانا ضمام بن ثعلبة اخو بني سعد وقد اثنى الصحابة على ضمام هذا في تقديم الاعتذار بين يدي اسئلته التي كرر الاقسام فيها على النبيء صلى الله عليه وسلم ثم صرح بالتصديق اخيرا وذلك مما دلنا على عقل الرجل وحسن تصرفه حتى قال عمر ابن الخطاب

حديث من سئل عن علم فكتمه

هذا الحديث رواه ابو داود بسند رجاله من رجال الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة ورواه ابن ماجة بسند فيه ضعف عن انس مرفوعا بمثل ذلك وعن ابي هريرة ايضا مثلـه بزيادة عن علم يعلمه ورواه ابن ماجة باسانيد عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مـا من رجل يحفظ علما فيكتمه الا اتي به يوم القيامة ملجما بلجـام من النار . ورواه ايضا بسند اكثر اهله من رجـال الصحيح وفيه صفوان بن سليم وهو متكلم فيه عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله من كتم علما مما ينفع الناس في امر الناس امر الدين الجمه الله يوم القيامة بلجام من النار . ورواه الترمذي عن ابي هريرة وقال حديث حسن وروي عن ابن مسعـود وابن عمر وابن عبـاس وعمرو بن العاص مرفوعا باسانيد ضعيفة متفاوتة الضعف فهذا تحصيل القول في افضل اسانيده

معنى هذا الحديث

ظـاهر هذا الحديث انه عـام في كل مسئول عنه وفي كل سؤال لان قوله سئل فعـل في سيـاق الشرط فيعم لان للفعل حكم النكرة فيؤول الى معنى كل من سئل بكل سؤال عن كل علم فكتمه الجمه الله الخ ويستتبع ذلك عموم الاحوال والازمنة والامكنة لان العام في الذوات عـام في الاحوال والاوقات والاماكن عنـد جمهور اهل الاصول خلافا للقرافي فظاهره يقتضي ان كل مسئول عن كل علم اذا كتم سائله عوقب يوم القيـامة بلجام من نار وترتيب العقوبة على عدم الجواب يقتضي ان الكتمان كبيرة ويقتضي ان ضده وهو جواب السائل عن علم واجب لان النهي عن الشيء أمر بضده هذا ظاهر الحديث . وقد اتفق العلماء على ان هذا الظاهر غير مراد ووجه اتفاقهم على ذلك ان العقوبة

رضي الله تعالى عنه ما رايت احدا احسن مسئلة ولا اوجز من ضمام وقال ابن عباس ما سمعنا بوافد قط افضل من ضمام ابن ثعلبة واستفتاح النبيء صلى الله عليه وسلم اجوبته بقوله اللهم لما في المقـام من الاهمية تاكيدا جاريا مجرى الاستشهاد ويحتمل ان يكون للدعاء بان يوفق الله هـذا السائل وقومـه للقبول والعمل فان الدعاء مطلوب خصوصا في المهمات ومن ءادابه ان يعزم الداعي المسئلة ويستيقن الاجابة ففي الحديث انا عند ظن عبدي بي ومنها ان يترصد لدعائه الاوقات الفاضلة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الاشهر ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من الليل ومنها ان يستفتح الدعـاء بذكر الله وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح الدعاء بقوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب

تدل على كون ما ترتبت عليه كبيرة وقد دلت الادلة الشرعية من المنقول والمعقول ان جواب العالم عما يسال عنه ليس بواجب في جميع الاحوال وان كون الشيء ذنبا يقتضي ترتب مفسدة دينية على فعله ولا نجد في عدم اجابة العالم من يساله مفسدة في كثير من الاحوال فذلك هو الداعي لهم الى تاويل هذا الحديث اي حمله على غير ظاهره جمعا بين الادلة مما ورد عن الشارع وما استقريء من قواعد الشريعة

قال ابو بكر بن العربي في عارضة الاحوذي هو محمول على خمسة اوجه الاول ان يعدم ذلك العلم ان لم يظهره (اي المسئول وذلك بان يكون منفردا بعلمه بين اهل تلك الجهة بحيث يتعذر ان يجيب عنه غيره الا في اقطار بعيدة) . الثاني ان يقع السائل في احموقة ان لم يخبره . الثالث ان تفوت به منفعة (اي مصلحة دينية وهذه الوجوه الثلاثة في معنى الشروط لحرمة الكتمان وكلها مبنية على ان المراد بالعلم ظاهره معنى وعموما فاطلاق اسم المحامل عليها في كلام ابي بكر بن العربي تسامح) . الرابع امتثال وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي سعيد الخدري (١) في قوله « ان الناس لكم تبع وان رجالا ياتونكم يتفقهون او يتعلمون فاذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيرا » وذلك هو التعليم . (يعني تعليم الذين جاءوا لقصد التصدي للتعلم والتفقه في الدين لانهم انما جاءوا ممتثلين أمر الله تعلى في قوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين . وحيث كان قوله طائفة يدل على ان طلب العلم في الدين فرض كفاية فكذلك تعليم طالبه هو فرض كفاية وهذا الوجه محمل للحديث مخالف للمحمل الاول مبني على ان المراد بالسؤال بعض معانيه وهو طلب التعلم وذلك يقتضي وجوب التعليم دون وجوب جواب السائل ولهم في احكام التعليم تفصيل مذكور في تفسير قوله تعلى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الآية) الخامس انه الشهادة (وهذا محمل مخالف للمحملين السابقين فيكون المراد بالعلم هنا خصوص العلم بما بين الناس من الحقوق وقد نسب ابن العربي في الاحكام والقرطبي في التفسير هذا التفسير لسحنون ويجري حينئذ على حكم اداء الشهادة المذكورة في تفسير قوله تعلى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه ءاثم قلبه وفيه تفصيل وحاصل كلام ابن العربي راجع اما الى تقييد في العموم ببعض الشروط واما الي تخصيص عموم في السؤال او عموم العلم . وقال الخطابي في شرح هذا الحديث من تعليقه على سنن ابي داود « هذا في العلم الذي يلزمه تعليمه اياه ويتعين عليه فرضا كمن رأى كافرا يقول علموني ما الاسلام وكمن يرى رجلا حديث عهد بالاسلام لا يحسن الصلاة وقد حضر وقتها يقول علموني كيف اصلي وكمن جاء مستفتيا في حلال او حرام يقول افتوني وارشدوني فانه يلزم في مثل هذه الامور ان لا يمنعوا الجواب عما سئلوا عنه من العلم فمن فعل ذلك كان ءاثما مستحقا للوعيد والعقوبة وليس كذلك الامر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس الى معرفتها اه »

(١) مما رواه الترمذي وابن ماجة

ومعناه ان كتمان العلم المسؤول عنه حرام اذا كان يترتب على السؤال عمل فيما يجب اعتقاده او ما يجب التعبد به او في الاقدام على عمل من الاعمال المكلف بها السائل .

وحاصل كلامه تخصيص العموم الواقع في لفظ علم بالحالة التي يترتب على عدم الاجابة فيها اقدام على حرام بناء على ان التعليم انما هو وسيلة للعمل فلا يكون حكمه الا موافقا لحكم المتوسل اليه لان الوسيلة تعطى حكم المقصد هذا دليل تخصيص من جهة النظر ويدل لهذا التخصيص ايضا من الاثر رواية ابن ماجة من حديث ابي سعيد الخدري من كتم علما مما ينفع الناس في أمر الدين الخ .

وقد عرف من هذا كله امور اخرى منها ما قال فخر الدين الرازي في تفسيره « اظهار العلم فرض على الكفاية لا على التعيين لانه اذا اظهره البعض صار بحيث يتمكن كل أحد من الوصول اليه فلم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على البقية اظهاره مرة اخرى اه » وقال ابن العربي في الاحكام إن كان هناك من يبلغ اكتفي به وان تعين عليه لزمه ومنها ان يكون السائل اهلا لاستفادة ما سال عنه اذا كان المراد بالسؤال التعلم لقول علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون ان يكذب الله ورسوله وقد قيل ان هذا الكلام يرفعه علي الى النبيء صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود ما انت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة فان المعلومات مراتب منها ما تستطيع دركه عقول الجميع ومنها ما لا يفهمه الا الخاصة قال الغزالي في الاحياء سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال له السائل اما سمعت قول رسول الله من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقهه وكتمته فليلجمني فقد قال تعلى ولا توتوا السفهاء اموالكم تنبيها على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى من حفظ المال وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق . وانشد

أ أنثر درا بين سارحة النعم ... فاصبح مخزونا براعية الغنم
لانهم امسوا بجهل لقدره ... فلا انا اضحى ان اطوقه البهم
فان لطف الله اللطيف بلطفه ... وصادفت اهلا للعلوم وللحكم
شكرت مفيدا واستفدت مودة ... والا فمخزون لدي ومكتتم
فمن منح الجهال علما اضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

انتهى كلام الغزالي

وهذا يقتضي ان يكون السائل معروفا عند المسؤول ليتبين له حاله من الاهلية لتلقي المسالة ومن التنزه عن قصد الفتنة والتشغيب .

ومنها ان يكون العمل بالمسؤول عنه متوقفا على جواب المسؤول فاما اذا فات العمل اوتعذر التدارك فلا يجب الجواب اذ لم يبق الجواب وسيلة الى حكم شرعي من وجوب او تحريم ومثال ذلك

ما وقع من المعتمد بن عباد ملك قرطبة واشبيلية فانه اتاه سفير الاذفنش ملك الجلالقة فاغلظ السفير في كلامه مع المعتمد فضرب المعتمد رأس السفير بمجرة كانت بين يديه فقتله ثم احضر الفقهاء واستفتاهم في حكم قتل ذلك السفير وكان السفير يهوديا فهذا الاستفتاء في غير محله اذ كان عليه ان يستفتيهم قبل أن يقتله : ومنها ان يكون السائل طالبا معرفة عمل يخصه فاما اذا كان طالبا معرفة عمل غيره فذلك من العلم النافلة الذي اشار اليه الخطابي ومن الناس من يسأل عما عمله غيره ليتطلب بذلك عثراته اوللتشغيب عليه وذلك من التجسس المنهي عنه شرعا ومنها ان يكون العلم المسؤول عنه معلوما للمسؤول مأثورا عنده فان كان المسؤول مجتهدا فطريق علمه بالمسؤول عنه ظهور ادلته لديه وان كان مقلدا فطريق علمه به ان يكون له به نقل عن ايمة المذهب الذي قلده وبدون ذلك لا يجب الجواب دل على هذا ما ورد في حديث ابن ماجة عن ابي هريرة ما من رجل يحفظ علما فيكتمه الخ وقد سئل مالك رحمه الله عن اربعين مسالة فاجاب في ست وثلاثين منها بلا أدري . وقال القرافي في الفرق ٧٨ للعالم احوال : الاولى ان يكون مقتصرا على علم بعض مختصرات المذهب فلا يفتي بما فيها الا اذا تحقق انها مستوفية لما في المسالة من قيود ونحوها فيفتي بما فيها من غير زيادة ولا نقص بان يكون عين الواقعة المسؤول عنها لا انها تشبهها فلا يخرج عليها لانه قد يكون بين النظيرين فروق تمنع من الالحاق فيجب عليه الوقف الحالة الثانية ان يتسع تحصيله في المذهب بحيث يطلع على تقييد المطلقات وتخصيص العمومات ولكنه لم يضبط مدارك امامه ضبطا متقنا فهذا يجوز له ان يفتي بجميع ما ينقله اتباعا لمشهور المذهب فاذا نزلت واقعة ليست مما يعرفه فلا يخرجها على نظائرها من محفوظاته ولا يقول هذه تشبه المسالة الفلانية لان ذلك انما يصح ممن احاط بمدارك امامه وادلته واقيسته وعلله . الحالة الثالثة ان يستكمل شروط التخريج والاحاطة بمدارك امامه مع الديانة الوازعة والعدالة المتمكنة فهذا يجوز له ان يفتي في مذهبه بطريق النقل وطريق التخريج هذا حاصل كلامه وسلمه له ابن الشاط

ومنها ان لا يكون في العلماء من هو اضلع منه بتلك المسالة واقدر على الجواب واتقن وقد قال ابو موسى الاشعري لا تسألوني ما دام هذا الحبر بين اظهركم (يعني عبد الله بن مسعود)

ومنها ان يكون قصد السائل الاستفادة دون إثارة الشغب ولذلك أمر عمر بضرب صبيغ الذي كان يسال اهل العلم عن متشابهات القرآن قال القرطبي وكذلك لا يجوز تعليم المبتدع الجدال والحجاج ليجادل به اهل الحق ومنها ان يكون المسؤول واثقا بمرتبته العلمية واضعا نفسه حيث وضعه الله تعالى بحيث يشهد له الناس بالعلم ويظن بنفسه الاصابة فيما يسال عنه الا احتمالا مرجوحا قال مالك رحمه الله لا ينبغي للعالم ان يفتي حتى يراه الناس اهلا لذلك ويرى هو نفسه اهلا لذلك .

ومنها ان لا يكون الجواب عن المسالة يثير فتنة لقصور الناس عن ادراك امثالها ولم يزل الايمة

التـآليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف من التآليف وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيـخ
محمد عبد الحي الكتاني الشريـف

« ٤ »

حرف الميـم

مولد السيد مرتضى هو الشيخ الصالح الصوفي السيد محمد مرتضى ابن اخي الامير عبد القادر الجزائري الشامي المتوفى عام ١٣٢٢ له مولد مشهـور اوله احمده تعلى على ما انعم به علينا واولاه طبع بالشام عام ١٣٢٦

« مولد المغربي » هو العالم الصالح الشيخ محمد المغربي دفين اللاذقية بالشام اوله الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله الخ في المكتبة الكتانية منه نسخة نفيسة بخط السيد محمد بن

يجتنبون الخوض في دقائق العلم بين العامة ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس عن عبد الرحمان بن عوف انه قال له لو رأيت رجلا اتى عمر بن الخطاب في ءاخر حجة حجها فقال يا امير المؤمنين هل لك في فلان يقول لو قد مات عمر لابايعن فلانا فما كانت بيعـة ابي بكـر الا فلتـة فتمت فغضب عمر ثم قال اني لقائم ان شاء الله العشية في الناس فمحذرهم فقلت يا اميـر المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم فانهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس وانا أخشى ان تقوم فتقول مقالة فيطيروها عنك كل مطير وان لا يعوها وان لا يضعوها على مواضعها فامهل حتى تقدم المدينة فانها دار السنة فتخلص باهل الفقه واشراف الناس فتقول ما قلت متمكنا فيعي اهل العلم مقالتك ويضعوها على مواضعها فقال عمر اما والله ان شاء الله لا قومن بذلك اول مقام اقومه بالمدينة اه وقد حدثت في خلافة المامون فتنة الخوض في ان القرءان مخلوق والقيت الاسئلة على كثير من اهل العلم فكان منهم من ابى الجواب ومن هؤلاء الامام احمد بن حنبل وقد ضـرب ليجيب فابى الجواب وما كان ذلك جهلا منه بالفصل بين الموصوف بالمخلوق والموصوف بالقديم ولكنه علم ان المقصود الفتنة ليتخذوا كلامه وسيلة لتاييد البدعة ولما دخل محمد بن اسماعيل البخاري لنيسابور سالوه عن رأيه في القرآن أهو مخلوق فابى ان يجيب ثلاثا وقال الامتحان بدعة ثم لما ألحوا عليه أجاب بكلام موجه فابايته الجواب ابتداء لا تعد من كتم العلم المنهي عنه لانه علم ان المقصود الفتنة والتشغيب وقد جاء رجل يسال مالكا بن انس رحمه الله عن قوله تعلى الرحمان على العرش استوى فقال لـه السؤال عن هذا بدعة ولا اراك الا صاحب بدعة وامر باخراجه من مجلسه فاخرجوه معنفا

هذا ما لاح في الاعلام بمعنى هذا الحديث وبه يتميز السمين من الغثيث قاله محمـد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

مصطفى العجاب تم نسخها عام ١٢٦٥ وقد قال عن هذا المولد الشيخ النبهاني هو من ابلغ وافضل المواليد وقد جمع الشيخ فيه بين روايات المحدثين وعبارات الصوفية المحققين

« مولد الشيخ محمود » بن محفوظ الدمشقي الشافعي وهو منظوم طبع بالمطبعة الخيرية ص ١٢ أوله ❁ حمدا لرب خالق الاكوان ❁

« مولد الحجاجي » هو الشيخ عبد الحافظ الحجاجي المصري مفتي مديرية الغربية بالقطر المصري سابقا له مولد اوله الحمد لله الذي خلق من نوره الافخم نور عبده وحبيبه الخ وهو مشتمل على فصول ١٢ وخاتمة طبع بالمطبعة الحميدية المصرية عام ١٣١٦

« مولد محمد المنير » رايت من عزا له مولدا وكأن المراد به العالم الصوفي الشمس محمد المنير المترجم في عجائب الاثر للجبرتي ورحلة ابن عبد السلام الناصري

« مولد محمد العربي » هو محمد بن حمزة العربي الواعظ له مولد ذكره له في كشف الظنون

« مولد الحنش » هو شاعر فاس ابو العلاء ادريس بن علي السناني الغرباوي الفاسي المتوفى بها عام ١٣٢٢ كان ماهرا في الملحون والموزون شعره في كل منهما في مجلد ، له مولد ملحون عجيب السياق يحفظه الناس

« مولد بربري » باللغة البربرية سمعت البربر يسردونه بلغتهم وهو اذا ترجم آية

«مولد ازكى المخلوقات » اتى محمد خير الدين الميقاتي الجاوي كل شطر بمفرده تاريخا هجريا لعام ١٣٢٦ تبركا بوصول الخط الحديدي الحجازي الحميدي الى المدينة المنورة وابتهاجا بجعل الحكومة شورى اوله نحمدك اللهم يا من امد هذه الكائنات بنور سيد الموجودات ذكر في طالعته انه لما كان من اجل العادات تلاوة قصة المولد تبركا باشراق سناء هذا الدين قد بادرت عندما استفزني الطرب بقرب انتهاء الخط الحجازي ان اتشرف بنظم مولد شريف يحتوي على مائة واربعة وثلاثين تاريخا هجريا بعضها باعتبار اللفظ وبعضها باعتبار الرسم توسعا بصحة المذهبين اوله

احمد رب الخلق مولانا القديم   جل قدرا يرتقى فوق الدوام

١٨٤ ١٢٨ ٧٠٦ ٢٠٢ ٥٢   ٨٧ ١٨٦ ٧٢٠ ٣٠٥ ٣٣

وهو شكل غريب في الموالد وقد طبع بالمطبعة الاهلية ببيروت عام ١٢٢٦ — في ص ١٦ مذيلا بتقاريض جماعة نعرفهم من ادباء طرابلس الشام كالنقيب السيد عبد الفتاح الزعبي لقيته ببيروت عام ١٣٢٤ والشيخ عبد المجيد المغربي لقيته بطرابلس عام ١٣٥١

« المقامات العلية » في النشأة الفخيمة النبوية للشيخ محمود بن محمد احمد خطاب السبكي المصري شارح سنن ابي داود المتوفى عام ١٣٥١ — اوله الحمد لله الذي جعل الاب ابنا والابن ابا والسابق لاحقا واللاحق سابقا ولا عجب طبع بمطبعة السعادة المصرية في صفحات ١٤٤

« مولد البديري » هو المحدث المسند الصوفي ابو حامد محمد بن محمد البديري الدمياطي الشافعي سماه اظهار السرور بمولد النبيء المسرور اتمه عام ١١٥٦ بمكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية منه نسخة أتمها كاتبها عام ١١٥٣

« مولد ابن عبد المتعال » هو الشمس محمد بن رجب بن عبد المتعال بن موسى بن احمد الحسيني الشافعي في مكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية منه نسخة

« مولد الجارم هو ابو اسحاق ابرهيم الجارم الرشيدي له مولد مخطوط كتب عام ١٢٨٤

« مولد البنا » هو العلامة الصوفي المسند الشيخ محمد بن صالح البنا الرشيدي الاسكندري مفتيها اتمه عام ١٢٦٩ — منه نسخة في المكتبة اعلاه كتبت عام ١٢٩٣

« مولد الابياري » هو العلامة قاضي ثغر الاسكندرية ابو زيد عبد الرحمان الابياري سماه القلادة السنية في المولد الشريف والاجداد المحمدية طبع ببولاق ١٣١٥ — في حياة المؤلف

« مولد ابن عقيلة » المكي هو العلامة المحدث المسند الرحال الشمس محمد بن احمد ابن عقيلة المكي المتوفى سنة ١١٤٣ — له مولد أسماه (مولد البشير النذير والسراج المنير) طبع بمصر عام ١٣٠٧

« مدارج الصعود » الى اكتساء البرود انظر مولد البرزنجي

« موعد الكرام » انظر الجعبري في حرف الجيم

« مواكب الربيع في مولد الشفيع » لنادرة المتاخرين المصريين الشهاب احمد بن اسماعيل الحلواني الدمياطي المتوفى عام ١٣٠٨ — هذا المولد هو اكبر مواليد المتأخرين جرما واوسعها علما واجودها بحثا اوله الحمد لله الذي فتح اقفال كنز الوجود. ورتبه على مواكب بحيث لكل ليلة من ليالي المولد الشريف موكب نبوي الموكب الاول في بيان ما في الآيتين ءاخر براءة من الرقائق الثاني في اولية خلق النور المحمدي وقد طبع بمصر في قريب من ثلاثمائة صحيفة بالحروف الدقيقة

« المنظر البهي » في طالع مولد النبي وما يتبعه من اعمال المولد وحكم القيام عند ذكر مولده عليه السلام للعالم الصوفي الشيخ محمد بن خليل الهجرسي الازهري المصري المدني الشافعي وهي رسالة نفيسة اولها حمدا لمن من على هذا الوجود بانفس النفائس المودعة في خزائن الجود ذكر ان الحامل له على جمعه سؤال لبعض السادة من ءال باعلوي عن تعيين الطالع الذي ولد فيه صاحب النور الساطع وما هو الكوكب الذي قارنه بدور بدره وباي منزل كان وقته لتعرف حقيقة امره وهي مطبوعة بالمطبعة العلمية بمصر عام ١٢١٢ في صفحات ١٨

« مورد الصفا » في مولد المصطفى لمفخرة الحجاز وعلامته في القرن الحادي عشر الشمس محمد علي بن علان الصديقي المكي المتوفى بمكة عام ١٠٥٩ — وهو شارح الاذكار ورياض الصالحين وغيرهما اوله احمد من اجرى بحار ألطافه فكانت مورد اللطف جاء في طالعته جمت في مولده احسن

٢٢

مجموع فجاء جمعا صحيحا سالما وهـذا الشرف المجموع وهو احسن مولد ينبغي اشهاره من جهة الاسناد والتخريج والاختصار والافادة وهو في نحو ثلاثة كراريس اتمه مؤلفه جبل ابي قبيس من مكة ١٠٣٩

« مورد الصادي » في مولد الهادي للحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقي في كراسة ذكره له السخاوي في الضوء وغيره ولم اقف عليه

« المولد المروي » في المولد النبوي لعالم مكة ابي الحسن علي بن سلطان القاري المكي الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ شارح المشكاة والشمائل والشفاء ذكره صاحب كشف الظنون في المكتبة السلطانية بمصر نسخة منه اوله الحمد لله الازلي الابدي على ما اضاء النور الاحمدي وهو في نحو ثلاثة كراريس

« المورد الروي » في المولد النبوي للعالم العارف الكبير الشيخ مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي المصري المتوفى عام ١١٦٢ـ لم اقف عليه وانما وقفت على اختصاره انظر حرف الواو

« المورد البهي » في المولد النبوي لحافظ الدنيا الامام عبد الرحيم بن الحسين العراقي الاثري المصري المتوفى بمصر عام ٨٠٦ في المكتبة الكتانية منه قطعة اولها الباب السادس في تاريخ ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ثم الباب السابع في المكان الذي ولد فيه ثم الباب الثامن في تسميته بمحمد واحمد ثم الباب التاسع فيما ظهر من الآيات لمولده عليه السلام ثم الباب العاشر في رضاعه وما ظهر لذلك وما يتصل بذلك من شق الصدر وهذه القطعة منه هي بخط احمد بن ابراهيم الخطابي اكملها سنة ٨٦٨ وهـذا المولد من النفائس المستجادة لكونه بقلم هذا الحافظ الكبير ولانه من ءاخر موالد اهل القرون الوسطى رايناه يعتمد على سياق الاحاديث باسانيدها فهو من الموالد التي يتعين السعي في نشرها بالطبع ليعم الانتفاع بها وليلجم الذي يصرح بان كل المواليد مملوءة بالخرافات والقصص فوجود اخبارها مسندة بقلم الحفاظ الكبار مقنع ولجام لاصحاب الزيغ والروغان

« الموارد البهية » في مولد خير البرية لمؤرخ المدينة المنورة ومسندها وعالمها الامام ابي الحسن علي نور الدين السعودي الشافعي المتوفى ٩١١ — اوله الحمد لله الذي اطلق في أفق الجلالة نور الوجود الخ وهو مطبوع بالاستانة وهو من المواليد الجيدة الجديرة بالاعتناء

تنبيه

جاء في الجزء الاول صحيفة ١١ سطر ٢١ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وصوابه والمنكر باسقاط البغي

الفتاوى والاحكام

ليلة القدر

ارسل الينا حضرة العالم المصلح الكبير الشيخ محمد الحجوي وزير المعارف بالدولة المغربية سابقا بنص السؤال والجواب الآتيين . ونحن ننشرهما مقدرين له علمه وفضله :

سئل كاتبه المعترف بقصوره ونص السؤال

هل ليلة القدر التي هي خير من الف شهر خاصة بهذه الامة المحمدية . وهل تنتقل في السنة كلها ام لا . وما وجه قيام الناس في رمضان باحياء الليالي الاوتار من العشر الاواخر كلها فهل لذلك اصل . وما هو المرجح من حيث الدليل في امرها

اجيبوا مأجورين أجر من قام بواجب تبليغ العلم والدين وتنشرونه في نشرة يعم نفعها بين المسلمين . والله يبقيكم للدين واهله

الجواب :

ان ليلة القدر قد حكى فيها الحافظ ابن حجر في فتح الباري اقوالا كثيرة تنتهي الى ٤٨٠ قولا . ولكنها عند التمحيص بالغربلة الفنية لا يستقيم الدليل الذي له وجه من النظر في الجملة لعشرها . وتتبع ذلك يطول . ويعلمه من له المام بصنعتي الحديث والاصول

وبوجه الاختصار ان كل قول بكونها تدور في السنة او تقع خارج رمضان مناقض في نظر ظاهر القرآن . قال الله عز وجل :

(انا انزلناه في ليلة القدر) وقال (شهر رمضان الذي انزل فيه القرءان) فالاولى نصت على ان القرءان انزل ليلة القدر . والثانية نصت على ان القرءان انزل في رمضان . وبضم مدلوليهما ينتج ان ليلة القدر في رمضان ولم يبق التفات الى كل ما يخالف ذلك من الاقوال واسترحنا من هوسه ولا سيما عند المالكية الذين من اصول مذهبهم تقديم ظاهر القرءان حتى على الحديث الصحيح الصريح

ان هذا الدليل وان لم اقف الآن على من نص عليه . فسلفي فيه علي كرم الله وجهه الذي ركب ءايتين وهما (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين) و (حمله وفصاله ثلاثون شهرا) فاستنتج منهما ان اقل الحمل ستة اشهر ويسميه الاصوليون دلالة الاقتران . وهو استخراج مدلول من مجموع دليلين لا يستقل به واحد منهما . فان قلت ان القرءان تكلم على فرد من كلي وهو ليلة

معينة نزل فيها القرءان وكلامنا في الليالي بعدها . الجواب ان بمثل هـذه الابحاث الفارغـة والفلسفة البيزانطية ضخم الفقه وصعب فانتشر الجهل ، وان تخصيص الآية بليلة معينة وقصر الفضل عليها لابد له من مخصص ، وان الاصل ان ما جرى على تلك الليلة يجري على غيرها قياسا او نصا ولو عملنا بهذه الفسلسفة لما وجب صيام غير ذلك الرمضان المعين

ثم انا تصفحنا احاديث الصحيحين اللذين هما عمدة الدين ، فوجدناها دائرة على ان ليلة القدر تلتمس في العشر الاواخر من رمضان . ولم نجد بهما حديثا مرفوعا مصرحا بانها في غيرها وذلك كاف في ضعف ما سوى ذلك من الاقوال

منها حديث أبي بن كعب في مسلم انها ليلة سبع وعشرين . ولكن بتأمله يظهر ان القدر المرفوع منه انه صلى الله عليه وسلم وقع له تعيينها ليلة سبع وعشرين والسياق يدل ان ذلك كان في سنة من السنين وليس هو دائما في كل سنة ولا في المرفوع من الحديث ما يدل له وان فهمه الراوي ومنها حديث عبد الله بن أنيس في مسلم انها ليلة ثلاث وعشرين ومنها حديث ابي سعيد الخدري في الصحيحين انها ليلة احدى وعشرين ثم ان حديث ابي بن كعب جعل لها علامة وهي طلوع الشمس بيضاء نقية وحديثا ابن انيس وابي سعيد جعلا علامتها نزول المطر . وهاتان العلامتان لا يمكن عادة اطرادهما . في كل ليلة سبع وعشرين واحدى وعشرين وثلاث وعشرين اذ ظهور قرص الشمس دون غيم ونزول المطر قد يكون في تلك الليـالي وقد لا يكون لتبدل الفصول في السنة القمرية مع اختلاف الاقطار والشريعة عامة فادعاء اطرادهما يخالف المحسوس ويرده المعقول وليلـة القدر لا بد منها كل سنة وذلك كاف في خطإ من عينها في واحدة من الليالي الثلاث خاصة بها كل سنة ووجب علينا عـدم تقليد ذلك الاجتهاد والاقتصار على القدر المرفوع من الاحاديث الثلاثة . وانها وقعت معينة زمن النبي ص في سنة بسبع وعشرين وجعلت لها تلك السنة علامة خاصة لتلك السنة بوحي منامي او غيره كما وقعت سنة اخرى في ليلة ثلاث وعشرين وفي اخرى في ليلة احدى وعشرين وجعلت لهما علامة خاصة بالسنتين وهي المطر ولا يلزم اطراد ذلك كل سنة .

ثم نظرنا في الصحيحين فوجدنا في بعضهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف في العشر الاول راجيا مصادفتها ، ثم اعتكف في العشر الثانية فقيل له ان الذي تطلبه امامك . فاعتكف في العشر الثالثة . وكان ذلك ءاخر ما عمل . فعلمنا انها فيها وانها تنتقل فيها خاصة .

كما اننا وجدنا في الصحيح ارقبوها في العشر الاواخر في الوتر ، فقلنا انها في الوتر ارجى من الشفع . وان ورد في الصحيح ما يدل على انها تكون في ليلـة اربع وعشرين ووجدنا ابا سعيد فسر حديثه في بعض روايات مسلم بما يقتضي انهـا ليلـة اثنتين وعشرين وذلك كله لا يخرجها عن العشر الاواخر .

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية سابقا

سؤال : هل الدين فوق العقل والعلم كما يقول غيرنا (غير المسلمين) او العقل والعلم فوق الدين فيؤدي الى التحسين والتقبيح العقليين وهو مذهب اعتزالي

لقد اشكلت علينا اصول وفروع في الشريعة الاسلامية المطهرة فمنها ما يقتضي ان الشرع المحمدي مبني على الاصل الاول ومنها ما يقتضى انه مبني على الثاني اجيبوا مأجورين

إن هذا السؤال رفع الي في السنة الفارطة وكنت اجبت عنه في محاضرة القيت ملخصها بمكناس اول قعدة الحرام ١٣٥٤

وكانت تلك المحاضرة تأليفا في اكثر من ثمانين صفحة فرايت الآن ان الخصها هنا وفقا لرغبة من رغبوا في ذلك مع تصرف بزيادة ونقص يسير وتغيير اسلوب . فاقول ان هذه مسالة من أهم

فبهذا عندي يمكن الجمع بين الاحاديث الصحيحة كلها والغاء ما سواها . وفك المعضلة وينعدم الخلاف الذي هو شر على الدين ❁ اما حصرها في العشر فتخفيف من الشارع ورأفة بالضعفاء ومن لا يقدر على احياء السنة كلها : اذ لو كانت تدور فيها لما حصل ادراكها الا بقيام ثلاثمائة ليلة ونيف وخمسين . على ان بعض الليالي قد نهينا عن قيامها ولن يشاد الدين احد الا غلبه . وقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الفقهاء بقوله انما بعثتم ميسرين . وبهذا تبين مستند احياء الليالي الاوتار الخمس . واعتمدوا في زيادة الاعتناء بليلة السابع والعشرين على حديث ابي بن كعب الذي كان يقسم اجتهادا منه انها فيها وجلالته علما ودينا تعلمونها من ترجمته ❁ اما ليلة القدر فليست خاصة بهذه الامة لحديث النساءي عن ابي ذر مرفوعا الدال على انها للانبياء واممهم . وهو يضعف بلاغ الموطا ان النبي صلى الله عليه وسلم تقاصر اعمار امته عن اعمار الامم الماضية فاعطي ليلة القدر ❁ هذا ما عن لهذا القاصر في جوابكم فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني وعذري الاستعجال وكثرة الاشغال

ولا بد ان ازيد على السؤال . ان ما يقع من اسراج المساجد بدعة . وان اجتماع الناس لما سوى الصلاة والعبادة برفع الاصوات بل والتجاهر بالمنكرات يجب تغييره . لانها بيوت اذن الله ان ترفع . وخير امور الدين ما كان سنة . وشر الامور المحدثات البدايع .

حرره بالرباط في ٦ رمضان ١٣٥٦ خادم السنة
محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري

مسائل الدين والاجتماع بل من المشكلات التي يهم عموم المسلمين في سائر المعمور حلها وعنها وبها يحصل حل معضلة من معضلات المدنية العصرية

فلقت وقفت على مقالات منشورة في مجلات وجرائد الاسلام بالشرق والغرب تلوح على سيماها الحيرة قائلة كيف ان الاسلام لما بلغ من الكثرة والانتشار على بسيطة الاراضي الغنية المتصلة من اقصى الشرق الى اقصى الغرب في ءاسيا وافريقيا وفي غيرهما حتى ناهز الاربعمائة مليون عند ذلك ظهر ضعفه ومرج امره وصار عالة على غيره ولحقه من الهوان ما لم يلحق اي امة اخرى قبله ولو امة اسرائيل الضعيفة

ان امة اسرائيل لها عذر القلة والتشتت في بقاع المعمور اما الاسلام فبخلاف ذلك كله فلا عذر له بل امة اسرائيل طمعت الآن ان تكون من جملة فاتحيه ومستعمري بقاعه المقدسة

وكثير من اصحاب تلك المقالات يصرح او يشير الى ان لا سبب لذلك سوى التمسك بالدين المخالف للعقل والعلم، وممن صرح بذلك مؤلف كتاب (مصطفى كمال) «١» الذي طعن الدين في الصميم بل جميع الاديان وشنع على اصوله بانها غير موافقة للمعقول بل هي ضد العقل وضد العلم وعلى فروعه بانها ضد مصلحة الامة وضد الترقي والتطور وانما هي جمود على عادات العرب الصحراويين وعقليتهم التي لا توافق اذواق الامم الاسلامية الراقية سواهم

وانهم اتوا بدين موافق لذوقهم الفاسد (في ظنه) وعوائدهم المبنية على مألوفات الصحراء وعلى التوحش وفرضوها فرضا على كل من دخل في دينهم طوعا او كرها من الامم العريقة في المدنية . كما طعن في سائر النبوات ولذلك رأى ان الواجب على امة تريد النهوض نبذ الدين ونبذ العقلية العربية بل الشرقية ورأى ان المدنية الحقيقية كتلة واحدة توخذ كلها باجمعها او تترك باجمعها ولا تتجزأ وأن المدنية في زعمه هي العقلية الاروبية والمدنية الغربية فتؤخذ بما فيها من معتقدات وعادات صالحة او فاسدة وتقلد تقليدا اعمى (يعني لتصير الامة لادينية) الى غير هذا مما اطال به من المطاعن التي يهتدي المبتدئون الى فسادها بمجرد ما عندهم من تعاليم ابتدائية وعلوم ضرورية في اكثر نقطها

ثم اني لم ار احداً من علماء الاسلام رد عليه ونقض ما ابرمه مع انه من ءاكد الواجبات

نعم هناك نقطتان مهمتان لا يهتدى لردهما الا من له تعمق في درس الشريعة الاسلامية واقتدار على نقد ما الصق بها مما ليس منها

«١» لم اقف على هذا الكتاب بعينه وانما وقفت على كتاب معضلات المدنية لاسماعيل مظهر طبع مصر الذي نقل ءاخر فظائع طعونه ولم يرد عليه بل يظهر عليه القبول والرضى هـ مؤلف

النقطة الاولى

كون فروع الشريعة الاسلامية غير موافقة لمصلحة الامة ولا صالحة لعموم الامم الاسلامية المختلفة الاقطار والاجوآء والعادات والافكار وهذه المسئلة سبق مني ان اشبعت القول في كثير كلياتها وجزئياتها في كتابي الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي في مواضع منه

١ ـ التمهيد الثالث اول الكتاب
٢ ـ مبحث اصل القياس واسرار التشريع } ج ١
٣ ـ تاريخ نزول بعض الاحكام كتعدد الزوجات والطلاق

٤ ـ ترجمة ابي حنيفة
٥ ـ اصول الحنفية } ج ٢

٦ ـ مبحث الاجتهاد والتقليد ج ٤

وفي كتابي ايضا تعليم الفتيات لاسفور للمرأة

ومن جملة ما يتعلق بهذا المبحث زعمه ان القرآن منعت ترجمته الى لغات الامم التي دخلت الاسلام ثم كلفت بالعمل به وذلك مخالف للمعقول وهذا صدرت مني فيه فتوى عام ١٣٥٠ طبعت في مجلة المغرب العربية بالرباط عام ١٣٥٢ بنقض فكرته وانه لا مانع من ترجمة القرآن العظيم بل تجب وجوبا كفائيا وقد اكتفيت بما سبق مني في الكتب الثلاثة المذكورة فهي كافية في الرد عليه قبل ان اسمع بوجوده

النقطة الثانية

كون الشريعة ضد العقل والعلم وانها تكلف الناس اعتقاد ما يضاد العقل وان يعملوا خلاف ما يقتضيه العلم العصري الحديث وهذه المسألة من اعوص المسائل حلا ولم اقف على من الف فيها تاليفا يتتبع فيه فروعها واصولها وياتي ببرهان واضح على نقض ما ابرمه اهل الالحاد ورد جنايتهم على الاسلام وفي نظري انه واجب على علماء الامة الاعتناء بها وتخصيصها بتأليف برهاني يزيل عن عقول الامة وعقول الناشئة الاسلامية سحب الشكوك والاوهام . لذلك تصديت في هذه المحاضرة لاقامة البراهين على حل هذه المعضلة وتبرئة الاسلام من وصمتها

ولعلك اذا امعنت النظر فيما سأورده من الادلة والبراهين على نقض هذه الشبهة واثباتنا بدليل واضح لا يقبل التشكيك انه لا يوجد في الاسلام عقيدة واحدة بل ولا فرع واحد مبني على ما يضاد العقل او يناهض العلم بل ستمر امامك ادلة «١» وبراهين لا تقبل التشكيك تبين لك نقيض

«١» اربعون دليلا

ذلك وتثبت لديك ضرورة ان الاسلام دين موافق للعقل معاضد له وانه دين العلم دين مبني على تحرير الفكر من قيد التقليد غير مضاد لشيء من قواعد العلم الصحيح الثابتة على اساس الامتحان العلمي

وبذلك يتبين لك ان مؤلف كتاب (مصطفى كمال) جاهل بدين الاسلام غير متذوق له ولا شم رائحته الحقيقية

وإنما سمع الرهبان والملحدين اضداد الاسلام يقولون شيئا فقاله تقليدا في حال انه ينكر التقليد ويعيبه

تنقيح

قبل الشروع في جواب السؤال لابد من تحديد الفاظ في السؤال وهي . الدين ، العقل ، العلم ، لئلا يبقى اجمال ويكون الجواب مطابقا

الدين

ليس المراد بالدين ما اطلق عليه في حديث البخاري ذاك جبريل جاء يعلمكم دينكم ، بل المراد اصول الدين من كتاب وسنة واجماع يعني مدلولاتها القطعية فاذا دل احد اصول الدين على مدلول دلالة قطعية ، ثم عارضها امر عقلي قطعي او علمي قام البرهان الحسي والامتحان العلمي على صحته والجزم به

العقل والعلم

ليس المراد بالعقل في السؤال جوهره اللطيف الذي به يدرك الانسان ويستنتج المجهول من المعلوم بل المراد القضايا والاحكام التي دلت البراهين العقلية على اثباتها اثباتا قطعيا لا يحتمل النقيض اما مستقلا وحده بشعوره الفطري ككون الواحد نصف الاثنين واستحالة اجتماع النقيضين او بواسطة استناده لحس او تجربة او عادة استنادا يسلمه العلم والاختبار او المشاهدة لا يمكن ان يتغير النظر في ذلك او يختلف الدليل مع طول الازمان وتغير الاحوال بحيث ان العقلاء امتحنوا ادلته امتحانا علميا قطعيا فدل الامتحان على ان الدلالة يقينية لا شك يحصل في صحتها او الغلط فيها او تغيرها بتغير الاحوال ❀ هذا المراد بالعقل والعلم في السؤال .

ولا يكفي في قطعية الدلالة ان يجيء احد فلاسفة اليونان اوالهند اوالاسلام فيما سبق او اوربا أو اميريكا الآن فيؤسس نظرية عقلية اوعلمية يجزم بانها قطعية فيتلقاها عنه تلاميذه بالقبول وتشيع في العالم مع شيوع جلالة القائل ويطبقها على جزئيات عديدة فتنطبق وتسلم من لدن جماعة وتصير(١) فقها مسلما

(١) كتولد الانسان عن القرد الذي افترضه داروين واخذه تلاميذه واعتقدوه واقعا وارادوا به هدم اسس الديانات مع أنه افتراض فقط لم يقم عليه اي دليل مدقق وكذلك انكار ماوراء الحس فقد لهج الاديون بهذه النظرية واعتقدوها قطعية ثم قامت الادلة القاطعة على اثبات الروح ومشاهدة آثارها واثبات ما وراء المادة من لدن علماء متفننين فبطلت هـ مؤلف

فليس ذلك طريق اليقين بل طريقه الامتحان العلمي امتحانا يثبت لنا القطع بما دلت عليه لا يحتمل التغير في اي وقت كان وتنطبق على جميع الجزئيات لا تشذ منها واحدة .

اذ ان الانسان كيفما كان عرضة للغلط ولا زلنا نرى كل يوم اصلاح اغلاط في قواعد الفلاسفة العظام زعموا بناءها على المشاهدة من المتقدمين والمتأخرين في الفلك والكواكب وصورها وسعتها وعدد النجوم السيارة وكيفية سيرها وابعادها ومقدارها وكيفية حركاتها بل وفي طبائع الادوية والعلاجات الطبية وغير ذلك مما هو مشاهد حتى ان الارض مع كونها كرية الشكل وقامت الادلة الحسية على ذلك ولا تقبل الخدش . قد مضى زمن طويل على علماء كانوا يعتقدون انها منبسطة حتى ساء ظننا بكل قاعدة عقلية وكل برهان فلا نسلم منه الا ما سلمه الامتحان الفني والعيان .

ولقد كان المسلمون من اول من ناقش الفلاسفة العظام ولاحظوا عليهم وصححوا اغلاطهم لان القرآن والدين ينهيانهم عن التقليد وذلك الذي جراهم على النقد النزيه والشجاعة الادبية

ثم لما جاءت امتحانات اوربا الفنية وءالاتها وصنائعها المتقنة واختراعاتها واكتشافاتها المدهشة وقربت المواصلات تأيدت فكرة الاسلام وزادت القواعد اتقانا واحكاما .

فتحرير موضوع السؤال هل القرآن او السنة المتواترة او الاجماع الصريح اذا دل واحد منها دلالة قطعية لا تحتمل النقيض على امر قد دل على نقيضه دليل عقلي قطعي او علمي بعد الامتحان وتاييد المشاهدة يقدم هو عليها او تقدم هي عليه .

اما اذا لم يتحقق شرط القطع في احد الشقين المتقابلين بحيث صار من حيز المظنون فهذا لا اشكال انه لا اعتبار بالمعارضة بل القطعي مقدم والمظنون مؤول او مفوض فيه ان كان شرعيا ومنبوذ ان كان عقليا او حسيا اذ الدليل القاطع لا يكون في مقابلته دليل صحيح فضلا عن ان يكون ظنيا فالتوازن بين القطعي والظني منبوذ عند العقلاء فمهما كان في كفة الميزان دليل قطعي الا وشالت كفة الظني بل صار لغوا باطلا او مؤولا . (يتبع)

(تنبيه) على القاري الكريم ان يتنبه الى ان القطعة المكتتبة اسفله تأخرت عن موضعها من هذا المقال بسبب مطبعي وموضعها بين قول الكاتب - ثم عارضها امر عقلي قطعي او علمي قام البرهان الحسي والامتحان العلمي على صحته والجزم به . وبين قوله « العقل والعلم »

فهذا هو الذي ينبغي ان يكون موضوع السؤال ومحط الاشكال . عند من يريد التوفيق بين الدين والفلسفة . هل يقدم الدين على العقل او العلم اوهما على الدين حيث تعارض قطعيان حينئذ .

ونزيد الموضوع ايضاحا فنقول ان الدليل الشرعي من كتاب او سنة لا يكون قطعيا الا اذا كان متواترا في كل الطبقات تنقله طبقة يستحيل تواطؤها على الكذب عادة عن مثلها الى النهاية وتكون دلالة النص صريحة لا تحتمل غير المراد ويكون الاجماع صريحا منقولا لنا بطريق التواتر ايضا .

اما اذا كان (١) الخبر آحادا او كانت دلالة المتواتر ظاهرة فقط غير قطعية او كان الاجماع سكوتيا فهذه كلها في صف المظنون . فلا تقاوم المقطوع به البرهاني او ما دل عليه الاختبار العلمي العياني فاذا تعارضت مع واحد منهما فلا خلاف أنه اذا لم يمكن الجمع فانا نرجح القطعي على الظني فنفوض او نؤول الظني بما يوافقه لان القطعي مقدم باتفاق المسلمين على الظني والقرآن ينهى عن اتباع الظن الذي يناقض اليقين قال تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا وقال تعالى (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وزعمت المعتزلة وكثير من الاشعرية ان الدلائل السمعية من كتاب وسنة لا تفيد اليقين لتوقفها على العلوم اللغوية مثلا في المفردات ٢ على النحو في المركبات وهذه العلوم انما ثبتت بنقل الآحاد عن العرب وبالاقيسة النحوية والكل ظني ٣ تتوقف على ثبوت عدم نقل تلك الالفاظ عما كانت تطلق عليه زمن النبوة ليتعين المراد ٤ على عدم الاشتراك ٥ وعدم المجاز ٦ وعدم التخصيص ٧ وعدم النسخ ٨ وعدم التقديم والتاخير والكل لا جزم بانتفائه فغايته ظن ثم بعد ذلك كله ٩ لا بد من عدم المعارض النقلي ١٠ والعقلي إذ لو وجد لقدمنا القطعي على الظني قطعا فهذه احتمالات عشرة كلها توجب نفي القطع عن الدلائل السمعية . والحق ان الادلة السمعية قد تفيد القطع بقرائن مشاهدة او متواترة تدل على انتفاء هذه الاحتمالات الوهمية كلها فانا نعلم ما هو المراد من لفظ الارض والسماء وامثالها في القرآن والسنة والتشكيك في ذلك بهذه الامور سفسطة يؤدي الى التشكيك في العلوم كلها الفلسفية وغيرها وتبطل مدلول علم التاريخ والآثار وما كتب على الاحجار وتبطل العقود والاحكام وكثيرا من علوم البشر ولوان العالم عمل بهذه الاوهام وهذه الاحتمالات والتشكيكات ما ترقت علوم البشر ولا وصل الكون لهذه الدرجة المشاهدة

ونحن نعلم ان الله تعلى نعى على من يعمل بالظن في العقائد ثم بينها في القرآن وكلفنا باعتقاد ما دل عليه القرآن وذلك دليل على انها يقين لا ظن فثبت ان الدليل السمعي قد يفيد اليقين وان هذه تشكيكات نشأت عن فلسفة غير ناضجة

---

(١) خبر الآحاد ولو اتفق عليه البخاري ومسلم غير مقطوع به بل هو مظنون على الراجح وزعم ابن الصلاح وابن حجر وغيرهما انه مقطوع به لاجماع الامة على تلقي ما فيها بالقبول وهو دليل ساقط اذ هذا اجماع سكوتي على فرض ثبوته وهو لا يفيد القطع وايضا الاجماع هو على مجموع ما فيها لا جميعه بدليل انتقاد احاديث فيهما . وتلقي الامة بالقبول لهما ليس هو ما قالوا ان خبر الواحد اذا احتفت به القرائن تصيره قطعيا على ان الاكثر من العلماء يرى ان خبر الواحد لا يفيد القطع ولو احتفت القرائن على صدقه خلافا للسبكي نعم يفيد العلم النظري عند بعض العلماء وفيه ما فيه لجواز الخطأ والنسيان والكذب على الفرد الواحد ويلزم على القول بالقطع عدم الفرق بين خبر الواحد والمتواتر فتكون ءاية الرجم التي رويت صحيحة مثل المتواتر ويلزم النسخ بالآحاد للمتواتر وصحة الصلاة بالشاذ الذي روي صحيحا وبالجملة التحقيق مذهب النووي وهو عدم افادة القطع خلافا لابن حجر وما ادعاه من الاجماع ممنوع هـ المؤلف

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

متى كان ظهور النياشين التونسية

ملخصا من كتاب العيون النرجسية في الاوسمة التونسية لمحرره

العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

« ٢ »

النيشان الحسيني

هذا النيشان الخاص بآل البيت الحسيني هو ثاني النياشين التونسية وضعا ولكنه اولها في الاعتبار فهو أرفع الاوسمة التونسية مقاما واعلاها قدرا وهو عبارة عن نيشان مستدير مرصع بالياقوت ليس به كتابة ولا اشارة ولا علامة ولا تاريخ يشعر بزمن ظهوره في الوجود يلبس حول الرقبة بحاشية مماثلة لحاشية نيشان الافتخار اخترعه المشير احمد باي في حدود سنة ١٢٥٦ الموافقة لسنة ١٨٣٩ للميلاد وكان ذلك لمقصد سياسي له يرمي لتحقيق وراثة ملك تونس في ءال البيت الحسيني وبادر لا هدائه لبعض الملوك والامراء باروبا منهم ابناء حبيبه ونصيره الملك لويز فيليب ملك الفرنسيس حتى أشتهر امره بين الدول بصفة نيشان ملوكي عائلي وهي الحالة التي وجده عليها المشير الثاني محمد باي عند جلوسه على العرش الحسيني وهذا الباي هو اول من قلد النيشان الحسيني لغير اهل البيوت الملكية والاميرية حيث البسه لوزيره مصطفى خزندار في سنة ١٢٧٣ واصدر له في ذلك ظهيرا كريما تضمن عبارة صريحة في اعتباره كواحد من ءال بيته وكان هذا الوزير قبل ذلك على وجل من سيده وربما كان لبعض اهل العلم يد عاملة في ذلك لعداوة بينه وبين الوزير ولما ءالت الدولة للمشير الثالث محمد الصادق باي اصدر في سنة ١٢٧٧ قانونا في ضبط احوال نيشان ءال البيت الحسيني فكان هذا القانون هو اول نص رسمي في ضبط متعلقات هذا الوسام لان مؤسسه المشير الاول احمد باي لم يعضده عند احداثه بقانون مسطور ومما اقتضاه الترتيب الصادقي ان النيشان الحسيني خاص بصاحب كرسي الملك وءال بيته ولسمو الباي الحق في إمناحه لنفر واحد من اعيان رعيته واصطلحوا على ان يكون هذا الفرد هو الوزير الاكبر ولسموه ان يمنحه فوق ذلك للملوك والامراء ومن نحا نحو اصحاب التيجان كرؤساء الجمهورية الفرنسوية وزيد على ذلك في الزمن الحاضر إمناحه لوزراء الخارجية بفرانسا وللوزراء المقيمين بتونس ومعلوم ان شعار هذا النيشان من

من التحف الثمينة لما احتوى عليه من الحجارة الكريمة فقد رأيت في بعض التقاييد ان النيشان الحسيني الذي صنع بعنوان الوزير خير الدين عند تصدره بمسند الوزارة الكبرى بلغت قيمته لثلاثين الف ريال وقدروا ثمن نيشان صاحب التاج الحسيني بخمسين الف ريال في مدة المولى علي باي وكل وزير عند انفصاله عن الوزارة الكبرى بالوفاة او بسبب ءاخر يسترجع منه النيشان الحسيني ولم تشذ هذه القاعدة الا مرة واحدة في ظروف استثنائية اقتضاها الحال لعهد قريب .

هنا ينتهي بنا الكلام في موضوع النيشان الحسيني ولكن قبل التنقل منه لحديث بقية الاوسمة التونسية نرى من الفائدة الاشارة لشيء عرضي له علاقة بنيشان ءال البيت وصورة ذلك ان الدولة التونسية لما خضعت في سنة ١٢٨٦ للرقابة الاجنبية على ماليتها من لدن دول فرنسا وانكلتيره وايطاليا صيانة لحقوق اصحاب الديون التونسية كان في جملة الضرائب التي تولى الكمسيون المالي ادارة شئونها الاداء الموظف على التانبر الخاص بالعقود والالتزامات وكان التانبر قبل ذلك عبارة عن ورقة لطيفة خضراء توضع بلصاق فوق الرسوم فاعتاضوا عنها بصنع كاغذ متنبر خاص لا يجوز كتب الصكوك والعقود في غيره وجعلوا لهذا الكاغذ علامة دولية بشكل النيشان الحسيني ودام ذلك مدة من السنين تناولت الاعوام الاولى من عصر الحماية فلما تم استهلاك الاوراق الموجودة من ذلك ووقع تعديل اداء التانبر بتعريفة جديدة اقتضاها نظام المعاوم النسبي على ما يكتب من الصكوك وضعوا اوراقا متنبرة بطابع رسموا بوسطه شعار الملك يعني الطغراء الحسينية (خبشه) وحولها بالقلم الفرنساوي عبارة « العمالة التونسية ـ الحماية الفرنساوية » ولا عيب في هذه التنابر الجديدة سوى خلوها عن لغة اهل البلاد وكان الشان تطريتها بكلمة او كلمتين بالعربية قياسا على تنابر البوسطة المتضمنة عبارة « البوسطة التونسية » بالقلم العربي لان التونسي لين الجانب رقيق الحاشية يقنع حتى بالوصال الملفق

نيشان عهد الامان

هذا النيشان العالي هو الثالث في الوضع وفي الاعتبار بعد النيشان الحسيني ونيشان العهد المرصع الذي سياتي ذكره احدثه المشير محمد الصادق باي في سنة ١٢٧٦ تذكارا لتراتيب عهد الامان التي سنها اخوه المشير محمد باي وعاقه اجله عن تنفيذها وهذا الوسام كان يلبس بالطوق كما ترى ذلك باحد رسوم صاحبه بالقاعة الكبرى بباردو المعمور ثم جعل لبسه فوق الصدر لجهة اليسار ومعه شريط من المرعز الابيض موشى الحواشي يلبس فوق الكتف الايمن متدليا نحو الخاصرة اليسرى وكتب فوق شعار النيشان بالترصيع لفظ « محمد » وحوله عبارة «عرض الصادق امانة» (١) ولقد استغرغ هذا الرمز

---

(١) عملا بالقاعدة التي سنها المشير احمد باي من ان صاحب الكرسي الحسيني يرسم اسمه الشريف مكان اسم سلفه فوق نيشان الافتخار جرى العمل بمثل ذلك فيما يخص بقية النياشين

مداد المحابر وحفت من اجله اسنة الاقلام في اوساط المستعربين الذين يدعون معرفة القراءة فيما بين السطور يعني فهم اسرار التراكيب العربية وذهبوا في تاويل تلك العبارة كل مذهب ودار حديثها يوما بحضوري في مجلس الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور منشي ظهير نيشان عهد الامان المشتمل على الرمز المشار اليه فقال انه تورية وحسب . ولا يطوي من الغموض شيئا . ولما احدث المشير محمد الصادق باي هذا الوسام تقلده وقلده لولي عهده ولوزيره الاكبر مصطفى خزندار ثم للوزير خير الدين ووضع له ترتيبا تضمن حصره في عدد قليل من الذوات ولم يتكرم به في سنته الاولى على غير من ذكر لكنه قلده في العام التالي (١٢٧٧) في موكب حفيل للمستعرب مسيو ليون روش قنصل فرنسا بتونس بعد رجوع سموه من رحلته للسلام على الانبراطور نابليون الثالث بعاصمة الجزائر ثم منحه في سنة ١٢٩٠ لبقية الوزراء التونسيين ثم لبعض المستشارين بالدولة التونسية وءاخر من تقلده في الدولة الصادقية قنصل فرنسا مسيو رسطان اثر امضاء عقدة الحماية .

وفي الازمنة المتأخرة وقع التوسع في امناح عهد الامان حيث وقع تقليده للكاتب العام ولكثير من المأمورين الساميين عند مبارحتهم للخدمة كالمديرين العموميين والجنرالات وزراء الحرب بالدولة التونسية وممن تقلد هذا النيشان العالي من مشاهير المسلمين غير التونسيين الوزير السيد قدور بن غبريط رئيس جمعية احباس الحرمين الشريفين ومدير المعهد الاسلامي بباريس البسه اياه المولى محمد الحبيب باي تنشيطا لعزائمه ومكافاة لنصحه واخلاصه في سبيل ما انقطع اليه من المساعي الجليلة العائدة بالنفع على مسلمي الشمال الافريقي كتسهيل اسباب الحج واحداث المسجد والمعهد الاسلامي بباريس ومستشفى ومقبرة اسلامية بها وغير ذلك وبديهي ان الوزراء المقيمين يتحفهم سمو الباي بنيشان عهد الامان ويكون ذلك بعد انقضاء بعض شهور من تقليدهم الصنف الاكبر من نيشان الافتخار وهذا يمنحونه اياهم عند تقديم اوراق اعتماداتهم لسمو الباي يوم قدومهم لتونس وقد اتفق تقليد النيشانين معا في ءان واحد كما جاد به سيدنا ومولانا المعظم يوم انتصاب فخامة المقيم العام الحالي

نيشان العهد المرصع

هذا النيشان فرع لعهد الامان ولكنه فاق اصله لانه اعلى منه منزلة حيث كانت درجته في الاعتبار بعد النيشان الحسيني احدثه المشير محمد الصادق باي في ثاني شوال ١٢٩١ والمشهور ان ذلك كان

التونسية بحيث ان العبارة المرموز بها لعهد الامان لم تبق كما وضعها مبتكرها المشير محمد الصادق باي حيث صاروا يضعون بقلب الدائرة اسم الباي المتولي مكان لفظ « محمد » ويكتبون حوله عبارة « عرض الباي امانه » عوض العبارة الاصلية التي هي « عرض الصادق امانه » ومن الجدير بلفت النظر رجاء ان يتداركه اهل النظر التحريف المشتملة عليه العبارة الجديدة فان نياشين عهد الامان والعهد المرصع المصنوعة في السنين الاخيرة بمعمل الصائغ الاسرائيلي المكلف بصوغها اسقط منها في لفظ الباي اداة التعريف والنكرة لا تناسب المقام المنيف .

بمساعي وزير البحر مصطفى بن اسماعيل ليجعل نفسه في صعيد واحد مع الوزير خير الدين حيث كان لبس هذا النيشان خاصا بالوزراء بدون تمييز ويستفاد من الرائد التونسي ان سمو الباي تفضل بهذا الوسام الرفيع اثناء موكب يوم ثاني عيد الفطر يعني يوم احداثه على كل من الوزير الاكبر خير الدين ووزير الحرب رستم ووزير القلم الشيخ محمد العزيز بو عتور ووزير الاستشارة محمد خزندار ووزير البحر مصطفى بن اسماعيل والوزير حسين مستشار المعارف وهذه النياشين الستة تكلفت يومئذ على خزينة الدولة بعشرين الف ريال ومائة وخمسين ريالا

واعلم ان نيشان العهد المرصع بيضي الشكل يلبس بالطوق وهو اجمل النياشين التونسية باتفاق اصحاب الذوق السليم وقد اقتضى ظهير تاسيسه تخصيصه بالوزراء كما سبقت الاشارة لذلك ولكن لسمو الباي تقليده لمن يشاء من ءال بيته ولا سيما ولي العهد وقد اتفق تقليده لبعض الملوك كملك اسبانيا جلالة الفونس الثالث عشر قبل خلعه وتقليده للوزراء المقيمين امر بديهي لان المقيم العام بتونس هو وزير للخارجية في تونس بطريق الاصالة بل وقد تفضل به المولى محمد الحبيب باي على زوجة الوزير المقيم مسيو لوسيان سان عند مبارحتهما للمملكة التونسية في ١٣٤٧ ومن حسن عهدها وسلامة ذوقها انها تطوقت به عند قبول زوجها لرجال البعثة التونسية التي يممت رباط الفتح في سنة ١٣٤٩ وصرحت بانها فعلت ذلك مجاملة واكراما لاهل ذلك الوفد التونسي وكنت من اعضائه فشكرت لها سعيها من اجل تلك العاطفة الشريفة ولا يجوز ان نغفل عن الاشارة لكون الوزير المفوض مسيو تياري كاتب الدولة العام ومعتمد السفارة الفرنساوية بتونس سابقا كان محرزا على هذا الوسام العالي ومثله احد اسلافه بالكتابة العامة ونعني به الوزير المفوض المستعرب مسيو روا قلده اياه المولى محمد الناصر باي جزاء اخلاصه وولائه للبيت الحسيني

ومن اصول العهد المرصع انه لا يمنح الا لمدة العمر يلبسه صاحبه ما دام حيا هكذا ينص بظهير تقليده فاذا انقضى صاحبه استرجع النيشان من ورثته. ونختم حديث هذا الوسام بالاشارة لما تناوله من عظيم الاعتبار ورفعة المقام في نظر الخاص والعام حيث كان كفؤا لمجازاة المريشال فوش قائد الجيوش المتحالفة في الحرب العالمية اثر يوم الهدنة

هذه خلاصة حديث النياشين التونسية الاربعة وهي حسب درجتها في الاعتبار :

نيشان ءال البيت الحسيني المحدث في سنة ١٢٥٦

نيشان العهد المرصع المحدث في سنة ١٢٩١

نيشان عهد الامان المحدث في سنة ١٢٧٦

نيشان الافتخار المحدث في سنة ١٢٥٢

وبقي لنا كلام على علامات اخرى تذكارية احدثها المشير محمد الصادق باي وتعرف باسم ميدالية

في اللسان الدارج واصطلحوا على نعتها بلفظ القونة في المشرق وان كان هـذا اللفظ لا يودي معناها بالتدقيق لان الايقونة هي النصمة في كتب اللغـة والنصمة هي الصورة التي تعبد كما في القاموس والميدالية ليست مما يعبد فالمشير محمد الصادق باي ضرب ميدالية اولى مستديرة بعنـوان افتخار في سنة ١٢٨١ تذكارا لثورة علي بن غذاهم ثم ضرب ميدالية ثانية بشكل بيضي وبعنوان افتخار ايضا في عام ١٢٨٤ تذكارا لواقعة الامير العادل باي وقد انتقد اهل العقول الراجحة ومنهم المـؤرخ الشيـخ احمد بن ابي الضياف فكرة احداث هاتين الميداليتين لانهما جاءتا تذكارا لحوادث اسيفة كان من حقها ان تحاط بسياج النسيان لا سيما وان الميداليات انما جعلت تذكارا للنصر والرقي في العلوم والصناعة والاختراع لا لتخليد ذكرى الحوادث الموجعة وقد جرني البحث عن اصول هذه المسألة للكشف عن امور غريبة منها انهم ضربوا كمية وافرة من ميدالية عام ١٢٨١ بقي منها بدون استعمال اكثر من ثلاثة ءالاف ميدالية فضة استعملوها بعد زمان في ضرب سكة راس العام الجديد سنة ١٢٩٢ وقد انقرضت كافة الطبقات التي امتاز بعضها بحمل هذه الميدالية وءاخر من عرفنا من اصحابها امير الاي الخيـالة احمد سومر فلما التحق بالدار الاخرة استرجعت من ورثته تلك الميدالية واضيفت للاثار العسكرية المحفوظة بقشلة باردو هكذا سمعت من الكمندان دة تورنمير مدير الادارة المركزية للجيوش التونسية سـابقا

ولما صعد المـولى علي باي لكرسي اسلافه الاكرمين في منتصف حجـة ١٢٩٩ ضرب ميدالية بتاريخ هذا العام وجعلها في درجتين ذهبا وفضة كتب بوجهها عبـارة افتخار وبقفاها اسمه الشريف متبوعا بتاريخ عام ١٢٩٩ وفيما يعتقد المؤرخ هوكون (١) ان هذه الميدالية انمـا ضربت تذكارا لاطفاء جذوة الهرج الذي احدثه الثائر علي بن عمار بجهات جلاص وحمادة اولاد عيار اثناء احتلال العساكر الفرنسوية لتونس في عام ١٢٩٨ وزاد على ذلك قوله ان سمو الباي لم يوزع من هـذه الميدالية الا نحو العشرين نظيرا ذهبيا ونحو المايتي نظير من الفضة ثم امر بتعطيل ضرب البقيـة لان الدولة الفرنسوية احدثت يومئذ ميدالية استعمارية عنوانها « ميدالية الحملة العسكرية في عام ١٨٨١ و بما اظن ان الميدالية التي ضربها المولى علي باي لم تكن تذكارا لحركة شاركت فيها المحلة التي خرج بها في سنة ١٢٩٨ بصفته باي الامحال لتمهيد الراحة بل هي مجرد تـذكار لجلوسه على عرش الملك بدليل ضربها بتاريخ عام ١٢٩٩ الذى هو عام ولايته الملك والمحلة المشار اليها كان خروجها في العام قبله وحوادث عام ١٢٩٨ كلها تابعة لدولة سلفه الذي ادركه اجله في ءاخر شهور عام ١٢٩٩ فلا يعقل انه ينسب شيء اليه من دولة سلفه ومما افاده المؤرخ هوكون ايضا ان المولى محمد الهادي باي ضرب ميدالية تذكارية لصعوده على كرسي الملك وهذا دليل ءاخـر على صحة نظريتنا في خصوص الميدالية

(١) صاحب كتاب رموز بايات تونس وهو تاريخ جم فاوعى من احسن ما صنف في احوال الدولة الحسينية ومسيو هوكون كان مديرا للفلاحة والتجارة والاستعمار بتونس



فلسطين هذي الوغى فاثبتي

أشيدي فلسطين بالمصرع	ومن وعد بلفور لا تجزعي
ففي العرب عزم يفل القنا	ويزري على السيف والمدفع
وفي قبضة العرب سيف الهدى	ومن يعترض حده يصرع
فهذي المشارق مرتجة	تفور لنكبائك الزعزع
وهذي المغارب قد اصبحت	من الشجو مكلومة المدمع
وهذي اسود الشرى كشرت	على زرق انيابها الشرع

السابقة ولم نعلم أن المولى محمد الناصر باي سلك في ذلك مسلك سلفه وغاية ما سمعت منه انه اتخذ لنفسه وهو ولي العهد امثلة مصغرة من ميداليات عمه المشير محمد الصادق باي اما المولى محمد الحبيب باي فانه استنبط عند ولايته الملك في عام ١٣٤٠ تحفة ظريفة مرصعة بالياقوت الاحمر قريبة من شكل النيشان الحسيني ميز بها بعض برنسيسات البيت الملوكي كما ميز بها زوجة وزيره الاكبر ابي النخبة مصطفى دنقزلي ولكنه لم يتماد في هذا السبيل بحيث ان هذا الوسام الاناثي(١) لم يأخذ صبغة الاوسمة الرسمية ومات ذكره بموت صاحبه ـ وما عدا هذا فان الدولة التونسية ضربت ميداليات كثيرة في عصر الحماية لا سيما بمناسبة ترتيب المعارض الفنية وفتح المراسي كميدالية فتح مرسى تونس لسير السفن في عام ١٨٩٣ وءاخر ميدالية اخترعتها ادارة الحماية كانت في عام ١٩٣٦ بقصد تنشيط عزائم اعوان القوة العامة كاعوان البوليس وحراس السجون ومن كان على شاكلتهم

ونختم هذه النبذة بالاشارة لبعض متعلقات اصناف نيشان الافتخار واهمها الكسبات التي يلبسها في الاعياد ارباب تلك النياشين وهذه الكسبات المطرزة بسلوك الفضة المموهة بالذهب في الطوق واطراف اليدين يزاد عليها توشية الصدر والظهر بالطرز لامير الامراء والظهر فقط لامير اللواء ويستوي كافة ارباب الرتب العسكرية في حمل الكتفيات المطرزة بالعدس والكنتيل وللجميع الحق في اتخاذ سيف . ولا سيف الا ذو الفقار ولا بطل الا علي

محمد بن الخوجه

(١) لعله اقتبس هذه الفكرة من وسام الشفقة الذي اخترعه السلطان عبد الحميد خان الثاني لتمييز النساء التركيات وغيرهن

وان هبت الاسد لا تنثني وفي الخيس ظل الفتى الاروع
فمن بذ دارا وكسرى ومن دهى صرح ايوانه الارفع
ومن غادر الصيد مخذولة من الذل تمشي على اربع
صناديد قحطان لا غيرهم ووراد حوض الهدى المترع
واحلاف طه منار الورى ومن بسوى الحق لم يسطع
رعاة حمى الشرع من بعده وفرسان ذاك المدى الاوسع
اباة لدى الضيم عصم النهى حماة العشائر والاربع
فلا الموت يثني لهم عزمة اذا كرت الخيل في المجمع
ونادى صريح الوغى فيهم وشعت بروق الظبى اللمع

❀ ❀ ❀

فلسطين هذي الوغى فاثبتي وغني بلحن المنى واسجعي
فيا حبذا موتة بعدها تشاد الحياة على الاضلع
ويغدو بها ملك اخلافنا مقاما على الهام لا الادمع
ترفرف من فوقه راية تطول على الانجم السطع
فتنخس بلفور في لبه وتؤدي بصهيونه المدعي
فلسطين يا موطيء الانبيا ء من ءال قحطان او تبع
فلسطين يا قبلة الازكيا ء من قبل ذاك الحمى الامنع
ثقي اننا معشر المليـ ـن نفديك بالروح ان تقنعي
فها الشرق شاكي القنا دارع وها الغرب في جبهة الروع
مري نأتمر . فالحياة الحيا ة في رد كيد الظلوم السعي
من استنجد النار يكوي بها قلوب العقائل والرضع
وجيش بالغاز سحب الردى لتقويض ذيالك المربع
اهذا التمدن اوحى له بظلم لفرعون لم يسمع
ام الطبع قد ثار في نفسه ولما يجد عنه من مرجع
فاودى باهل الوفا غيلة وثار على عهده المقطع
اتى فعل وحش ضري رأى اسودا نياما فلم يرجع
دهتهم قذائف نيرانه عواد عن الموت لم تنزع
فهاجم بالنار مغناهم ولم يستبن غرة الاروع

الرافعي المصلح الاجتماعي

بقلم الاديب الكاتب السيد محمد الحبيب شلبي

كان الشرق في القرن الماضي رغم تدهوره السياسي والفكري – يعيش في بقية من الفضائل الاسلامية الموروثة والتقاليد التالدة المتخلفة من عصور المجد والقوة . تمسك عليه بناءه الاجتماعي على ما تطرق اليه من وهن وتحفظ له خلقه السامي النبيل على ما اعتوره من انحلال . وتضمن له حياة متجانسة متآلفة فيها اضطرام روح العصبية للدين والعشيرة وشبوب عاطفة القومية الاسلامية . واعتزاز بعصور المجد والبطولة وءاثار الملك الواسع والسلطان العريض . فكان يعيش شاعرا بذاته المستقلة وكيانه الممتاز ومكانته في التاريخ .

فلما وقعت الواقعة ورجفت الراجفة وحم القضاء وقضى الامر واصبح هذا الشرق بعد ان كان ذؤابة الشرف ومعقل المجد وموئل العزة – موطئ نعال الغربيين واضحى نهبا مقسما ومتاعا موزعا بين دول اروبا وحمى مباحاً ومهادا وطيئا لنفايات الشعوب وشذاذ الافاق . فكان ان الغرب القوي الظافر فكر وقدر – وقتل كيف قدر – فرأى انه يحكم قوما يحمي كيانهم مجد باذخ يناطح السحاب ويزاحم الجوزاء بمنكبيه وسؤدد تالد يلتمع من خلال القرون ويشع من صفحات التاريخ وابصر ان جو الشرق يعج بارواح الانبياء والحكماء والابطال والقادة والنبغاء والعباقرة فتحوطه بجلال

ومن لاذ بالجبن في امره تردى بصرف القضا المفزع

❁ ❁ ❁

ايا ناكث العهد هذي الظبي لغير الحشا منك لم تشرع
وهذي جنود الاولى خنتهم لغير رضا القدس لم تجمع
وهذا الحسيني يحدوهم بلحن بعيد الصدى مبدع
ونور الهداية في قلبه ونار الشجاعة في الاضلع
وللدهر عين ترى كل ما بهذي الوغى وفؤاد يعي
فسعيا فلسطين للنصر سعيا ومن طعنة الظلم لا تجزعي
فان كنت للفخر تواقة فجدي الى نيله اودعي

الطاهر القصار

قدسي رهيب وتبعث في ابنائه روح العظمة والعزة والطموح . وحينئذ فالدخيل لا يأمن العثار ولا يضمن الاستقرار مادام هذا الماضي الرهيب مصلتا فوق راسه كسيف القضاء يقض مضجعه ويبلبل افكاره . اذن فلتتجه الجهود لمحو هذا الماضي الحافل الشماع وطمسه وتشويهه ومسخه . ولا يتيسر لهم ذلك الا بانتهاج مسلك اخر يسخرون به الارواح بعد ان سخروا الاشباح ويحتلون العقول بعد ان احتلوا الارضين .

ونسجوا خيوط مؤامرتهم ودبروا امرهم بليل فقبضوا على ناصية التربية والتعليم ونفثوا السم في الدسم . وحجبوا الماضي الجليل عن الشباب الغرير ولقنوه قشورا من العلم وسقطا من الفلسفة لا يرفعان جهالة ولا يغنيان من الحق شيئا وانما هما مصدر حيرة وضلال وجحود ونكران . وسلبوه الخلق القومي النبيل والتربية الاسلامية القويمه وعلموه النكوص والادبار ودربوه على الخضوع والمهانة فجاء شبابا جبانا خوارا لينا متخنثا مذبذبا مغرورا . تهالكا على اللذات نكوصا عن الواجبات متهافتا على اللهو واللعب فرارا من الجهاد والنضال مولعا بالعبث والهزل ملولا من الجد والعمل ميالا الى الهدم والتقويض ضجورا من البناء والتشييد جنوحا الى الجحود والانكار عزوفا عن الاعتقاد والايمان قد سحره الغرب بزخرفه وبهرجه وفتنه بثاراته ومبادئه . فآمن به وفني فيه بقدر ما صار كفورا بماضيه الجليل ومجده الاثيل وتاريخه الحفيل مغضيا عن سير ابطاله وقادته وعظمائه ونبغائه بل يتخذ من التجديف على ماضيه والزراية باجداده مادة للتهكم والسخر وموضوعا للعبث والتنكيت ويجد في ذلك اشباعا لغروره السخيف وترفعه الوضيع وكبريائه الكاذب .

وهل يكون مع هذه الحال طموح الى سيادة ؟ او هيام بمثل عليا ؟

بل هل يكون مع هذه الروح المستخذية والنفسية الوضيعة الا الاستعباد والارهاق والذلة والمسكنة والضعة والمهانه .

وقد كانت نتيجة ذلك ان تزعزع بناؤه الاجتماعي وانخرم نظامه وفقد وحدته وتجانسه واستولت عليه حيرة نفسية مضنية وضلال فكري رهيب فاضاع فضائله الاسلامية السامية وتقاليده العربية التالدة واخلاقه الشرقية النبيلة وفترت فيه روح العزة وذهب منه خلق النضال والكفاح واصبح كبقر الجنة لا ينطح ولا يرمح . ولولا متانة الاساس الذي قامت عليه مدنيته الزاهرة وحضارته الباذخة واستعصاؤه على المعاول الهدامة والايدي المخربة لعصفت ريح الغرب السموم ببلاد الشرق الاسلامي بين عشية وضحاها

ولكن . . . مهلا ! فان بني عمك فيهم رماح .

فها هو رجل قد تمخض عنه الشرق المراع والاسلام المتفزز متحدرا من سلالة ماجدة من اصلاب اربعين قاضيا قد تفقهوا في الدين واستظهروا علوم الشريعة وحذقوا اللسان العربي المبين

واستضاؤوا بنور القرءان واهتدوا بهدى الرسول واعتبروا بتاريخ الاجداد فجاء الشبل وفيه عرق دساس لذياك الاصل الزكي ونزوع الى ذكر الحمى وشوق الى مغاني العزة ومنابت الشرف والسؤدد .

وما هو الا ان فتح عينيه على دنياه وابصر الحمى وقد استباحه الاعداء والوطن وقد عقه الابناء والمجد وقد كفر به الخلف حتى رفع راية الجهاد وشرع القلم وقذف بالحمم وتزلزل كالبركان وتدفع كالسيل الاتي لا يقف في طريقه شي .

فكان من دون التراث القومي رجما محرقا وشهابا رصدا للمارقين من الملة والخارجين على الاسلام والملحدين في الدين والمستهترين بالخلق والناكصين عن الواجب والمتجنين على الامة والزارين على التاريخ ، يقارعهم ويجالدهم وينازلهم في غير هوادة ولا فتور .

وكان للشرق في محنته الاليمة سندا ومعينا وفي فتنته العمياء مرشدا ونصوحا وفي ليله المتدجي هاديا ونبراسا ينبه الشعور البليد ويوقظ النفوس الخاملة ويحرك الهمم النائمة ويفتح العيون الوسنانة على الخطر المحدق والبلاء المحيط هاتكا الستر عن فجور المدنية واضاليلها وزيفها واكاذيبها رافعا الحجاب عن اغراض الاجنبي المتدسس في دور العلم ومعاهد الثقافة ومناصب الدولة ومن تابعه من المحسوبين على العلم المتطفلين على المعرفة والطامعين في المنافع والمغانم والجاه والالقاب البائعين الآجل بالعاجل مستبدلين الذي هو ادنى بالذي هو خير .

كاشفا عن نواياهم الخبيثة ودخائلهم النغلة ملفتا الانظار الى تراثنا القومي الجليل وما فيه من نفائس وكنوز شوهتها يد الجمود ومسختها نوازي الاطلاق والاستبداد وعبثت بها عوادي الاهمال والاغفال

موجها الاهتمام شطر الدين الحنيف وما فيه من تهذيب للنفس وسمو بالخلق وطهارة للظمير وحث على الفضيلة .

داعيا الشباب المغرور بقشور العلم المزهو بمحاكاة الغالبين السادر في غلواء اللذات والشهوات المتهافت على اوضار مدنية القرن العشرين المتملص من التبعات والواجبات الى التعمق في اسرار الدين والتحرر من ربقة التقليد والسمو عن مطالب الحيوانية الدنيئة والتحلي بخلق النبوة وخلال السلف الصالح والاضطلاع باعباء المهام الخطيرة والمطالب الجسام التي يقتضيها المجد وتطلبها السيادة وتفرضها الكرامة الوطنية المجروحة والعزة القومية المهانه . ناعيا على خلق الضعف والتأنث والتخنث والليونة والميوعه .

حاثا على التخلق بخلق الرجولة الصحيحة خلق القوة والجراءة والشهامة والاقدام والكفاح والنضال مهيبا بالامة الحائرة في مفترق الطرق . والشعب التائه في شعاب الحوادث والخطوب الى التمسك بعاداتها وتقاليدها القومية والمحافظة على مقوماتها ومميزاتها الخاصه حتى يكون لها كيان مستقل وذاتية

متميزة وشخصية قوية واضحة وحتى تستطيع اذا ادلهمت الخطوب وتتابعت الاحداث وشخصت الابصار ان ترفع صوتها عاليا بين امم الارض وشعوب المسكونة ودول العالم وتقول (انا . .)

❀ ❀ ❀

ذلك هو الرجل الذي فقده الاسلام وثكلته العروبة ورزيء فيه الشرق (مصطفى صادق الرافعي)

فيا للخطب الجلل ! ويا للرزية الفادحة ! ويا للمصيبة العظمى ! مات الرافعي ! يا لها كلمة هائلة ونبأ مريعا هلع له فؤاد كل عربي وتصدعت له كبد كل مسلم ! لقائد سقط في الميدان وهو يحمل راية الجهاد ويعد خطة الهجوم . . . وزعيم بارح منصة الزعامة وخلف التلاميذ والاتباع والانصار والاشياع في حيرة مضنية وحزن مرير وكاتب بليغ منقطع النظير طاحت به المنايا السود !

اجل !

مات الرافعي ! فاسكت صوت مجلجل من اصوات الحق ، واغمد سيف قاطع من سيوف الاسلام وطاح علم من اعلام البيان العربي مات رجل الحق ! مات رجل الواجب ! مات رجل الجهاد والكفاح ! فمن لهذا الشرق الحائر بعدك يا مصطفى ! ايه ! من لهذا الشرق الضعيف الواني العابث للاهي السادر في لذائذه النشوان برحيق المدنية الفاجرة اللعوب . . من لهذا الشرق الهادي الوادع المسالم ينفث فيه روح القوة والعظمه . روح المجد والعمل . روح البطولة والجهاد . روح الرجولة الحقة الباسلة تلك المثل العليا التي كنت تدعو اليها ببيانك القوى واسلوبك الرائع وقلمك الناري

❀ ❀ ❀

لم تكن في دعوتك المتحمسة وافكارك الجريئة وفنك العالي بالمتطفل على موائد الاغراب او المقلد لاوضاع الدخيل فيجيء انتاجك زائفا متصنعا لا نتذوقه ولا نستسيغه ولا نجد له وقعا في نفوسنا ولا هزة في شعورنا بل لا نجد له الا ربكة واضطرابا كما يفعل عبيد التقليد ودعاة التفرنج بل كنت تستمد الالهام من قلبك مستنيرا بانوار النبوة مستعينا بهدى ثلاثة عشر قرنا هي عصارة الفكر العربي الوقاد وثمرة التمدن الاسلامي الباهر فجاء ادبك اصيلا جليلا حيا نابضا يلمس منا ادق مواقع الاحساس ويحرك فينا اعمق نواحي الشعور ونحس كانه يعرب عن ذات نفوسنا ما تسر له وما تالم وما تحزن وما تفرح وما ترجمو وما تامل فهو منا والينا قطعة من صميمنا وكيف لا وهو مغترف من نبع ماضينا الزاهر وتاريخنا الحافل وآثارنا الخالدة فلا غرو بعد ذلك ان حننا له حنين الابل الظماء الى مواقع الماء ووجدنا له هزة وارتياحا وطربا وتاثيرا . ولهذا لعمرك هو الادب الحق والاثر الخالد وما اقل الادب الحق وما اندر الآثار الخالدة

ان الثلمة التي تركتها بعدك يا مصطفى والفراغ الذي خلفته وراءك لن نجد لهما من يسد مسدك فقد كنت في تفكيرك الحر المستقل وقلبك النابض بالايمان ونفسك الراضية المطمئنة وبيانك العربي الاصيل واسلوبك الرائع الجليل امة وحدك ومدرسة قائمة بذاتها وهيهات ان يجود الزمان بمثلك ايها الفرقد فانت نهاية فصل وختام عصر

محمد الحبيب شلبي

تنظيم الاوقاف والشئون الاسلامية في سوريا «٢»

نشرنا في العدد السابق القطعة الاولى من التقرير الذي وصلنا على طريق صديقنا الشيخ محمد كامل التونسي من وزارة المعارف بسوريا حول اصلاح الاوقاف والشؤون الاسلامية ونوالي الآن نشره

انظر الى التبدل والتطور في امور الدفاع وامور التعليم وامور الادارة وامور الحرب والصناعات وامور التجارة والزراعة فهل من المعقول ابقاؤها على ما كانت عليه والناس عالم حي تعمل فيه قوانين الحياة من نشوء ونمو وكمال . على اننا مهما ادعينا الغيرة على شروط الوقف وعلى الاسلام والمسلمين وعلى المحاكم والقضاة فلن نكون صادقين اذا لم نوفق غيرتنا ونلائم اعمالنا مع اسس الاقتصاد ونواميس العلم والعمران ولن نصل الى حكمة الشريعة ونقضي باليسر لازالة العسر اذا جارينا من يقول شرط الواقف كنص الشارع وابقينا اوقاف الذرية تتقاتل في سبيلها المرتزقة وتتخاصم وترشو وتشاغب . وتركنا الاوقاف الخيرية طعمة للموظفين والمتولين ولاعمال لا فائدة منها غير قبض الرواتب ولم نستفد منها كما يجب ويتفق مع كرامة الدين والمسلمين .

ان التطور الذي حصل في تركيا وهو اشد المعالجات افراطا وتفريطا قد نساق الى قبوله مرغمين امام تعنتات الجامدين وامام الانهيار الذي نساق اليه مختارين . فلنتعظ ولنتبدل ولنعتدل فخير الامور الوسط . واذا انتبهنا واتعظنا هان علينا الاصلاح وهذه اقطار المسلمين باجمعها تعاني الشكوى وكل منهم في مصر وفلسطين والهند وبيروت يعالج شكواه حسب اجتهاده وطاقته وخيرهم من اختار الاصلاح ولو كان مرا وقاسيا فان الانتظار قد لا يضمن السلامة وارضاء جميع الناس امنية لا تدرك وليكن المطلوب الصالح العام والتعاون المشترك وتنظيم المصالح والخلاص من الفردية وقبول الاساليب التي تتمشى عليها ادارة المصالح الاخرى التي ثبتت بالاختبار فوائدها . واتماما لتنظيم الطائفة علينا ان نتناول بالاصلاح المحاكم الشرعية وان نربطها مع الشئون الاخرى التي بحثنا عنها والتي يجب ان تضم الى الكيان المطلوب لان المحاكم الشرعية بعد ما حددتها التنظيمات القضائية وحصرت اختصاصها في دائرة الاحوال الشخصية (كالزواج والطلاق والارث والنفقة واثبات النسب والوصاية والوصية والتركة والحجر والوقف) وغيرها وكانت خاصة بالمسلمين مع الاباحة لغيرهم بالمقاضاة امامها ان اختلفوا في محاكمهم الطائفية وحيث لا يمكن في الوقت الحاضر الغاؤها وتكليف المحاكم النظامية مهمتها ولذا يجب اصلاحها وربطها بالتنظيمات الجديدة فتؤدي الغاية وتزيد كيان المسلمين قوة . فلهذه الاسباب الموجبة ينظم ما يأتي

يكون للطائفة المسلمة

١ — مرجع اعلى يمثله قاضي القضاة في الجمهورية السورية

٢ – مجلس تنفيذي يمثله مدير الشئون الارشادية ومدير المدارس والتعليم ومدير المعابد الدينية ومدير المحاكم الشرعية ومدير الاوقاف الخيرية ومدير المال ورئيس الافتاء

٣ – مجلس اعلى يمثله المندوبون المنتخبون وفقا للمادة (١٧)

٤ – مجالس طائفية في كل لواء

٥ – محاكم شرعية

الفصل الاول – قاضي القضاة

المادة ١ – قاضي القضاة اكبر ممثل في الطائفة

المادة ٢ – يرجع اليه وحده حق التكلم باسم المسلمين في الدولة . يمثل مصالحهم ويشرف على جميع شؤونهم الدينية

المادة ٣ – مدة رئاسته دائمة ولا تنتهي الا بالاسباب الآتية .

أ – اذا استعفى من تلقاء ذاته وصادق على القبول رئيس الجمهورية

ب – اذا اصيب بعاهة او مرض يمنعانه عن القيام بوظيفته وكانا كلاهما مما لا يرجى شفاؤه .

ج – اذا ارتكب جرما جنائيا يعاقب عليه القانون .

د – اذا خالف احكام هذا الدستور .

المادة ٤ – يتمتع بالحصانة التي يتمتع بها النواب ولا يجوز اتخاذ اجراءات جزائية بحقه الا بعد اخذ موافقة المجلس الاسلامي الاعلى .

المادة ٥ – يتقاضى رواتبه ومخصصاته من ميزانية المجلس الاسلامي الاعلى وفقا للقانون .

المادة ٦ – تاتي رتبته بعد الوزراء

المادة ٧ – تصدر باسمه وتوقيعه جميع القرارات والاحكام والبلاغات المتعلقة بشؤون المسلمين الدينة وجميع التعيينات العائدة لموظفي الاوقاف والمحاكم الشرعية ومديري الدوائر وموظفيهم واصحاب الوظائف الدينية واصحاب الجهات المشروطة

المادة ٨ – يكتسي كسوته الخاصة في المواقف الرسمية وتؤخذ له التحية الخاصة بالوزراء .

المادة ٩ – يكون لقاضي القضاة نائب منتخب من بين اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى يصادق عليه رئيس الجمهورية

المادة ١٠ – يقوم بجميع الصلاحيات والوظائف التي لقاضي القضاة عند غيابه ويرأس مجلس المديرين ويكون المرجع التسلسلي لهم

الفصل الثاني ـ المجلس التنفيذي

المادة ١١ – يتالف المجلس التنفيذي من سبعة مديرين كما ورد في الاسباب الموجبة .

١ – مدير المالية العام .

٢ – مدير المعاهد الدينية (الجوامع والتكايا والمساجد)

٣ – مدير المدارس الدينية (المكاتب الوقفية ودور الآثار الوقفية . المدارس الابتدائيـة الدينيـة الكتاتيب والمدارس العالية الدينية) .

٤ – مدير الاوقاف العام .

٥ – مدير الارشاد والوعظ والخطابة

٦ – مدير المحاكم الشرعية

٧ – المفتي العام

المادة ١٢ – قاضي القضاة يعين المديرين ويعزلهم ويحيلهم للتقاعد وفقا للقانون

المادة ١٣ – المديرون مكلفون بتنفيذ مقررات المجلس الاعلى

المادة ١٤ – كل مدير يدير شؤون دائرته ويعين موظفيه ويعزلهم ويحيلهم للتقاعد وفقا للقانون

المادة ١٥ – تحدد رواتب المديرين ونفقاتهم وملاك كل مديرية وراتب مواظفيها بقانون خاص يصدره المجلس الاسلامي الاعلى

الفصل الثالث – المجلس الاسلامي الاعلى

المادة ١٦ – يمثل السلطة التشريعية في جميع الشؤون الادارية والقضائية والدينيـة والعلمية والاجتماعية للطائفة الاسلامية

المادة ١٧ – عدد اعضائه لكل لواء نائب واذا زادت النفوس عن مائة الف زاد العـدد بنسبة واحد لكل مائة الف والكسور التي هي فوق الخمسين الفا يكون لها واحد ايضا

المادة ١٨ – مدة المجلس سبع سنين ويجوز تجديد العضو اذا وافق المجلس في اللواء الذي انتخبه

المادة ١٩ – يوضع قانون خاص لموظفي المجلس ومرتباتهم ومرتبات الاعضاء ونفقاتهم

المادة ٢٠ – للمجلس دورتان الاولى للميزانية والثانية للمسائل المذكورة في المادة (١٦) مدة كل دورة شهر واحد الاولى في اول تشرين والثانية في اول نيسان

المادة ٢١ – يوضع نظام داخلي في اول دورة

المادة ٢٢ – يحق لقاضي القضاء بموافقة مجلس المديرين حل المجلس والدعوة لانتخاب غيـره في ظرف شهرين من الغائه واذا لم تدع مجالس اللواء خلال المدة المذكورة ترسل منتخبيها حتما عند انقضاء المدة وعندها يجتمع المجلس الاسلامي ويقوم بواجباته

الاسلام غريب في بلاده ❋

هل هذا صحيح ؟

الاسلام غريب في بلاده كلمة جوهرية — لها مغزاها تنقش على قلوب المخلصين لدينهم باحرف بارزة لا يمحوها كر الايام وتوالي العصور حتى يعود الغريب الى وطنه —

قالها — رجل مسلم كبير محنك عركه الدهر وعلمته التجارب فاختبر منهما المستقبل بعد ان قاس الحاضر بالماضي واستنطق الحقيقة فاجابته بلسان المستقبل : ان الاسلام غريب في بلاده ولم يرم بكلمته هذه جزافا الا بعد ان رجع ببصره وبصيرته الى (منبع الحكم) فوجد مما روي عنه صلى الله عليه وسلم ما يؤيد ذلك وهو (بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدا)

هذه كلمة المرحوم الاستاذ عبد العزيز جاويش (١) احد رجال النهضة المصرية بل ورجال الشرق البارزين جعلها عنوانا لاحدى مقالاته الرنانة التي كانت تصدر في جريدة اللواء المصرية اثناء جهاده الوطني

قرأتها وانا في الثامنة عشرة من عمري — قبل الاحتلال الايطالي — لطرابلس برقة — ولا ادري كيف لم تمح الايام هذه الجملة المؤثرة من مخيلتي مدة تزيد على الثمانية والعشرين عاماً .

ولم نعلم ألكونها (عنوانا لمقال عجيب) ؟ أم لكوني استهجنت العنوان في ذلك الوقت — رغم اعجابي بالمقال — ليقيني ان (٤٠٠) مليون مسلم منتشرين في مشارق الارض ومغاربها لا يرضون بان يعد الاسلام غريبا بينهم ؟

المادة ٢٣ — الدعوة لانتخاب اعضاء المجلس الاسلامي يجب ان تكون قبل موعد الاجتماع بخمسة عشر يوما على الاقل

المادة ٢٤ — يصادق على قرارات المجلس قاضي القضاة وتنشر باسمه وله الحق برد القرار الذي يتخذه المجلس على ان يعاد فيه النظر في جلسة ثالثة في السنة الآتية واذا اصر المجلس على قراره نفذ

المادة ٢٥ — لا يقرر المجلس قرارا الا بالاكثرية المطلقة ولا تنعقد جلسة الا عند استكمال النصاب القانوني (يتبع)

❋ ارسل الينا الاستاذ السيد عمر فايق شنيب الطرابلسي المهاجر بدمشق في خدمة القضية الطرابلسية بهذا المقال ليقع نشره بالمجلة خدمة لقضية طرابلس المنكودة

(١) هذا الرجل العظيم كما قال المحرر هو من ابناء تونس الذين رفعوا اسمها عاليا لا في مصر خاصة بل في عالمي الشرق والغرب وكان من اضراب الشيخ محمد عبده والكواكبي والشيخ صالح الشريف وامثالهم ومن العجب انه لما توفي بمصر من منذ عشرة اعوام لم تذكر ولا جريدة واحدة نسبته التونسية مع ان عائلته لا تزال تقيم بتونس الى اليوم

ولقد حاولت ان ادرك مغزى (الاسلام غريب في بلاده) في ذلك الوقت فلم افلح ! ومن يقدر اذ ذاك ان يقنعني بان الاسلام ارتفع بارتفاع عهد الخلفاء الراشدين وتقلص ظله بعد عهد المعتصم العباسي وسيمحى اثره بعد عهد العثمانيين وان ال (٤٠٠) مليون مسلما هم مسلمون بحسب التقاليد وانحدروا من اصلاب آباء مسلمين فعاشوا بهذا العنوانْ وتحت هذه الجامعة

وجلهم ان لم اقل كلهم يتستر وراء الاسلام وباسم الاسلام والاسلام غريب بينهم ؟

حقيقة مرة ومصيبة مؤلمة عرفتها وقررتها بعد مضى ثمان وعشرين سنة وبعد ان رأيت بام عيني الدلائل الواضحة والبراهين الساطعة وقرات اخيراً ما قرره الامير شكيب ارسلان في كتابه (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) وقرأت له تلك الكلمة النارية التي اذاعها للملاء عن فظائع الطليان في طرابلس برقة وقال في اخرها (المسلمون ينسون سريعا) وقد صح ما توقعه

— نشرتها مجلة الفتح في القاهرة عدد « ٢٤٦ » سنة ١٣٤٩ . لذلك حصلت لي القناعة التامة بعد ان جاهدت نفسي في اقناعها بهذه الحقيقة مدة من الزمن فياليتني وثقت بذلك منذ نشر ذاك المقال وارحتها من جهود اسقمتها بدون جدوى لذا جعلت عنوان مقالي هذا « الاسلام غريب في بلاده » وان كنت اود ان اجعل عنوانه (المسلمون ينسون سريعاً) لغاية في نفسي أؤجلها لوقت مناسب وربما دفنت غايتي معي ثم اخذت ابحث عن موطن الاسلام الحقيقي الاخير الذي تتجلى فيه مظاهره الصادقة فلم اجد موطناً له اشرف واسمى من الجامع الازهر الشريف منبع الهداية الاسلامية ومحط امال العرب والمسلمين والشرق والشرقيين وهل وجدت ضالتي التي طالما كنت انشدها ؟ كلا .. بل اخذ يخامرني الريب ايضا في هذا المعهد الديني العظيم الذي يتخرج منه فحول العلماء وفضلاء الفقهاء ورجال المستقبل العظماء ان يصبح تدرس فيه اساليب الدعاية الايطالية « المسلمة الجديدة » تحت ستار الدين وبه مشايخ وطلبة يعملون لحساب ايطاليا لبث سموم المباديء الفاشيستية بين تلاميذه لتضليل وتغفيل المسلمين واقناعهم بالاباطيل . اليس الاسلام غريبا في بلاده ؟ وهل بقي من الاسلام بقية في زماننا هذا؟ اذاً الم يكن على حق من قال (الاسلام غريب في بلاده) ومن قال (المسلمون ينسون سريعاً) كاني بك ايها القاريء اللبيب لا تصدق او تريد ان لا تصدق — هذه الحقيقة الجارحة وتطلب مني الدليل والبرهان . فاجيب ان الدليل هو : كلمة الحق مرة وقاسية تجعل قائلها هدف الانتقاد وربما تجعله مضغة في السنة العباد . لان الراي العام حائر خائر يمشي مع القوي ولو على الباطل . سنة هذا الزمن . اما البرهان فبسيط وما عليك الا ان تقرأ ما ينشره اساتذة الازهر الشريف في امهات الصحف المصرية بتواقيعهم وان اردت برهانا اسطع ودليلا المع من ذلك فتكرم بقراءة (الرسالة الايطالية الجديدة) المسماة (ايطاليا في مستعمراتها) والتي طبعت على نفقه ايطاليا (بمطبعة الاخاء

بالخزندارية بمصر واذا قلت لي ما دخل الازهر في هـذه الرسالة ، اجيبك ان واضعها هو (شيخ رواق الجبرت في الازهر الشريف الشيخ محمد نور بكر وهي تحت توقيعه

وقد كلفته ايطاليا بان يزور (طرابلس برقة) لهذه الغاية على متن طائرة بعد ان اعدت له كتاباً للدعاية التي شاءت السياسة الايطالية ترويجهـا وجعل هذا الشيخ ضحية دعـايتها الكاذبة وتـرجمت له ذلك الكتاب من اللغة الايطالية الى العربية وزينته برسوم بعض المساجد والمباني التي هدمتها قنابلها ثم عمرتها بدماء اصحابها تغريرا للمسلمين ، طبعها ونشرها للعالم الاسلامي وشهد فيها على نفسه . . . وظن هـو والطليان ان المسلمين لا يقتنعون الا بما يصدر عن طريق الازهر الشريف . . وبذلك يضربون عصفورين بحجر واحد ــ كما قيل في المثل ــ الاول يسدلون الستار عما احدثوه من فضائـع نادرة المثال في طرابلس برقة والثاني يهيئون جـوا جديدا في الازهر الشريف بما يجهدونه من دعايـات للاعمال الشريرة التي يراد تنفيذها ـ عند ما تسمح الفرص ـ في بقية الاقطار العربية اتماما لبرنامجهم (في اعادة مجد الرومان الذي اكل عليه الدهر وشرب)

ان رواق (الجبرت في الجامع الازهر) ليس فيه هذا الشيخ ـ محمد نور بكر ـ وحده وانمـا يحتوي على عدد لا يستهان به من الطلبة الذين ولا شك انهم اصبحوا او سيصبحون على مذهب شيخ رواقهم . . وما مصير هؤلاء الطلبة اذا كان كبيرهم الشيخ محمد نور بكر الداعية الايطالية الجديدة هذا شانه وهو المكلف بتثقيفهم وتربيتهم اخلاقيا ودينيا

على اني اصبحت على يقين تام من سريـان هـذه الدعوة في جميع الازهر الشريف فهل هنـاك من يضمن لي ان هذه الاعمال محصورة في (رواق الجبرت) ولم تسر العدوى لبـاقي الاروقـة في الجامع الازهـر . اذ من البديهي ان الدعاية لا تتوسع بهذا الشـكل في الكتب والمجـلات والرسائل والصحف الا اذا اختمرت في الادمغة وكانت لها قوة تؤيدها ثم تساعدها على ظهورهـا . ناهيك عن التيار الايطالي الجارف في رواق المغاربة .

واني لا اريد ان اظهر للملا في مقالي هذا جميع معلوماتي التي استقيتها مـن منابع موثوقة عما يحاك من دسائس .ويجري من الدعايات الايطالية بين جدران هذه المؤسسة الدينية العظمى . كما اني اتغافل عن ذكر اسماء الطلبة الذين ادخلتهم ايطاليا لهذا المعهد باسم تحصيل العلوم وما هم الا جواسيس على اخوانهم ودعاة يكتبون في الصحف المصرية ما توحيه اليهم القنصلية الايطالية بمصر لئلا يطلع العدو على كل ما نعلم فيحتاط وانما نترك قول الفصل في هذا الامر الهام لحكمة ودراية صاحب السماحة شيخ الازهر الشريف والى ولاة الامور في ذلك الوطن العربي الامين المستقل اليوم .

ولم اكن مبالغا في قولي اذا قلت لو لم يكن الامير شكيب ارسـلان (غضبـان) ـ من المسلمين وربما متاثر (حتى من الطرابلسيين البرقـاويين) ومنهم ـ شخصي ـ فهل تقـع مثل هـذه الاعمال المضرة بالدين والمسلمين في الازهر ويسكت عنها ؟ وهو الرجل الوحيد الذي لا تفوته شاردة او واردة وقد ضحى حياته وافنى شبابه في خدمة المسلمين .

عمر قايق شنيب

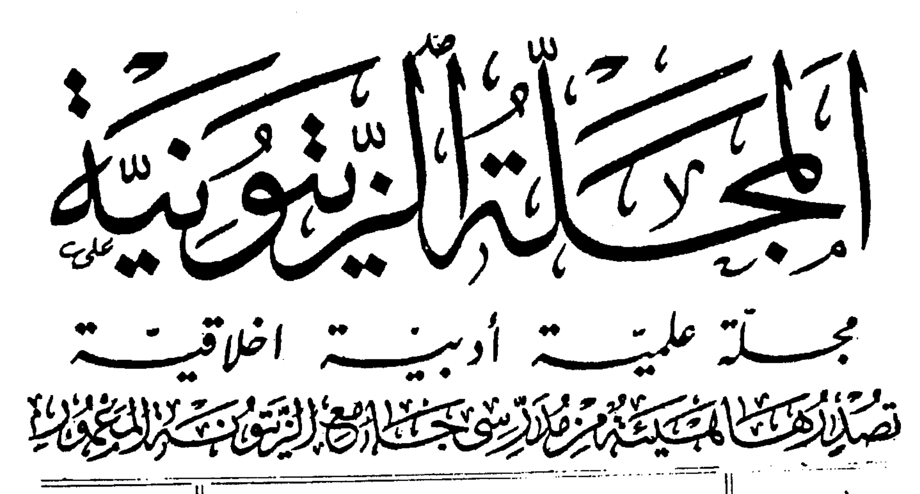
اصلاح الخطأ في الجزء ٢ من المجلد ٢

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٥١	١٠	يؤيدها وغاية	يؤيدها او يمكن ان يؤيدها وغاية الذي
٥٢	٥	وتظافرت	وتضافرت
٥٣	٤	والمشائخ المدسين	والمشايخ المدرسين
٥٣	٥	المعمور) وبمقتضى	المعمور) (١) وبمقتضى
٥٣	١٣	معروضا (١) من	معروضا من
٥٣	٢١	١٩٢٤)	١٩٢٤) (والفقرات الموضوعة بين قوسين ماخوذة منه بالحرف)
٥٥	١	(واهدنا	و (اهدنا
٥٥	٢	(وصراط	و (صراط
٥٦	١	قراة	قراءة
٥٧	١٩	يوهن	يوهم
٥٧	١٩	الضمئان	الظمئان
٦٠	١٧	كائين	كأين
٦٧	٨	ايمة	ائمة
٦٩	٢٨	ولا عجب	ولا عجبا
٧٠	٤	المعتال	المتعال
٧٠	١٦	١٣٥٨	١٣٠٨
٧٠	٢٤	وقته	وقتها
٧١	١	الشرف المجـوع	اشرف المجموع
٧٢	١٥	نظر	نظري
٧٢	١٦	ظاهر	لظاهر
٧٤	٥	والتنقيح	والتقبيح
٧٥	٣	فلقت	فلقد
٧٥	٢٧	ءاخر	ءاخرا
٧٦	١١	للمراة	المراة
٨٢	٢٣	المشر	المشير
٩٣	١٤	مواظفيها	موظفيها
٩٣	٢٦	القضاه	القضاة

استدراك

ذكرنا في افتتاحية المقالتين المحررتين بقلم العلامة الشيخ محمد الحجوي (صحيفة ٧٢ وصحيفة ٧٤) ان المحرر هو وزير المعارف سابقا . والصواب انه وزير المعارف الحالي للدولة المغربية امد الله في عمره



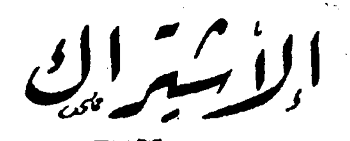


الجزء الثالث	تونس في شوال عام ١٣٥٦ وفي ديسمبر ١٩٣٧	المجلد الثاني

فهرس العدد

ثمن العدد ثلاثة فرنكات

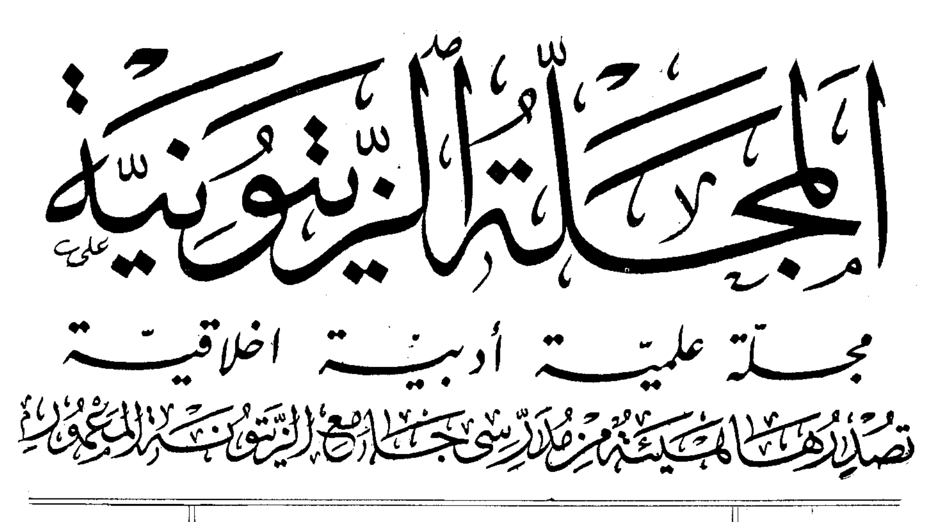
المطبعة التونسية



عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
كانت ممضاة من امين المال
والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



الجزء الثالث	تونس في شوال عام ١٣٥٦ وفي ديسمبر ١٩٣٧	المجلد الثاني

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات



بسم الله الرحمن الرحيم *

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي

واما المسلك الثالث ، فيأتي القول فيه على مراعاة قول القائلين بان البسملة ءاية من سورة الفاتحة خاصة وذلك يوجب ان يتكرر لفظان في كلام غير طويل ليس بينهما فصل كثير وذلك مما لا يحمد في باب البلاغة وهذا الاستدلال نقله الامام الرازي في تفسيره ، واجاب عنه بقوله : ان التكرار لاجل التاكيد كثير في القرآن وان تأكيد كونه تعلى رحمانا رحيما من اعظم المهمات . وانا ادفع جوابه بان التكرار وان كان له مواقع محمودة في الكلام البليغ مثل التهويل في مقام الحماسة نحو « قربا مربط النعامة مني » او في مقام الرثاء او التعديد او التوكيد اللفظي الا ان الفاتحة لا مناسبة لها باغراض التكرير ولا سيما التوكيد لانه لامنكر لكونه رحمانا رحيما ولان شأن التوكيد اللفظي ان يقترن فيها اللفظان بلا فصل . فتعين انه تكرير اللفظ في الكلام للزوم التعبير عنه وذلك مشروط بان يبعد ما بين المكررين بعدا يقصيه عن السمع ، وقد علمت أنهم عدوا في فصاحة الكلام خلوصه من كثرة التكرار ، والقرب بين الرحمان والرحيم حين كرر يمنع ذلك ، واجاب البيضاوي بان نكتة التكرير هنا هي تعليل استحقاق الحمد . فقال السيلكوتي : اشار بهذا الى الرد على ما قاله بعض الحنفية : ان البسملة لو كانت من الفاتحة للزم التكرار . وهو جواب لا يستقيم لانه اذا كان التعليل قاضيا بذكر صفتي الرحمان الرحيم فدفع التكرير يقتضي تجريد البسملة التي في اول الفاتحة من هاتين الصفتين بان تصير الفاتحة هكذا « بسم الله الحمد » الخ . وانا ارى في الاستدلال بمسلك الذوق العربي ان يكون على مراعاة قول القائلين : بكون البسملة آية من كل سورة . اقول : فينشأ عن هذا القول ان تكون فواتح سور القرآن كلها متماثلة ، وذلك مما لا يحمد في كلام البلغاء . اذ الشأن ان يقع التفنن في الفواتح ، بل قد عد علماء البلاغة اهم مواضع التأنق فاتحة الكلام وخاتمته ، وذكروا ان فواتح السور وخواتمها واردة على احسن وجوه البيان واكملها فكيف يسوغ ان يدعى ان فواتح سوره جملة واحدة مع ان عامة البلغاء من الخطباء والشعراء والكتاب يتنافسون في تفنن فواتح منشئاتهم ، ويعيبون من يلتزم في كلامه طريقة واحدة فما ظنك بابلغ كلام

* تابع لما نشر بالجزء ـ ٢ ـ مجلد ـ ٢ ـ

وحجة الشافعي ومن وافقه من القائلين بانها آية من سورة الفاتحة خاصة أمور كثيرة انهاها فخر الدين الى سبع عشرة حجة . لا يكاد يستقيم منها بعد طرح المتداخل والخارج عن محل النزاع وضعيف السند أو واهيه الا حجتان . قال البيضاوي : لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال : فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمان الرحيم . وقول ام سلمة رضي الله عنها : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله رب العالمين آية . والجواب عنها اما عن حديث ابي هريرة فهو لم يخرجه احد من رجال الصحيح واخرجه الطبراني وابن مردويه والبيهقي . وحسبك بذلك توهينا لصحته . فلا يعارض الاحاديث الصحيحة حتى نحتاج الى الجمع بين مقتضاها . واما حديث ام سلمة فلم يخرجه من رجال الصحيح غير ابي داود واخرجه احمد بن حنبل والبيهقي وصحح بعض طرقه . وقد طعن فيه الطحاوي بانه رواه ابن ابي مليكة ولم يثبت سماع ابن ابي مليكة من ام سلمة « يعني انه مقطوع » على انه روي عنها ما يخالفه على ان شيخ الاسلام زكرياء قد صرح في حاشيته على تفسير البيضاوي بانه لم يرو باللفظ الذي ذكره البيضاوي . وانما روي بالفاظ تدل على ان بسم الله آية وحدها فلا يؤخذ منه كونها من الفاتحة . وأما الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله فنحن لا نخالف فيه . وهو لا يقتضي الا ان ما كتب في المصحف كلام الله تعلى . ونحن نعترف بقرآنية البسملة اما دلالة كون ما بين الدفتين قرآنا على اكثر من قرآنية البسملة فلا يخفى انها منتفية اذ يجوز ان يكتب الكاتبون آية من القرآن يجعلونها أمارة على افتتاح السورة كما يكتب بعض الكاتبين « عونك اللهم » او « رب تمم بالخير » وقد اشار الى هذا عبد الحكيم رحمه الله بقوله : ولا نسلم تحقق التواتر بعنوان كونها من اوائل السور . نعم انه متحقق فيما وقع من سورة النمل) كيف ولو ثبت التواتر لانتفى الخلاف كما تقدم وقد اعترف البيضاوي بضعف هذا الدليل كما سيأتي . واما الوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن فقد اعترف القاضي البيضاوي رحمه الله بانه احتجاج قاصر . اذ نقل عنه انه كتب حاشية على هاته العبارة من تفسيره فقال : هذان دليلان يدلان على انها من القرآن لا انها من الفاتحة . الا ان ينضم الى الدليل الاول ان نقول في كل محل اثبتت فيه – ويضم الى الدليل الثاني ان نقول : عما ليس من القرآن في المحل – والقيدان في حيز المنع اه . يعني ان القيدين اللذين تعينت زيادتهما في هذين الدليلين ليتم الاستدلال بهما على كون البسملة من الفاتحة هما قيدان ممنوعان من جانب المخالف اذ لانسلم الاجماع على ان البسملة من القرآن في كل محل اثبتت فيه . ولا نسلم الوفاق على تجريد القرآن عما ليس من القرآن في المحل الذي ذكر فيه .

وحجة عبد الله بن المبارك وثاني قولي الشافعي رحمهما الله ما رواه مسلم عن انس رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا ذات يوم اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا :

ما اضحكك يارسول الله قال انزلت علي سورة آنفا فقرأ باسم الله الرحمان الرحيم انا اعطيناك الكوثر السورة . قالوا وللاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله ولاثبات الصحابة اياها في المصاحف مع حرصهم على ان لايدخلوا في القرآن ما ليس منه ولذلك لم يكتبوا آمين في الفاتحة . والجواب عن الحديث انا نمنع ان يكون قرأ البسملة على انها من السورة بل افتتح بها عند ارادة القراءة لانها تغني عن الاستعاذة اذا نوى المبسمل تقدير استعيذ باسم الله وحذف المتعلق . والباء في باسم الله الرحمن الرحيم متعلقة بمحذوف تقديره أقرأ لانها شرعت لابتداء الامور فالتزم حذف متعلقها ايجازا اعتمادا على القرينة فهي ظرف لغو معمول للفعل المحذوف ومتعلق به وليست ظرفا مستقرا مثل الظروف التي تقع اخبارا . ودليل المتعلق هو العمل المشروع فيه ولذلك كان تقدير متعلق خاص هو لفظ يدل على ما جعلت التسمية مبدا له دون المتعلق العام كالابتداء فضلا عن الكون او الاستقرار لان القرينة الدالة على المتعلق هي الفعل المشروع فيه المبدوء بالبسملة فتعين ان يكون المقدر اللفظ الدال على ذلك الفعل

ولان مقصد المبتدي بالبسملة ان تكون اجزاء فعله مقارنة لبركة اسم الله تعلى فلذلك ناسب ان يقدر متعلق الجار لفظا دالا على الفعل المشروع فيه ولو قدر المتعلق معنى الابتداء لتوهم ان الذي يتيمن له بالاسم العلي هو مبدا الفعل لا غير وان كان التيمن في المبدإ يعد تيمنا في الجميع بحسب العرف لكن التقدير الآخر اليق بالادب وأقطع لتوهم التقصير في التيمن

والباء باء الملابسة وهي المصاحبة كما هي في قوله تعلى « تنبت بالدهن » وقولهم بالرفاء والبنين وهذا المعنى هو اكثر معاني الباء واشهرها قال سيبويه الالصاق لايفارق الباء واليه ترجع تصاريف معانيها ولذلك قال صاحب الكشاف وهذا الوجه اعرب واحسن اي ادخل في العربية واحسن لما فيه من زيادة التبرك بملابسة جميع اجزاء الفعل لاسمه تعلى .

وقد تكلموا على ملحظ تطويل الباء بكلام كله غير مقنع والذي يظهر لي ان الصحابة لما كتبوا المصحف طولوها في سورة النمل للاشارة الى انها مبدأ كتاب سليمان فهي المحكي فلما جعلوها علامة على فواتح السور نقلوها برسمها . وتطويل الباء فيها صالح لاتخاذه قدوة في ابتداء الغرض الجديد من الكلام بحرف غليظ او ملون

والله اصله الآله بالتعريف وهو تعريف اله الذي هو اسم جنس للمعبود مشتق من اله بالتحريك بمعنى عبد او من اله بكسر العين بمعنى تحير اوسكن او فزع او ولع مما يرجع الى معنى هو ملزوم للخضوع والتعظيم . فهو فعال بكسر الفاء بمعنى مفعول مثل كتاب اطلقه العرب على كل معبود من اصنامهم لانهم يرونها حقيقة بالعبادة ولذلك جمعوه على آلهة بوزن افعلة وتخفيف الهمزة الثانية مدة ولما كان واجب الوجود سبحانه وهو الاله حقا عندنا هو باعترافهم اعظم الآلهة وموجدها وما لكها لما كان ذلك اطلقوا عليه اسم هذا الجنس معرفا بال العهدية الذهنية فقالوا الآله بمعنى الآله الكامل الاكبر الذي هو الاولى

بهذا الاسم من بين هذا الجنس فصار هذا الاسم بالتعريف مستعملا له سبحانه وتعلى حتى صار بكثرة الاستعمال لا يفهم منه الا هو فصار علما بالغلبة عليه تعلى مثل النجم على الثريا والصعق على خويلد بن نفيل وعليه فلفظ الآله بالتعريف قد يطلق عندهم على غيره تعلى من بقية معبوداتهم لان اصل العلم بالغلبة لايمنع اطلاقه على غير المغلب عليه وبذلك كان اضعف من العلم الشخصي حتى قال المحققون من النحاة انه ملحق بالعلم وليس بعلم وهو اختيار ابن عصفور . وعليه فتكون استفادة ارادة المتكلم من المعرف عند اطلاقه هل اراد تعريف الجنس او تعريف العلمية بالغلبة منوطة بالقرائن وصلوحية السياق . فلما غلب الآله على رب الارباب عندهم وموجد كل شيء بطريقة التغليب اشتقوا له من اسم الجنس علما زيادة في الدلالة على انه الاولى باطلاق هذا الاسم عليه بعد ان دلوا على تلك الاولوية بالعلمية الغلبية ليصير الاسم خاصا به غير جائز الاطلاق على غيره على سنة الاعلام الشخصية . وأراهم أبدعوا وأعجبوا اذ جعلوا علم ذاته مشتقا من اسم الجنس الموذن بمفهوم الالوهية تنبيها على ان ذاته تعلى لا تستحضر لواضع العلم الا بوصف الالوهية وعلى انه تعلى اولى من يؤله ويعبد لانه خالق الجميع فحذفوا الهمزة من الآله لكثرة استعمال هذا اللفظ عند الدلالة عليه تعلى كما حذفوا همزة الاناس فقالوا الناس ولذلك اظهروها في بعض الكلام قال اللعيث بن حريث من شعراء الحماسة

معاذ الآله ان تكون كظبية   ولا دمية ولا عقيلة ربرب (١)

كما اظهروا همزة الاناس في قول الشاعر

ان المنايا يطلعن   على الاناس الاميين

وقد التزم العرب تفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبل لفظه وقد حاول بعض الكاتبين توجيه ذلك بما لا يسلم من المنع ولذلك ابى صاحب الكشاف التعريج عليه فقال : وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابرا عن كابر



(١) هذا الشعر من الحماسة وهو عشرة ابيات اولها :

خيال لام السلسبيل ودونها   مسيرة شهر للبريد المذبذب

وبعد البيت :

ولكنها زادت على الحسن كله   كمالا ومن طيب على كل طيب

وهذا الشاعر غير مولد كما هو ظاهر كلام المعري الذي نقله الخطيب التبريزي في شرحه

الحديث الشريف

باب قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس

روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : كنتم خير امة اخرجت للناس أي خير الناس للناس تاتون بهم بالسلاسل في اعناقهم فيدخلون في الاسلام

البيـــان

بقلم العلامة النحرير الشيخ الصادق
المحرزي الاستاذ بجامع الزيتونة

إن الله تعلى امر المؤمنين بالطاعة والاعتصام بالدين الحق فقال جل ذكره (يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا) . وحذرهم من ان يكونوا مثل اهل الكتاب فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) وبين ثواب المطيعين وعقاب الكافرين يوم الجزاء فقال (فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) ثم اراد سبحانه ان يقوي عزيمتهم على الطاعة ويحملهم على اتباع الاوامر واجتناب النواهي بما هو من انفسهم حيث كانوا ممن سبقت لهم السعادة الازلية كما يقول الانسان لغيره انت من بيت فضل ومجد فاللائق بك التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل قال تعلى (كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) اختلف القول في كان من الآية الكريمة هل هي تامة او ناقصة او زائدة فقيل هي تامة بمعنى وجدتم في الازل حالة كونكم خير امة اخرجت للناس كما في قوله تعلى (وكان الله غفورا رحيما) وقيل ناقصة والمنصوب خبرها واليه ذهب صاحب الكشاف وصاحب البحر غير انهما اختلفا في التخريج للتفصي عما يوهمه التفسير بالماضي من الانقطاع فقال الزمخشري هي في الآية كاصلها عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام ولا يدل ذلك على انقطاع طار بدليل قوله تعلى واستغفروا ربكم انه كان غفارا وقال ابو حيان هي كسائر الافعال يدل الماضي منها على الانقطاع ثم قد تستعمل حيث لا يكون انقطاع كما في الآية وفي قوله تعلى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) وفرق بين

الدلالة والاستعمال الا ترى انك تقول هذا اللفظ يدل على العموم ثم تستعمله حيث يراد به الخصوص ومحور الخلاف ان صاحب الكشاف يحملها في الآية على الحقيقة وصاحب البحر على المجاز والحمل على الاول اولى وعلى الثاني اظهر . واما القول بزيادتها في الآية فهو قول مرجوح جعله الشهاب القسطلاني غلطا بما حكاه عن ابن مالك من اتفاق النحاة على عدم زيادتها في الابتداء ووجهه بان سبيل العرب ان يبدأوا بما تنصرف العناية اليه والزائد لا يكون في محل العناية وبان كان الزائدة ملغاة عن العمل وهي في الآية عاملة في الخبر فلا يصح القول بزيادتها. واختلف المفسرون في المراد بالخطاب في الآية فقيل عموم الصحابة وقيل خصوص المهاجرين من مكة الى المدينة وهو احد خبرين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل عموم الامة وهو الخبر الثاني عن ابن عباس والخطاب في الآية كالخطاب في قوله تعلى كتب عليكم الصيام فلا تخصيص فيه ويؤيد الحمل على العموم عموم الخطاب في الآية قبلها وهي قوله تعلى (يا ايها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته) وقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا) اذ الظاهر اجراء الخطابات على وتيرة واحدة ويؤيد الحمل على العموم ما رواه الامام احمد في مسنده بسند حسن عن ابي الحسن كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعل التراب لي طهورا وجعلت امتي خير الامم ولا ينافي حمل الآية على الحديث تقييد الامة في الآية بقوله تامرون بالمعروف الذي هو بمعنى الحال وقد تقرر عند الاصوليين ان الحكم اذا اعقب بوصف صالح للعلية كان الوصف علة للحكم والوصف هنا صالح للعلية وفي معنى الشرط ايضا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض خطبه ايها الناس من سره ان يكون من تلكم الامة فليعمل بشرط الله فيها تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من باب فرض الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي ولا تخلو عنه الامة في عصر من العصور اذ هو درجات ادناها التغيير بالقلب كما قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان بيدان خيرية الامة تتفاوت كما قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال الشهاب القرافي في الفرق السبعين بعد المائتين سؤال : قد نجد اعظم الناس ايمانا يعجز عن الانكار وعجزه لاينافي تعظيمه لله تعلى وقوة ايمانه لان الشارع منعه منه او اسقطه عنه بسبب عجزه لكونه يؤديه الى مفسدة اعظم او نقول لا يلزم من العجز عن القربة نقص الايمان. فما معنى قوله عليه السلام وذلك اضعف الايمان ثم قال رحمه الله وجوابه ان المراد بالايمان العملي الوارد في قوله تعلى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اي صلاتكم بيت المقدس وقال صلى الله عليه وسلم الايمان سبع وخمسون شعبة اعلاها شهادة ان لا الاه الا الله وادناها إماطة الاذى عن الطريق وحاصل الجواب يرجع الى ان الايمان قسمان اعتقاد وعمل وتغيير المنكر من الثاني وهو مراتب اقواها التغيير باليد

لاستلزامه ازالة المفسدة على الفور ثم التغيير بالقول لانه قد تقع به الازالة وقد لا تقع ثم التغيير بالقلب لانه لايؤثر ازالة البتة واذا كان اضعف العمل ولا يخفى ان القرافي رحمه الله بنى السؤال والجواب على ان المراد بالايمان في الحديث ايمان الناهي والذي يظهر ان المراد به حال الايمان نفسه اذا كان الانسان بحيث لا يقدر ان يصدع باوامر الله تعالى ونواهيه خشية عواقب ذلك حتى لا يمكنه ان يتجاوز بتغيير المنكر القلب فهذا الحال اضعف احوال الايمان واشبه بحاله في اوله كما قال عليه الصلاة والسلام بدىء الدين غريبا وسيعود غريبا وتتجه في الآية الكريمة اسئلة الاول لم ذكر فيها الايمان بالله متاخرا مع انه الاصل في جميع الطاعات واجيب بان الايمان بالله مشترك بين جميع الامم المحقة والآية مسوقة لتفضيل هاته الامة بالخيرية على سائر الامم فيمتنع ان يكون المؤثر في حصول التفضيل هو القدر المشترك بين الكل وايضا الايمان شرط لتاثير الطاعة والطاعة مؤثرة في الوصف بالخيرية والوصف المذكور اثرها والمؤثر الصق بالاثر من شرطه الذي هو الايمان ولهذا السبب قدم الامر بالمعروف والنهي على المنكر عن الايمان بالله في الذكر وان كان هو الاصل في جميع الطاعات . السؤال الثاني لماذا اكتفى في الآية بالايمان بالله ولم يذكر معه الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم مع انه لا بد منه في حصول الايمان المطلوب من الامة واجيب بان المراد الايمان الواجب شرعا وهو المستوعب للايمان به تعلى وبكتبه وبرسله بدون تفريق بين احد منهم قال في الكشاف جعل الايمان بجميع ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من ءامن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او غير ذلك لم يعتد بايمانه وكانه غير مؤمن بالله قلت ويؤيد ذلك ما ذكر عقب الآية الكريمة من نفي الايمان عن اهل الكتاب بقوله تعلى : لو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم مع انهم مؤمنون بالله في الجملة وقال تعلى (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى ان قال اولئك هم الكافرون حقا . السؤال الثالث كيف كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصوصيات هذه الامة مع انه موجود في غيرها قال تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال تعلى في حق اهل ايلياء وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه وذمهم على ذلك يقتضي وجوبه عليهم واجاب الرازي بما نقله عن القفال رحمه الله بان تفضيل هذه الامة بذلك انما كان لاجل انهم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآكد الوجوه وهو القتال لاعلاء كلمة الدين اذ أعرف المعروفات الايمان بالله وانكر المنكرات الشرك به تعلى واقبال هاته الامة على الجهاد في سبيله تعلى اقوى من اقبال غيرها فقد قال في حق بني اسرايل (فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) وقولهم لطالوت لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وقولهم لموسى عليه السلام فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون فانظر هذا مع قوله تعلى في حق شهداء احد (من المؤمنين رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) قلت ولا يخفى ان جواب القفال انما يتمشى على ان المراد من الامة في

الآية خصوص الصحابة او المهاجرين ومن حذا حذوهم اذ هم الذين قاموا باعباء الجهاد لاعلاء كلمة الدين وقد تقدم لنا ان الاظهر في الآية حمل الامة على عموم امة النبيء صلى الله عليه وسلم لما سقنامن الادلة لاسيما والامر بالمعروف واجب في حق جميع الامة وهو الظاهر من حديث من رأى منكم منكرا فليغيره وهو درجات كما هو صريح الحديث وحمل القفال التغيير في الآية على خصوص التغيير باليد من باب حمل المطلق على بعض افراده وذلك يحتاج الى قرينة ولا قرينة هنا وعليه فالاظهر في الجواب ان المنظور له في تفضيل هاته الامة على غيرها من الامم هو جميع الصفات الثلاثة اعني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله وقد قدمنا ان المراد به الايمان الواجب شرعا وهو المستوعب للايمان به تعلى وبكتبه ورسله من غير تفرقة بين احد من كتبه ومن رسله ولا شك ان الايمان بهذه الصفة انما حصل لهذه الامة فقط لان غيرها من الامم وان ءامنوا بكتبهم ورسلهم لكنهم لم يؤمنوا بجميع الكتب التي منها القرآن العظيم وجميع الرسل الذين افطلهم النبي العربي صلى الله عليه وسلم لتاخر نزول القرءان وبعثته صلى الله عليه وسلم ولا شك في ان هذه عناية كبرى من الحق جل وعلا بهذه الامة التي سبقت سعادتها في الازل وكفاك بذلك مقتضيا لافضليتها على غيرها وما بنى عليه القفال من ان الخطاب لخصوص الصحابة او المهاجرين هو احد قولي ابن عباس رضي الله عنهما وان كان الاظهر كما قدمنا حمل الخطاب على العموم . وقد نحا ابو هريرة رضي الله عنه في تفسير الآية منحى ابن عباس بما رواه البخاري عنه في حديث الباب حيث قال : اي خير الناس للناس تاتون بهم بالسلاسل في اعناقهم فيدخلون في الاسلام يعني تقاتلونهم على الكفر بالله وتأتون بهم أسرى فتدخل بشاشة الاسلام في قلوبهم بالمخالطة لاهله فيسلمون . وفي معناه ما ورد مرفوعا عنه صلى الله عليه وسلم عجب الله من أناس يدخلون الجنة في السلاسل . ومما ورد صريحا في افضلية هذه الامة عن سائر الامم بما خصها الله تعلى من المزايا التي اعظمها ان كانت امة لذلك النبي الكريم والرسول الرحيم ما روي في الصحيح عن قتادة رضي الله عنه مرفوعا ان موسى عليه السلام قال يا رب اني وجدت في الالواح امة هم خير الامم يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة هم الشافعون المشفعون فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة كفارة خطياهم الصلوات الخمس فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة يدخل الجنة منهم سبعون الفا بغير حساب فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذاهم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة فاذا عملها كتبت له عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واذا هم احدهم بسيئة لم يكتب عليه سيئة واذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم لمتي قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في الالواح

التآليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف من التآليف

وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ
محمد عبد الحي الكتاني الشريف

« ٥ »

حرف النون

« النعمة الكبرى » لابن حجر الهيثمي هو اسم مولده الكبير لم اقف عليه وانما وقفت على اختصاره وقد سبق في حرف الحاء

« نتائج الافهام » في تقويم العرب قبل الاسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره عليه السلام الفه بلغة عجمية محمود باشا الفلكي المصري وترجمه احمد زكي المصري اوله نحمدك اللهم يا أول لا تاريخ لاوليته وهو مطبوع بالمطبعة الاميرية بمصر عام ١٣٠٥ - ص ٦٤ حرر فيه ان الولادة النبوية كانت في يوم الاثنين ٩ ربيع الاول الموافق ٢٠ افريل عام ٥٧١ - مسيحية

« نور البصائر وكشف الكروب » في مولد وشمائل ومعجزات الحبيب المحبوب للشيخ احمد البخاري الدمياطي الشافعي اوله الحمد لله الذي اوجد سيدنا محمدا رحمة للعالمين طبع بمطبعة بولاق عام ١٢٩٦ في ص ٢٧

« نور السراج » في مولد النبي صلى الله عليه وسلم والمعراج مطبوع بمصر

« النور اللايح » بمولد الرسول الخاتم الفاتح لصديقنا نقيب العائلة الملوكية بمكناس وزرهون

امة اناجيلهم في صدورهم وكانوا يقرون نظرا فاجعلهم امتي قال هم امة محمد حتى كاد موسى عليه السلام يتمنى ان يكون من امة محمد فأوحى الله اليه يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين . ومن خصوصيات هذه الامة اعطاء الاجر الجزيل على العمل القليل فقد روي ان النبيء صلى الله عليه وسلم حث يوما اصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون وابو امامة الباهلي جالس بين يدي النبيء صلى الله عليه وسلم وهو يحرك شفتيه فقال له رسول الله صلى الله عليه انك تحرك شفتيك فماذا تقول عند ذلك فقال ابو امامة يا رسول الله ان الناس يتصدقون وليس عندي ما اتصدق به فاقول في نفسي سبحان الله والحمد لله ولا الاه الا الله والله اكبر فقال النبيء صلى الله عليه وسلم يا ابا امامة هذه الكلمة خير لك من مد من ذهب تتصدق به على المساكين

المؤرخ الاديب ابي زيد عبد الرحمان ابن زيدان العلوي المكناسي اوله حمدا لك اللهم على ان افتتحت بالنور الزاهر الطاهر الوجود وهو مطبوع بتونس في صفحات ٧٠

« النظم البديع » في مولد الشفيع لبوصيري العصر حبيبنا ومحبنا الشيخ ابى المحاسن يوسف ابن اسماعيل النبهاني البيروتي المتوفى عام ١٣٤٩ اوله : الحمد لله على الآئـه * حمد امرئى اخلص في ادائه. نظم مسبوك مطبوع مرارا

« النابلسي » تقدم ذكر مولده

« الناصحي » هو البرهان محمد الناصحي عمل مولدا في كراريس قاله في كشف الظنون

« ابن ناصر الدين » الدمشقي له موالد ثلاثة ـ انظر جامع الآثار والمورد الصادي واللفظ الرائق

حرف الصاد

« صفوة الخلاصة » في مولد مزيل الخصاصة لصاحبنا الشيخ رضوان العدل البيبرسي الجزري المصري اوله : احمدك اللهم ان جعلت منشانا من النور المحمدي ـ اكملـه عام ١٢٩٦ طبع بمصر بالمطبعة الاميرية ببولاق عام ١٣١٣ في ص ٤٤

حرف العين

« ابن ابي عاصم » هو ابو بكر احمد ابن عمر النبيل ابي عاصم الشيباني الزاهد قاضي اصبهان الامام الحافظ الكبير الشان صاحب الرحلة الواسعة والتصانيف المفيدة النافعة كما قال الحافظ ابن ناصر في شرح بديعة البيان توفي كما في تذكرة الحفاظ للذهبي سنـة ٢٨٧ ـ ذكر له ابن سليمان الرداني في حرف الميم من صلة الخلق كتاب مولد النبي صلى الله عليه وسلم وما معه وذكر انه يرويه بسنده الى ابي الحجاج يوسف ابن خليل عن محمد ابن ابي زيد الكراني عن محمود بن اسماعيل الصيرفي عن محمد ابن عبد الله بن شاذار عن عبد الله بن محمد القباني عنه هـ. منه فاستفدنا ان اهل القرن الثـالث الفوا في المولد النبوي وهي فائدة كبيرة

« ابن علان » سبق ذكر مولده في حرف الميم

« عبد الله » الحمصي الدمشقي له مولد طبع بمصر ص ـ ١٦

« عبد القادر الطرابلسي » هو العلامة الشيخ عبد القادر الطرابلسي المدني الحنفي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٣١٦ له مولد في جزء اوله : الحمد لله الذي تفضل بالنور المحمدي على جميع المخلوقات موجود في المكتبة الكتانية بالخط

« عطية الاجهوري » انظر في مولد المدابغي

« عطية ابن ابراهيم » الشامي كان موجودا عام ١٤١١ له مولد منظوم بالمطبعة العلمية ٣٦

« عطية القماش » الدمياطى تقدم ذكر مولده

« عرف التعريف » بالمولد الشريف للحافظ ابي الخير ابن الجزري وهو مختصر من مولده الكبير ذكره له جماعة ممن ترجمه كالسخاوي في الضوء اللامع وقد ساق اسناده شيخ الاسلام زكرياء الانصاري في مشيخته قائلا عرف التعريف في المولد الشريف اخبرني به الشيخ زين الدين ابو النعيم (رضوان) المستملي بسماعه على مؤلفه الشيخ شمس الدين محمد ابن الجزري بالمكان الذي ولد فيه بمكة اه

« العزب » تقدم ذكر مولده

« الحافظ » العراقي تقدم ذكر مولده

« عياض » وجد في مجموع السيد احمد المكي الجزائري مولد منثور نسب لعياض اوله الحمد لله رب العالمين وهو مطبوع في دمشق ص ١٩ ـ لكن نفسه بعيد عن انشاء عياض ولعل العزفي هو اول من الف من المغاربة في المولد .

« عفيف الدين » الايجي قال في كشف الظنون جمع السيد عفيف الدين الايجي الشيرازي عدة مواليد اه

« العقد الانور » اسم مولد البرزنجي تقدم

« العلم الاحمدي » في المولد المحمدي للشهاب احمد الحلواني الدمياطي صاحب مواكب ربيع اوله الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله قد التقطت من كتاب المواكب وغيره شذورا في قدر درسين لاحياء ليلتين كليلتي العيدين وفصلته في فصول على عدد ابواب الجنة وهو مطبوع بمطبعة محمد افندي مصطفى عام ١٣٠٥ ص ٣٠ ـ قال في ءاخره حين تكلم على الأعتناء بالمولد وقراءة قصة المولد الشريف وما اشتمل عليه من كراماته ان كان ذلك من تحرير عالم متق متدين بخلاف الخرافات الشائعة اليوم بين الجهال فذلك مما يجب انكاره وحينئذ فليكن ذلك من عالم موثوق به أو بتقريره حتى يحصل المقصود من بيان امر المولد وكراماته الذي هو تمام النظام الذي ترجى به المثوبة الخ .

« عائشة الباعونية » الدمشقية الشيخة الاديبة ابنة عبد الوهاب لها مولد طبع بدمشق عام ١٣٠١ ـ ص ٥١

« عنوان المزية » في سيرة ومولد خير البرية لنقيب الاشراف بالسوداء ابي هاشم عبد الله محمد الشريف العباسي الحنفي المتوفى سنة ١٣٢٥ ـ طبع بمطبعة الاتحاد والاخوة بمصر عام ١٣٣٤ ـ في ص ١٤٠ ـ وطبع ايضا قديما عام ١٣٠٠ ولمؤلفه عليه شرح سماه النفحات الجلية على الكافية وعنوان المزية .

الفتاوى والاحكام

سؤال ١ : اما بعد فالمطلوب منكم الجواب الشافي عن هذه القضية الفقهية ادام الله وجودكم لحل المشكلات ونصها :

ما قولكم سادتي العلماء في رجل قال في عمرته : وذلك على ولده الصغير في حجره مع من يتزايد له بعده من الذكور والاناث للذكر مثل حظ الانثيين ثم على اولاده الذكور فقط واولاد اولاده ما تناسلوا وامتدت فروعهم ولا مدخل للاولاد مع آبائهم ومن مات منهم عن غير عقب فولده بمنزلته ومن مات منهم عن غير عقب رجع نصيبه لبقية اخوانه الاشقاء او لاولاده ان كانوا وان انقرضوا ولم يبق لهم عقب رجع للاخ الكبير . هذا لفظ الوثيقة الذي ينبني عليه الجواب ثم مات من وقعت له العمرى عن اخ شقيق له ولد بعده ودخل معه في العمرى المذكورة وعن اخ شقيق لهما اكبر منهما غير داخل في العمرى وعن اولاد اخ كبير غير شقيق لهما اكبر من الجميع فهل يا سادتي يكون نصيب الميت المذكور الذي وقعت له العمرى حيث مات ولم يترك عقبا لاخيه الشقيق الصغير الذي ولد بعده يختص به هو واولاده بعده لاحتمال قول المعمر ومن مات منهم عن غير عقب رجع نصبه لبقية اخوانه الاشقاء ان يكون المراد يدخل معه في العمري فقط او يدخل فيه الشقيق الكبير لكون ذلك اللفظ يحتمل دخول الاخوة الاشقاء بدليل قوله وان انقرضوا ولم يبق لهم عقب رجع للاخ الكبير ومعلوم ان الاخ الكبير هو غير ذلك الشقيق بدليل حصر المرجع فيه ولو اراد به الشقيق لزاد درجة ثالثة فقال وان انقرض الاخ الكبير الشقيق عن غير عقب رجع للاخ الكبير غير الشقيق وهذا هو المتبادر للفهم واظهر الاحتمالات والعمل باظهرها واجب كما نص عليه الحطاب وغيره وقال ابن رشد في نوازله ما كان الكلام محتملا لوجهين فاكثر حمل على اظهر محتملاته الا ان يعارضها اصل فيحمل على الاظهر من باقيها وموثق الوثيقه فقيه عارف باحكام الوثائق فحينئذ لا يحل العدول عن لفظها الصريح الى المحتمل كما نص عليه في المقدمات لابن رشد ونصها لا خلاف ان الالفاظ المسموعة انما هي عبارة عما في النفس فاذا عبر المحبس عما في نفسه من ارادته بلفظ غير محتمل نص فيه على ادخال شيء او اخراجه منه وقفنا عنده ولا يصح لنا مخالفة نصه الى ان قال ناقله فاذا تقرر هذا فمسألتكم اذا كتب الوثيقة عدل فقيه ذو دراية ونباهة وجب الوقوف عند الفاظها الصريحة فيعمل على مقتضياتها ويجب حمل محتملها على ما يغلب على الظن ان المحبس اراده وقصده وقد نص الحطاب ايضا على ان اللفظ يحمل على اتم موارده والله تعلى اعلم وبه التوفيق والهادي الى

اقوم طريق بينوا لنا ذلك ايها السادة الاخيار بنصوص واضحات مأجورين من رب الارض والسموات .

الجواب :

ان هذه العمرى لما وقعت معقبة فهي من قبيل الحبس وخارجة مخرجه واطلاق اسم العمرى عليها مجاز بناء على ما حققه نحارير المذهب من ان الفاظ التبرعات يستعمل بعضها في بعض مع القرينة وعليه فيختص بهذه العمرى الولد المسمى في نصها والولد المتزايد بعد دون ولدي المعمر الذين هما اكبر من المتزايد اذ لا تشملهما صيغة العمري .

ثم ان نصيب احد الولدين المجعولة لهما العمرى بالاصالة الذي مات عن غير عقب يرجع الى اخيه الشقيق المشارك له في العمرى فيكون خلفا عنه بعد موته دون الاخ الشقيق الآخر الموجود ودون اولاد الاخ الشقيق الآخر المتوفى لان اللفظ المعبر به عن المرجع في الفاظ الواقفين يكون صادقا على مدلول ذلك اللفظ من مستحقي الوقف دون غيرهم لانهم غرض المتكلم وموضوع حديثه حسبما نص عليه فقهاؤنا هذا هو ظاهر اللفظ في مثل هذا المقام المتعارف بين الناس وهو ايضا اتم موارد لفظ الشقيق هنا لان الشقيق الصغير يزيد على الشقيق الكبير بكونه مشاركا لصاحب النصيب المنحل في الحبس ففيه حمل اللفظ على اظهر محتملاته وذلك هو الوجه في حمل الظاهر وليس هذا اللفظ نصا لان النص هو ما افاد معنى لا يحتمل غيره فلذلك لا يتنزل عليه كلام الرهوني المذكور في السؤال فاذا قال المحبس ومن مات رجع نصيبه لاخوته حمل على ان المراد اخوته المستحقون معه في ذلك الحبس ولا يمنع من ذلك تعبير المعمر بصيغة اخوته بلفظ الجمع لانه اراد على تقدير ان يكون من يتزايد له بعد تاريخ العمرى اكثر من واحد بقرينة قوله « ان كانوا » وقوله لبقية اخوته مع انهما اخوان اثنان ولصريح قوله فان انقرضوا رجع للاخ الاكبر . واذا كان نصيب احد الولدين الذي مات عن غير عقب راجعا للاخ المشارك في العمرى فاذا مات هذا المشارك وترك اولادا كان نصيبه المنجر له بالاصالة في العمرى والنصيب الصائر له بالخلفية من اخيه المشارك المتوفى راجعا كلاهما لاولاده بعد موته . افتيت بذلك وانا محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

سؤال ٢ :

وبعد فقد اذنت الدولة التونسية بمقتضى امر علي من سمو الباي المعظم في اباحة رهن زيت الفلاح وصاحب المعصرة لدى سائر البنوك الموجودة بتلك الجهة بدون ان يدفع الراهن شيئا من المصاريف سوى كراء الماجن ان كان في غير محله الخاص ومع ذلك يتقاضى من كل مائة فرنك خمسة وثمانين يقضي بها شؤونه اللازمة والرهن يكون على سعر ٥٩٠ للمعصري وسعر ٦٨٠ للعالي ولكن يقال ان الدولة تعهدت للبنوك بدفع ما يلزم من الربا عن مدة الاشهر القانونية وهذا المعلوم مرسم

بميزان ١٩٣٨ المقبل بعنوان يدفع هذا المبلغ لتوثيق زيوت الفلاح والمعاصري او نحو ذلك. وحيث ان الملاكة المتوسطة وخصوصا الضعيف منهم في احتياج اكيد لتسديد ما يتطلب منهم بصفة اجبارية والتجار اليهود يتوقعون ذلك لفائدتهم الخاصة في تزاحم البائعين في آن واحد وحيث يتوقع بعد الميسرة غلاء الزيت ولو نسبيا كما لا يخفى وحيث توقف بعض الاخيار مع اضطرارهم في استعمال تلك الطريقة المذكورة خوفا من الربا فقد راينا ان نطلب من جنابكم وكمال اخلاقكم وسعة علمكم التامل من السؤال والجواب عنه بالمجلة الزيتونية حفظكم الله ورعاكم

الجواب :

اما بعد فالجواب انه يجوز لمالك الزيت ان يرهنه لدى البنوك على هذا الوجه الذي لايدفع فيه فائضا ربويا واما ما التزمت به الدولة للبنوك على تقدير صدق الاشاعة فتلك عقدة بين متعاقدين ءاخرين اذ للدولة التزامات متنوعة لاقامة المشروعات العامة وليس على الراهن تبعة فيما تلتزم به الدولة لغيره من مثل هذا اذ الاصل ان المكلف لا يؤاخذ بفعل غيره . وكتبه فقير ربه عبده محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

سؤال ٣ :

ساداتنا العلماء الاعلام هداة الانام متع الله بوجودكم الخاص والعام ما قولكم رضي الله عنكم في اهل بلد وردت الى قاضيهم بعد الزوال شهادة من بلد آخر بعيد عنهم تثبت ان هلال شوال رىء في مساء امسه فهل عليهم ان يصلوا صلاة العيد في ذلك الوقت بعد الزوال او هل يصلونها من ضحى الغد او لا يصلونها وقد افتاهم بعض الطلبة بانهم يصلون العيد في ضحى اليوم الثاني وزعم ان ذلك ورد في السنة

الجواب :

اما بعد فالجواب ان المذهب انها لا تصلى اذا زالت الشمس من يوم الفطر او يوم الاضحى قال ابن شاس في الجواهر « واذا فاتت صلاة العيد بزوال الشمس فلا تقضى واذا شهد الشهود على الهلال قبل الزوال افطرنا وصلينا وان شهدوا بعد الزوال افطرنا وتسقط صلاة العيد اه » ووافقنا على ذلك ابو حنيفة والشافعي وابو ثور رحمهم الله واقول مدرك مذهبنا ان وقت صلاة العيد هو صباح اليوم الاول من ايام العيد الى زواله. فاذا زالت الشمس من اليوم الاول من العيد فقد اجمع فقهاء الاسلام على انها لا تصلى بعد الزوال. فهي في ذلك كصلاة الفجر. لان وقتها قد فات فلا توقع بعده الاقضاء وهي لما كانت غير واجبة فالامر بها لا يستلزم القضاء اذا فات وقتها. لان ائمة الاصول وان اختلفوا

في ان الامر هل يستلزم القضاء او لا بد للقضاء من امر مخصوص وكان التحقيق ان لا بـد لمشروعية القضاء من امر يدل على طلب القضاء عند الفوات فخلافهم خاص بـامر الوجـوب كما يؤخذ من استـدلالهم وامثلتهم الا ترى ان صلاة الفجر لا تقضى بعد زوال يومها ولا صلاة الوتـر بعد الصبح وطلوع الشمس ولو سلمنا ان صـلاة العيد واجبة وتقضى لكان ايقاعهـا في مساء اليوم الاول اولى من ايقاعها في صباح الغد فيكون اجمـاعهم على انها لا تصلى بعد الزوال حجة على القائلين بانها تقضى من الغد لان صلاة العيد اذا كانت غير فرض فلا وجه لقضائها واذا كانت فرضـا تقضى فلا وجه لتـاخير القضاء الى الغد اذ لا نظيـر لذلك في الشريعة ولان الصلوات المشروع فيهـا الاجتماع لا يشرع فيها القضاء الا ترى ان الجمعة لا تقضى الا ظهرا مع انها اولى بالقضاء لان الجماعة فيها واجبـة وان صلاتي الكسوف والاستسقاء لا يقضيان . وذهب احمد بن حنبل والظاهرية والاوزاعي واسحاق بن راهوية وسفيان بن عيينه وابو يوسف من اصحاب ابي حنيفة الى انها تقضى من ضحى الغد (١) وتمسكوا بحديث رواه ابو داود وابن ماجة واحمد بن حنبل عن ابي عمير بن انس بن مالك عن اعمام له من الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غم علينا هلال شوال فاصبحنا صباحا فجاء ركب آخر النهار فشهدوا عند النبي انهم رأوا الهلال بالامس فامرهم رسول الله ان يفطروا وان يخرجوا الى عيدهم من الغد وهو خبر انفرد به ابو عمير عن اعمامه من الانصار ولم يروه غيـره مع توفر الدواعي على نقله لكثرة حدوث اسباب نقله على انه مخالف لقواعد الشريعة في قضاء الصلوات ومالك رحمه الله يرد خبر الواحد اذا خالف قواعد الشريعة على ان الظاهر ان بعض رواته زاد فيه تفصيـلا بحسب فهمه لان مـا في روايـة ابي داود ليس فيه ان الركب اتوا في اواخر النهـار فيحتمل انهم اتوا من اخر الليل سرى فلا يدل على ان رسول الله امر بالصلاة في اليوم الثاني وحينئذ فرواية ابن ماجة فيها زيادة لعلها من فهم الراوي . والخلاصة ان المالكي لا يصلي صلاة العيد في اليوم الثـاني لان مذهب امامه لا يرى ايقاع صلاة العيد في اليوم الثاني وهو لما قلد مالكا لا يجوز له الخروج عن مـذهبه بدون ضرورة على ما تقرر في كتب الفقه وليس للمقلد ان يجري في اعماله على الاخذ من الكتاب او السنـة لان مرتبته دون مرتبة الاستنباط فمن رام ان ياويَ الى مسلك الاستنباط ويلتجي كان حقيقا بقولهم :

ليس بعشك فادرجي (٢) قاله محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

سؤال ٤ :

ما قولكم رضي الله عنكم في حكم رفع الصوت بتحية الصباح في المسجد بعد الفراغ من صلاة الفجر

(١) وهو المفتى به في المذهب الحنفي

(٢) مثل يضرب لمن يدخل فيما ليس هو اهلا للدخول فيه وهو موضوع على السنة الطير قاله طائر لعصفورة ءاوت الى غير عشها وادرجي بهمزة وصل وبضم الراء اي اذهبي وانصرفي

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

« ٢ »

المقصد وهو جوابي عن السؤال

إن الذي استقرأته من نصوص الشريعة الاسلامية اصولا وفروعا على قلة اطلاعي اني ما وجدت شيئا منها مبنيا على الاصل الاول في السؤال ولا الثاني

ذلك اني ما وقفت على عقيدة من عقائد الدين تخالف براهين العقول او نظريات العلم الحديث المؤسس على المشاهدة والتجربة الصحيحة

وانما الذي يجده الباحث المستقصي عقيدة قامت على صحتها البراهين العقلية القطعية . او عقيدة لم تقم عليها براهين كالسمع والبصر والكلام غير انها لا يناهضها العقل ولا العلم وهكذا الفروع الفقهية وسياتي بسط ذلك

الجواب عنه

ان رفع الصوت في المسجد مكروه مطلقا كما في المختصر الخليلي في باب احياء الموات لانه مظنة التشويش على المصلين ومناف لحرمة المساجد الموضوعة للصلاة والذكر وقراءة القرآن وقد حكى عبد الملك بن حبيب الاندلسي (وكان ارتحل لدار الهجرة للاخذ عن امامها مالك بن انس فوجده قد اجاب داعي ربه فأخذ عن اصحابه) قال كنت ارى بالمدينة رسول اميرها يقف بابن الماجشون في مجلسه اذا استعلى كلامه وكلام اهل المجلس في العلم فيقول ابا مروان اخفض من صوتك وأمر جلساءك يخفضون اصواتهم اه اما ما في صحيح البخاري عن السائب بن يزيد قال كنت قائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فاتني بهذين فجئته بهما قال من انتما او من اين انتما قالا من اهل الطائف قال لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ترفعان اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حكى ابن بطال من محققي المالكية عن بعضهم ان انكار عمر لرفعهما اصواتهما فيما لا يحتاجان اليه من اللغط الذي لا يجوز في المسجد اه وقد استدل جماعة على عدم حرمة رفع الصوت في المسجد بحديث البخاري عن كعب انه تقاضى ابن ابي حدرد دينا كان له عليه في المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى يا كعب قال لبيك يا رسول الله قال ضع من دينك هذا واومأ اليه اي الشطر قال لقد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه اه ووجه الاستدلال انه لو كان رفع الصوت ممنوعا لبادر عليه الصلاة والسلام لانكاره اذ لا يقر على باطل

حرره الفقير الى ربه محمد العزيز جعيط المفتي المالكي اخذ الله بيده

واذا كانت القواطع العقلية تؤيد القواطع الدينية او تسالمها ولا تناهضها لم يبق محل لان يقال ان الدين فوق العقل او العقل فوق الدين ولا ان يقال ان احدهما يقدم على الآخر اذ التقديم او الفوقية معناها الترجيح عند التعارض والفرض انه لا تعارض ولا تضاد ولا تغالب بل اتفاق وتعاضد

برهـانه

قد تبين لك مما اسلفناه ان الغرض في هذه المسالة هو مضادة قاطعين بان يكون الدليل العقلي قطعيا يقينيا والعلمي سلمه الامتحان العلمي والديني قطعي كذلك وتعارضهما محال تحققه لان الحق واحد لا يتعدد فاما ان يكون في هذا الجانب او ذاك ففرض تعارضهما مع كون كل واحد منهماقطعيا فرض محال لا يوجد في الخارج منه فرد واحد وقد بحثنا عنه فما وجدناه

اما اذا كان احدهما ظنيا فانه لا تعقل الموازنة بينهما عند المحققين من علماء الاسلام كما سبق والتعارض بين قاطعين غير ممكن

قال الزركشي في البحر لا يمكن التعارض بين دليلين قطعيين اتفاقا . كانا عقليين او نقليين وذلك ان القطعي لا يكون قطعيا الا اذا كان حقا والحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويعضده

واذا كان تعارضهما غير ممكن فالترجيح بينهما عبث بل غير ممكن ايضا قال تاج الدين السبكي في جمع الجوامع ولا ترجيح في القطعيات لعدم التعارض قال سيف الدين الآمدي انما يكون الترجيح بين متعارضين وذلك غير متصور في القطعي لانه اما ان يعارضه قطعي او ظني الاول محال لانه يلزم منه اما العمل بهما وهو جمع بين النقيضين في الاثبات او امتناع العمل بهما وهو جمع بين النقيضين في النفي او العمل باحدهما دون الاخر ولا اولوية مع التساوي والثاني وهو معارضته للظني محال ايضا لامتناع ترجيح الظني على القطعي وامتناع طلب الترجيح في القاطع كيف وان الدليل القاطع لا يكون في مقابلة دليل صحيح فلم يبق سوى الطرق الظنية هـ .

تلخيص الجـواب

يتلخص مما سبق ان الدين والعقل والعلم ليسوا اعداء ولا متخاصمين بل هم اخوة متعاضدون فالعقل اصل من اصول الدين والعلم من مكملاته ولابد منهما وكل آخذ بيد الآخر يعضده وينصره ثم ان العقل والعلم لا غنى لهما عن الدين بحال فالدين مرشد ومبين لما يخفى عن العقل كما ان الدين هو اصل العلوم ومادتها ولا سيما الادبية فكم ارشد الدين الى اصولها وفروعها

فالدين هو الذي ارشد الى مكارم الاخلاق وهو الذي هذب الانسان ونقله من الوحشية البهيمية الى الانسانية والرحمة والرفق والرقي في الحياة فالاديان هي التي جاءت لخير البشر المحض وهذبت النفوس الجامحة وعلمت الناس طرق الحياة وطريق الاجتماع وآدابه ولها الفضل كله في تحسين

حال المجتمع ولولاها لكان الناس وحوشا ضواري لما جبلوا عليه من تنازع البقاء والمنافسة والتغالي في حب الذات والاستيثار باللذات وحب كل واحد ان يستولي على كل شيء

فالاديان بردت كثيرا من حرارة هذه الشهوة البهيمية والشره الحيواني وارشدت الى خير المجتمع وهو الاعتقاد بالمسئولية امام الله في اليوم الآخر الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت وبارشادها ترقى المجتمع البشري وصار مجتمعا انسانيا وجمعية رحمة وشفقة وتعاون وادب ونظافة وصحة وكمال . وماكان الا مجتمع تواثب وتكالب وتطاحن

والدين الاسلامي بالاخص هو الذي ارشد الى المبادي الشريفة العالية كالتسامح بين الاجناس والطوائف واغاثة الملهوف واعانة الضعيف ونصر المظلوم والوفاء بالعهود وحرم كل ما يكون عليه التكالب وحرم الظلم كليا واوجب العدل على كل فرد فرد وعلى المجموع ولا اظن انه ورد في دين غيره مثل ما ورد فيه من الايغال في العدل ونبذ الظلم كليا حتى ان الله حرمه على نفسه وكلف النبي ان يقوم بالعدل بنفسه ثم اوجب عليه الشورى وهي مبدأ الديموقراطية . كما منع الاباحة المطلقة التي هي الخراب الكلي وحرم الزنا والاشتراك في الفروج وجعل شأنا للملكية الشخصية التي تردع النفوس الشريرة عن التناحر وقرر الانساب ومنع الاسلاب بغير سبب شرعي وجعل الميراث بين الاقربين ذوي النفع والدفع وبين الزوجين

والدين الاسلامي هو الذي حرم الخمر والربا وجعل حدا للتمتع باللذات والشهوات وللمنافسة حتى لا تصل الى حد الاضرار بالغير فقال لا ضرر ولا ضرار وهو الذي اوجب الزكاة وجعل للضعفاء حقا في مال الراسماليين وخفف ويلات الانسانية وارشد الى تزكية النفس وتحريم الفواحش واحترام الحقوق

والدين الاسلامي بالاخص هو الذي زهد الناس في تقديس المادة وعبادتها من دون الله ورغب في التوادد والتراحم فهو دين حب ورحمة لا دين مادة وما افسد المجتمع البشري الا تقديس المادة ونكران المسئولية امام الله فلولا الشرائع لكان الخراب عاما ولما امكنت هذه العمارة وهذا النظام الموجود في العالم المؤسس على مكارم الاخلاق . ثم الشرائع هي التي ارشدت الى مبادي العلوم الرياضية والطبيعية والادبية والاخلاقية والاجتماعية والطبية والصحية والصنائع والحرف والتجارة والعمارة

وهي التي ارشدت الى حفظ الصحة والى حفظ الذات واوجبت القصاص والحدود والنظام كله . وبالجملة فالاديان هي التي انضجت العقول ، فالعالم مدين للاديان ومضطر الى الدين اكثر من اضطراره الى العلم فلو ان العالم كان له دين ولم يكن له هذه العلوم الطبيعية والميكانيكية التي فتنت البشر واوصلتهم الى هذه الاسلحة الفتاكة التي لا رحمة فيها ولا هوادة والتي اوجبت التكالب على

الفتح والغزو وعبادة المادة من دون كل إلاه لكان حاله احسن مما هو عليه الآن وما وصل اليه بعد الحرب العظمى من القلق والاضطراب والجشع وتهديد بعض الدول بعضا وهلع الاقوياء .

ولكن نتعرف ايضا بالحق فنقول ان العالم لو تمسك كله بالدين وحده دون ان يلتفت للعلم لكان جامدا ولخالف سنة الله الملحوظة من حركة الفلك ولخالف ما امر به الدين نفسه من العلم ولا يصل الى هذا الرقي من العمارة والتعارف والاكتشاف والاختراع المفيد من بعض وجوهه كالاختراعات الطبية وتقريب المواصلات وتقنين قوانين الحياة والامن والنظام وزيادة اتقان ضبط الحقوق وترقي الفلاحة والصنائع والفنون والاكتشافات الكهربائية والبخارية وغير ذلك فالعقل والعلم كملا ما بدأه الدين . والعالم بلا دين كسيارة ليس لها حصار فانها تقرب المسافة ولكنها الخطر كله . وهذا ما وقع الآن حيث نبذ اكثر العالم الدين الحق والتقيد به وصار علمانيا نابذا للاديان عابدا للاصفر الرنان فبقي يسير دون حصار ووقوعه في الهاوية ان بقي كذلك امر لا شك فيه .

وقد عاقبه الله على نبذ الشرائع الالاهية من جنس عمله فأوقعه في نبذ القانون الدولي العام واصبح العالم يتخبط في ظلمة لا نهاية لها وينتظر انفجار البركان الناري في كل دقيقة .

هذا ما ادت اليه هذه التجربة وهي عقل وعلم بلا دين . والانفع لنوع الانسان في هذه الحياة ان اراد الحياة هو ان يجعل لحرية العقل والعلم قيدا لا بد منه وهو الدين المبني على عاطفة حب الانسان والرفق والاحسان . الآمر بالمعاشرة بالمعروف وان يأمن الجار جاره وان يأمن الضعيف سطوة القوي وان يكون الناس في الحق سواء (ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا) حتى ينال العدو قسطه من العدل كالصديق والآمر بالوفاء فيكون القانون الدولي محترما لكن من كل الدول العالمية بشرط ان تكون جدية مبنية على المساواة والمصلحة المتبادلة وتكون العهود موفاة والعدالة حرة .

ان الدين ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ويأمر بالاحسان وايتاء ذي القربى فلا نجاح للعالم الا بالتمسك بالدين والتمتع بما في العقل والعلم من منافع ومزايا في حدود الدين (يتبع)

مجلة هدي الاسلام

اتصلنا بالجزء الاول من المجلد الرابع من مجلة هدي الاسلام الغراء وبه دخلت الرصيفة في عامها الرابع فوجدناه مملوءا بالمباحث الشيقة والموضوعات المفيدة فنرجو لهاته المجلة القيمة الازدهار والانتشار فهي جديرة بكل عناية واكبار لا يستغني عنها العالم بما تنشره من الابحاث القيمة والاديب بما يجده فيها من الرياض النظرة والعموم لما تضمنته من الهداية والارشاد كما نرجو لصحبها العلماء الاجلاء الاعانة والتوفيق لخدمة الدين وصالح المسلمين

الاصلاحات في الحجاز

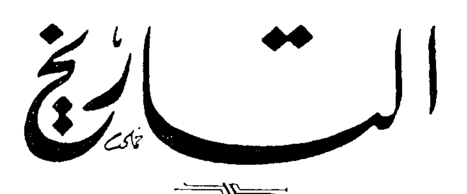
وتسهيل الطرق لاداء الفريضة

ما من مسلم الا ويتمنى من صميم قلبه لهذه البلاد المقدسة كل خير وفلاح. وكيف لا يتمنى لها هذه التمنيات الذهبية وهي قبلته المقدسة التي يحتم عليه دينه الحنيف استقبالها في كل يوم وليلة خمس مرات وزيارتها مرة في عمره فرضا لازبا لا محيص عنه

وقد مرت عليها اوقات كان الحاج لا يؤدي فريضة حجه وزيارة قبر نبيه حتى يبلغ منه الجهد مبلغا عظيما لبعد الشقة بين الاماكن المقدسة تلك الشقة التي كانت تقطع بوسائل المواصلات الاولى في اسابيع وشهور، بين صحار قاحلة واراض جرداء لا تفت في عضد الوافد ولا تزعزع ايمانه ويقينه بل تزيده تعلقا وشوقا لرؤية هذه المشاعر المقدسة والتمتع بقربها والتجرد عن دنيا المادة الى اخرى اليقين والايمان فكانت مكة المكرمة والمدينة المنورة تعج بشتى الاجناس من جميع القارات والكل متجرد عن دنياه الفانية مقبل على آخرته بالعمل الصالح الصادر عن عقيدة وايمان ماخوذ برهبة وخشوع اوحاهما الى نفسه بيت الله العتيق الذي جعله المولى عز وجل (مثابة للناس وأمنا) ودار هجرة نبيه الاعظم صلى الله عليه وسلم الذي جاء للعالم بهذا الدين الحنيف الذي فيه السعادتان الدنيوية والاخروية، وشاءت الاقدار ان تبقى هذه البلاد في جميع مرافقها الحيوية على ما كانت عليه منذ قرون مضت من غير التفات الى اصلاح او تثقيف هذا الشعب الذي اختاره الله لسدنة بيته الحرام حتى قيض الله لها (جلالة الملك العادل عبد العزيز السعود) فبذل من الجهود اقصاها واجرى اصلاحات عمرانية وتهذيبية يعجز غيره عن القيام بها في عشرات السنين فقد عبد الطرقات وربط جميع المدن الحجازية والنجدية بشبكة من السيارات القوية تسير ليلا ونهارا بينها لا يخشى راكبوها من شيء نظرا لما تتمتع به المملكة العربية السعودية من نعمة الامن التي اصبحت مضرب المثل ولقد اضحت جميع المدن العربية بفضل هذا الامن مرتبطة ببعضها فانت ترى السيارات تقطع صحاري الدهناء بنجد والجوف والربع الخالي في أمن وطمأنينة. فالرياض وبغداد ودمشق والقدس وصنعاء اصبحت جميعها مرتبطة بمكة والمدينة بشبكة من السيارات القوية على مختلف حمولتها باجور زهيدة للغاية بالنسبة للبلدان الاخرى فالراكب الذي كان يقطع هذه المسافات في الشهور الطويلة اصبح يقطعها في عدة ايام لا يشعر خلالها بأي تعب او نصب

وبجانب تعبيد الطرق وتامينها انشأ جلالته المدارس والمستشفيات حتى لترى في كل قرية مدرسة ومستشفى، وبعث البعثات العلمية والصناعية الى الخارج وسهل السبل لابناء البلاد في انشاء الشركات الاقتصادية لحفظ اموال الشعب. كما انشأت حكومة جلالته الرشيدة الفنادق في جميع المدن لراحة الحاج والسهر عليه وتوفير اسباب الهناء والمعيشة الرغدة باسعار غاية في البساطة، الى جانب الفخامة، في التأثيث والاطعمة المصنوعة بايدي طهاة مشهود لهم بالجودة والاتقان وزيادة على ذلك فقد استنت القوانين والانظمة التي تحفظ حقوق الحاج وتجعله على بصيرة وحتمت على المطوف واتباعه استعمال شتى الطرق لجلب الراحة والهناء له

اما تنظيم الشوارع وغرس الاشجار فيها من الجانبين والاصلاحات القائمة على قدم وساق في المسجد المكي والمدني فحدث عنها ولا حرج. كما حتمت على شركة السيارات العربية ان تسير خطوطا



صفحة من تاريخ تونس

التاج الملكي الحسيني

بقلم العلامة المؤرخ أمير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

قبل البحث في هذا الموضوع نلخص للقاري الكريم شيئا مما وقفت عليه من حديث التيجان(١) واين كان ظهورها في البداية فقد حققوا ان اول من استعملها امة اليونان وكانت عندهم في البدء من شعار الدين يتخذونها في شكل ظفائر وعرايش يصنعونها من ورق الاشجار والانوار ومنها اكاليل الزهر التى تلبسها العروس الاروباوية يوم زفافها والاكاليل التي تهدى لاموات النصارى يوم الجنازة وفي غرة شهر نوفمبر الموافق لعيد جميع القديسين في اصطلاح الكنيسة ثم توسعوا فيها الى ان اخذت صبغتها السلطانية في عهد الانبراطور قسطنطين مؤسس القسطنطينية العظمى (الاستانه) فصاروا في عهده ومن بعده يميزون كبار الرجال من الفاتحين باكاليل يجعلونها من عرائش الريحان والرند ودوالي العنب وعن اليونان اقتبس الرومان شعار التاج فكان لهم تاج حب الوطن يتخذونه من ورق

(١) جمع تاج في العربية يقابله لفظ كورونه في اللغة اللاطينية وبهذا اللفظ ما زالوا ينعتونه بين الخاصة والكافة في اروبا

من السيارات الكبيرة (الباصات) بين ضواحي البلاد وداخلها لراحة الحاج في انتقاله وتجواله الى غير ذلك من الاصلاحات الجمة التي يعجز القلم عن استيعابها

فيا ايها المسلم الغيور المتليء قلبه بالايمان الصحيح هل لك عذر بعد كل ذلك في تقاعسك عن اداء فريضتك الدينية في هذا العهد السعودي الزاهر عهد الرخاء والطمانينة ، اني لا اغالي اذا قلت ان في استطاعتك ان تؤدي فريضتك على اكمل وجه بجزء مما تصرفه في مصيفك او في كمالياتك ، لب ايها المسلم الغيور اياكنت نداء ربك وحج الى بيته الحرام تؤد واجبك الديني وتكتسب رضاء خالقك وتنال الجنة التي وعد بها المتقون فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (الحجة المبرورة ليس لها جزاء الا الجنة) وفقنا الله جميعا لما فيه رضاه .

مكة المكرمة　　　　الفقير الى ربه تعلى محمد طاهر الطيب التونسي

شجر العفص يتوجون به اهل الشدة والبأس في ميدان القتال وتاج الزيتون المختص بقواد الجيوش وممن تتوج به يوليوس قيصر المشهور وتاج التكريم الخاص بالقواد المنصورين وتاج الشرف المجعول لتمييز اصحاب الانساب وغير ذلك ثم انتشر شان التيجان عند بقية الامم الاروباوية ومنها فرنسا فكان لاشراف القوم بها تيجان من الذهب الوهاج في القرون الوسطى وكان تاج نابليون الاول مقاما على ثمانية نسور مرصعة ومثله تاج حفيده للاخ نابليون الثالث وهو ءاخر من تتوج بفرنسا لقيام الحكم الجمهوري مقام الحكم الانبراطوري في سنة ١٨٧٠ -

واما في الدول الاسلامية فان التيجان لم تكن معروفة عندهم لانها ليست من اوضاعهم وغاية ما عرف عندهم في هذا المقام العمائم وكانوا ينعتونها بتيجان العرب وقد اثبت التاريخ ان بعض خلفاء بني العباس اتخذ له جوهرة بوجه عمامته لكن لم نقف على ما يثبت صحة اتخاذهم لتيجان ملكية من ذهب او غيره وما ذلك الا لاتصالهم بالقرون الاولى وفي الحديث خير القرون قرني ثم الذين يلونه ثم الذين يلونه واذا تنقلنا بك للقرن الرابع فالخامس نجد ان بعض خلفاء الدولة الفاطمية بمصر كان لهم تاج ينعت بالشريف يلبسونه في المواكب عوض العمامة موشى بجوهرة لا تقوم بمال لنفاستها وحولها جواهر اخرى دونها في الاعتبار (١)

ويستفاد من كتاب المونس للشيخ ابن ابي دينار ان بعض سلاطين بني ابي حفص اتخذوا لهم تاجا كانوا يلبسونه عند ظهورهم بين الناس ولكن هذا المؤرخ لم يبين لنا وصف هذا التاج وهل كان من ذهب ام فضة وعندي انه لم يكن من المعدن الذهبي بل كان من معدن الفضة التي رغبت فيها السنة ومعلومك ان اهل الدولة الحفصية كانوا اقرب للبساطة والسذاجة العربية منها للتمدن والحضارة فانهم ورثوا الملك عن اسلافهم شيوخ الموحدين وهؤلاء لم تكن لهم علاقة بحضارة الملك التي من لوازمها البذخ المنهي عنه في الشريعة ومما نهت عنه الشريعة لبس الذهب على عكس الجواهر فقد اتفق جمهور العلماء على جواز استعمالها لذلك قلنا ان التاج الحفصي الذي نحن بصدده يغلب على الظن انه كان من فضة نعم انه وجد معدن ءاخر ليس بذهب ولا فضة ولكنه يفوقهما ثنتيهما في النفاسة وهو معدن البلاتين (٢) الذي لم يكن معروفا في زمنهم وهذا المعدن لا يشمله المنع الشرعي لان هذا المنع قاصر على الذهب دون سواه وزيادة البسط في حديث هذا المنع يبعدنا عن موضوع الحديث فليرجع لذلك من شاء الى كتب الفقه والسيرة النبوية

---

(١) بالنقل عن تحرير نفيس لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر

(٢) معدن ابيض كالفضة وارفع من الذهب وقع الاكتشاف عليه بجبال كلونبيا بامريكا الجنوبية في سنة ١٧٣٥ (١١٤٧ هـ)

ويلوح ان اتخاذ بعض السلاطين الحفصيين لتاج ملوكي انما انجر لهم من طريق المغرب والاندلس لان الحضارة الاندلسية انبعثت اشعتها في ذلك الزمان على كامل الشمال الافريقي ومن غريب الاتفاق ان ظهور هذا التاج الحفصي وافق عصر المؤرخ ابن خلدون وهو رجل كما علمت ركض في كل ميدان وهب مع كل ريح وهو من ابناء تونس وباشر في الدولة الحفصية خطة العلامة(١) على السلطان ابي اسحق والصحبة والكتابة على السلطان ابي العباس فمن المحتمل القريب انه بعد اسفاره وتنقلاته ذات الحركة السياسية المدهشة بالاندلس والمغرب ورجوعه لبلاد مسقط رأسه قبل التحاقه بالمشرق واجتماعه بالطاغية تيمورلنك واستقضائه بمصر كان من المدبرين في تهذيب اساليب الدولة الحفصية قياسا على ما شهد من فخامة الدولة و بذخها في بلاط السلطان ابي عنان بالمغرب وفي بلاط السلطان ابن الاحمر بغرناطه اثناء وزارة صاحبه لسان الدين ابن الخطيب

وبديهي ان امراء الدولة المرادية لم يكن لديهم شيء من مظاهر الملك والاستقلال بالولاية لقرب عهدهم بالفتح العثماني ووجود رجال الباب العالي بينهم في مقدمة وفود الترك الواردين عليهم حينا بعد حين فلما دخلت الايالة التونسية في حكم البيت الحسيني تدرج آل هذا البيت خالد الله دولتهم في سلم الحكم المستقل الى ان تلبسوا بالصبغة الملوكية فكانت في احلى مظاهرها ايام الباي حمودة باشا وازداد ذلك رسوخا في عهد الباشا حسين باي الثاني ثم في عهد المشير احمد باي الاول بترتيب الوزارات والوزراء وكان لقب الوزير قبل ذلك نعتا لا خطة وبايجاد جيش نظامي عتيد واحداث خطط عالية في الدولة كرتبة امير الامراء تقلدها الباي بالذات ولقب شيخ الاسلام وكان قبل ذلك نعتا لكل من ينتهي اليه العلم وهذا الباي المشير هو اول من لبس الطغراء بشاشيته في سنة ١٢٥٤ اهداه اياها السلطان محمود خان الثاني قياسا على صنيعه مع غيره من امراء البلاد الممتازة فقد وقع بيدي رسوم كثيرة لولاة مصر من آل محمد علي باشا منهم عباس باشا الاول معاصر المشير احمد باي وكذلك خلفه سعيد باشا ومحمد علي نفسه فقد كان لكل منهم بشاشيته طغراء عثمانية كالتي جاءت المشير احمد باي من الباب العالي ومما يناسب ذكره في هذا المقام ان السلطان العثماني نفسه كان يلبس بمقدم شاشيته ريشة مرصعة كما يراه القاري في بعض رسوم السلطان محمود خان الثاني وابنه السلطان عبد المجيد خان لذلك جاز للامير عبد القادر الجزائري فارس العلم والجهاد اتخاذ ريشة من فضة لتمييز قواد جيشه في حروبه بالجزائر وفي سنة ١٢٥٨ ارسل السلطان عبد المجيد خان

(١) العلامة هي عبارة « الحمد لله والشكر لله » كانوا يكتبونها بالقلم الغليظ في طالعة المراسيم السلطانية بين البسملة وما بعدها وهي في نظامهم من الخطط العالية بالدولة لها شبه من قريب بخطة صاحب الطابع في تونس . وكان لهم علامة اخرى خاصة بالرقاع ذات الاهمية الثانوية مما يكتبونه عن اذن السلطان ولا يعرضونه على انظاره وهذه العلامة الثانية ترسم بذيل الرقعة لا بطالعتها .

للمشير احمد باي شارة ثانية وهي اخت الطغراء الاولى قال المؤرخ هوكون أنـه وقع الوقـوف على صورة للمشير احمد باي صنعها المهندس جوردان الذي باشر هندسة معبد قرطجنة تذكار للملك سان لوين تمثل الباي المذكور بشاشيته موشحة بتينك الشارتين معا وفي حـق ورود الشارة الثانية منهمـا يقول المؤرخ الشيخ احمد ابن ابي الضياف في جملة ما حكاه عن نفسه بمناسبة رحلته مع غيره للاستانة ورجوعه لتونس صحبة المبعوث العثماني الذي اتى بالشارة المذكورة ونص عبارته « فرجعنـا ومعنـا القابو كاهية واسمه عارف زكي من الكتاب في فرقاطة عثمانية ومعـه نيشان يوضع في مقدم الشاشية زيادة على نيشانه الاول (الضمير في نيشانه عائد على الباي) يلبسهما معا وثوبا محلى وهو الستر (يعني كسبات الباي) هذه عبارة ما جاء في تاريخه المعروف ولدي وثائق تاريخية اخرى منقولـة من خط يده كاتب بها الوزير مصطفى خزندار من الاستانة اثناء قيامه بالمأمورية التي سافر من اجلها تؤيـد ما حكاه في تاريخه مع زيادة بسط واشتمال لحديث تلك المأمورية مما لم يحكه ولا شيئـا منه في تاريخـه وهي تناقضه على خط مستقيم ووهم الشيخ محمد بيرم في صفوة الاعتبار حيث قال ان الطغراءات الثلاث - وسماها غلطا نياشين - هي من رسوم المشير. بدليل ان احداها لبسها المرحوم احمد باي قبل تقليده رتبة المشيرية والاخرى لبسها بعد المشيرية بعامين واما الشارة الثالثـة المتممة للتاج الحسيني يعني الطغراء الوسطى فهي من حقوق المشير الثالث محمد الصادق باي. والشارات الثلاث كلها من الذهب المرصع بالياقوت والوسطى اكبر حجما من الاخريين فيكون المشير محمد الصادق باي هو اول ملك تونسي لبس التاج الحسيني في تركيبه من ثلاث طغراءات حسبما تراه ببعض صور فطوغرافية قديمة لمواكب المرحوم محمد الصادق باي وكذلك بصور المولى علي باي الثالث والمولى محمد الهادي باي والمولى محمد الناصر باي والمولى محمد الحبيب باي الموجودة بالدهن بقصر باردو المعمور وحسبمـا تشاهـده عيانا في مواكب المولد والعيدين عند استضاءة الافق بشموس طلعة ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني بلغه الله الاماني ببركة السبع المثاني

محمد بن الخوجه

مجلة الهدايـة الاسلامية

دخلت هاته الزميلة الراقية في عامها وهي كما يعلم قراؤها ومريدوها مجدة في خطتها المحمودة رافعة علم الهداية الاسلاميـة ناشرة تعاليم الحنيفية السمحاء بين الانام تمد النهضة العتيـدة بنفحات من روح رئيس تحريرها العلم الهمام الاستاذ الجليل الشيخ الخضر بن الحسين والاساتذة اعضاء جمعيـة الهداية بمصر امدهم الله بالاعانة والتوفيق فنرجو للمجلة زيـادة الانتشار في سائر الاقطـار حتى يعم النفع بها وان بعدت الدار

« تونس في القرن السابع »

« كما يصفها ابو عبد الله محمد بن احمد العبدري في رحلته »

لتونس تاريخ مجيد، ومفخر طائر ومجد تليد، كان لها بهما ذكر حميد، وصيت بين الممالك بعيد، نرى من واجبنا ان نشيد بذكره وننشر بين الملأ ما طوت العصور من محاسنه حتى يروا صادق فجره ويستنشقوا أريج عطره خصوصا بين ابناء تونس الذين لايحسن بهم جهل تاريخ قطرهم وما لاسلافهم من المئاثر والمزايا التي هي منار عزهم ومبعث فخرهم وقد سنحت لي فرصة تسمح بقضاء بعض هذا الواجب بمطالعة (رحلة العبدري التي ابتدأها سنة ٦٨٨ حيث رايت فيها من التنويه بمدينة تونس واهلها عموما وعلمائها وادبائها خصوصا ما قضيت منه العجب ورايت به الفرق واضحا بين سلف هذه الامة وخلفها نعوذ بالله من سوء المنقلب فيالها عبرة تفيض العبرة، وذكرى تؤجج في القلوب جمرة، فبدا لي ان أنشر على صفحات (المجلة الزيتونية) العامرة هذه المفاخر التي عفى رسومها الزمان واتت على بنيانها نقضا يد الحدثان ونسجت على محاسنها عناكب النسيان حيث ان الرحلة المذكورة من المخطوطات العزيزة الوجود وليس لي في هذا الصنيع من عمل يذكر غير الترتيب والتنسيق والجمع والتفريق واليك ذلك

(تنويه صاحب الرحلة بمدينة تونس)

لم يأل هذا المؤرخ المنصف عليه رحمة الله جهدا في التنويه بمدينة تونس ووصف محاسنها وايفائها حقها مدحا وتقريضا بأفصح عبارة وابلغ اشارة واجلى بيان واوضح برهان في عذوبة الفاظ تكاد تشربها لسلاستها مسامع الحفاظ . قال حين مر بها ذاهبا الى الحج ما نصه لافض فوه : ثم وصلنا الى مدينة تونس مطمح الآمال ومصب كل برق، ومحط الرحال من الغرب والشرق، وملتقى الركاب والفلك وناظمة فضائل البرين في سلك، فان شئت اصحرت في موكب، وان شئت ابحرت في مركب، كانها ملك والارباض لها اكليل، وارجاؤها روضة باكرتها ريح بليل، ان وردت مواردها نقعت غليلا، وان رددت فرائدها شفيت حشا عليلا، جليت بها عروس الغروس، وحليت بها على ممر الدهر الطروس . . . إلى ان يقول فاقت بحسن معانيها واتقان مغانيها غيرها من المدن وطالت، وسطت بنخوتها وانتخت بسطوتها على قواعد الشرق والغرب وصالت، وترجم حسنها البهيج، وعرفها الاريج، عن معناها ولو نطقت لقالت

انا الغادة الحسناء فاق جمالها فـآلت يمينا لا خطبت على زوج

اذا الغانيات ارتدن وصــل بعولة فمالي ولا فخر الى الزوج من حوج
اعــادي اذا ما شئـت ظبيا بقفرة واطرق نوه اليم في ظلم المـوج
وفي لمكدود الحجيج استراحـة فهم يردوني الدهر فوجا على فوج
وإني الى البيـت العتيـق كسلـم به يرتـقي من في الحضيض الى الاوج

ويقول في شانها ايضا ما نصه : وما زالت مدينة تونس كلاها الله دار ملك وفخامة وهي الى الان دار مملكة افريقية على ضعف المملكة بها وانتهائها الى حد التلاشي ومع ذلك فقد اربت على البلاد في كل فضيلة . . ويقول في شانها ايضا حين مر عليها قافلا من الحج ما نصه ثم وصلنا الى مدينـة تونس حرسها الله تعلى وهي كما مر ذكرها واستقر عند المؤالف والمخالف شكرها وهي مؤنسة عند اسمها ومسعفة على مقتضى رسمها وما انصف من ذمها بالمحال ، وتعسف عليها فقال :

لعمرك ما الفيت تونس كاسمها ولكـنني الفيتهـا وهي توحـش

(قلت) هذا البيت الذي تمثل به ونسب قائله للتعسف هو لبعض ولاة تونس قاله حين ضاق ذرعا باهلها الذين قارعوه على بغيه وكانوا اباة ضيم اثبت ذلك العلامة سيدي محمد النيفر الوالد رحمه الله في تاريخه (حسن البيان) وتمثل في شأنه بقول القائل (وتلك شكاة ظاهر عنك عارها)

(وصفه لمباني تونس وارباضها)

يقول في ذلك ما نصه : وهذه المدينة كلاها الله (يعني مدينة تونس) من المدن العجيبة الغريبـة وهي في غاية الاتساع ونهاية الاتقان والرخام بها كثير واكثر ابواب ديارها معمول بها عضائـد وعتب وجل مبانيها من حجر منحوت محكم العمل ولها ابواب عديدة وعند كل باب منها ربض متسع على قدر البلد المستقل ولو اتفق ان كان بها ماء جار لكانت معدومة النظير شرقا وغربا ولكن ماؤها قليـل وفي ديارها مصانع لماء المطر وهو المستعمل عندهم واما الساقية المجلوبة من ناحية زغوان فقد استأثـر بها قصر السلطان وجنانه الا رشحا يسيرا سرب الى سقـاية جامع الزيتونة يترشف منها في انابيب من رصاص ويستقي منها الغرباء ومن ليس له في داره ماء ويكثر عليها الازدحام

(وصفه لجامعها الاعظم والظلة التي كانت تجعل في صحنه صيفا)

يقول في ذلك ما نصه : وهذا الجامع من احسن الجوامع واتقنها واكثرها اشراقا ودائره مسقف ووسطه فضاء قد نصبت فيه اعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدر وشدت اليها حبال متينة في حلق من حديد مثبتة فيها وفي السقوف شدا محكما فاذا كان يوم الجمعة نشرت عليها شقق الكتان المطبقة الموصولة حتى تظلل جميع الفضاء ذلك دأبهم فيها حتى ينصرم فصل الصيف اه (قلت هذا دليل ماكان عليه سلفنا الصالح من اقامة امر الصلاة عماد الدين الناهية عن الفحشاء والمنكر والتي من ضيعها فهو

لما سواها اضيع حيث ان جامع الزيتونة على اتساع عرصاته يضيق عن المصلين به في ذلك العصر حتى احتيج الى اقامة هذه الطلة بصحنه هذا مع وجود غيره من جوامع الخطبة

(ماء زغوان والحنايا)

ذكر في شانهما صاحب الرحلة ما نصه : واما الساقية المذكورة فهي من جملة غرائب الدنيا وهي قديمة من عمل الروم مجلوبة من جبال بجنوبي تونس على مسيرة يومين او نحوهما في اوعار واودية منقطعة وجبال واكام فاذا انتهوا بها الى جبل او تل خرقوه وسربوا الماء فيه واذا انتهوا الى واد او وهد بنوا لها قناطر بعضها فوق بعض حتى يستوي مع مجرى الساقية بصخر منحوت اتقن ما يكون من البناء واغربه واوثقه حتى ينسرب الماء منها في مستوى معتدل واتصلت هـذه الساقية بهذا العمل حتى دارت من وراء تونس الى الغرب وانتهت الى مدينة قرطاجنة وبينها وبين تونس نحو اثني عشر ميلا وهي (اي قرطاجنة) من اعجب مدن الارض واغربها لما يحكى عنها من فرط الاعتناء وغرابة الصنعة وحسبك ان هذه الساقية من جملة الاعتناء بها . واما الرخام فيجلب منها الى كل موضع بافريقية قديما وحديثا ولا يفنيه ذلك منها وهي الآن داثرة لا انيس بها واهل تونس يخرجون اليهـا تفرجا وتعبدا والقناطر من تونس اليها معطلة وهذه القنطرة تعرف عندهم بالحنايا وهي مما يقصر عنها الوصف لفرط اتقانها وغرابتها ويذكر ان الروم اقاموا في تدبيرها والنظر في وضعها اربعمائة سنة ، وهذا بعيد . عبيد البكري فحكى ان عملها فرغ حتى استوى جري المـاء في اربعين سنة وقد كان بعض الامـراء وهو اخو القائم بها الآن احتاج الى اصلاح بعض الحنايا بها مما يلي تونس ليوصل المـاء اليها اذ كانت معطلة قبله فاقام في عملها مجتهدا باقصى ما يمكنه اعواما عديدة ولم يمكنه رد ذلك على ما كان عليه ولا ما يقرب منه بل اقتنع بتسديده كيفما امكن مع قلته وتفاهته بالاضافة الى غيره اهـ (قلت) امير تونس وافريقية القائم بها في زمن رحلة المؤلف هو ابو حفص عمر بن ابي زكريـاء بن عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص تولى الملك سنة ٦٨٣ وتوفى سنة ٦٩٤ واخـوه الذي اصلح بعض الحنايا الرومانية واجرى فيها ماء زغوان الى تونس هو ابو عبد الله محمد المستنصر امير المؤمنـين تولى الملك سنة ٦٤٧ وتوفى سنة ٦٧٥

(الثناء على اهل تونس عموما)

يقول في مدحهم ما نصه وما رأيت لاهلها نظيرا شرقا وغربا شيما فاضلة واخلاقا حميدة وقـد كان الاخلق بمن شاهد اخلاقهم ان يطنب في وصفهم ويضرب عمن لم يمنحهم الوداد وينصفهم اذ ذلك من بعض واجبهم واقل مراتبهم ولكن الزمان لا يعين على توفية الحقوق ولا يتعمد بالفراغ (كذا) الا اهل العقوق وناهيك ببلد لا يستوحش فيه غريب ولا يعدم فيه كل فاضل اريب يبدؤون من طرأ عليهم

بالمداخلة ويخطبون منه لفضل طباعهم المواصلة فهو منهم بين اهل مشفق ورفيق مرفق وقد كان بعض خيار طلبتها وحسبائهم لازمني مدة الاقامة بها وترك لاجلي مهمات اموره وعرفني بفضلائها وكان لا ينفصل عني عامة النهار . وكثيرا ما كنت امر بمن لا يعرفني من اهلها فاساله عن الطريق الى ناحية منها فيقوم من حانوته ماشيا بين يدي يسأل الناس عن الطريق ويدل بي وهذا من اغرب ما يسمع من جميل الاخلاق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولولا اني دخلتها لحكمت بان الصلاح في افق المغرب قد محي رسمه ونسي اسمه وضاع حظه وقسمه ولكن قضى الله بان الارض لا تخلو من قائم له بحجة يري سبيل الحق ويوضح المحجة . . . ويقول مادحا لاهل تونس ايضا في معرض المقابلة بينهم وبين بعض من لم يؤتوا ما أوتوا من الفضل ما نصه فسبحان من خالفهم واهل تونس في طرفي نقيض اولئك في الاوج واولاء في الحضيض . . . (قلت) هذه صفات السلف فهل حافظ عليها الخلف

وانما المرء حديث بعده　　　فكن حديثا حسنا لمن وعى

(غزارة العلم بتونس)

افصح عن ذلك قوله لا تنشد بها (اي بتونس) ضالة للعلم الا وجدتها ولا تلتمس بها بغية معوزة الا استفدتها . وقوله ايضا وما من فن من فنون العلم الا وجدت بتونس به قائما ولا موردا من موارد المعارف الا رأيت بها حوله واردا وحائما . . . وسننقل عنه ما يؤيد ذلك مما ذكره في شان علمائها (الفنون والكتب التي كانت تدرس بتونس) يتضح لنا من انتقاد صاحب الرحلة على اهل مصر اشتغالهم بالعلوم العقلية من المنطق وغيره واطالته التشنيع عليهم في ذلك بما لا داعي لنقله ان همته كانت منصرفة الى العلوم النقلية التي توافق مشربه ولهذا نجد الكتب التي ذكر انه اخذها عن علماء تونس لا تخرج عن دائرة علوم الشريعة النقلية . وعلى كل حال فنحن نستفيد مما ننقله منها بعض الفنون والكتب التي كان يتدارسها علماء تونس في ذلك التاريخ وهي هذه

(١) علوم القرآن من ذلك (كتاب التيسير في علم القراءات لابي عمرو المقري ذكر انه قرأ جميعه على العلامة الامام قاضي الجماعة ابي العباس احمد بن الغماز وعلى العلامة المسند ابي محمد هارون وقرأ بعضه على العلامة الصالح ابي القاسم اللبيح وعلى العلامة المحقق ابي جعفر اللبلي ومنه (الشاطبية) في علم القراءات ايضا قرأ جميعها على ابي جعفر اللبلي وبعضها على الشيخ معين الدين ابي محمد جابر بن محمد بن القاسم بن حسان ومنه (القصيدة الشاطبية) في رسم القرآن قرأ جميعها على الشيخ معين الدين المذكور ومنه (الامثال الكامنة في القرآن) للحسن بن المفضال قرأه على ابي الحسن التجاني ومنه (ارجوزة السخاوي) في الآيات المتشابهة قرأها على الشيخ معين الدين

(٢) التوحيد قرأ منه (كتاب العقيدة) على ناظمها ابي جعفر اللبلي مع ما ضم اليها من نثر قال وقد اخذ صبيان المكتب بحفظها وقد سمعتها منهم بحضرته

(٣) السيرة والمغازي قرأ منها بعض كتاب (الشمائل) للترمذي على ابي جعفر اللبلي (ومختصر السيرة) لابي الحسين احمد بن فارس بن زكرياء اللغوي قرأه على ابي محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاصي وكتاب (الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء) وهو كتاب كبير يحتوي على اربعة اسفار قرأ كثيرا منه على قاضي الجماعة ابن الغماز

(٤) الحديث منه كتاب (الموطا) قرأ بعضه على ابن الغماز وعلى ابن هارون وعلى ابي جعفر اللبلي وعلى العلامة ابي يعقوب يوسف بن عقاب ومنه (صحيح البخاري قرأ جميعه على ابن الغماز وبعضه على ابن عقاب وعلى ابي زيد عبد الرحمن الاسيح المعروف بالدباغ من علماء القيروان وقرأ كثيرا منه على ابي القاسم اللبيدي ومنه (صحيح مسلم) قرأ بعضه على ابن هارون وعلى ابن الغماز وعلى اللبيدي (وسنن الترمذي) قرأ كثيرا منه على ابن الغمار (وسنن ابي داود) قرأ كثيرا منه على ابن الغماز ايضا (وسنن الدار قطني) قرأ بعضه على ابن عقاب وكتاب (المعلم في شرح مسلم) لابي عبد الله المازري قرأ بعضه على اللبيدي وكتاب (الوعد والانجاز لابن الطيلسان قرأه على ابن عقاب وكتاب المغني عن الحفظ والكتاب في حصر الضعيف من الحديث والابواب) تاليف ابي حفص عمر بن بدر الحنفي قرأه على ابي محمد الخلاصي (والاحاديث المسلسلة بالمصافحة) وغيرها قرأها على الدباغ

(٥) التصوف قرأ كثيرا من كتبه على ابي القاسم اللبيدي

(٦) النحو قرأ منه (المغرب) لابي الحسن بن عصفور قرأه على الاديب النحوي ابي علي حسين بن محمد الطبلي من علماء باجة و (الشرح الكبير على الجمل لابن عصفور ايضا قرأ بعضه على ابي علي الطبلي المذكور

(٧) التاريخ قرأ منه كتاب (معالم الايمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان) لابي زيد عبد الرحمان الاسيح المعروف بالدباغ قرأه على مؤلفه بمدينة القيروان وكتاب (المشاهير من اهل كل فن لابي عبد الله بن هريرة سمع منه بعضه واجازله في سائره وكتاب (الصلة) لابي القاسم بن بشكوال قرأ جملة منه على الشيخ ابي الحسن علي بن محمد بن رزين التجيبي وكتاب (درر السمط في خبر السبط) لابي عبد الله القضاعي المعروف بابن الابار في تاريخ مقتل الحسين رضي الله عنه نحا فيه منحى ابي الفرج بن الجوزي قرأه صاحب الرحلة على ابن عقاب

وسوى ما ذكرنا من غرر التآليف في مختلف الفنون وسنذكر ما اخذه من كتب الادب بالاخص على علماء تونس فيما بعد

(يتبع)

علي النيفر

جامع الزيتونة

من اقدم الكليات العامية في العالم واكثرها انتاجا

فما هي مهمته وهل هو قائم بها ؟

« ٢ » بقلم رئيس التحرير

وصلنا في الحديث عن اطوار التعليم بجامع الزيتونة الى لائحة القانون التي وضعت في عهد الوزير المرحوم مصطفى دنقزلي . وذكرنا انها تعطلت ولم يقع انجازها حتى توفي ذلك الوزير الفاضل ونريد الآن ان نسترسل في الحديث عن اطوار ذلك التعليم حتى نصل الى تحديد مهمة جامع الزيتونة وبيان هل هو قائم بها ام لا . فنقول :

بعد ما توفي الوزير المذكور اسندت الوزارة الكبرى لجناب الصدر الهمام سيدي خليل بوحاجب الوزير الاكبر السابق - وهو ابن شيخ الجماعة في عصره المرحوم الشيخ سيدي سالم بوحاجب الباش مفتي المالكي - فراى ان احسن عمل يسديه للجامع وبنيه - وهو من اشد الناس ارتباطا بهم علميا واداريا - ان يتمم ذلك المشروع الذي بدأ فيه سلفه ولم تسعفه الاقدار على انجازه . لا سيما وقد اوجبت الضرورة في ذلك العهد ادخال تنقيحات كثيرة على قانون عام ١٣٣٠ . فأذن اولا بطبع لائحة القانون التي وضعتها اللجنة السابقة لتكون كاساس لما يراد وضعه من الاصلاح لنظام الجامع . ثم كون لجنة من كبار رجال العلم والادارة (١) فيها كثير من افراد اللجنة السابقة . وعهد اليها بوضع قانون للجامع يكون

---

(١) اما رجال العلم بهاته اللجنة فهم السادات المشائخ : المنعم احمد بيرم شيخ الاسلام ، محمد الطاهر ابن عاشور الباش مفتي المالكي (شيخ الاسلام المالكي الان) ، محمد العزيز جعيط المفتي المالكي ، بلحسن النجار المفتي المالكي . المنعم محمد رضوان القاضي الحنفي ثم الشيخ الطيب بيرم القاضي الحنفي ، صالح المالقي القاضي المالكي (شيخ الجامع الاعظم الان) ثم الشيخ الطيب سيالة القاضي المالكي ، المنعم محمد بن القاضي نائب الدولة لدى النظارة العلمية ، محمد العزيز النيفر نائب الدولة لدى النظارة العلمية (النائب الاول لشيخ الجامع الان) ، المنعم عثمان ابن الخوجه المدرس من الطبقة الاولى

واما رجال الادارة فهم السادة : المرحوم علي بن مصطفى المستشار بوزارة العدلية محمد بن الخوجة عامل بنزرت (مستشار الدولة التونسية الان) ، مصطفى صفر المكلف برئاسة القسم الاول (شيخ المدينة الان) علي السقاط مدير الاوقاف (وزير العدلية الشرفي الان) الشاذلي العقبي شيخ المدينة (رئيس جمعية الاوقاف الان) محمد المقداد الورتتاني رئيس قسم التعليم العربي بالقسم الاول سابقا وهو كاتب هاته الجلسة . محمد قاسم كاهية رئيس القسم الاول (رئيس القسم الاول الان) محمد العجيمي كاتب سر الوزير الاكبر (عامل قفصه الان) - وحضر بهاته اللجنة من اعضاء المجلس الكبير السيد محمد شنيق والمرحوم السيد عمر البكوش وحضر بها من الفرنسويين في بعض الاحيان م . تيري مدير الداخلية سابقا وم . قودياني كاهيته سابقا وم . ديقوا مراقب القسم الاول سابقا وم . بيرشي رئيس قسم الترجمة

كافلا بترقية التعليم فيه وتوسيع دائرة المعارف لمتخرجيه . وترأس الوزير هذه اللجنة بنفسه . وتوافرت تلك الهمم العالية التي تحلى بها اعضاء هاته اللجنة ورئيسها الهمام على بذل الجهد في القيام بهذ العمل العظيم على احكم اسلوب وابدع نظام . وقد بدات هاته اللجنة اعمالها في اول عام ١٣٤٨ واستمرت الى عام ١٣٥٠ (اي من افريل سنة ١٩٣٠ الى ديسمبر سنة ١٩٣١) . وجرت في مجالس تاليف هذا القانون مناقشات ومجادلات كانت تحوم حول البلوغ بالتعليم بالجامع الى ارقى ما وصلت اليه الاساليب في هذا العصر . ثم بعد ما انتهت اللجنة من وضع هذا القانون وافراغه في القالب الاداري (١) وقع عرضه على الدولة لتقع المصادقة عليه ويأخذ الصبغة الرسمية التنفيذية . فقضى في هذا الدور نحو العامين انقضت في مفاهمات رسمية بين رجال الدولة . الى ان تولى الوزارة الكبرى جناب الصدر الهمام الوزير الاكبر الحالي سيدي الهادي الاخوة . في شوال عام ١٣٥٠ وهو الرجل الغيور على العلم واله والحريص على خدمة مصالحهم وجلب النفع اليهم . فصرف همته للاسراع بازالة العراقيل التي كانت تعترض دون انجاز هذا القانون . ووقف في ذلك موقفا سيحفظه له التاريخ . ولم يمض عام على ولايته حتى زالت جميع الموانع . وصدر الامر العلي المتضمن للقانون المذكور من جلالة ملكنا الحالي سيدنا احمد باشا باي ابقاه الله ورفع منار الدين والعلم على يديه . واسبغ نعمه الباطنة والظاهرة عليه . وذلك بتاريخ يوم ٤ من ذي الحجة عام ١٣٥١ الموافق ليوم ٣٠ مارس سنة ١٩٣٣

وبصدور هذا القانون سار التعليم بالجامع اشواطا الى الامام . وذلك لانه قد وضع وضعا محكما دقيقا روعي فيه النهوض بالتعليم في الجامع ورفعة شان متخرجيه . وادخلت به على الجامع عدة انظمة وتراتيب وفنون لم تكن موجودة من قبل . ويمكن لنا ان نقول انه قد نسخ غالب ما في القوانين السابقة واتى بما هو خير منها . ولا يتسع المجال الآن لبسط القول في المقارنة بينه وبين القوانين السابقة — ولعلنا نعود في فرصة اخرى لتحرير مقالة نبسط فيها القول من هذه الناحية حتى يعلم القراء اي مدى عظيم واي تقدم عجيب قطعه الجامع وسار فيه بهذا القانون المبارك — وانما نقتصر الآن على تعداد بعض امور مجملة احدثها هذا القانون ولم تكن موجودة من قبل .

(١) مما تجب ملاحظته في هذا المقام حفظا للتاريخ ان اللجنة المذكورة وضعت من هذا القانون ما عدى الباب المتعلق بادارة الجامع . لان الحكومة اعلمت اللجنة بان ماموريتها قاصرة على النظر فيما عدى الباب المذكور . وان الحكومة ستنفرد بوضعه . وقد راجت في ذلك الوقت اشاعة في الاوساط العلمية . وهي ان صاحبي الفضيلة الشيخ سيدي الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي والشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي قد احتجا على هذا الاستثناء وطلبا ان يكون ترتيب ادارة الجامع من مشمولات انظار اللجنة . واستدلا على ذلك بان معروض تكوين اللجنة صريح في تعميم نظرها ووافقهم على ذلك بعض اعضاء اللجنة . ولكن رغما عن ذلك فقد انفردت الحكومة بوضعه من غير اخذ راي اللجنة فيه كما نسجل هنا ان بعض المشايخ الحاضرين بالجلسة بسطوا مسئلة ترتيب فروع الجامع الاعظم وطلبوا تقرير نظام لها . فلم يجب مقترحهم ولم يتعرض قانون الجامع لتنظيمها وهذا ما يجب تداركه في وقت قريب

فمن ذلك ابطال هيئة النظارة العلمية وتعويضها بمشيخة (١) وتكوين ثلاث شهادات للتعليم بالجامع وهي الاهلية والتحصيل والعالمية بعد ان كان الجامع يعطي شهادة ثانوية واحدة تسمى (التطويع) ومنها التشجيع على حركة التاليف واحداث جوائز للمجيدين فيه

ومنها احداث طبقة جديدة للمدرسين تعطى لقب (استاذ) ويكون الاحراز عليها بوضع تاليف في موضوع تعينه المشيخة وتنظر فيه اللجنة المكلفة باجراء المناظرات بالجامع . وتقع مناقشة المؤلف من

---

(١) لما وضع المشير احمد باشا باي الاول قانون التدريس بجامع الزيتونة الذي اشرنا اليه سابقا جعل ادارة الجامع منوطة بعهدة مجلس يسمى (النظارة العلمية) يتركب من شيخي الاسلام الحنفية والمالكية (كذا بنص المعلقة) والقاضيين الحنفي والمالكي ثم اضيف للمجلس المذكور اثنان من المدرسين تنتخبهما الدولة واعطت لكل واحد منهما لقب نائب عن مستشار قسم المعارف من الوزارة الكبرى واعطي لهما نفوذ واسع في الجامع حيث كلفا بالسهر على تنفيذ فصول قانون ومراقبة مجلس النظار في تنفيذه ومراقبة احوال المدرسين والتلامذة وسير الادارة واعمال وكلاء الكتب وذلك بمقتضى الامر العلي المؤرخ في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٩٢ واول من تولى هاته الخطة المنعمان الشيخ محمود بن الخوجه والشيخ عمر ابن الشيخ ثم نسخ هذا الامر بامر اخر مؤرخ في ٥ شوال سنة ١٣٣٠ (الموافق ليوم ١٦ ديسامبر سنة ١٩١٢) اعطي بمقتضاه هذان المدرسان لقب نائبين عن الوزير الاكبر وابقي لهما من النفوذ ما اقتضاه الامر الاول بل زيد عليه انهما يحضران بمجلس المشائخ النظار ويشاركان المشائخ النظار في ابداء الملاحظات عند المفاوضة واول من باشر هذه الخطة بهذا العنوان المنعمان الشيخ محمد بن القاضي والشيخ محمد جعيط . ولم يعط لقب رئيس لواحد من اعضاء مجلس النظار بل بقي امر الرئاسة مسكوتا عنه . ثم صدر امر علي بتاريخ ١ ذي القعدة سنة ١٣٤٢ (الموافق ليوم ٤ جوان سنة ١٩٢٤) في تعديل سير النظارة العلمية وكان من جملة ما اشتمل عليه اسناد رئاسة مجلس النظار لشيخ الاسلام . وكان لقب شيخ الاسلام لا يطلق في ذلك التاريخ الا على شيخ الاسلام الحنفي وهو اذ ذاك الشيخ احمد بيرم رحمة الله عليه . وجرى العمل على ذلك مدة . ثم لما وضع القانون الجديد للتعليم المتحدث عنه استقر راي الدولة على تغيير نظام ادارة الجامع بابطال مجلس النظار وتكليف شخص واحد يدير الجامع واعطته لقب (الشيخ المدير) وقبل صدور القانون بستة اشهر اصدرت الدولة امرا مؤرخا في جمادى الاولى سنة ١٣٥١ الموافق لسبتامبر سنة ١٩٣٢ يقتضي اسناد ادارة الجامع لشخص واحد وجعل مجلس النظار مجلسا استشاريا يستدعيه شيخ الجامع مهما دعت لذلك حاجة . واول من اسندت اليه ادارة الجامع هو صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي . ولم يعط لقب شيخ الجامع . وانما اعطي لقب مكلف بذلك . ونص الفصل الاول من امر ولايته المشار اليه : (كلفنا العالم النحرير الشيخ سي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي بخطة شيخ يدير الجامع الاعظم بحاضرتنا وفروعه) . وقد باشر الشيخ المذكور المشيخة عاما كاملا حيث وقع تنصيبه في يوم السبت ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥١ (الموافق ليوم ٢٤ سبتامبر سنة ١٩٣٢) ثم استقال منها في يوم الجمعة ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٥٢ (الموافق ليوم ٢٩ سبتامبر سنة ١٩٣٣) وتولى المشيخة بعده بصفة رسمية شيخ الجامع الآن وهو صاحب الفضيلة الشيخ سيدي صالح المالقي القاضي المالكي في ذلك التاريخ وكانت ولايته في يوم الخميس ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٢ (الموافق ليوم ٥ اكتوبر سنة ١٩٣٣) امد الله في عمره واجرى الخير والسداد على يديه للجامع وبنيه . وقد ابطل بعد ذلك مجلس النظار ولم يبق له حتى حق الاستشارة وابطلت خطة النائبين عن الدولة واعتبرا نائبين عن شيخ الجامع

طرف هاته اللجنة لتتوصل الى قيمة مداركه واتساع معلوماته . ومنها زيادة عشر خطط في طبقة المدرسين المعاونين — وقد اعطي اهل هاته الطبقة فيما بعد لقب مدرسين من الطبقة الثالثة (١) ومنها احداث ثلاثة اقسام للتخصص في الجامع بالنسبة للمرتبة العالية . وهي التخصص في العلوم

---

(١) يجب ان نذكر بهاته المناسبة نبذة مختصرة عن تاريخ تاسيس المدرسين بالجامع الاعظم وعددهم واقسامهم من العهد القديم الى يوم التاريخ . فنقول : ليست لنا مصادر كافية لتعيين عدد المدرسين وتقسيمهم قبل قانون عام ١٢٥٨ وغاية ما وقفنا عليه مما يتعلق بذلك ما ذكره الوزير ابن السراج في تاريخه (الحلل السندسية) وهو ان الامير حسين بن علي تركي مؤسس العائلة الحسينية امد الله ملكها قد زاد في عدد المدرسين بالجامع في عام ١١١٩ وذلك انه لم يكن به قبل هذا العام الا ثمانية من المدرسين . فزاد في العام المذكور في عددهم وصيرهم نيفا واربعين مدرسا . واجرى لهم مرتبات وافرة فضاعف مرتب الثمانية الاصليين واعطى مثلها لكل واحد من المدرسين الذين زادهم . وجعل المرتبات المذكورة تخرج من مال الجزية الذي هو من اهم موارد خزينة الدولة في ذلك العهد . ولم نتوصل الى تعيين المدة التي استمر فيها العمل بهذا النظام لانه سيظهر قريبا انه قد تعطل العمل به . هذا بالنسبة لما قبل عام ١٢٥٨ واما نظام المدرسين من ذلك العام الى الان فكان كما يأتي : لما وضع المشير احمد باي الاول نظام المدرسين في عام ١٢٥٨ جعلهم رتبة واحدة وجعل عددهم ثلاثين نصفهم من الحنفية ونصفهم من المالكية واوجب على كل واحد اقراء درسين في اليوم من اي فن وفي اي وقت يتيسر له من النهار وعين لكل واحد منهم ريالين في اليوم وجعل مرتباتهم تخرج من بيت المال بحيث جعل جميع دخل بيت المال يصرف على مصالح التعليم بالجامع فتؤخذ منه مرتبات المدرسين ومرتبات المشايخ النظار والقيمين بالجامع وابقى مع ذلك تجهيز دفن الغرباء وما يفضل بعد ذلك يشترى به بعد خمس سنين عقار يرجع ريعه لبيت المال واذا بقي شيء بعد ذلك كله فانه يوزع على عموم تلامذة الجامع ويقسم بينهم على السوية ولا يستحق ذلك الا التلميذ المواظب على القراءة . ثم في عام ١٢٦٥ اقترح شيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الرابع على الامير المذكور ان يزيد في عدد المدرسين بالجامع حيث ان الثلاثين الموضوعين من قبل لم يسددوا حاجة الجامع الذي اتسع نطاق التعليم فيه في ذلك العهد ووقع الاتفاق على زيادة اثني عشر مدرسا . نصفهم من الحنفية ونصفهم من المالكية واطلق عليهم لقب مدرسين من الطبقة الثانية في مقابلة اطلاق مدرسين من الطبقة الاولى على الثلاثين الاقدمين . ووقع تاسيسهم على الصورة الآتية : وهي انه قد جمعت الاوقاف المحبسة على دروس (تنبيه الانام) خارج جامع الزيتونة وداخله وخصص ريعها لهؤلاء الاثني عشر مدرسا وكلفوا بتعليم العلوم المقرر تعليمها بالجامع وخصص منهم اثنان بتدريس كتاب (تنبيه الانام) مراعاة لنصوص الواقفين في الجملة . وهما الشيخ محمود اللبي من الحنفية والشيخ علي السقانجي من المالكية . وجعل النظر في هذه الاوقاف الراجعة للمدرسين لوكيل خاص بها اطلق عليه لقب (ناظر اوقاف المدرسين) وقد عثرت منذ ايام قريبة في خزانة الرسوم بالمجلس المختلط على عقدة كراء لارض (تعرف بجرمان كائنة بالبحر الازرق بمقربة من مرسى قرطاجنة خارج باب الخضراء من تونس المحروسة) يرجع ثلثها لوقف المدرسين . ويرجع ثلثاها الباقيان لوقف القراء والمؤذنين بالجامع الاعظم وللشيخ سيدي عمارة . سوغت للشيخ مصطفى بيرم القاضي الحنفي والذي تولى تسويغ ثلث المدرسين هو المرحوم الشيخ علي الطواحني . (في حق المشايخ الاجلاء المدرسين اهل الطبقة الثانية المرتبين بالجامع المذكور بحق ما له من النظر بالولاية السلطانية) وذلك في شوال عام ١٢٧١ . وهذا هو منشأ اتصال المدرسين بالاوقاف . وهو السبب في الاشاعة التي راجت في هذا العام من ان الدولة ستقرر جعل مرتبات المدرسين بالجامع تخرج من

الشرعية والتخصص في العلوم الادبية والتخصص في علم القراءات وتسمى الشهادة فيها بالعالمية . ومنها الاكثار من الفنون العلمية وتنويعها وخصوصا العلوم الرياضية . ومن المهمات التي اشتمل عليها هذا القانون انه ابقى الحق في تعيين الكتب الدراسية بالجامع في مختلف العلوم لشيخ الجامع بواسطة لجنة

الاوقاف بعد ان كان معظمها يخرج من خزانة الدولة العامة . نظرا لكون مرتباتهم في الاصل انما تخرج من الاوقاف . فالحقيقة التاريخية هي ان المدرسين بالجامع الاعظم ليس لهم اي ارتباط بالاوقاف اي ليست هناك اوقاف محبسة عليهم بالمرة . اما المدرسون قبل عام ١٢٥٨ فقد علمت ان مرتباتهم تؤخذ من مال الجزية . واما المدرسون الثلاثون الذين وقع احداثهم في عام ١٢٥٨ فقد علمت ان مرتباتهم تؤخذ من بيت المال . واما المدرسون الاثنا عشر الذين وقع احداثهم في عام ١٢٦٥ فقد علمت ان الاوقاف التي ياخذونها ليست محبسة عليهم بصفتهم مدرسين للعلوم بالجامع الاعظم . وانما هي محبسة على رجال يقرئون كتاب (تنبيه الانام) خارج جامع الزيتونة او داخله فظهر ان من المصلحة جعلهم يقرئون العلوم بصفة عامة مع ابقاء تلك الاوقاف راجعة اليهم على اصلها كما قدمناه . ومما يجب تسجيله هنا ان الدولة قررت تكذيب هاته الاشاعة بصفة رسمية وانها ستبقي مرتبات المدرسين مخرجة من الخزانة الدولية العامة حسبما صرح بذلك ممثل الحكومة للجنة المالية بالمجلس الكبير منذ ايام قريبة (انظر جريدة النهضة عدد ٤٥٥١ المؤرخ بيوم الاحد في ٢٣ شوال سنة ١٣٥٦ وفي ٢٦ ديسامبر سنة ١٩٣٧

هذا واتماما للفائدة التاريخية نثبت هنا نص الامر العلي الصادر في ولاية احد المدرسين من الطبقة الثانية المذكورة لما اشتمل عليه من البيانات المفيدة حول الغرض الذي بسطنا القول فيه . واليك نصه بعد حذف ديباجته المعتادة : (اما بعد فان الفقيه النبيه الالمعي المحصل الشيخ صالح النيفر (وهو الذي تولى باش مفتي المالكية فيما بعد) قدمناه على بركة الله تعالى مدرسا بالجامع الاعظم جامع الزيتونة عمره الله بدوام ذكره يقرئ به كل يوم درسين ويستحق بذلك مرتبا من احباس المدرسين واحباس الدروس التي جمعناها وجعلنا لها وكيلا ووزعناها على من ثبت لدينا استحقاقه منها واذا صار من المدرسين الذين يستحقون المرتب من بيت المال على مقتضى ترتيبنا (وهو الترتيب المعروف بالمعلقة الذي تكلمنا عليه سابقا) فانه يتولى هذا التدريس غيره ولا يجمع لاحد بين مرتب بيت المال وهذا المرتب فليقم بخطته عارفا بمقدارها متصفا بما يحمد من ءاثارها واوصيناه بالمواظبة والاجتهاد في ايصال النفع للمتعلمين كما اوصينا له بالرعي والاحترام والمبرة والاكرام والامر كله لله ذي الجلال والاكرام وكتب في ١٢ ربيع الاول عام ١٢٦٥

ومن هذا التاريخ صار عدد المدرسين بالجامع اثنين واربعين مدرسا . كلهم مدرسون في العلوم . واستمر العمل كذلك الى ان صدر امر علي مؤرخ في ١٢ محرم عام ١٣١٢ (الموافق ليوم ٢٥ جويلية سنة ١٨٩٤) بزيادة مدرسين في علم القراءات احدهما من الطبقة العليا والآخر من الطبقة الثانية .

وكان يباشر التعليم بالجامع زيادة عن هؤلاء المدرسين الرسميين عدة مشايخ من المحرزين على شهادة (التطويع) وهم يقومون بالتعليم احتسابا لوجه الله وليس لهم في مقابلة ذلك الا منحة سنوية ضعيفة جدا لا تكاد تذكر .

وكان يقام على كاهلهم القسط الوافر من برنامج التعليم بالجامع وبلغ عددهم في بعض الاعوام الى اكثر من مائة متطوع . وبقي الحال كذلك عشرات من السنين . ثم في عام ١٣٤٥ (الموافق لعام ١٩٢٧) قام المتطوعون بالجامع وطلبوا من الحكومة اعطاءهم جرايات شهرية تناسب العمل العظيم

ينتخبها لهذا الغرض من بين المشايخ المدرسين . وبذلك صار من السهل تعويض كتاب بغيره بمجرد ما تدل التجربة على عدم صلوحيته بعد ان كانت القوانين السابقة تعين الكتب الدراسية باسمائها حتى انه لا يمكن تعويض كتاب بغيره الا بعد صدور امر علي في ذلك

وانك اذا امعنت النظر في حال التعليم بالجامع قبل وضع القانون الاحمدي الاول ثم بعد وضعه

الذي يقومون به والذي تصرف الحكومة في الانفاق على ما هو اقل منه قيمة ونفعا بمدارسها ملايين الفرنكات . فاستجابت الحكومة لهذا الطلب وقررت احداث طبقة جديدة من المدرسين بالجامع اطلقت عليها لقب (معاونين) وجعلت عددهم خمسين . واذنت باجراء مناظرة بين المتطوعين المباشرين للتعليم بالجامع للاحراز على هاته الخطط . ووقعت المناظرة المذكورة في شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٦ (الموافق لافريل وماي سنة ١٩٢٨) ثم زيد عشرة في عدد هؤلاء المعاونين بمقتضى امر اصلاح التعليم المتحدث عنه ووقعت المناظرة عليها في ذي الحجة سنة ١٣٥٣ (الموافق لافريل سنة ١٩٣٥ فصار عددهم ستين . ثم طلب هؤلاء المعاونون من الحكومة ان تمنحهم لقب (مدرسين من الطبقة الثالثة) فمنحتهم ذلك بمقتضى الامر العلي المؤرخ في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ (الموافق ليوم ١٨ جويلية سنة ١٩٣٥ وهؤلاء المدرسون من الطبقة الثالثة غير مقيدين بمذهب .

كما ان الحكومة زادت ثمانية مدرسين من الطبقة الثانية غير مقيدين بمذهب بمقتضى امر علي مؤرخ في جمادى الاول سنة ١٣٥١ (الموافق لسبتامبر سنة ١٩٣٢) ووقعت المناظرة على هاته الخطط الثمانية في شهر جمادى الثانية الموافق لشهر اكتوبر من العامين المذكورين فصار عدد المدرسين من الطبقة الثانية واحدا وعشرين .

كما ان الامر الجديد اقتضى احداث طبقة جديدة من المدرسين وهي طبقة (الاساتذة) وعدتهم ثمانية ويؤخذون من بين مدرسي الطبقة العليا . وتكون ولايتهم في اول الامر بالانتخاب . ثم يكون الاحراز على هاته الخطة فيما بعد على طريق المناظرة . وقد وقع انتخابهم في عام ١٣٥٢ (الموافق لعام ١٩٣٤) وتولى انتخابهم شيخ الجامع الحالي في العام المذكور فاخذ اربعة من مدرسي الطبقة الاولى المالكية وهم العلماء الاجلاء السادة المشايخ محمد العزيز جعيط المفتي المالكي . بلحسن النجار المفتي المالكي . محمد العنابي المفتي المالكي . البشير النيفر المدرس من الطبقة العليا . واخذ اربعة من مدرسي الطبقة العليا الحنفية وهم العلماء الاجلاء السادة المشايخ الطيب بيرم المفتي الحنفي . محمد بن الخوجه المفتي الحنفي . محمد الصالح بن مراد المدرس من الطبقة العليا الصادق المحرزي المدرس من الطبقة العليا . وبهذا صار عدد المدرسين بالجامع ١١٢ وهم مقسمون على الصورة الآتية . اساتذة ٨ مدرسون من الطبقة العليا ٢٣ منهم واحد في علم القراءات . مدرسون من الطبقة الثانية ٢١ منهم واحد في علم القراءات (وان اقتضى القانون الجديد ان يكون عدد المدرسين من هاته الطبقة اثنين) مدرسون من الطبقة الثالثة ٦٠ منهم اربعة في علم القراءات

واذا اضيف لهؤلاء مدرس علم الهيئة ومدرس علم الطب ومدرس علم الخط الذين وقع احداثهم منذ عامين كان عدد المدرسين بالضبط ١١٥ . اما مرتبات هؤلاء المدرسين فواحد وسبعون منهم - وهم الذين وقع احداثهم بعد عام ١٣٤٦ - تخرج بتمامها من خزانة الدولة العامة . واربعة واربعون - وهم الموجودون قبل ذلك التاريخ - تخرج مرتباتهم بعضها من جمعية الاوقاف وغالبها من خزانة الدولة

والمظنون ان الدولة ستزيد في امد قريب في عدد المدرسين لان العدد المذكور لم يبق كافيا للقيام بما تستدعيه حاجة الجامع وفروعه في هاته الايام نظرا لكثرة التلامذة واقبالهم على التعلم بالجامع اسوة بما تفعله الدولة في كل عام مع ادارة المعارف من الترخيص لها في زيادة عدد المعلمين على حسب ازدياد عدد التلامذة وانشاء المدارس الجديدة .

ثم تدرجت الى جملة القوانين التي وضعت له الى القانون الاحمدي الثاني تجلت لك الروح السامية التي كانت تحف برجال العلم ورجال الدولة في هذه البلاد ، وهي ترقية التعليم بالجامع وجعله مجاريا لما وصلت اليه التراتيب والانظمة في سائر معاهد العلم المنظمة ، وتكوين ثقافة عامة لمتخرجيه تصيرهم قادرين على الاضطلاع باعباء الحركة العلمية والادارية والمشاركة في شؤون الحياة العامة من جميع نواحيها

ولما كان ذلك يتوقف على تقرير تدريس العلوم الرياضية التي لابد منها زيادة على العلوم الشرعية واللغوية اللذين هما اساس التعليم بجامع الزيتونة . فقد لاحظ ذلك الواضعون لتراتيب التعليم بالجامع في تلك العصور المختلفة . فتجد في قانون عام ١٢٩٢ ان جملة العلوم التي تزاول بالجامع ثلاثة وعشرون علما منها الميقات والحساب والهندسة والهيئة والمساحة (١) (انظر الفصل الاول منه)

ثم لما دعت الضرورة بعد ذلك الى زيادة التوسع في العلوم جاء قانون عام ١٣٣٠ قاضيا بتصيير العلوم التى تدرس بالجامع اربعة وعشرين علما منها الميقات والجغرافيا والحساب ومنه الجبر والهندسة والهيئة والمساحة (٢) « انظر الفصل الاول منه »

ثم لما ظهر الاحتياج بعد ذلك الى ادخال عدة علوم تتوقف عليها الثقافة العامة في العصر الحاضر جاء قانون عام ١٣٥١ بتصيير جملة العلوم التي تزاول بالجامع ستة وثلاثين علما . وهي كما بالفصل ٢٣ (التوحيد . القراءات رواية ودراية . التفسير . الحديث . اصول الفقه . الفقه مع مقاصد الشريعة . تاريخ التشريع الاسلامي . الفرائض فقها وعملا . التوثيق . الاقضية والشهادات . الاجراءات الشرعية . النحو الصرف . البلاغة . العروض . اللغة والادب ومنه تاريخه ونقد الشعر والانشاء والخطابة والمنتخبات العربية الخط الرسم القياسي والتوقيفي . الاخلاق . المنطق وءاداب البحث . السيرة النبوية . التاريخ (تاريخ العرب قبل الاسلام) الجغرافيا . الحساب والجبر . الهندسة والمساحة . الهيئة والميقات . خصائص الانشاء (مبادي الكيميا . الطبيعة والمواليد الثلاث ـ المعدن والنبات والحيوان) فن التعليم (البيدغوجيا) مبادي حفظ الصحة)

محمد المختار بن محمود

---

(١) جاء الفصل الثالث والفصلان بعده بتعيين الكتب التي تدرس بها العلوم الرياضية في مختلف مراتب التعليم الثلاث — العالية والثانوية والاخيرة — على الصورة الاتية : في الحساب شرح ابن غازي على المنية — التلخيص بشرح المراقي ـ المرشدة لابن الهايم ـ القلصادي ـ النخبة الحسابية ـ وفي علم الهيئة : السيد على التذكرة ـ القاضي زاده على الجغميني ـ وفي علم الهندسة والمساحة : تحرير الطوسي لمقالات اقليدس ـ القاضي على اشكال التاسيس ـ الدروس الهندسية لشفيق منصور ـ وفي علم الميقات : منظومة ابن غانم في العمل بالربع المجيب ـ رسالة سبط الماردينى في العمل بالربع المجيب ـ السوسي ـ ـ السراج الاخضري سلم السعادة ـ

(٢) جاء الفصل الرابع والفصلان بعده بتعيين الكتب التي تدرس بها العلوم الرياضية في مختلف المراتب على الصورة الاتية : في الحساب : كشف النقاب ـ النخبة الحسابية ـ القلصادي ـ كتاب الدروس الحسابية لشفيق باجزائه الاربعة ـ وفي علم الهندسة والمساحة : تحرير الطوسي لمقالات اقليدس ـ الدروس الهندسية لشفيق ـ وفي علم الميقات : منظومة ابن غانم في العمل بالربع المجيب ـ رسالة الماردينى في العمل بالربع المجيب ـ السوسي ـ



اخطاء الكتاب في العربية

رد على نقد

قرات في جريدة البصائر التي تصدر في قسنطينة في صفحة ٦ من عدد ٨٤ مقالا للشيخ ابي يعلى الزواوي عنوانه « اصلاح اللسان » قصد منه التنبيه على اغلاط لغوية تقع في استعمال بعض الكتاب من اهل العصر .

وهذا موضوع مهم كان المتقدمون من الادباء وضعوا له عنوان « لحن الخواص » وكان الخائضون فيه قديما جماعة من نقاد الشعر ومن النحاة وقد ضمن كثيرا منه كتاب الموشح للمرزباني وكتاب ادب الكتاب لابن قتيبة وكتاب درة الغواص للحريري وبعض مسائل من كتاب مغني اللبيب لابن هشام وطالما كان محل الجدال في نوادي المتأدبين مثل مجلس الصاحب ابن عباد والاستاذ ابن العميد بل ربما نبعت به قرائح اهل النقد في المجامع العامة مثلما وقع لابن شبرمة مع ذي الرمة في رحبة الكناسة بالكوفة حين انشد ذو الرمة قوله :

اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فانكر عليه قوله لم يكد وقال له « يا غيلان اراه قد برح فابهته ابهاتا الجأه الى ان غير قوله لم يكد بان قال « لم اجد »

وعني به المتاخرون من الادباء المصريين فألف الشيخ ابراهيم اليازجي كتابه المسمى لغة الجرائد في هذا الغرض وعني الاستاذ العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي بالتنبيه على اغلاط لكتاب عصره على ان الكلفين بهذا الموضوع لم يسلموا من التعجل في كثير مما خطأوا فيه فقد انكر معدان الفيل على ابن شبرمة تخطئته ذا الرمة وانكر على ذي الرمة تغيير بيته وقال ان اصله عربي صحيح وانتقد الائمة على الحريري بعض ما خطأ فيه الخاصة . وانا ارى فيما خطأ فيه الشيخ ابراهيم اليازجي كتاب الجرائد كثيرا من المجازفة فكذلك كان شأن الشيخ ابي يعلى الزواوي في حكمه في مقاله هذا .

فقد اشتمل ذلك المقال على ذكر أخطاء للكتاب في ثمانية الفاظ هو محق في اربعة منها ولطالب الوقوف على تفصيلها ان يطالع جريرة البصائر ثم مورد انتقاد كلامه فيها :

اولها اطلاقهم اسم السجادة على الزربية فعده خطأ ومنكرا وتعجب من اهمالهم لفظ الزربية مع انه الوارد في القرآن العظيم وختم كلامه بان جعل لفظ السجادة اعجميا فارسيا

وكلامه في الحكم على استعمالهم لفظ السجادة كله خطأ فان لفظة السجادة عربية فصيحة وقد وردت في كتب اللغة المعتبرة ففي اللسان « والسجادة الخمرة المسجود عليها » وفي الاساس « وسمعت بعض العرب يضمون السين » وورود الزربية في القرآن لا يقتضي الا ان يكون لفظ الزربية افصح وذلك لا ينافي فصاحة لفظ السجادة كما ان ورود لفظ السكين في القرآن في قوله تعلى (وءاتت كل واحدة منهن سكينا) لا يمنع ان يكون لفظ المدية عربيا فصيحا وقد ورد في الصحيح عن ابي هريرة انه قال ما سمعت السكين الا من قوله تعالى (وءاتت كل واحدة منهن سكينا) وما كنا نقول الا المدية . واعجب ما في كلام ابي يعلى الزواوي حكمه على لفظ السجادة بانه عجمي ذاهلا عن اشتقاقها من السجود . وان مجيئها بوزن اسم الفاعل مجاز عقلي اي المسجود عليها كقولهم عيشة راضية

ثانيا ان الكتاب يستعملون فعل اشعل في موضع اوقد قال ابو يعلى وقد ورد في القرآن اشعل في قوله تعلى واشتعل الراس شيبا وليس ذلك بمعنى اوقد ولم يرد في الشعر اشتعل بل ورد اوقد .

وهذا تضييق واسع من ابي يعلى فان فعل اشعل وما تصرف من مادته كله عربي فصيح وقوله تعلى واشتعل الراس شيبا استعارة بديعة في تشبيه انتشار البياض في سواد شعر الراس بالتهاب النار في الفحم ولولا ذلك لما كان هذا اللفظ في الآية واقعا موقعه البديع من البلاغة كما بينه علماء البيان قال في اللسان لما ذكر قوله تعلى واشتعل الراس شيبا « واصله من اشتعال النار »

وكذلك انكاره ورود الاشتعال بمعنى الوقود في شعر العرب قصور واضح فقد قال لبيد في معلقته

فتنازعا سبطا يطير ظلاله ... كدخان مشعلة يشب ضرامها

فالمشعلة هي النار وهو اسم مفعول من اشعل النار بمعنى اوقدها وقد اشار الى استعمالي الاشتعال في الحقيقة والمجاز قول ابي بكر بن دريد في مقصورته اللغوية .

واشتعل المبيض في سوده ... مثل اشتعال النار في جزل الغضى

ثالثها : انهم يستعملون لفظ الصدفة بمعنى الاتفاق وقد التمس لهم عذرا اذا كان بمعنى المصادفة يعني اذا كان وزن الفعلة هنا جاءيا من صادف وكلامه في هذا متجه من جهة القياس لان استعمال ما هو مشتق من الثلاثي في غير الثلاثي يتوقف على السماع فالظاهر ان استعمال الصدفة توسع

وانتقاده على الالفاظ الرابع والخامس والسادس وهي استعمالهم نوايا جمعا لنية ، واستعمالهم البؤساء جمعا لبائس واستعمالهم جملة « لحد الآن » كلام متجه صحيح .

تخميس رجع الصدى لداعية الهدى

زفت الينا صحيفة الفتح الغراء بعددها الصادر في ٢٥ شعبان المنصرم عروسا فتانة من عرائس الشعر تحت عنوان « رجع الصدى لداعية الهدى » لشاعر الموصل الكبير الاستاذ فاضل الصيدلي يمجد بها النابغة المصرية الهادية المهتدية السيدة عزيزة عصفور خريجة الجامعة لما قامت به في شباب محمد صلى الله عليه وسلم بدار الارقم من دعوة الى الحق والهدى . ونظرا لرفعة موضوعها ودقة معانيها واحتياج المجتمع الاسلامي الى بحث امثال هذا الغرض . خمسها مدير هذه المجلة بالتخميس التالي

عزيزة وادي النيل للهدي جددي ... عهودا تقضت في علاء وسؤدد
وحاشاك بنت العرب ان تترددي ... (أعصفورة الوادي اهلي وغردي)
(بنغمتك الغناء شدوا ورددي)

قفي فوق رعن البدر واستوطئي السها ... وشعي علينا ءاية العلم والبها
وبالله يا قسية الرأي والنها ... (اهيبي بما توحي الفضائل والنهى)
(اليك بهذا النشء نصحا وارشدي)

سابعها : انهم يخطئون في نفي ماضي زال بلا النافية والصواب ان ينفى بما النافية قال لان فتىء وانفك وبرح وزال تقرن بما نفيا وبلا دعاء وبالهمزة استفهاما واستدل بقول الالفية : فتىء وانفك وهذي الاربعة لشبه نفي او لنفي متبعه الخ وكلامه في هذا اللفظ مختلط وغير محرر فاما حكمه بالخطأ في نفي ماضي زال بلا النافية فهو حكم صحيح ولكنه لم يحرر تعليله اذ علله بان زال واخواته تقرن بلا نفيا الخ وانما ذلك يصلح تعليلا لعمل زال واخواته عمل كان وليس بيت الالفية مسوقا الا لبيان شرط اعمال زال واخواته عمل كان وكأن الحق ان يعلل ذلك بوجوب اتباع استعمال العرب فان العرب لا يستعملون الماضي كله منفيا بلا النافية اذا لم يتكرر النفي الا والمراد من النفي الدعاء بالنفي لا الاخبار وهذا استعمال غير جار على القياس فاذا تكرر النفي لفظا صح استعماله في غير الدعاء كقوله تعلى فلا صدق ولا صلى وكذلك اذا تكرر النفي في المعنى كقوله تعلى فلا اقتحم العقبة فان الاقتحام الذي دل عليه الماضي المنفي بلا يشتمل على عدة امور قد فسرها قوله تعلى « فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين ءامنوا » فئال معنى قوله فلا اقتحم العقبة الى معنى فلا فك رقبة ولا اطعم ولا ءامن . وفيما عدا ذلك لا يستعمل الماضي منفيا بلا الا اذا كان المراد الدعاء دون الخبر ولذلك كان تخصيص ابي يعلى حكمه بالافعال الاربعة زال واخواته اجحافا بحكم الاستعمال وبخاصة اذا كان خطأ الكتاب في هذا الباب واردا في جميع الافعال الماضية

وكلامه في انتقاد قولهم أفت مرادا به الفت صحيح وجيه .

هذا ما عن لي في مراجعة الشيخ ابي يعلى لقصد تحرير كلامه . وانا اقدر قدر عنايته بالعربية واهتمامه .

محمد الطاهر ابن عاشور

ولن تعدمي في خدمة الحق نصرة تنيلك في مسعاك عزا ورفعة

اقيلي لهذا النشء المبابل عثرة (وبثي لنا من طهر مريم نفحة)

(وقصي علينا حكمة عن محمد)

فقد زاغت الابصار عن خير مقصد وزجت بها الاهواء في شر مورد

وما من صدى يصغى لصيحة مرشد (أيعاو دوي الغي في كل معهد)

(وليس لصوت الرشد عكس بمعهد)

عزيزة جدي في طريقك وادأبي على الهدي حتى تحرزي كل مأرب

ثقي ان هذا الدهر حلف التقلب (لئن ابطأ اليوم الصدى عن تجاوب)

(فلا تيأسي ان سوف يرعد في غد)

لقد ضلت الالباب في خير أمة اناث وذكران شيوخ وفتية

وليس بمجد أن تخصي بدعوة (ولم يكف الا ان تعمي بصرخة)

(رجالا هم الآباء باسم مجرد)

فلن تعدمي فيهم لدى الضيم ضيغما هصورا يذود الشر عن ساحة الحمى

وهم مسلم يرعى مدى الدهر مسلما (فما منهم الا أب او أخ وما)

(سوى البنت او أخت حليلة اصيد)

فللدين ابناء وللحق عترة وللرأي احلاف وللرشد نصرة

لم اليأس ان حفت من الغي غمرة (وفي الصيد اخيار وفي الغيد خيرة)

(اولو رشد بالحق تهدى وتهتدي)

لئن خفر الاسلام يوما حوارس حماة الحمى شم الانوف عوابس

فمنهم باقطار الشمال فوارس (وفي مصر اكياس اباة اشاوس)

(وفيهم غيارى للذمار المهدد)

ليصدع بافريقية كل قائل اصيل الحجا منهم كريم الشمائل

وعهدي بمصر ان ترى في الاوائل (فسيري على اسم الله سيرة باسل)

(وقومي بهذا السبق عن كل قعدد)

لحي بني الغر الميامين مولجا اشم البناجم الجلالة ابلجا

وخطي لهم بالعلم والخلق منهجا (وزجي بهم نحو النزاهة والحجا)

(على السنن الاهدى الى خير مقصد)

أسيلي لهم يا نبعة النيل موردا يرد عن الافهام عادية الصدى

وقولي لهم قولا كريما مرددا (فما شئت من نصح وماشئت من هدى)
(وما شئت من مجد يلبي وسؤدد)

اشيدي باخبار السنين الدوارس روائع ءاثار كرام نفائس
وغني بها ذكرى لاهل المجالس (ولن تعدمي ترديد غيد اوانس)
(وشيكا يعم القطر رغم المعربد)

وحسبك نصر الله عونا وملجئا وحسبك هامات العلاء مبوءا
ولن تحرمي خدنا يضاهيك مبدءا (وهل يحرم الرأي السديد وان نأى
(لدى العصر من رأي حصيف مؤيد)

فما انعدمت بين العقول رجاحة وما سقطت في دولة الحق راية
ولا فقدت في المسلمين هداية (ففي كل ثلب لو جسست مضاضة)
(وفي كل صدر زفرة من تنهد)

وفي الناس ذوغي وفي الناس مرعو وفيهم مجد في خطاه وملتو
فكم من فؤاد من لظى الغي منكو (وكم من حشا دام لذا الجرح منطو)
(على مضض من سيدات وسيد)

بني العرب للعليا الى خير خطة تقيكم مدى الايام شر مذلة
وانا اذا لم نستعد بهمة (احاطت بنا الادواء في كل هيئة)
(واخطرها فتكا وباء التجدد)

سبانا رقي الغرب حبا وطالما سباهم علانا يوم كنا اعاظما
نراهم بعين عن سنا الفخر في عمى (نجدد اثوابا ونصلح مطعما)
(ولم نعن بالاصلاح في حالنا الردي)

حللنا بظلماء المجون معرسا وهمنا بابريق المدام مدنسا
انتبعهم رهطا من العلم مفلسا (ونهمل اخلاقا وروحا وانفسا)
(تداولها الاهواء من كل مفسد)

فلم لا نجاريهم بجر عساكر ورفع مناطيد وصنع بواخر
اينفعنا مما نرى من ظواهر (سفاسف اقوال وفوضى مظاهر)
(وزينة اشباح وزي مقلد)

حشتنا الخطي نحو الخطايا وصحبها ولذنا غرورا بالشرور وخطبها
فبتنا يرانا الله من شر حزبها (فهل نعتني بالصالحات التي بها)

(قوام حياة الامس واليوم والغد)

قنعنا من الدنيا بلمح سرابها فبتنا غنيمات امام ذئابها
اذا هب منا قائم لحسابها (اطاف على الالباب طيش هوى بها)
(فاوردها من سؤره شر مورد)

فهاهم اذلاء وكانوا ضراغما لهم دولة شماء تخترق السما
وهاهم اذا راموا هدى وتقدما (زهاهم وميض من سراب وكلما)
(ارادوا انتباها منه جاء بمرقد)

هم قبل هذا اليوم للكون ساسة لدولتهم في العالمين رئاسة
دهتها عواد اعقبتها تعاسة (دسائس غرب دبرتها سياسة)
(لاعداء هذا الشرق في زي مرشد)

دسائس مكر جمة مستبانة لذا الشرق منها ذلة واهانة
وهل ترتجى من مثل هذا صيانة (وقد زعموا ان الفتاة مهانة)
(لدى الشرق في هذا العفاف المقيد)

رمونا بعدوان الصلاح وصحبه وقالوا بانا لم نرد غير حربه
وقدوا من الاسلام اسباب حزبه (وذلك ادهى ما غزوا شرقنا به)
(وانفذ سهم لو عقلنا مسدد)

فهل همة تسعى لرفع لوائنا وبالدين والعرفان نيل علائنا
وفي صون خدر البنت صون بنائنا (وقد رفع الرحمان قدر نسائنا)
(بفرض صيان عن بذاء وعن دد)

حباهن حقا كان قبلا معطلا وكان بقيد الجاهلين مكبلا
واعلى لهن الشرع ذكرا مؤثلا (وشادلهن الدين والعرف معقلا)
(من الطهر كالصرح الفخيم الممرد)

❊ ❊ ❊

ايا امم الاسلام دينكم الوقا اذا مسكم ضر أو انتابكم شقا
وها انتم حدتم على خير مرتقى (فحي على بقيا النزاهة والتقى)
(وعودا إلى النهج الرشيد الممهد)

وذي نفثات القلب يا اخت . فاسجعي بها وابلغيها كل قلب ومسمع
ونادي بها في كل ناد ومجمع (وانت لها يا اخت هارون فاصدعي)
(عزيزة بالارشاد يا أم معبد)

الطاهر القصار

التشوق الى مسقط الرأس

موشح نظم عقده العلامة الاستاذ محمد الخضر بن الحسين المدرس بكلية اصول الدين بالجامعة الازهرية بمصر يتشوق فيه الى مسقط رأسه تونس ومن فارقهم بها من الاصدقاء . نثبته هنا من مجلة الهداية الغراء

❁ ❁ ❁

مالي لا المح من ذي الجمال ❁ سوى الخيال
الم يكن يدني قطوف الوصال ❁ بلا ملال
الشوق القى مهجتي في نضال ❁ ماضي النصال
ماذا ترى والهجر فيما يقال ❁ داء عضال
ما الانس في اقداح راح تدور ❁ ما بين حور
ان التي تلفحنا في الصدور ❁ نار الغيور

❁ ❁ ❁

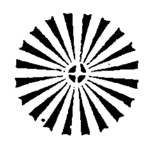
يا موطني لم انس عهد الشباب ❁ عذب الرضاب
وبينما شمر يبغي الذهاب ❁ صاح الغراب
بنا وخضنا في غمار الصعاب ❁ بلا حساب
بيني وبين المجد عهد يهاب ❁ فلا عتاب
ياشاطئ المرسى ازدهر في سعود ❁ ما اخضر عود
وكن كما كنت لعهد الجدود ❁ غيل الاسود
يمرح فيك العز بين الجنود ❁ ضافي البرود
فانك لا تزهى بتلحين خود ❁ ونقر عود

❁ ❁ ❁

فصمت بي يا بين عقد الرفاق ❁ بعد انتساق
وقمت تنعى عند شد الوثاق ❁ يوم التلاق
لقيا رفاقي في ليالي المحاق ❁ مثل الفراق
ان فاتني مرآهم بالحداق ❁ فالود باق
يا معهدا يشمل فيه الكرام ❁ بلا مدام
وابتسمت ازهاره في نظام ❁ بلا كمام
نهضت تحدو بالنفوس العظام ❁ الى الامام
اقلامك الحرة ترعى الذمام ❁ ولا تنام

❁ ❁ ❁

حيا ربا تونس ذات الزهور ❁ عهد السرور
وافتر في طلعة تلك القصور ❁ انس البدور
يا نسمة تخطر بين الاقاح ❁ قبل الصباح
والطل اصفى من دموع الملاح ❁ فوق الوشاح
هبي وجري في النوادي الفساح ❁ ذيل المراح
وهاتها نفحة انس قراح ❁ تشفي الجراح



العالم الاسلامي

تنظيم الاوقاف والشؤون الاسلامية في سوريا « ٣ »

الفصل الرابع ـ المجالس الاسلامية في كل لـواء

المادة ٢٦ – يكون لكل لواء مجلس اسلامي

المادة ٢٧ – عدد الاعضاء في كل لواء عشرة وفي الالوية التي يزيد نفوسها على الثمانين الفا يكون واحدا لكل خمسة وعشرين الفا .

المادة ٢٨ – يشترك مع الاعضاء كممثلين طبيعيين مفتي اللواء ومفتش المعاهد الدينية ومفتش التدريس والمؤسسات العلمية الطائفية . مفتش المحاكم الشرعية ومفتش الترميمات والتعميرات . مادة ٣٢

المادة ٢٩ – صلاحية المجلس .

١ – تهيئة ميزانية المحاسبة ورفعها الى المجلس الاسلامي الاعلى للتصديق

٢ – البحث واتخاذ القرارات العامة بما يتعلق بالمعابد . ترميمها وتعميرها تفريشها واحداثها .

٣ – بالمدارس الدينية . عددها وادارتها . مناهجها والمصادقة على ميزانيتها ومناهجها التدريسية .

٤ – المؤسسات الدينية التكايا والزوايا .

٥ – الملاجي

٦ ـ المؤسسات الصحية

٧ – الاوقاف

٨ – التاجير والتوجيه والاستبدال

٩ – ارسال مندوب المجلس الاسلامي الاعلى

١٠ – ارسال التقارير في القضايا والمشاريع العامة الى المجلس

١١ – النظر في الشؤون الاسلامية وماله علاقة بكيان المسلمين الديني ورفع مقترحاته الى المجلس الاسلامي الاعلى .

١٢ – امتحان المتقدمين للوظائف الدينية وفقا للقانون .

١٣ – البت في المسائل التي يعرضها عليه محاسب الاوقاف

١٤ – ينتخب اعضاء هذا المجلس على الكيفية الآتية :

يجتمع .

١ – ممثل واحد عن كل قضاء .

٢ – « عن المجلس البلدي

٣ – « « « الاداري

٤ – « « نقابة المحامين

٥ — « « « الاطباء
٦ — « « « المهندسين
٧ — « « « الصيادلة
٨ — « « « معلمي المدارس الدينية الاسلامية
٩ — « « « « « التجهيزية
١٠ — « « الغرفة التجارية
١١ — « « الزراعية
١٢ — « « الصناعية
١٣ — مندوب من الناخبين الثانين عن كل منطقة انتخابية في مركز اللواء .
١٤ — النائب العام او من ينوب عنه .
١٥ — امين سر المحافظة او من ينوب عنه .
١٦ — القاضي والمفتي .
١٧ — ثلاثة من الائمة وثلاثة من العلماء .
١٨ — النواب المسلمون الممثلون في مركز اللواء .

١٥ — يرأس الاجتماع النائب العام ويعاونه قاضي الشرع .

١٦ — لكل مسلم حق الترشيح اذا كان مستوفيا شروط النيابة . ويجب اعلان الترشيح قبل موعد الانتخاب بخمسة عشر يوما على الاكثر ويوم على الاقل .

١٧ — الانتخاب يكون بالاقتراع السري وفي جلسة واحدة والذي يحوز النسبة الاكثرية يستحق الانتخاب ومن ياتي بعد العدد يكون مرشحا ليحل محل العضو الذي يخلو كرسيه مدة المجلس

١٨ — مدة المجلس ثمان سنين ويكون الانتخاب في الشهر الثاني لانتهائها .

١٩ — يوضع قانون خاص للاجتماع (يسمى النظام الداخلي)

٢٠ — يتقاضى كل عضو راتبا عن جلساته

٢١ — للجان المجلس ومدة الاجتماع نظام خاص

الفصل الخامس — المحاسبات

المادة ٣٠ — يكون لكل لواء رئيس مصلحة ومحاسب ورئيس ديوان ومعاون وامين صندوق ومامور للواردات ومامور للصرفيات ومامور للمستودع ومامور للتعميرات والترميمات ومهندس وغير هذا مما يجب ان يدخل في ملاك المصلحة .

المادة ٣١ — يرتبط بكل مصلحة اربعة مفتشين

المادة ٣٢ — مفتش للمعاهد الدينية . مفتش للمحاكم الشرعية . مفتش للترميمات والتعميرات مفتش للتدريس والملاجيء والمؤسسات الخيرية .

المادة ٣٣ — يوضع قانون خاص للمحاسبة وموظفيها ومعاشاتهم . (يتبع)

الحركة العلمية والادبية

جمعية الحرمين الشريفين

ان مجلس هاته الجمعية الذي يعقد في كل عام جلسة دورية باحدى عواصم الاقطار الثلاثة : — المغرب والجزائر وتونس — قد انعقد في هذا العام بعاصمة القطر الجزائري . يوم الجمعة في ٧ شوال وفي ١٠ ديسامبر الجاريين . وحضره الاعضاء المنتخبون من اعيان الاقطار المذكورة وقد سافر الوفد التونسي على القطار قبل عقد الجلسة بيومين . وكان متركبا من السادة الافاضل : محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية . محمد قاسم رئيس القسم الاول . مصطفى صفر شيخ المدينة . الشاذلي العقبي رئيس جمعية الاوقاف . محمد العزيز الاخوة رئيس ديوان المولى الوزير الاكبر . الطيب بلخيرية عامل عاصمة العبيديين . وقد انتخبت الحكومة لرئاسة هذا الوفد في هذا العام حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي . فسافر ومعه بقية الاعضاء في اليوم المذكور واجتمعوا باعيان العلماء والمفكرين في القطرين الشقيقين . ولقد احسنت الحكومة صنعا في اسناد رئاسة هذا الوفد لحضرة الاستاذ المشار اليه لانها بذلك قد تداركت الخلل الذي كنا انتقدناه في العام الماضي على صفحات جريدة (الزهرة) في كيفية تكوين الوفد التونسي حيث كان خاليا في الاعوام الاخيرة ممن يمثل طبقة الفقهاء مع ان الصبغة الاصلية لهاته الجمعية صبغة شرعية فمن الواجب جعل الوفد مختلطا ممن يمثلون الهيئة الادارية والهيئة الشرعية . ولقد كان في اسناد رئاسة هذا الوفد لرجل من كبار العلماء ارضاء للجانب العلمي الذي لا تزال حكومتنا الرشيدة دائبة على ارضائه من جميع النواحي . ونرجو ان يستمر العمل بهذا الاسلوب في الاعوام المقبلة مع جعل عدد الاعضاء من الهيئتين متساويا . وقد بحثت الجمعية في هذا العام عن وسائل تسهيل طرق الحج على اهل الشمال الافريقي وتيسير سبل الاقامة لهم في الديار المقدسة . كما نظرت في ميزانية جامع باريس ووسائل ترقيته وكان من جملة ما قررته الجمعية في هاته الجلسة انتخاب عضوين جديدين من البلاد التونسية احدهما لتسديد الشغور الحاصل في عدد الاعضاء التونسيين بوفاة المرحوم السيد الطاهر خير الدين وزير العدلية الشرفي . والآخر زيادة على اصل العدد فصار بذلك عدد الاعضاء التونسيين واحدا وخمسين . والعضوان المنتخبان هما الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور

في جمعية الشبان المسلمين

ان هاته الجمعية المباركة التي لم تزل من يوم تأسيسها تقوم بالاعمال المفيدة نحو النهوض بالحياة العلمية والادبية والحرص على بث الفضائل الدينية بين الناس قد اقامت في عشية يوم الجمعة ٢٨ شوال الجاري (الموافق ليوم ٣١ ديسمبر) منبرا عاما بالجمعية الخلدونية للنظر في مستقبل المعهد الزيتوني العامر والبحث عما يرقي شأن متخرجيه . وقد فتح الاجتماع بخطاب القاه رئيس الجمعية حضرة الفاضل الاديب الشيخ الشاذلي النيفر المدرس من الطبقة الثالثة بالجامع الاعظم تعرض فيه لما يجب على الزيتونيين من العمل لانقاذ جامعهم من كل يد تريد ان تعبث به او تمسه بسوء ثم تداول الخطابة بعده السادة العلماء الافاضل : الشيخ محمد المختار بن محمود المدرس من الطبقة العليا بالجامع الاعظم ورئيس تحرير هاته المجلة فتكلم في موضوع هام يتوقف عليه كل اصلاح يريده الزيتونيون لانفسهم وهو (كيف يجب على الزيتوني ان يتصور نفسه) ثم الشيخ محمد الهادي ابن القاضي المدرس من الطبقة العليا بالجامع الاعظم وامين مال هاته المجلة فبسط القول في وجوه الخلل التي يراها في نظام التعليم بالجامع مع بيان اسباب علاجها . ثم الشيخ الطاهر القصار المدرس من الطبقة الثانية بالجامع الاعظم ومدير هاته المجلة فالقى خطابا يقارب في اصل الموضوع خطاب الشيخ ابن القاضي . ولكنه توسع اكثر منه في بعض ما يراه من وجوه الخلل . ثم الشيخ التهامي الزهار المدرس من الطبقة الثالثة بالجامع الاعظم وكان خطابه على نمط خطاب الشيخين قبله . وكان الهدف الذي يرمي اليه كل من هؤلاء الخطباء الافاضل هو البحث عن ترقية جامع الزيتونة والترفيع من شأن متخرجيه . وبعد ما انتهى دور المشائخ من الخطابة تقدم تلميذ نجيب من تلامذة الجامع وهو السيد محمود شرشور فالقى خطابا لطيفا تعرض فيه لمطالب الزيتونيين وحثهم على الكد والاجتهاد في سبيل التحصيل عليها وانتهى الاجتماع على الساعة السادسة ونصف . فنهني جمعية الشبان المسلمين على نجاحها في هذا الابتكار الجميل . ونرجو لها الاستمرار على القيام بكل عمل نافع ومفيد . اهـ

المدرس المالكي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم والشيخ محمد المختار بن محمود المدرس الحنفي من الطبقة العليا به ورئيس تحرير هاته المجلة

وبعد ما انتهى المؤتمر من جلساته الرسمية بعاصمة الجزائر سافر الى بسكرة في ضيافة شيخ العرب السيد العزيز بن ڤانة وقضى هنالك اياما للتنزه بمناظر تلك البلاد الجميلة والتمتع بحياتها الطبيعية البسيطة . وبعد ذلك رجع اعضاء المؤتمر الى بلدانهم . وكان رجوع الوفد التونسي في عشية يوم الخميس في ١٣ شوال وفي ١٦ ديسامبر . فنهني حضرة رئيس الوفد واعضاءه الافاضل بسلامة القدوم .

جدول اصلاح غلط

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٩٨	١١	رحانا	رحان
٩٨	١١	فيها	فيه
١٠٠	٢٣	الآله	الآلـه
١٠١	١٤	كضبية	كظبية
١٠١	١٦	الامين	الآمنين
١٠٤	١٦	لو	ولو
١٠٤	٢٠	وكانوا	كانوا
١٠٤	٢٤	اسرايل	اسرائيل
١٠٤	٢٦	هاهنا	هنا
١٠٤	٢٧	رجالا	رجال
١٠٥	٢٣	خطياهم	خطاياهم
١٠٦	٢٠	اتيتك	آتيتك
١٠٩	٢	الفقهة	الفقهية
١٠٩	٤	عمرته	عمراه
١٠٩	١٣	نصبه	نصيبه
١١٦	٢٧	النظره	الناضره
١١٧	١٧	لسدنة	لسدانة
١١٩	١٧	منها للتمدن	منهم للتمدن
١١٩	٨	ينعتوتها	ينعتونها
١٢٩	٨	بتيحان	بتيجان
١٢١	٢٢	عامها	عامها العاشر
١٢١	٢٤	السمحاء	السمحة

تنبيه

جاء في صحيفة ١١٩ وصف تاج سلاطين ابن ابي حفص انه يقرب ان يكون من الفضة التي رغبت فيها السنة . والمباح اتخاذه حلية من الفضة انما هو الخاتم





الجزء الرابع | تونس في ذي القعدة عام ١٣٥٦ وفي جانفي ١٩٣٨ | المجلد الثاني

فهرس العدد

ثمن العدد ثلاثة فرنكات | المطبعة التونسية



الجزء الرابع | تونس في ذي القعدة عام ١٣٥٦ وفي جانفي ١٩٣٨ | المجلد الثاني

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

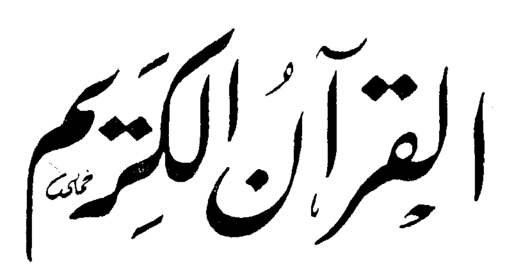
ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات



بسم الله الرحمن الرحيم*

« الحمد لله »

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(٣)

والرحمن الرحيم اسمان عربيان مشتقان من رحم وقيل الرحمن اسم عبراني معرب نقله القرطبي عن ابن الانباري عن المبرد قال واصله بالخاء المعجمة وانشد على ذلك قول جرير يخاطب الاخطل

او تتركن الى القسيس هجرتكم ومسحكم صلبكم رخمان قربانا

وعندي ان كون الرواية بالخاء المعجمة لا يدل على التعريب لان مادة رخم في العربية تتفرع عنها معاني العطف والحنو والرحمة قال ذو الرمة يشبه بغزالة

كانها ام ساجي الطرف احذرها مستودع خمر الوعساء مرخوم

ورخم رخمة كرحم لغة اليمن ، وهو وصف لله تعلى والاتفاق على ان الوصفين دالان على المبالغة في صفة الرحمة اي تمكنها وتعلقها بكثير من المرحومين وانما الخلاف في طريقة استفادة المبالغة منهما والذي ذهب اليه صاحب الكشاف وكثير من المحققين ان الرحمان صفة مشبهة كغضبان وبذلك مثله في الكشاف ، وفعل رحم وان كان معتديا والصفة المشبهة انما تصاغ من فعل لازم الا ان الفعل المعتدي اذا صار كالسجية لموصوفه ينزل منزلة افعال الغرائز فيحول من فعل بفتح العين او كسرها الى فعل بضم العين للدلالة على انه صار سجية كما قالوا فقه الرجل وضرب وفهم ثم تشتق منه بعد ذلك الصفة المشبهة واما الرحيم فمذهب سيبويه انه من امثلة المبالغة وهو باق على دلالته على التعدي واما الجمهور فلم يثبتوا في امثلة المبالغة وزن فعيل فالرحيم عندهم صفة مشبهة مثل الرحمان والمبالغة حاصلة فيه على الاعتبارين والاظهر ما ذهب اليه سيبويه وستعلم له غناء فيما سياتي

واسم الرحمة موضوع في اللغة العربية لرقة الخاطر وانعطافه نحو شيء بحيث تحمل من اتصف بها على الرفق بالمرحوم والاحسان اليه واعانته فهي فينا من الكيفيات النفسانية لانها انفعال ولتلك الكيفية

* تابع لما نشر بالجزء - ٣ - مجلد - ٢ -

اندفاع نحو افعال وجودية . فأصل الرحمة من مقولة الانفعال وءاثارها من مقولة الفعل فوصف الله تعلى بالرحمة منزه بالضرورة عن ان يريد واصفه حصول ذلك الانفعال الملحوظ في حقيقة الرحمة في متعارف واضعي اللغة العربية لسطوع ادلة تنزيه الله تعلى عن الاعراض بل انما يراد بهذا الوصف في جانب الله تعلى اثبات الغرض الاسمى من حقيقة الرحمة وهو الرفق واللطف والاحسان والاعانة لان ما عدى ذلك من القيود الملحوظة في مسمى الرحمة في متعارف الناس لا اهمية له لولا أنه لا يمكن على حصول ءاثاره الا ترى ان المرء قد يرحم احدا ولا يملك له نفعا لعجز او نحوه وقد اشار الى ما قلناه حجة الاسلام الغزالي في المقصد الاسنى بقوله (الذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها فإن كان قادرا على قضائها لم يسم رحيما اذ لو تمت الارادة لوفى بها وان كان عاجزا فقد يسمى رحيما باعتبار ما اعتوره من الرحمة والرقة ولكنه ناقص) وبهذا تعلم ان اطلاق نحو هذا الوصف على الله تعلى ليس من المتشابه لتبادر المعنى المراد منه وتحقق تنزه الله عن لوازم المعنى المقصود في الوضع مما لا يليق بجلال الله تعلى كما نطلق العليم على الله مع التيقن بتجرد علمه عن الحاجة الى النظر والاستدلال وسبق الجهل وكما نطلق الحي عليه تعلى مع اليقين بتجرد حياته عن المادة والتكون ونطلق القدرة مع اليقين بتجرد قدرته عن المعالجة والاستعانة واما المتشابه فهو ما كانت دلالته على المعنى المنزه عنه اقوى واشد وقد بينته عند قوله تعلى وأخر متشابهات و مدكون كل من صفتي الرحمن الرحيم دالة على المبالغة في اتصافه تعلى بالرحمة فقد قال الجمهور المحققون ان الرحمن ابلغ من الرحيم بناء على ان زيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى والى ذلك مال جمهور المحققين مثل ابي عبيدة ابن جني والزجاج والزمخشري

وعلى رعي هذه القاعدة فقد شاع ورود اشكال في وجه ارداف وصفه تعلى بالرحمن بوصفه بالرحيم مع ان شان الكتاب والخطباء والشعراء اذا اجروا وصفين من معنى واحد على موصوف في مقام الكمال ان يرتقوا من الاعم الى الاخص ومن القوي الى الاقوى كقولهم شجاع باسل وجواد فياض وعالم نحرير وخطيب مصقع وشاعر مفلق وقد رأيت لهم في توجيه الارتقاء من الرحمن الى الرحيم اجوبة كثيرة مرجعها الى اعتبار الرحمن اخص من الرحيم وانا اخالفهم في ذلك وانتهج مذهب سيبويه وهو ان الرحمن صفة مشبهة والرحيم مثال مبالغة فليس بين الصفتين عموم وخصوص مطلق ولا من وجه بل هما متباينان في معنى التوصيف لان مدلول الرحمن كون الرحمة وصفا ذاتيا لله تعلى اشارة الى كونه وصفا قديما ازليا ولذلك كان وصف الرحمن مختصا به تعالى مما خصه به القرآن على التحقيق . ومدلول الرحيم كون الرحمة كثيرة التعلق اذ هو من امثلة المبالغة ولذلك كان يطلق على غير الله تعلى كما في قوله (بالمؤمنين رءوف رحيم) فليست احدى الصفتين بمغنية عن الاخرى ولا حاجة الى توجيه تقديم الرحمن على الرحيم ولو شئنا توجيهه لقلت ان الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي اولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها . ومن المفسرين اللغويين من زعم ان الرحمن

والرحيم يدلان على معنى واحد من الصفة المشبهة فهما متساويان وجعلوا الجمع بينهما في الآية من قبيل التوكيد اللفظي . وهو وجه ضعيف اذ هو خلاف الاصل

وقد ذكر جمهور الايمة ان وصف الرحمن لم يطلق في كلام العرب قبل الاسلام وأن القرآن هو الذي جاء به صفة لله تعلى فلذلك اختص به تعلى حتى قيل انه اسم له وليس بصفة واستدلوا على ذلك بقوله تعلى وان قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن

قوله تعلى (الحمد لله) هذا اول الكتاب المجيد على الاصح من مذاهب ائمة الاسلام وهم الذين لا يرون البسملة آية من سورة الفاتحة ولا من اول كل سورة فالفاتحة هي اول سورة من القرآن اعتبارا ولذلك سميت فاتحة الكتاب كما تقدم ووضعت الاولى في ترتيب المصحف وهذا الوضع مستند لقراءة النبيء صلى الله عليه وسلم ولو كان نزولها بعد سورة الانسان وسورة المدثر . على ان كثيرا من العلماء قالوا بان الفاتحة اول القرآن نزولا بناء على انها مكية وانما جعلت سورة الفاتحة اول سور القرآن فيما ارى والله اعلم لان في معانيها إعدادا لنفوس القارئين والمستمعين نحو تلقي الهدي الذي اشتمل القرآن على تفصيله ذلك الهدي الذي به صلاح الامة في عاجلهم وآجلهم ومعاشهم ومعادهم واذ قد كان المخاطبون ابتداء بالقرآن لم يسبق اليهم هدي آلهي كما قال الله تعلى (لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك) وقال ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) . والشان في الخطاب بامر عظيم لم يسبق للمخاطب به خطاب من نوعه ان يستأنس له قبل القاء المقصود وان يهيأ لتلقيه وان يشوق الى سماع ذلك وتراض نفسه على الاهتمام بالعمل به ومظهر ذلك الارتياض هو التفرغ للتلقي بالتخلي عن كل ما شانه ان يكون عائقا عن الانتفاع بالهدي من عناد ومكابرة او امتلاء العقل بالمعارف الضالة فان النفس لا تكاد تنتفع بالعظات والنذر . ولا تشرق فيها الحكمة وصحة النظر ما بقي يخالجها العناد والبهتان . وتخامر اشدها نزغات الشيطان . نبه الله تعلى اهل القرآن الى اصول هذه التزكية النفسية بما لقنهم من المناجاة التي تضمنتها سورة الفاتحة من قوله اياك نعبد الى ءاخر السورة فانها تضمنت اصولا عظيمة اولها التخلية عن التعطيل والشرك بما تضمنه اياك نعبد. الثاني التخلي عن خواطر الاستغناء عنه بالتبري من الحول والقوة تجاه عظمته بما تضمنه واياك نستعين . الثالث الرغبة في التحلي بالرشد والاهتداء بما تضمنه اهدنا الصراط المستقيم . الرابع الرغبة في التحلي بالاسوة الحسنة بما تضمنه صراط الذين انعمت عليهم . الخامس التهمم بالسلامة من الضلال الصريح بما تضمنه غير المغضوب عليهم . السادس التهمم بسلامة تفكيرهم من الاختلاط بشبهات الباطل المموه بصورة الحق وهو المسمى بالضلال لانه خطأ الطريق المقصود بما تضمنه ولا الضالين . وانت اذا افتقدت اصول نجاح المرشد في

ارشاده والمسترشد في تلقيه على كثرتها وتفاريعها وجدتها عاكفة حول هذه الاركان الستة. فكرن في استقصائها لبيبا. وعسى ان ازيدك من تفصيلها قريبا. وان الذي لقن اهل القرآن ما فيه جماع طرائق الرشد بوجه لا يحيط به غير علام الغيوب لم يهمل ارشادهم الى التحلي بزينة الفضائل وهي ان يقدروا النعمة حق قدرها بشكر المنعم بها فاراهم كيف يتوجون مناجاتهم بحمد واهب العقل ومانح التوفيق ولذلك كان افتتاح كل كلام مهم بالتحميد سنة الكتاب المجيد

فسورة الفاتحة بما تقرر منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب او المقدمة للخطبة وهذا الاساوب له شأن عظيم في صناعة الانشاء وهو اعون للفهم وادعى للوعي

وقد رسم اسلوب الفاتحة للمنشئين ثلاث قواعد للمقدمة. القاعدة الاولى ايجازها لئلا تمل نفوس السامعين بطول انتظار المقصود وهو ظاهر في الفاتحة ومنه نعلم وجه كونها سورة قصيرة موضوعة قبل السور الطوال. الثاني ان تشير الى الغرض المقصود وتلك الاشارة تسمى براعة الاستهلال وقد تقدم بيان اشتمال الفاتحة على هذا عند الكلام على وجه تسميتها بام القرآن وفيما تقدم انفا. الثالثة ان تكون المقدمة من بليغ الكلام وجوامعه وقد بين ذلك علماء البيان عند ما ذكروا المواضع التي ينبغي للمتكلم ان يتأنق فيها وعدوا اولها اول الكلام وقد الممنا بشيء من هذا انفا وسيظهر تفصيله في تضاعيف الكلام على تفسيرها.

فضل القرآن وآداب تلاوته

عن النبي صلى الله عليه وسلم

القرءان فيه خبر من قبلكم . ونبأ من بعدكم . وحكم ما بينكم ، وعن الشعبي : الذي يقرا القرءان انما يحدث عن ربه .

وقال انس رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن اذا اصبحت واذا امسيت فان القرآن يحي القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر

وعن علي كرم الله وجهه : لا خير في عبادة بلا فقه، ولا خير في قراءة بلا تدبر، وينبغي للقاري اذا اراد القراءة ان يريد بها وجه الله وان لا يقصد بها التوصل الى شيء سوى ذلك وان يتأدب مع القرآن وان يستحضر في ذهنه ان يناجي ربه عز وجل وان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور وتتبين الامور ودلائل هذا اكثر من ان تحصى واشهر من ان تذكر ، وقد بات جماعة من السلف الواحد منهم يتلو آية كاملة ويتدبرها ، وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص رضي الله تعلى عنه : دواء القلب خمسة اشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين ،

تفسير آية التغابن

سألني عالم فاضل صديق اعتاد تأنيسي بزيارته عن تفسير قوله تعلى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وما وجه تسمية يوم القيامة في هذه الآية بيوم التغابن غير مثلج لما قاله بعض المفسرين في وجه هذه التسمية من ان التغابن هو ان اهل الجنة يغبنون اهل النار وذكر انه راجع تفاسير كثيرة فلم يجد فيها ما يقنعه وحاورني في ذلك محاورة هزت من عطفي الى ان افصح في تفسير هذه الآية بما عسى ان يكون فيه مقنع . واللبيب يتبع احسن القول ويسمع . ذهب الجمهور الى ان سورة التغابن مكية الا الآيات الاخيرة من ءاخرها التي اولها (يا ايها الذين ءامنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) الآيات واحسب ان هذه الآيات هي التي بعثت القائلين بان السورة مدينة اذن نعلم ان المقصود من الخطاب بالآية هم اهل مكة ابتداء وهم قريش ولذلك جاء فيها (زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلا وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فئامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير) (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) وقد قال ايمة من المفسرين ان عادة القرآن انه يريد بالذين كفروا متى ذكر في القرآن المشركين من قريش وقوله قل بلى كلمة بلى فيه ابطال للنفي الواقع في قوله لن يبعثوا فانها حرف يفيد عكس معنى نعم ويقع بعد النفي في الاستفهام وفي الخبر وقوله (يوم يجمعكم ليوم الجمع) ظرف متعلق بقوله لتنبؤن بما عملتم ويجوز ان يتعلق بقوله لتبعثن باعتبار عطف قوله ثم لتنبؤن عليه اي يبعثكم فينبؤكم يوم يجمعكم ليوم الجمع لان البعث حاصل قبل الجمع وقوله (فئامنوا بالله ورسوله الخ) جملة معترضة بين الفعل والظرف ويوم الجمع يوم القيامة وقوله ذلك يوم التغابن جاء فيه اسم الاشارة للبعيد لتهويله ولفت العقول اليه فلذلك عدل عن الضمير فلم يقل هو يوم التغابن لئلا يفوت معنى الحصر المقصود وسيعلم ما فيه من النكتة وجملة ذلك يوم التغابن جملة اسمية معرفة الجزءين فكان حقها ان تفيد الحصر اي هو يوم التغابن وليس غيره من الايام يوم تغابن . ومعنى هذا الحصر ان ذلك اليوم لما حصل فيه التغابن في اهم الفضائل جعل ما عداه من الايام التي يقع فيها التغابن كالعدم فحصر جنس يوم التغابن في ذلك اليوم بتنزيل التغابن الواقع في غيره منزلة العدم وهذا من قصر الصفة على الموصوف على وجه المبالغة وهذا الوجه من الحصر يسمى بالحصر الادعاءي لان المتكلم يدعي ان الوصف بيوم التغابن محصور في ذلك اليوم وهو يوم الجمع كقولهم انت الحبيب . واعلم ان الحصر انما حصل هنا من صيغة القصر التي هي تعريف المسند والمسند اليه ولم يحصل الحصر من التعريف باللام في قوله التغابن بناء على ان اللام فيه دالة على معنى الكمال لان معنى الجنس الذي هو اصل معنى اللام صالح

هنا فلا يعدل عنه الى حمل اللام على معنى الكمال اذ لا يحمل عليه الا عند تعين الحمل عليه بالقرينة وهي منفية هنا لاستقامة الحمل على تعريف الجنس وهو اكثر معاني اللام ولولا صيغة القصر لما استفيد معنى الحصر فكيف يكون حاصلا من معنى الكمال الذي لم ينشأ في هذا المقام الا من حصول معنى الحصر . فلا يختلط عليك كما اختلط على بعض العلماء . والتغابن مشتق من الغبن والغبن الحط من قيمة المبيع عند شرائه فكل شراء باقل من القيمة فهو غبن . ومادة التغابن تفاعل من الغبن واصل مادة التفاعل تدل على وقوع الفعل من جانبين فصاعدا كالتقاتل والتسابق فلفظ التغابن يدل على وقوع غبن حاصل بين جوانب في يوم القيامة وقد اتفق المفسرون على ان المفاعلة غير مقصود منها هنا وقوع الفعل من جوانب ولكنهم اختلفوا في تحصيل المعنى فذهب الزمخشري ومن تبعه مثل الفخر والبيضاوي الى ان المفاعلة هنا هي ان يغبن اهل السعادة اهل الشقاوة اذ ينزلون منازل الجنة التي كان يمكن لاهل الشقاوة ان ينزلوها لو عملوا عمل السعداء وهذا يشبه الغبن فالغبن المستفاد من هذا الجانب استعارة وهذا احد جانبي الفعل واما جانب غبن اهل الشقاوة فجعله الزمخشري تهكما لان نزولهم في منازل النار ليس غبنا لاهل السعادة وعلى هذا الوجه يكون اللفظ مستعملا في مجازين مختلفين على وجه يشبه المشاكلة التقديرية وهذا المعنى ينحو الى تفصيل كلام مجمل نقل عن ابن عباس وهو تفسير بعيد جد البعد ، وذهب ابن عطية الى ان صيغة التفاعل هنا غير مستعملة في معناها الاصلي وهو الدلالة على وقوع الفعل من جانبين فاكثر بل هي هنا لحصول الفعل من جانب واحد للمبالغة مثل التواضع والتمايل فيكون المعنى ذلك يوم الغبن اي يوم غبن الكافرين وهو ينحو الى تفصيل كلام نقل عن مجاهد في تفسير الآية وهو اقرب الى الاستعمال وابعد عن التعسف ولكنه لا يشفي الغليل لان الاشقياء والكفار لم يغبنوا فيما لقوه بل اخذوا حقهم من العذاب فلم يحصل معنى اصل الغبن فضلا عن المبالغة فيه المستفادة من مادة التفاعل التي لا يحسن ادعاؤها الا اذا كان اصل الفعل واقعا فهذا التفسير وان خرج من ورطة عدم صحة التفاعل لم يخرج من ورطة عدم وجود اصل مادة الغبن وجميع التفاسير مما رأينا لم يخرج عن هذين المعنيين اما مع ضبط او مع تخليط ومنهم من مر بالآية مرا . ولم يحتلب منها درا . اما انا فاكد ثمادي . واستهدي بالهادي .

فأقول: ليس المعنى في الآية حاصلا من مراعاة معاني المفردات لا على وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز ولكنه معنى عزيز جليل حاصل من مجموع التركيب وهو قوله ذلك يوم التغابن فقد اشار الحصر الادعاءي الذي قدمنا بيانه الى ان المخاطبين يحسبون اياما كثيرة ايام تغابن قد عرفوها واشتهرت وان المتكلم يحسب ان تلك الايام التي عرفها الناس ليست بايام تغابن وان هذا اليوم المتحدث عنه هو يوم التغابن لا غيره من الايام فبنا ان نتعرف الايام التي يعدها المخاطبون ايام تغابن وان نرجع الى احوال المخاطبين وهم اهل مكة ومن حولهم ذلك ان التغابن هنا قد اضيف اليه يوم

فعلمنا ان ليس المراد من التغابن تغابن ءاحاد الناس في بيوعاتهم الخاصة التي تعرض من ساعة الى اخرى وفي يوم وءاخر بل المراد تغابن يحصل في يوم معين يكثر فيه التبايع فيغبن فيه ناس كثير ويتربص فيه بعض الناس ببعض لالحاق الغبن والخسارة ولا نجد اياما بهذه الصفة غير ايام الاسواق وقد كانت قريش اهل تجارة وكانت الاسواق حول مكة في الحج سوق عكاظ وسوق ذي المجاز وسوق مجنة فكل داخل الى الاسواق يحرص على ان يجلب الربح الى نفسه ويغبن غيره ويحذر من ان يغبنه غيره فكل يترقب الربح ويحذر الخسارة ولا يرضى لنفسه ان يكون مغبونا لان الغبن يؤذن بغباوة المغبون واستخفاف الناس به وتمشي الحيلة عليه وكل هذه اوصاف يأباها العربي فشبه في الآية حال الناس يوم القيامة بحال الناس يوم السوق في ترقب ما ينفع والاشفاق مما يضر وهو تشبيه هيئة بهيئة وليس تشبيه معنى لفظ مفرد بمعنى مفرد ءاخر واستعمل المركب الدال على الهيئة المشبه بها فأطلق على الهيئة المشبهة على طريقة الاستعارة التمثيلية وهي اعلى انواع الاستعارة والمقصود من ذلك تذكير الكفار والمؤمنين بتلك الحالة بين الرغبة والرهبة حتى يستحضروا كانهم قد تلبسو بها فيحذروا سوء عاقبتها من الآن وذلك بان يسعوا الى ما يجلب الربح ويتقوا ما يجلب الخسارة الحقة قال تعالى يرجون تجارة لن تبور . وقد تكرر في القرآن تمثيل حال اهل الفوز واهل الثبور في الآخرة بحال التجارة كما في قوله تعلى فما ربحت تجارتهم .

ولذلك جاء هذا الكلام المجموع في قوله ذلك يوم التغابن مجيء الدليل والمقدمة وهو اسلوب عجيب في صناعة التخاطب فهو بمنزلة الدليل لقوله فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وهو ايضا بمنزلة المقدمة لقوله (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا نكفر عنه سيئاته وندخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بئاياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) فلا جرم ان تحصل للسامعين بعد سماع تلك المقدمة وهذه النتيجة روعة الخائف الوجل . فتحملهم على توخي خير العمل . قاله محمد الطاهر ابن عاشور

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند النوم

في صحيح البخاري : عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا آويت الى فراشك فقل اللهم اسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت امري اليك ، والجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت . فانك ان مت في ليلتك مت على الفطرة وان اصبحت اصبت اجرا اه

الحديث الشريف

أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر

اعتنت الشريعة الاسلامية باقامة هذا الدين على دعائم محكمة الترصيع وهذا الحديث دعامة عظيمة من دعائم الاخلاق التي ترتكز عليها سعادة الامة . وقاعدة من القواعد العامة التي يقام عليها صرحها وهيكلها الاجتماعي فبقدر ما تدرك الخطر الذي ينجر من هاته الصفات الاربع يكون قربها من الكمال . وتربعها على دست السعادة . وكلما تفشت في افرادها خصلة منها دخلتها اسباب الهوان والانحلال . ولنبين كل واحدة من الخصال الاربع واخطارها على الفرد والمجتمع مقدما الكلام على الوصف الجامع لها وهو النفاق .

النفاق مخالفة الباطن للظاهر اخفاء لما يكنه الضمير فان كان باعتقاد الكفر وإظهار الايمان فهو نفاق الكفر وهو أشد انواعه وان كان فيما سوى ذلك فهو نفاق العمل . ونفاق العمل داء عضال ما تفشى في امة الا انحلت روابطها الاجتماعية واضحى افرادها غير شاعرين بالهوة السحيقة المنحدرين فيها

وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام للمسلمين الصفات الملازمة لهذا المرض الخلقي فقال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، لتتخذ كعلامة تدل عليه من جانب وتحذيرا منها حتى لا يعتادها المسلم ويسلم من شرها من جانب آخر ، اي اربع خصال من اجتمعن فيه كان منافقا لامرية في نفاقه . ومن كانت فيه خصلة واحدة من تلك الخصال كانت فيه خصلة من النفاق ولازمته شعبة من شعبه حتى يتركها ويثوب الى رشده ويبرأ من تبعتها اذا استغفر من ذنبه ، فلنحدثك على هذه الخصال الاربع الواحدة تلو الاخرى .

الخيـانـة

عد الحديث من خصال النفاق خيانة المؤتمن وهو ان يتصرف المرء فيما ائتمن عليه بغير وجه مشروع ظلما وتعديا على الحقوق ، والامانة ذات حقوق تجب حرمتها ، فاذا تعدى ولم يراع تلك الحقوق فقد خان وما كان امينا الا ليحافظ عليها ويرعاها حق رعايتها وهـذا يشمل حقوق الله تعالى وحقوق العباد

اما حق الله فيتناول اقامة شرعه الذي أمننا عليه فلا نغير منه شيئا ونبلغه للناس من غير تحريف ونرعاه بالائتمار باوامره وترك المنهيات ولا نتعدى حدوده ومن تعدى حدوده متعمدا كان خائنا لما ائتمن عليه قال تعالى (يأيها الذين ءامنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون)

فخيانة الشرع بنبذه والاستخفاف به وعدم تبليغه على الوجه البين الحق وعدم القيام بالواجبات والوقوع في المنهيات وعدم الاكتراث بما توعد الله به المخالف من العذاب

واما حقوق العباد فتشمل كل ما ائتمن عليه الانسان من عرض اومال او نحو ذلك من الحقوق وحفظها ورعايتها يكونان بعدم التعدي وبذل ما في الوسع من الحيطة وعدم التفريط ، وخيانتها تكون بضد ذلك بان يتعدى على حرم غيره المؤتمن عليه ـ او يتصرف في الامانة المودعة عنده بنوع من انواع التصرف كان يبيع المال المؤمن او ينقص منه او يجحده الى غير ذلك من التصرفات الضارة الغير الماذون فيها شرعا ، وهذا ظلم يستحق عليه العقاب الدنيوي والعذاب الاخروي وهـو مدعاة لنزع الثقة من نفوس الناس وذلك الخطر كله والخائن بصنيعه هذا الممقوت قد دل على سوءنيته وانه اضمر السوء عند تقبله الامانة وتحمله لها فاظهر اولا رعايتها ولما صارت اليه ظهر منه ما يخالف حالته الاولى ولذلك عدت هاته الصفة منه خصلة من خصال النفاق

الكذب

العلامة الثانية التي عدها الحديث من علامات النفاق الكذب والكذب أس البلايا ورأس النفاق ، والقاضي على الاخلاق ، يوقـع صاحبه في المهانة وعدم الثقة به ويضعه موضع المقت والصغار

ثم ان الكذب يعظم بقدر ما يترتب عليه من الاخطار وبحسب ما ينجر به من البلايا والمفاسد الخاصة والعامة كتاف الاموال التي امر الله ان تراعى وضياع الحقوق التي امر تعالى ان تصان وقطع الارحام التي اوجب سبحانه ان توصل الى غير ذلك من المضار

فالكذب يلبس صاحبه على الناس باظهار خلاف الحقيقة التي يعلمها ومن اجل ذلك عد من خصال النفاق بل كما قلنا هو رأس النفاق اعاذنا الله منه ومن شره المستطير

نقض العهد

العلامة الثالثة من علامات المنافق انه اذا عاهد غدر . وذلك ان الوفاء بالعهود امر اوجبه الشرع الاسلامي وهو امارة على كمال اسلام صاحبه وكلما نقص هذا الوفاء نقص ذلك الكمال فاخلاف الوعود ونقض العهود من النقائص التي يربأ المسلم عن ان يتصف بها او تصير له عادة ، والقدر المنكر هو ان يكون العزم على عدم الوفاء مقارنا لساعة الوعد فيكون غادرا في عهده مضمرا عدم اتمامه والوفاء به وبذلك عد من خصال النفاق

اما اذا كان عازما على الوفاء ساعة وعده ثم عرض له ما حال دون الوفاء به فهذا لم يكن غادرا ولا هو من اهل النفاق .

وهناك قسم ثالث وهو ان يكون عازما على الوفاء ثم اخلف من غير عذر شرعي فهو دون القسم الاول لانه لم يغدر وفرق بين الاخلاف والغدر لان هذا يعتمد على اضمار عدم الوفاء من ساعة العهد . والآخر لم تتقدمه نية الاخلاف وانما تهاون بوعده فلم يوف . وكلا الامرين صفة ممقوتة لما فيهما من ضياع المصالح والاخلال بنظام الحياة وكل هذا يفقد به الانسان شرفه الا ان الاولى شرها عظيم وخطرها جسيم ، والغدر بالعهود الممقوت يشمل سائر ما يتعهد به الانسان سواء كان لله تعالى او لرسوله او للناس

وفي رواية مسلم بدل الغدر في العهد ، الخلف في الوعد

قال صاحب المحكم يقال وعدته خيرا ووعدته شرا فاذا اسقطوا المفعول قالوا في الخير وعدته وفي الشر اوعدته اه وعليه فيكون الاختلاف فيما اذا لم يذكر الموعود به خيرا او شرا ليكون ذلك كدليل على المراد ، وحكى ابن الاعرابي في نوادره اوعدته خيرا بالهمزة ، وربما يقال انه لا تنافي بينهما لان المحكي في النوادر مذكور فيه الخير وما تقدم يقتضي انه انما يدل على الشر اذا لم يذكر المفعول وليس في كلام صاحب المحكم ما يدل على قصر اوعدته على الشر في كل الحالات

وقال صاحب الفتح : المراد بالوعد في الحديث - اي على هاته الرواية - الوعد بالخير واما الشر فيستحب اخلافه ، وقد يجب ما لم يترتب على ترك انفاذه مفسدة

الفجور في المخاصمة

هذه رابعة الصفات التي هي من امارات النفاق وهي الفجور في المخاصمة وعدم الوقوف عند حد الحقوق التي يروم صاحبها استرجاعها من المعتدي عليه ، فان المسلم يطالب بحقوقه ولكن في حدود من اللياقة والاداب فيلزمه ان يرعى آداب المخاصمة إذ لكل شيء آدابه . ولا يتجاوز الحدود المرسومة ولا يتخذ المخاصمة ذريعة لالحاق الضرر بخصومه فان ذلك يظهر ما تضمره نفسه ومن ذلك

عد هذا الفجور من النفاق حيث كشف عن حاله بامارة من اماراته

هذا وما جاء في الحديث من عد الخصال اربعا ليس المقصود منه حصر علامات النفاق فيها كما ترشد اليه رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ولفظها من علامات المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان

قال القرطبي ولا مخالفة بين الحديثين الواردين في عد خصال النفاق لاحتمال انه استجد له صلى الله عليه وسلم من العلم بخصال المنافقين ما لم يكن عنده ثم قال فحصل من المجموع خمس خصال لانهما تواردا على الكذب والخيانة في الامانه وزاد في الاول (١) الفجور في المخاصمة والغدر في العهد وزاد في الثاني (٢) الخلف في الوعد . وهذا كله بناء على انهما حديثان في زمانين . وبناء على ان المراد من الخلف في الوعد غير الغدر في العهد . وقد جوز صاحب الفتح ان تكونا روايتين لحديث واحد والرواية الثانية تصرف من الراوي وعلى هذا فيكون المزيد في الرواية الاولى خصلة واحدة وهي الفجور في المخاصمة . وحاول ارجاعها الى الكذب

وبناء على انهما حديثان في زمانين يكون تغاير الخصال باعتبار تغاير الاوصاف واللوازم وبهذا تندفع محاولة صاحب الفتح ادخال بعض الخصال واندراجها في بعضها كاندراج الفجور في الخصومة في الكذب ومحاولته ارجاع الحديثين الى بعضهما بهذه الطريقة . وكذلك على اعتبارهما روايتين لحديث واحد وانما سها بعض الرواة عن الخصلة الرابعة التي اثبتها غيره ولا حاجة الى التمحل بارجاع بعض الخصال الى بعض . وقد ذكر صاحب الفتح وجها آخر للجمع بين الروايتين حاصله انه لا يلزم من عد الخصلة المذمومة الدالة على كمال النفاق ان تكون علامة على النفاق لاحتمال ان تكون العلامات الثلاث المذكورة في الروايات المتعددة دالة على اصل النفاق والخصلة الزائدة اذا اضيفت الى تلك كمل بها خلوص النفاق .

وهذا الاحتمال يبعده ما جاء فيما رواه مسلم عن العلاء بن عبد الرحمن قال آية المنافق ثلاث وان صام وصلى وزعم انه مسلم . فقد عد فيها ثلاثا من خصال النفاق وبين ان ذلك يدل على كمال خلوص النفاق بقرينة قوله وان صام الخ . فقوله والزائدة اذا اضيفت الى تلك كمل بها النفاق يقتضي انه لا يوسم بكونه منافقا كامل النفاق الا بعد تحقق الخصال الاربع مع ان الرواية التي سقناها من حديث مسلم تدل على ان الثلاثة تكفي في تحقق النفاق الكامل والا لما ظهر قوله وان صام وصلى وزعم انه مسلم

ثم ان هذا الحديث عد مشكلا من جهة ان هاته الخصال قد توجد في المسلم ولنثبت هنا بعضا مما اجاب به العلماء عن هذا الاشكال

(١) اي الذي نحن بصدد شرحه
(٢) اي رواية مسلم

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم الذي قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق باخلاقهم لا انه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ومعنى كونه منافقا خالصا انه شديد الشبه بالمنافقين ، ونقل ابو عيسى الترمذي عن بعضهم انه نفاق العمل . وهذا هو الذي ارتضاه القرطبي ومال اليه صاحب الفتح

وقال الخطابي المراد باطلاق النفاق الانذار والتحذير وان الظاهر غير مراد . وقال جماعة من العلماء ان المراد به المنافقون الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم فحدثوا بايمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا النصرة فاخلفوا وفجروا في خصوماتهم ونسب هذا الى سعيد بن جبير ورجع اليه الحسن البصري كما نقل ذلك عنه قال النووي رحمه الله وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر قال عياض واليه مال كثير من ايمتنا .

وهذا يعضده قوله صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم المتقدمة وان صام وصلى وزعم انه مسلم والروايات يفسر بعضها بعضا

على انه لا مانع من ان يكون الحديث في وصف المنافق اعتقادا ومع ذلك هو تحذير وانذار عن ارتكاب هذه الخصال بالنسبة للمسلم فان من تخلق باخلاق قوم واتصف بصفاتهم عد منهم وبيان لخطر هذه الصفات الذميمة فنفهم من ذلك انه يصح لنا ان نطلق على صاحبها انه منافق العمل لكن يبقى علينا قوله عليه الصلاة والسلام ومن كانت فيه خصلة منهن الخ فكانه قرينة تنادي على ارادة غير نفاق الكفر . ونقول في جواب ذلك ان هذا يدل على ارادة الاعم لا انه يصرف عن ارادة الاخص المعين وهو نفاق الكفر . فان النفاق اذا اطلق في لسان الشرع انما ينصرف الى الفرد الكامل وهو نفاق الاعتقاد والجنوح الى سواه نوع تاول فيلزم ان نراعي كافة الدلائل وهي تدلنا على ارادة المعنى اللغوي الشامل للمعنى الشرعي وذلك لشمول الخصال المذكورة لما هو من قبيل الاقوال والافعال والنيات

وهذا هو وجه الاقتصار في العلامات على ما ذكر لان الاصل في الديانات ان لا تتعدى القول والفعل والنية وتلك الخصال مشعرة بالاعمال التي ترجع الى الاقوال كالكذب والتي ترجع الى الافعال كالخيانة والفجور والتي ترجع الى النية كالغدر فالغرض التنبيه على اصولها

والحديث يوضح لنا في جلاء ان ما يخفيه المرء ويبطنه من الشر لابد وان تظهر بوادره وان بالغ في الاخفاء ما بالغ

ومهما تكن عند امريء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

وظهور العلامات كاف في الاتقاء واتخاذ اسباب الحيطة من مكر المنافق وخداعه .

بقي علينا ان نوضح ان هذه الصفات هل هي جبلية او تكتسب وطرق معالجتها اذا ما التصقت احداها بنفوسنا وموعدنا بذلك عدد قادم بحول الله تعلى

محمد الشاذلي بن القاضي

التآليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف من التآليف وبيان أخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ
محمد عبد الحي الكتاني الشريف

« ٦ »

حرف الغين

(الغيطي) هو محدث الديار المصرية ومسندها نجم الدين محمد بن احمد الغيطي الشافعي المصري المتوفى بها عام ٩٨١ له مولد نفيس اوله الحمد لله الذي انار بمولد احمد المصطفى جميع الوجود اكمله عام ٩٨٠ ـ وهو في جزء صغير وهو من المواليد التي يتعين نشرها بالطبع لكونه سلك فيه مسالك النقل والتخريج . بالمكتبة الكتانية منه عدة نسخ منها واحدة تم نسخها عام ١١٢٩ وقد اعتنى الناس بمولد النجم الغيطي هذا واعتمدوه فاختصره عالم مصر الشيخ حسن المدابغي وقد سبق ذكره في حرف الميم وفي المكتبة الكتانية حاشية على مولد الغيطي هذا لبعض تلامذة الاجهوري والشبراملسي لم اعرف خطه وفيها ايضا حاشية عليه للعلامة الامير الكبير فيها فوائد

حرف الفاء

(فتح الله حسبي وكفى في مولد المصطفى) للبرهان ابي الصفا ذكره له في كشف الظنون

(فتح الله في مولد خير خلق الله) لصاحبنا الفقيه الصوفي ابي محمد فتح الله ابن ابي بكر البناني الرباطي المتوفى عام ١٣٠٤ ـ بالرباط اوله الحمد لله الذي شرف الكون بولادة خير الانام اتمه عام ١٣٢١ ـ طبع بالمطبعة الحميدية بمصر عام ١٣٢٣ ـ في ص ١٨١

(فتح العلي الستار المنجي على قصة المولد للبرزنجي) للشيخ عبد الله بن علي بن يوسف بن يعقوب المكي الفارسي اوله الحمد لله الذي شرف الموجودات خصوصا العرب الخ فرغ من تأليفه بالمسجد الحرام عام ١٢٦٢

(فتح اللطيف لشرح نظم المولود الشريف) للشيخ مصطفى بن محمد العفيفي الشافعي المكي على نظم السيد زين العابدين البرزنجي مطبوع بمصر عام ١٢٩٣

(فتح القدير) انظر مولد الدردير في حرف الدال

(فتح الصمد) انظر اللخمي في حرف اللام

(الفخر العلوي في المولد النبوي) للحافظ شمس الدين محمد عبد الرحمان السخاوي المتوفى عام ٩٠٢ ذكره لنفسه في الضوء اللامع ونسبه له ايضا صاحب النور السافر

(الفخر الدنغلي) هو الفخر ابوبكر الدنغلي جمع في المولد جزءا قاله في كشف الظنون

(الفانوس) هو البرهان يوسف الفانوس عمل ارجوزة تزيد على اربعمائة بيت في قصة المولد ذكره في كشف الظنون

حرف القاف

(قصيدة) في المولد النبوي للصاعقة في العلوم والفنون والاقدام نجم الدين بن عبد القوي الطوفي الحنبلي البغدادي المتوفى بالخليل بالشام عام ٧١٦ ترجمه الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة فقال وله قصيدة في المولد النبوي اولها

ان ساعدتك سوابق الاقدار .. فأنخ مطيك في حمى المختار

انظر ص ١٥٧ - من ج - ٢

(القول المنجي) انظر مولد البرزنجي .

(القاوقجي) هو مسند طرابلس ومحدثها وصوفيها ابو المحاسن محمد بن خليل القاوقجي الحسني الطرابلسي الحنفي المتوفى بمكة المكرمة عام ١٣٠٥ له اربع مواليد منها واحد بالمكتبة الكتانية في جزء صغير بخط مشرقي كتب في حياة مؤلفه ونروي ماله من طريق عشرة من اصحابه منهم المعمر الصالح السيد سليم ابن خليل السماني الدمشقي شفاها بدمشق عام ١٣٢٤

حرف السين

(سليمان البرسوي) المتوفى بعد ثمانمائة له مولد تركي منظوم وكان مؤلفه اماما للسلطان يزيد وبعد وفاته قطن ببرسة فصار اماما لجامع السلطان المذكور وهو الذي يتلى في المجالس والمجامع في البلاد الرومية وقد نظم غير واحد من شعراء الترك لكن لم يلتفت الى نظم احد سواه ولم يشتهر قاله في كشف الظنون

(السمان) هو الامام العارف ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم السمان المدني المتوفى عام ١١٩٣ له مولد اوله : حمدا لمن اطلع من مطالع الغيوب طوالع الانوار المحمدية في المكتبة الكتانية منه نسخة

(ابن السنباطي) هو الشمس الدمياطي المعروف بابن السنباطي عمل مولدا نظما قاله في كشف الظنون .

(ابن سويدان) انظر مولد المدابغي

(سعادة الدارين ومنحة سيد الكونين) لابي الفضل احمد البخاري الدمياطي الحسني مولد منظوم اوله .

الحمد لله اهل العشق ما انفصلوا ثم الصلاة على المختار ما اتصلوا

في مائتين واثنين وعشرين بيت ختمها بقوله تاريخها مسك اذفر لمن كسبوا اتم نظمه عام ١٣٠٩ وطبع بالمطبعة العلمية بمصر عام ١٣١٠

(سفر المولد) للعالم العارف الاديب البارع الشيخ ابي عبد الله محمد المعطي ن صالح بن محمد المعطي الشرقي التادلي الجعدي من افراد رجال القرن الثاني عشر بالمغرب الاقصى المتوفى به عام ١١٨٠ - صاحب كتاب الذخيرة اكبر كتاب الف في الاسلام في السيرة النبوية في نيف وسبعين مجلدا كل مجلد خاص بشان من شئون السيرة النبوية منه مجلد خاص بالمولد وهو في نحو نيف وعشرين كراسة . من هذه السيرة في المكتبة الكتانية ما يزيد على عشرين مجلدا فيها ما عليه خط المؤلف .

(سعيد البيان في مولد سيد الانس والجان) للشيخ احمد سعيد الدهلوي الهندي صاحب الذكر الشريف المتقدم في حرف الذال .

حرف الشين

(شرح المرزوقي على مولد اللخمي) هو العلامة ابو الفوز المرزوقي المالكي نزيل مكة فرغ من تأليفه عام ١٢٨١ طبع ببولاق ١٢٨٦ - وبهامشه المولد المذكور .

(شرح القوصي) على مولد الدردير هو العلامة الصوفي ابو الحسن علي بن عبد الحق الحجاجي القوصي المالكي المتوفى ١١٩٤ - سماه الروض النظير على مولد الدردير بالمكتبة الكتانية منه نسخة خطية كتبت عام ١٣٠٥

(شرح اذاقة الانام لمنكر عمل المولد والقيام) لاكثر علماء الهند في هذا القرن تصنيفا الشيخ احمد رضى خان البريلوي الهندي الحنفي المتوفى عام ١٣٤٠

حرف الهاء

(الهبات الربانية في مولد خير البرية) للشيخ علي بن محمود الاسمشي الخلوتي اوله حمدا لمن شرف الوجود بقطب الدائرة النبوية مطبوع بمصر في ص ٢٤

(الهيتمة) هو الامام حافظ الديار المصرية نور الدين على ابو الحسن بن ابي بكر الهيتمة المصري المتوفى عام ٨٠٧ له مولد كبير عليه حاشية للشيخ حجازي ابن عبد المطلب العدوي من علماء القرن الثالث عشر اوله الحمد لله الذي اطلع انوار القرآن فانار اعيان الاكوان منه نسخة بالمكتبة السلطانية بمصر تم نسخها عام ١٢٠٦ في ستة كراريس .

حرف الواو

(الورد المنهول الاصفى في مولد الرسول المصطفى) للشيخ مصطفى بن كمال الدين البكري

المصري اوله الحمد لله الذي ولّد الانوار في الاسرار ، ذكر في خطبته انه لما الف كتابه المورد الروي في المولد النبوي طلب منه اختصاره لان فيه قليل بسط لا طويل ذيل واكثار بسبب سرد عبارات رشيقة الالفاظ فبادر للاقتصار على ما لا بد منه من الاخبار وسماه بالمورد المنهول الاصفى وهو مولد لطيف في المكتبة الكتانية منه نسخة تم نسخها عام ١١٦٩ - وهذا المولد هو الذي اختصره ابو اسحاق ابراهيم الرياحي التونسي في مولده قال في طالعته: والمواليد وان كانت شتى، واتت بالغرض المقصود بما تاتى، لكن لا يخفى اختلاف طبقات الاقوال، بحسب اختلاف الازمنة والاحوال، واكثر المواليد في هذا الزمان استعمالا، وانفعها بركة واعمها نوالا، مولد السيد مصطفى البكري المسمى بالمورد المهل الاصفى، الا ان فيه بعض تطويل يورث ملالا، وتراكيب يضيق العقل في فهمها مجالا، فاردت اختصاره على وجه لطيف يقطف ثماره، ويقضي اوطاره الخ

(الورد الندي في المولد المحمدي) للسيد محمد حامد عوض اوله استبسم ثغور زهور الافتتاح بالاسم الاعظم ، اتمه مؤلفه في المدينة المنورة عام ١٢٩٨ - طبع في بومباي بالهند في صفحات ٣٢

(الوسيلة العظمى في الدارين الى من له الشفاعة العظمى في الدارين) في القيام عند ذكر ولادة صاحب توسين للشيخ محمد ايوب بن محمد لطيف الله البشاوي الهندي سببه انه سئل عن القيام عند ذكر الولادة النبوية عام ١٣٣١ - بالمدينة مطبوع بالهند في صفحات ١٣٢

حرف الياء

(يوسف المدني) انظر مولد الدردير في فتح القدير

(اليمن والاسعاد) انظر الكتاني

حرف الهمزة

(ءايات العرفان) تقدم في حرف الراء

هذا ما تيسر جمعه عن استعجال واشتغال بال في نحو ثلاثة ايام وليال كان ءاخرها عاشر صفر الخير عام ١٣٥٦ بالمكتبة الكتانية من فاس بقلم محمد عبد الحي الكتاني حمد المولى عقباه واناله ما يتمناه ءامين

تاويل آية مما اشكل على بعض الافهام

عن ابي امية : قال : سالنا ابا ثعلبة الخشني رحمه الله ، فقلنا كيف نصنع بهذه الآية ؟ قال آية آية ؟ قلت : (يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم)

فقال : اما والله لقد سالت عنها خبيرا . سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « نعم ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رايتم شحا مطاعا . وهوى متبعا . واعجاب كل ذي راي برأيه . ورايت امرا لا يدان لك به ، فعليك بنفسك ودع امر العوام ، فان من ورائكم ايـاما . الصابر فيهن مثل القابض على الجمرة . للعامر فيهن كاجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله »

الحديث رواه الطبراني في التفسير

الفتاوى والاحكام

طعام اهل الكتاب

الحمد لله لما اراد الامير احمد باشا الاول السفر الى باريس أمر كاتبه الشيخ احمد ابن ابي الضياف ان يسأل الشيخ محمد بيرم الرابع بما نصه مولانا شيخ الاسلام وعمدة الايمة الاعلام جوابكم الشافي في طعام اهل الكتاب المباح لنا بنص الكتاب هل يتناول الطعام ذبائحهم ام لا وهل يشترط ان تكون ذكاتهم موافقة لذكاتنا ام لا وهل يشترط في اباحة طعامهم تحقق سلامته من النجاسة ام لا فقد افتى ابن العربي من ايمة مذهبنا بما نصه : افتيت بان النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها تؤكل لانها طعامه وطعام احباره اهـ بناء على عموم الاية. المراد ان تحرر لي في النازلة من اقوال ايمتكم وهل فيهم من افتى بمضمون قول ابن العربي وفي غالب ظني ان لبعض اجدادكم كتابة في النازلة فان كانت فارسلها ولا تستغني بها عن جوابكم والسلام من معظم قدركم المعروف

فاجابه الشيخ المذكور بما نصه

الحمد لله وعليكم السلام المزري بسجف الغمام وبعد فقد تصفحت السؤال واجلت فكري فيما تضمنه من المقال فاذا امره يدور على الكشف عن ثلاثة امور وهنا نحن نحرر فيها الكلام على طبق ما دونه إيمتنا الاعلام فنقول : اما قولكم هل يتناول الطعام ذبائحهم فجوابه نعم هو متناول لها ففي البرهان شرح مواهب الرحمان وشرطها (يعني الذكاة) ان يكون الذابح على ملة التوحيد اعتقادا او دعوى فحل ذبيحة المسلم لانه على ملة التوحيد اعتقادا والكتابي لانه يدعي التوحيد سواء كان ذميا او حربيا والاصل قوله تعلى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اهـ فانت ترى كيف جعل الآية الكريمة اصلا في اباحة ذبائحهم وما ذلك الا لتناول لفظ الطعام فيها للذبائح بل قضية كلام الفخر الزيلعي ان المراد بالطعام في الآية مذكاهم على سبيل الخصوص فكانه قيل ومذكى الذين اوتوا الكتاب حل لكم اذ غير ما للذكاة اثر فيه من الطعام يحل من غير اهل الكتاب فان استدلاله بذلك النظم الشريف قال والمراد به (يعني بطعام اهل الكتاب) مذكاهم لان مطلق الطعام غير المذكى يحل من اي كافر كان ولا يشترط فيه ان يكون من اهل الكتاب واقتفى اثره في حمل الطعام على ذلك صاحب الدرر وكذلك الحموي في شرح الكنز حيث قال بعد استدلاله بتلك الآية والمراد ما تلحقه

الزكاة من حميتهم لانه خص اهل الكتاب بالذكر وما لا تلحقه الزكاة يستوي فيه الكتابي والمجوسي فثبت بهذا ما ادعيناه في صدر الجواب ثبوتا لا خفاء فيه . واما قولكم وهل يشترط ان تكون ذكاتهم موافقة لذكاتنا فجوابه ايضا نعم يشترط في ذكاتهم ما يشترط في ذكاتنا كما يشهد بذلك تدوينهم لاحكام الذبائح على فارقين بين كون الذابح مسلما او كتابيا ففي الاجناس بنقل الحموي يعتبر في الذكاة اربعة احدها في الفاعل وهو أن يكون معتقدا لكتاب سماوي منزل في دين مقر عليه . والثاني صفة في الفعل وهي ذكر الله تعلى عليه . والثالث صفة في الآلة بان يكون لها حدة . والرابع صفة الواقع بان يكون فيه قطع الاوداج فهذا الكلام يدل على عدم الفرق في هذا وفي الهندية ثم انما تؤكل ذبيحة الكتابي اذا لم يشهد ذبحه ولم يسمع منه شيء او شهد وسمع منه تسمية الله تعلى وحده لانه اذا لم يسمع منه شيء يحمل على انه قد سمى الله تعلى تحسينا للظن به كما في المسلم ولو سمع منه ذكر الله لكنه عنى بالله عز وجل المسيح عليه السلام قالوا يؤكل الا اذا نص فقال بسم الله الذي هو ثالث ثلاثة فلا يحل فاما اذا سمع منه انه سمى المسيح عليه السلام وحده او سمى الله سبحانه وسمى المسيح لا تؤكل ذبيحته اه . وخلاصته انه تحرم ذبيحته اذا عدل عن ذكر الله تعلى اصلا او شرك معه غيره ولا يضر مع تصريحه باسم الله تعلى علمنا بانه يعتقد المسيح إلاها . ويوافقه ما في الشرنبلالية عن الاختيار من قوله ولو قال بسم الله وهو يعني المسيح يؤكل بناء على الظاهر فهذا هو المعول عليه واما ما نقله الحموي عن المستصفى من قوله هذا اذا لم يعتقد ان المسيح آله فان اعتقد فهو كالمجوسي فقد اوهنه ناقله فانه مخالف لعامة الروايات لظاهر قوله تعلى ياهل الكتاب لا تغلوا في دينكم مع قولهم المسيح ابن الله قال وسئل ابن عباس عن ذبائحهم فقال قد احل الله لكم فقيل يهلون لغير الله فقال الذي احل ذلك منهم اعلم بما تقولون وفي الشرنبلالية تحقق اثر نقله لما في المستصفى وقد قدمنا انه ينبغي الحكم على ما يظهرون لا ما يضمرون . واما قولكم وهل يشترط في اباحة طعامهم تحقق سلامته من النجاسة فجوابه ان التحقق لا يشترط بل الشرط هو تحقق عدم النجاسة الذي هو اعم من تحقق الطهارة وخلاصة ذلك انه ما لم يتحقق النجاسة يجوز الاكل ففي شرح السير الكبير للامام السرخسي مانصه : ولا باس بطعام النصارى او اليهود من الذبائح وغيرها لقوله تعلى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولا باس بطعام المجوس كله الا الذبيحة لقوله عليه السلام سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم فان قلت هذا انما يدل على اصل حلية الطعام المبحوث عنه لا كون طعامهم محمولا على الطهارة فيحل اكله والا فلا وليس فيما نسقت دليل عليه قلت يظهر من سياق كلامه وسياقه حمل الطعام على الطهارة وسيرد عليك من تمامه ما فيه شفاء الغليل فمن ذلك ما ذكره في معرض الاستدلال على ما تقدم وهو ما روي عن سويد غلام سلمان قال اتيت سلمان يوم هزم الله فارس بسلة وجدتها فيها خبز وجبن وسكين فجعل يطرح لاصحابه من الخبز ويقطع لهم من الجبن

فيأكلون وهم مجوس فعرفنا انه لا باس بطعامهم ماخلا الذبيحة. ومنه مارواه عن ابن سيرين من ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يظهرون على المشركين فيأكلون في ءانيتهم ويشربون. فتلخص ان تحقق الطهارة ليس بشرط في جواز الاقدام على الاكل بل يبقى الامر على اصل الطهارة حسبما دل عليه ما تلوناه عليك مما ليس فيه لزوم الكشف ويدل عليه ايضا ما في الهندية ان محمدا قال ويكره الاكل والشرب في اواني المشركين قبل الغسل ومع هذا لو اكل وشرب فيها قبل الغسل جاز ولا يكون ءاكلا ولا شاربا حراما وهذا اذا لم يعلم بنجاسة الاواني فاما اذا علم فانه لا يجوز ان يشرب فيها ويأكل منها قبل الغسل ولو شرب او اكل كان شاربا او ءاكلا حراما وهو نظير سور الدجاجة اذا علم ان على منقارها نجاسة فانه لايجوز الوضوء به والصلاة في سراويلهم نظير الاكل والشرب في اوانيهم ان علم ان سراويلهم نجسة لاتجوز الصلاة فيها وان لم يعلم تكره الصلاة فيها ولو صلى يجوز اه فيؤخذ من صريح هذا الكلام ان القادم على الاكل من ءانية مشرك والشارب فيها غير متحقق انها نجسة ليس بمرتكب حراما وان كان الاحتياط في الدين صرف النظر الى الوقوف على تحقق الطهارة فرارا من ارتكاب المكروه ووزان الاكل من الآنية وزان الاكل من الطعام لما علم ان السر في الجميع انما هو البحث عن الطهارة والنجاسة ليس الا اذ ما يتعلق بالذكاة قد تقدم الكلام فيه مستوفى هذا والذي شاهدناه وسمعناه ممن تقدم موثقا بعلمه ودينه الاقدام على التناول مما يجلب من بلاد الكفر من الاشربة والمركبات السكرية ونحوها فليسعنا ما وسعهم وليس هذا من اتقاء الشبهات فكفى المرء نبلا في هذا الزمان التجافي عن الهجوم على المحرمات البحتة هذا ما لدي الآن من الجواب عن فصول السؤال واما ما ذكرتم من فتوى القاضي ابي بكر فاني لا اعلم في المذهب الحنفي ما يوافقها ولا اعلم كتابة لاجدادي في المسئلة الا نظما للجد الاقرب في الجبن وها انا مورده هنا لانه لايخلو من فائدة ونصه

الحمد لله الذي قد وسعا	عباده فضلا بما قد وسعا
في شرع طه المصطفى الاواه	عليه تترى صلوات الله
وجعل اختلاف اهل العلم	للناس رحمة بهم في الحكم
وبعد ذا فانني اقول	ما حكم الذكر له دليل
ما يصنع الافرنج من جبن وقد	كان بجزء ميتة قد انعقد
اعني به انفحة حلال	عند الامام ما به اشكال
لكونه يقول تلك طاهره	فعلة الحكم بهذا ظاهره
وكونه يصنع في اواني	ليست من التنجيس في امان
لا يوجب التحريم اذ لو وجبا	كان طعامهم لنا مجنبا
والله قد احل في الكتاب	لنا طعاما لاولي الالباب

تحليف الشاهد بالطلاق لتعزيز شهادته

ورد على ادارة المجلة السؤال الآتي من مدينة طرابلس الغرب ونصه : بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته افتونا تؤجرون

سؤال :

ايجوز للحاكم ان يحلف الشاهد بالطلاق في بلاد يرى اهلها الحلف بها سفاهة وليستغل الحاكم امتناع الشاهد عن اداء شهادته تحيزا لفريق من المتخاصمين دون الآخر

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى ءاله وصحبه ومن والاه وبعد فالجواب انه لا يجوز للقاضي ان يحلف الشاهد اليمين على صدق شهادته لان الشاهد اذا كان عدلا فعدالته وازع له عن الشهادة بزور فلا فائدة لتحليفه وفي التحليف مع العدالة اضرار له بتكليفه ما لم يكلفه الشرع اياه وقد قال الله تعلى ولا يضار كاتب ولا شهيد وان لم يكن عدلا فشهادته غير مقبولة شرعا فلا اثر ليمينه في قبول شهادته لان الذي لا يزعه دينه عن شهادة الزور لا يزعه ايضا عن الحلف الباطل . اما تحليف الشاهد بالطلاق فعبث اذ قد يتعمد الحلف به ليعمل شهادته لما تجره اليه من النفع بالمواطاة مع المبطلين في الدعاوي ثم يفارق امراته التي في عصمته لقلة رغبته فيها او استغنائه عنها بغيرها او نية مراجعتها بعد محلل على مذهب من يرى ذلك أفتيت بذلك وانا الفقير الى ربه عبده محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي بتونس وكتب في قعدة وفي جانفي سنة ١٣٥٦ - ١٩٣٨

النفحة الندية . في الرحلة الاحمدية

صدر سفر هذه الرحلة الجليل آية من آيات الفن وتحفة من تحف التحرير والابداع . يختال في برد قشيب ويزري في محاسنه بالغصن الرطيب . فسد في عالم التاليف ثلمه . وكشف في مجال التاريخ ظلمه . جمع فيه مؤلفه النحرير كل ما رق وراق . وملا المسامع والاحداق . من حديث تاريخ الاسفار في امة الاسلام وغيرها وما ينجم عنها من المنافع الجمه في ميادين النهوض والرقي في مختلف النواحي واصلا بذلك ما بين الماضي والحاضر . مستقصيا لاسفار كبراء الاسلام وعظمائه وتنقلات الساسة واهل الدولة في الارض . مصدراً هذا المؤلف الكريم بصورة ولي النعم سيدنا ومولانا الملك ابقاه الله فكانت في جبينه غره . وفي سلك صوره الفريدة دره . ثم تعقبها الصور البديعة للاشخاص ذات القيمة العالية وغالبها لمولانا الملك وحاشيته الكريمة في تنقلاته بباريس وغيرها وما يتصل بذلك من مناظر الاجلال والحفاوة . فلله در محرر هذا الاثر العالم المؤرخ الاديب الشيخ محمد المتداد الورتاني فقد كان ماهرا في تصوير كل ما يتعلق بالرحلة الملوكية ابدع تصوير وشرح جميع ما احاط بها من ظواهر الاجلال لملكنا المعظم وافراد حاشيته اينما حل

وتشتمل هذه الرحلة على صفحات ٣٠٢ وبها العدد الكثير من الصور الرائعة فنتمنى لها ما هي اهل له من سعة الانتشار وعظيم التقدير

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

« ٣ »

ولنتمم الاستدلال على ما قررناه في الجواب فنقول :

اذا تقرر لديكم أن العقل والدين والعلم اخوة اشقاء متعاضدون وان الاول من اصول الثاني والثاني اصل للثالث

١ – كان هذا اول دليل على ان لا يعقل تعارضها وتعاندها ونورد لكم ادلة اخرى اصولية وفروعية على ذلك مقدما ادلة اصول الدين ثم اصول الفقه ثم ادلة الفقه فاقول :

٢ – الاسلام دين الفطرة بنص القرآن . فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون الآية من سورة الروم . قال ابن جزي الاندلسي في تفسيره : ومعناه خلقة الله والمراد به دين الاسلام كأن الله خلق الخلق عليه اذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة وانما كفر من كفر لعارض اخرجه عن اصل فطرته كما قال عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه هـ بحروفه

٣ – مبدأ الاسلام تحرير الفكر الانساني وجعله طليقا ينظر في ملكوت الله لإستنتاج المجهول من المعلوم واكتشاف ما خفي عن الفهوم

فالاسلام لا يمنع الفكر من اظهار مواهبه والبحث فيما يرقى نوع الانسان والله خلق له ما في السماوات وما في الارض جميعا ليتمتع بذلك وبما انطوى عليه من عجائب الخلق قال الله : او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض . وقال : او لم يتفكروا . وقال : ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وامثالها فلو كان الدين ضد العقل ضاغطا له محجرا عليه ما امكن ان يعطيه هذه الحرية الواسعة في الملكوت لا في المالك ولا في صفات المالك فليس له ان يعدو طوره كما سياتي

فلو قلنا ان الدين ينافي العقل او العلم لكنا جمعنا بين متناقضين نقول له تفكر ثم اذا تفكر واستنتج منعناه وحجرنا عليه . هذا خلف

٤ – العقائد الاسلامية التي هي اهم شيء في التشريع الاسلامي استقرأناها فلم نجد عقيدة واحدة ضد العقل او العلم وانما هي اقسام ثلاثة ـ ١ ـ عقيدة لا يستدل الاسلام عليها الا بالعقل والبرهان القطعي وهي وجود الله . وعلماء السنة معترفون انه لا يفيد في اثباتها الا العقل دون النقل اذ هي أساس العقائد

وأول ما يلقى لكل تلميذ قبل اثبات النبوة والمعجزة ولا معنى لاثبات وجود المرسل بالكسر برهان يستند الى اقوال المرسل بالفتح اذ الرسول انما يعلم صدقه بعد أثبات المعجزة التي شرطها التحدي بأن يقول انا رسول الله ودليلي المعجزة فيلزم اثبات وجود الله قبل المعجزة التي هي نفسها دليل عقلي ايضا اوطبعي على خلاف فيها

فهي عقيدة مستندة الى البرهان العقلي المحض ونحن نجد القرآن استدل عليها بذلك، ومن آياته خلق السموات والارض الآية في آيات اخر(١) . قيل لعلي كرم الله وجهه هل عرفت الله بمحمد او عرفت محمدا بالله فاجاب لو عرفت الله بمحمد ما عرفته

- ب - وعقيدة يستدل عليها بالبرهانين العقلي والنقلي كغناه تعلى ومخالفته لخلقه

- ت - وعقيدة يستدل عليها بالبرهان النقلي كالسمع والبصر والكلام ولكن البرهان العقلي لا يدفعها ولا يناقضها بل يسلمها وان لم يتفطن لاثباتها ببرهان قبل الشرع

ولا يوجد القسم الرابع الموجود عند غيرنا وهو عقيدة يثبتها الدين ولا يسلمها العقل . بل الدين الاسلامي نعى على الذين يثبتون هذا القسم وابطله وبين بشاعة تكليف العقل ان يعتقد ما دلت براهينه على نفيه لذلك نجد القرآن ينعى على من يقول بالوثنية وبالحلول والاتحاد والتثليث وبين بطلان ذلك بادلة عقلية

فبهذا صار العقل الركن الاعظم لاساس المعتقدات فما أوجبه وجب اعتقاده وما احاله صار محالا وما جوزه كان جائزا

ه — وجدنا القرآن يستدل بدلائل العقل البرهانية على العقائد الثابتة بالسمع ايضا

قال تعالى : لو كان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا . وهذا برهان عقلي على وحدانية الله تعالى واستدل ابراهيم عليه السلام بذلك ايضا قال تعالى : وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما رءاى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون . الى قوله تعالى وتلك حجتنا ءاتيناها ابراهيم على قومه . فسماها حجة يثبت بها الحق وهي دليل عقلي محض

وبيانه انه نظر طلوع الكواكب وغروبها فوجدها على نظام مضبوط في غاية الدقة لا ينتقض، مطابق لمصلحة الخلق فايقن انه لا يمكن ان يكون اتفاقا ولا عن طبيعة غير عاقلة وغير حكيمة بل لا يصدر الا عن قوي قاهر مستبد بملكه وحده حكيم عليم وهذا لعمري اعجب دليل على تلك

---

(١) حل الرموز لعزالدين بن عبد السلام

العقائد لا سبيل الى رده ولا التشكيك فيه ولا مندوحة لعاقل عن تسليمه وهو احسن برهان يقيمه المسلم على وجود الله ووحدانيته وحكمته سبحانه وهو ما ظهر لي وانا القاصر في تقرير الآية وهو مغن عما لكثير من المفسرين والمناطقة والمتكلمين فيهم الفخر الرازي وغيره الذين جعلوه من الاستدلال بالتغير على الحدوث (١) ونزيد بيانا فنقول هذه العوالم العظيمة والاجرام العلوية والسفلية التي عالمنا الشمسي بارضه وقمره وشمسه ودراريه السيارة وغيرها بالنسبة اليه كذرة من رمل القطر المصري كما قال بعض منجمي العصر وكلها عوالم منتظمة تحار الافكار في نظمها بل تحار الافكار في نظام جسم ءادمي او حيوان واحد منها الذي هو ذرة من ذرات عالمنا

أهذا يكون حدث اتفاقا أهذا احدثته طبيعة لا تعقل ولا تدرك ؟ كلا بل ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير قوي قاهر عليم علما لا يكيف ولا يوصل لكنهه، حكيم حكمة باهرة. والصنعة دليل الصانع

نظرت مرة الى بعوضة وتاملت في ايداع روح في جسمها الدقيق وفيه بصر وشم وذوق وادراك تبحث به عما يقيم اودها ويدفع ضررها وتهجم على الادمي الذي هو اعظم منها بمئات المرات فتجعله فريسة لها وتتمكن من جعله قوتا لحياتها ثم اذا دافعها ادركت قوة دفاعه فهربت وتمكنت من دفع هجومه عليها وربما قدر لها فكانت قاتلة له وهو لم يقدر عليها بشيء ولو كان معتزليا يخلق افعاله بزعمه

أ يوجد حكيم في هذا العالم يقدر على تكوين مثل هذا الخلق الحقير كلا ولو وجد لعبد من دون الله . ومن شدة ظهور حكمة الله وقدرته تعمى بصائر فتنكر وجوده او وحدانيته او ألوهيته أو علمه أو غير ذلك من صفاته

وفي كل شيء له ءاية تدل على انه الواحد

ومن عجب ان الظهور خفاء

٦ — القرءان ارشد الى الاستدلال بالعقل ونتائج العلم فهو الذي جعلهما عونا له فكيف ينكرهما او يكون ضدهما (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) ومعلوم في الاصول ان تعليق الحكم بالوصف يشعر بالعلية

ومثلها : وما يذكر الا اولو الالباب (اي العقول) وما يعقلها الا العلمون

٧ — استدلال القرءان بالادلة العقلية على البعث والنشور قال تعلى (ونشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) سورة الواقعة. وهذا استدلال بقياس البعث على النشأة الاولى من العدم من باب القياس الاحروي وهو من الادلة العقلية

٨ — استدل ايضا على المجازاة في الآخرة (أ فحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون)

---

(١) وقد تبين ان طلوع الشمس وأفولها ناشيء عن حركة الارض ولا تغير يلحق الشمس من ذلك ولا حتى من كسوفها على ما هو الرأي السائد في عصرنا . ولا يسوغ لنا ان نحمل احتجاج ابراهيم وهو نبي الله على فكرة قابلة للتغيير وقد سماه القرآن حجة فالقرآن يجب ان لا يفسر الا بالمعاني الخالدة ولم يقع قط في وهم ابراهيم الوهية شمس ولا كوكب حتى يثبت حدوثها بل كلامه على الاستفهام الانكارى وبيان عقيدة الحق لقومه بدليل واضح

وهذا استدلال عقلي بمعنى انه لو لم تكن مجـازاة في الآخرة مع وجود التواثب والتظـالم في الدنيا والله حرم الظلم على نفسه وعلى عبيده لكان سبحانه عابثا في خلقهم والله منزه عن العبث

٩ – قال تعلى (ومن يدع مع الله الاها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) دلت الآية على ان ثبوت الالوهية لا بد له من برهان ، لا جائز ان يكون نقليا لعدم قيـام حجة به على خصم لا يقر بالنقل فتعين انه عقلي

وهل يتصور ان يستدل القرءان بالحجج العقلية ثم ينكر العقـل ، ذلك ما لا يمكن.كل من توهم من الدين ومن القرءان شيئا من هذا فانما هو غلط وقع له في المقدمات لم يهتد لوجهه

١٠ – تتبعنا حجج القرءان ضد الفرق قبل الاسلام من وثنيين ومسيحيين وغيرهم فوجدناها كلها عقلية او حسية فدلنا بذلك على ان مبدا القرءان اعتبار ما دل عليه العقل دلالة قطع وما دل عليه العلم وايده الحس وان هذا اصل من اصوله فكيف يكون ضد العقل والعلم

١١ – ان من قواعد الدين الاسلامي وجوب حفظ العقل ولذلك حرم المسكر بل من العلماء من حكى اجماع الملل كلها على ذلك

اوجب حفظ العقل فكيف لا يعتبر ما دل عليه العقل دلالة قطعية اذ العقل مقصود لنتائجه

١٢ – قال البيضاوي في مواد الحجج من المراصد ان الحجة لا تكون نقلية محضة ولا تتصور ابدا اذ لابد لها من صورة ومادة فصورتها عقلية لا مدخل للنقل فيها ومادتها يتوقف صدقها على العقل فالنقلي المحض محال اه واذا كان للعقل دخل في كل حجة فكيف ينكر الدين ما دل عليه العقل دلالة قطعية وهو مملوء بالحجج

١٣ – ان فلاسفة العصر بنوا فلسفتهم على اصول ثمانية وحين تأملناها وجدنا من القرءان مئاخذها

أ) الحق لا يتعدد ولا يختص بزمان وفي القرءان فماذا بعد الحق الا الضلال

ب) الحقائق بحر خضم لم يصل الانسان الا الى جرعة منه وفي القـرآن وما اوتوا من العلم الا قليلا وفيه فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وفيه وكأين من ءاية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفيه وما يعلم جنود ربك الا هو . كل هذه الآيات تدل على عظمة الوجود اعظم مما صورته الأديان غير الاسلام وتدل على تطلب فهم تلك العظمة وعلى الانتفـاع منها بالاستكشاف والاختراع وعدم الوقوف عند حد

ج) العلم راس مال الحياة البشرية فيجب تنميته وفي القرآن وقل رب زدني علما

د) الانسان خلق قادرا على استخدام الطبيعة في مصلحته فيجب ان يجد في رفـاهيته وراحته وفي القرآن سخر لكم ما في السماوات وما في الارض وفيه انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه

ه) العلم قوة لا تعادلها قوة وسلاح متفوق على كل سلاح فمن علم وعمل فاز على من لم يعمل ولو علم وفي القرآن (وقل اعملوا) (وفيه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

سياسة الامم بالنظام والعدل

ومبلغ تأثير العقوبات في صيانة الحقوق

فطر الانسان من اول نشاته على فكرة الاجتماع وذلك حسب ما تمليه عليه العاطفة نحو من يتصل به من الاهل والبنين ثم اخذت هذه الفكرة تتسع بقدر ما تتعدد الجماعات من البشر وحدث بذلك اختلاف العواطف ، فبعد ان كان الانسان لا يشعر بسوى عاطفة الزوجية حتى فاجأته عاطفة اشد منها واقوى تاثيرا وهي عاطفة البنوة ثم احس بعاطفة ثالثة وان كانت لم تبلغ مبلغ الاخريين وهي عاطفة القرابة بصفة عامة ثم ما شعر الا ورابعة تزاحم تلك العواطف لتحل مكانا من نفسه يليق بها وهي عاطفة الصداقة ، واستمر الانسان ينتقل من حالة الى اخرى كلما تعددت افراده وتطخم عدد نوعه ، ومن ثمة تكونت العلاقات بين بني الانسان وتشعبت ، بيدأن هاته العواطف غشيها من المؤثرات النفسية ما زعزع اركانها ، وضعف سلطانها . فحلت البغضاء في بعض النفوس محل الوداد وقامت النفرة مقام الائتلاف ، وتلاشى نظام الحياة من جراء ذلك او كاد ، واستعد ذو القوة أو الجاه فبطش بالضعيف ونسي اول خلقه ، وتنازعه عامل المصلحة التي تخصه وعامل العاطفة فآثر الاول على الثاني

ولما كانت حياة الانسان مقامة على تبادل المصالح وتختل كل الاختلال اذا سادت فيها الفوضى والاضطراب ويختل التوازن الاجتماعي اذا ترك المظلوم ينتقم لنفسه من المعتدي عليه كانت الحاجة

و) الطبيعة هو الكتاب العملي الذي يؤخذ عنه ما يصلح لهدايتنا الى الحقائق المشاهدة وفي القرءان (قل سيروا في الارض فانظروا) وفيه (قل انظروا ماذا في السموات والارض)

ز) ما اضل الانسان الا الخيال واعطاء الظن حق الحكم على كل شيء من غير تمحيص وفي القرءان (وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا) وفيه (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وفيه (بل قالوا انا وجدنا ءاباءنا على امة وانا على ءاثارهم مهتدون)

ح) كل فكر وان جل قائله يجب ان يعرض على محك النقد العلمي المدقق وعلى التجربة الحسية فما وافق الواقع فهو علم وما لم يتحقق اعتبر في صف الظنون او الاوهام وفي القرءان (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وفيه (ولا تقف ما ليس لك به علم) فالقرءان من اصوله ذم التقليد والاخذ بالامتحان والنقد والوقوف على الحقائق وخلع ربقة الاوهام

فتبين لك من هذا ان قواعد الفلسفة العصرية كلها ماخوذة من القرءان فكيف يقال ان الدين ضدها (يتبع)

ماسة بحكم الضرورة الى تقرير نظم للحياة الاجتماعية تكون حافظة لها من عبث العابثين ، وتقوم بالرعاية والحفظ حتى يسلم بنو الانسان الذين قدر لهم ان يعمروا هذا العالم فجاءت الشرائع السماوية تترى بهاته النظم . كما ان اقواما ممن لم يهتدوا بهدي الرسل اقاموا من أنفسهم نظما حسبما بلغت اليه عقولهم فحدث في الناس حدث جديد ودخلوا في حياة نظامية وطوقوا بحدود وقيود لا عهد لهم بها من قبل وسنت العقوبات المتنوعة بتنوع الجرائم التي اعتبروها جرائم او عدها الشرع جريمة

واختلفت الآراء في اي النظم اسبق هل هو النظام التشريعي السماوي او النظام الوضعي ؟

وقد شهد التاريخ ونقل الينا نظما تشريعية متعددة في ازمنة متوالية سارت على مقتضاها امم . كما حدثنا عما بلغ اليه الفكر الانساني من ادراك المحاسن واضدادها والمفاسد التي تنشأ عنها وما سنه من النظم الاجتماعية وقوانين العقوبات الى غير ذلك من لوازم الحياة العامة . وأشهر هاته القوانين التي سارت على مقتضاها امم مختلفة في عصور طويلة القوانين الصينية ـ القوانين الهندية ـ القوانين المصرية الفرعونية ـ قوانين الساميين ببابل . وآشور . والكلدانيين والحثية والفنيقية واليمنية الحميرية ـ والعبرية

وعد من أشهر القوانين السامية القوانين التي سنها حمو رابي وتعرف (بشريعة حمو رابي) (١) وكان من بين بنودها في مادة العقوبات ان الانسان اذا خلع عين احد تقلع عينه . واذا خلع سن احد تخلع سنه واذا قتل احدا يقتل واذا خان الموظف او ظلم احدا من الرعية كان جزاءه القتل

وقد عثر الباحثون في السنين القريبة على عدد من بنود هذا القانون منقوشة على الالواح وعلى الجدران في برج بابل وغيره في ارض العراق اين كان الاموريون

على ان هاته القوانين التي مر عدها ليست كلها وضعية بل منها ما هو سماوي ومنها ما اقتبست بعض بنوده من الشرائع السماوية

ومنها ايضا القوانين الفارسية واليونانية والرومانية . ولا يبعد عليك اذا قلنا ان هاته القوانين قد ترجع الى بعضها وان اصول بعضها مقتبسة من الآخر كما يشهد بذلك اتحاد بعض فصولها مرة وتقاربها اخرى وقد طرأت عليها عدة تنقيحات لا فرق في ذلك بين ما كان منها سماوي او وضعي ، فقد تحدث للناس اقضية وقواعد ونظم بحسب ما يحدثون من الفجور وطرق المعاملات ، ومن احدث النظم التي يعيش على مقتضاها جمهور الناس (٢) اليوم بالنسبة الى ما كانوا عليه الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية الحديثة . فذلك نظام سماوي اتبعه المسلمون من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لوفائه بالحاجة التي شرع من اجلها على اكمل وجه بالنسبة الى جميع العصور وفي جميع الاقطار التي

(١) ملك من ملوك الاموريين تاريخه قبل الميلاد بنحو الفين ومائة سنة وكان هو وقومه يعبدون الكواكب من دون الله . واسسوا مدينة بابل وجعلوها عاصمة الملك

(٢) انما قلنا جمهور الناس لان هناك من الامم من لم تزل تحيا على سنن اسلافها من الشرائع القديمة والقوانين العتيقة ولو في الجملة .

عمروها وأقاموا فيها قسطاس العدل الذي شرعه الله لهم وساس به رعاتهم من كانوا تحت رعايتهم وتم لهم بذلك التشريع حفظ المصالح ودرء المفاسد

وقد تخلل حكمهم بعض الضعف ولم تنفذ قوانين الشريعة كما يجب فتسربت الى الامة عوامل الفوضى وتلاشت بعض المصالح ودخل من اجل ذلك اختلال في النظام العام الذي كان مسيجا بسياج الشريعة المتبعة

واعظم اصل من اصول النظام الاجتماعي الذي جاءت به الشرائع وتبعته سائر القوانين الوضعية وادرك العقل انه المحور الذي يدور عليه عمران الكون الا وهو العدل بين الناس فكلما ابتعد عنه الانسان قرب من الوحشية وكلما قرب منه احس بالسعادة .

وبما ان كل اطوار الحياة التي قطعها بنو الانسان مرحلة تلو اخرى لم تكن خطاهم في قطعها متساوية فكان ذلك سببا فيما نشاهد من الاختلاف في حياتهم العامة ويتبع ذلك اختلافهم في فهم القواعد المرعية وفي ادراك الحاجة الماسة لقبول النظم والقوانين ، فاذا كانت الوحشية متغلبة من فرط طول مدة الاهمال لم يكن من الهين ادخال الانظمة وفرض القوانين على هذا المجتمع فرضا واذا كانت الاخرى سهل تطبيق القواعد النظامية لسهولة الانقياد من اجل ادراك العقول للمصلحة كلما اقيم عليها الدليل وظهرت بوادر صلاحها .

وانما قلت من فرط طول مدة الاهمال لاني لا اعتقدان الوحشية والفوضى هما الحالتان اللتان نشأ عليهما الانسان وانما يصير اليهما من اهمال الرعاية وتغلب المصلحة الخاصة من تاثير ما جبل عليه من تنازع البقاء الذي هو سنة عمرانية متفق عليها ، غير ان هذا التنازع مرة يكون لا محذور فيه واخرى يكون الخطر كله فجاء من اجل ذلك سن قانون العقوبات التي تبلغ الى حد القتل على قاعدة بقاء الفاضل .

وفكرة عقاب المجرم قديمة اصلها يرجع الى تشريع الاهي فتدرب عليها البشر واطمأن اليها واتخذها القاعدة الثانية في حفظ نظام المجتمع البشري .

وهنا يتعين علينا ان نبحث في العقوبات والسبب الداعي اليها والغرض الذي ترمي اليه

اما السبب الذي دعى لاقامة العقوبات فهو كما قدمنا المحافظة على النظام العام واقامة الموانع حتى لا تتسرب الفوضى الى المجتمع ويقف الانسان عند دائرة خاصة لا يتعداها واذا سطا وتجاوز الحد واعتدى على غيره كان ذلك منه جريمة يعاقب عليها ، واما الغرض الذي يرمي اليه قانون العقوبات فقد اختلفت الاراء فيه وتعددت اقوال العلماء ولنثبتها الواحد تلو الآخر

الاول ان الغرض من العقوبة هو الانتقام من الجاني . الثاني الاصلاح وردع الناس من الشر

حتى لا يتعودوا الاجرام. الثالث جبر ما انصدع بالجريمة. فهذه ثلاثة اقوال ذهب الى كل قول منها فريق من العلماء وانبنى على هذا الاختلاف اختلاف آخر فيما ينبني عليها من الاحكام. ولنثبت نبذة تكشف لنا مبلغ نظريات علماء الاسلام في هذا الغرض تتعلق بنوع من الاجرام وهو قتل النفس عمدا وعقوبته

القصاص بالقتل

لا خلاف بين علماء الاسلام في ان قتل النفس البشرية عمدا بثالة القتل من غير موجب شرعي جناية كبيرة ، وجرم عظيم ، يستحق المجرم ان يعاقب على هذه الجناية وعقابه يكون من نوع الجناية وهو القتل والاصل في هذا قوله تعالى (كتب عليكم القصاص في القتلى) وقوله عليه الصلاة والسلام العمد قود . ثم بعد ذلك ننظر هل القصاص هو العقوبة المتعينة او يصار الى ضرب من التخفيف بدفع المجرم غرامة لاهل القتيل وهي الدية . ذهب ابو حنيفة الى ان القصاص هو الحكم المتعين ما دام المدعي من اهل الميت لم يعف .

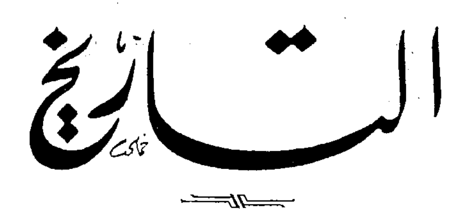
وذهب الشافعي الى ان الواجب الاحد الدائر لا بعينه القصاص او الدية . وحق الاختيار لولي الميت وهنا يظهر اختلاف الحكم في التعيين وعدمه وذلك يرجع الى امور منها ان القول الثاني اعتبر فيه ان القصاص شرع جابرا وفي كل من القصاص والدية نوع جبر فحكم بالتخيير في تعيين الواجب واعطى الاختيار للولي ، واعتبره جابرا من ظاهر لفظ القصاص في الآية وما يدل عليه اصل معناه من المقابلة فيكون هذا في مقابلة ذاك وجبرا لما فات .

واما القول بالتعيين فقد اعتبر فيه الزجر وهو لا يكون الا بالقتل لان القتل عمدا تناهت معه الجريمة فأوجب العقوبة المتناهية وهي القتل قصاصا . (يتبع)

محمد الشاذلي بن القاضي

اربع كلمات باربعة آلاف درهم

روي : ان ذا الرئاستين ركب ركبة لم يركب مثلها في خراسان ، وبين يديه اربعة آلاف سائق والفا حامل قوس ، فلما صار بقرب الماخور برز اليه رجل كان الارض انشقت عليه ، فقال : ايها الامير اسمع تنتفع وتنفع قال : قل . قال : الاجل آفة الامل ، والمعروف ذخيرة الابرار والبر غنيمة الحازم ، والتفريط مصيبة اخي القدرة ، فدعا الفضل كاتبه وهب بن سعيد بن سليمان بن الحسن فقال : اكتب هذه الكلمات الاربع ، واعطه اربعة آلاف درهم .



صفحة من تـاريخ تونس

كيف دخل الزي الاروباوي في العادات التونسية

بقلم العلامـة المؤرخ امير الامـراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

كان اهل تونس القديم لا يعرفون من الازياء غير الزي العربي ويمتاز اهل الحواضر بلباس القفطان والعمامة والطيلسان وهو شعار الشيوخ وكان لبس الجبة الواسعة من الامور المحضورة بين اهل العلم وفي ايام الدولة المرادية ظهر بتونس اللباس المعروف بالمحصور وتاصل رواجه بالدولة حتى كان هو ملبوس اولياء الامر في بحر القرن الثـاني عشر والنصف الاول من القرن بعـده كما تراه في رسم بالدهن للمرحوم المولى حسين باي الثاني ببيت الافراح بسراية باردو فلما كان سنة ١٢٤٦ لبس السلطان العثماني محمود خان الثاني الزي الاروبـاوي واصدر امره لولاة الممالك العثمانية ولامراء البلاد الممتازة ومنها تونس باجراء العمل في بلادهم بالانظمة الجديدة التي رتبها البـاب العالي وكان في جملتها اللبـاس الاروبـاوي (١) والعسكر النظامي فكان حسين باي (٢) السالف الذكر هو اول من خلع الثياب العربية ولبس الثوب الاروباوي اقتداء بخليفة الاسلام ولكن لم تعرف له صورة بـالدهن

---

(١) اللباس الاروباوي اي الافرنجي ينعته العامة في تونس باللباس السوري نسبة لسوريا وهي اول بلاد شرقية اختلط بها المسلمون بالاروباويين اثناء حروب الصليب

(٢) المشهور بين الناس ان اول من اتخذ الزي الاروباوي من الامراء الحسينيين هو المرحوم مصطفى بـاي ولعل هذا الوهم انجر لهم من كون مصطفـى هذا هو اول من لبس نيشان الافتخار الذي هو من توابع الزي النظامي والحقيقة التاريخية هو ان اخاه حسين باي هو الذي لبسه من قبله كما اتفق على ذلك كتاب تاريخ تونس الحديث ومنهم الشيخ احمد بن ابي الضياف كاتب سر البـاي حسين المشار اليه فقد جاء في تاريخه عند تعرضه لرحلته للاستانة في سنة ١٢٤٦ ما ننقلـه عنه ونص محل الحاجة رجعنا (لتونس) في جمادى الاولى سنة سبع واربعين بعد أن البسنا هناك (يعني في الاستانة) زي العسكر النظامي وجاء معنا رسول بالشعار الملكي النظامي فلبسه الباي في ديوان حافل على العادة واخذ الوزير (يعني شاكير صاحب الطابع) اللبـاس من يد الرسول وهو الذي بـاشر وضعه على الباي اهـ بحروفه

او غيره تمثله بهذا الزي الجديد الذي انتقده الناس في عصره وراوه بدعة وظلالة حتى انهم عثروا ذات يوم في مجلس حكمه على رقيم أمام كرسي الملك ففتحوه واذا به قصيدة مجهولة المصدر في انكار ذلك الصنيع مطلعها :

بربك ايها الملك المطاع — أكفر ذا الصنيع ام ابتداع

ولكن اهل العلم من فضلاء الشيوخ لم يعتبروا لذلك حسابا فقد تصدى العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع لنسج قصيدة من عيون شعره في تهنئة الباي المشار اليه بمشروعه الجليل ننقلها هنا اتماما للفائدة لانه لم يتقدم نشرها بكتب الادب التونسية ونصها :

نظامك ايها الملك الهمام — به للدين قد ظهر ابتسام
نظام يكتسي الاسلام منه — سرورا ليس يحصيه النظام
به نسخت شوائب كل عجز — كما بالصبح قد نسخ الظلام
كأن صفوفها نظم الدراري — بدت ولكل واحدة حسام
اذا ما شاهدت عيناك منه — مسيرا فيه ذل واحتشام
رايت البحر يزخر فيه موج — بنار قد غدت ولها اضطرام
وقد خفقت لهم رايات عز — تشير بان جندك لا يضام
فانك فوق هذا الدهر تاج — وحسن التاج يكسبه النظام
الا يا ضيغم الاسلام يا من — بعز مقامه تعلو الانام
سبقت الى المفاخر كل ملك — فمالك مشبه فيما يرام
وهب ان الملوك سموا اليها — وكل بالوصال له غرام
فما ضربوا من العليا بسهم — وان طاروا حواليها وحاموا

وقال الشيخ الباجي المسعودي في الخلاصة النقية عند ذكر مئاثر حسين باي ما نصه :

ووافته الخلعة النظامية السلطانية في جمادى الاولى من سنة ١٢٤٧ صحبة رسله (اي رسل الباي) الى الدولة العلية الداي مصطفى البلهوان كبير حوانب الترك وكاتب السر ونخبة الكتاب ابي العباس الشيخ احمد بن ابي الضياف وكان لباسه لها في يوم مشهود ومحفل عظيم وامر حينئذ رجال دولته واتباعه بلباس النظام فتسارعوا لعلي امره اه . بحروفه

وقال المؤرخ هوكون الفرنساوي في كتابه المسمى « شعار بايات تونس » في ٢٣ دجنبر ١٨٣١ عرف قنصل فرنسا بتونس ماتيو دي لاسابس بوصول شاوش (مبعوث) من اصطنبول لبلاط باردو حاملا لحسين باي خطا شريفا في تاكيد ولاية الباشليك وخطا ءاخر في الامر بان اللبوس الجديدة التي تزي بها السلطان يقع لبسها في الايالة وهذه عبارة ما عرف به القنصل : قد ظهر الباي بين الناس لابسا كسوة الباشا وبه اقتدى حتما الوزراء واهل البلاط وكل الذوات الذين لهم علاقة بالدولة وهذا اللباس الجديد الذي هو بدعة نظره جيش الترك (يعني جيش الانكشارية) واهل البلاد بعين السخط اه . بنصه

لانك في الملوك عزيز اصل ... وانك قد سهرت لها وناموا

بقيت كما تحب عزيز ملك ... محلك من ذرى العليا السنام

ولا زالت وجوه الناس تعنو ... لعزك كلما صاح الحمام

ومني كلما هبت شمال ... على علياء حضرتك السلام

ولما التحق المولى حسين باي الثاني بالدار الآخرة في سنة ١٢٥١ سلك مسلكه في لبوسه الرسمية اخوه المولى مصطفى باي وعلى قياسه كانت لبوس اهل الدولة لكن عامة التونسيين بقوا على حالتهم القديمة في مدة هذا الباي وكذلك في مدة ابنه المشير احمد باي الاول غير ان مدة هذا الامير التي استغرقت ثماني عشرة عاما كانت موسومة بظهور مبادي التمدن العصري بتونس الامر الذي هيأ للايالة التونسية محاولة السير مع تيار الحضارة الاروباوية ووافق ذلك ايلولة كرسي الامارة للمشير الثاني محمد باي وكانت مدته قصيرة الا انها امتازت بتاصل العلايق بينه وبين مبعوث فرنسا القنصل ليون روش المستعرب المشهور وهذا غرس في نفس الباي حب القانون والتشبه بالامم الراقية فابتكر سموه مشروع عهد الامان وبمقتضاه جاز لليهود التملك العقاري ولبس الشاشية الحمراء وكانوا قبل ذلك لا يملكون العقار ولا يلبسون غير القلنسوة السوداء اما كساهم الخاص باللون الرصاصي فانه انجر لهم من اسلافهم في عهد الدولة الحفصية وكانت التسوية في الحقوق بين عموم سكان الايالة التونسية حسبما اقتضاه دستور عهد الامان فاتحة باب تسهيل التفرنج على اليهود وهم اهل تطور وتشبه بالعناصر الحية في كل زمان ومكان وكان بينهم الكثير من ابناء عمومتهم نسيلي اسبانيا ولاسيما ايطاليا حيث مدينة القرنة ومنها كان يفد على هذه الديار الاطباء والصيادلة وغيرهم من مفكري اليهود وارباب المساعي ذات الالوان والاشكال المختلفة ومنهم سماسرة السوء الذين لعبوا شوطا فسيحا بهذه الديار وامتازوا بالرقص في ظل معابر دواوين الدولة في الدور القديم فكان العنصر الاسرائيلي في عهد الدولة الصادقية شديد العلقة بالتمدن الاروباوي وكان الكثير من ابناء البيوتات اليهودية متزيين باللبوس الاروباوية ولكن لم يقدم على الاقتداء بهم في لبسهم اي نفر من التونسيين المسلمين بحيث ان اللباس الاروباوي بالنسبة للاهالي المسلمين كان خاصا باهل الدولة كضباط الجيش ومتوظفي الحكومة ومنهم طائفة الكتاب فكان لباس هؤلاء في ساعات العمل هو السترة السوداء والسراويل الطويلة مع الشاشية المعروفة بالكالبوش على انهم كانوا يخلعون هاته اللبوس عند رجوعهم لبيوتهم ويعودون للبس القفطان والجبة الواسعة والعمامة ناهيك ان بعضهم لم يقدر على التكلف بترك عمامته فاعفاه الباي من لبس الشاشية الكالبوش كالكاتب الاديب الشيخ محمد النطاوني فانه كان يتزي بالزي الاروباوي مع ابقاء راسه متوجا بتاج العرب وقد وقفت لهذا الاديب المغربي على شيء من شعره الرقيق من ذلك ابيات لطيفة في وصف بلد نابل مطلعها :

الى نـابـل يشتـاق كل نبيـل الى حيث مغنى الانس غير محيل

ومنها

فماشيت من روض اريض ومنظر نضير ومن ظل هنـاك ظايل

تجمعت الاهـواء فيهـا فحيثمـا حالت تلقـاك الهـوى بقبـول

الى ان قال في تمجيد وادي السحير

فيا وادي السحير (١) رواك صيب كدمع لذي شوق اليك طويل

والكلام هنا قاصر على الوجهة التاريخية فلا مبرر لاطالة القول من الناحية الادبية لذلك نقول ان الزي الاروباوي اخذ في الانتشار بين اغلب اهل الحواضر التونسية في عصر الحماية تبعا لناموس اقتداء المغلوب بالغالب في بزنه واخلاقه ومعاشه (٢) وتفشى اتخاذه بين الخاصة والكافة سواء في ذلك اصحاب الحيثيات والوظائف وغيرهم وصاروا ينعتونه باللباس الطلياني وهو تعريف يهودي الى ان تناولته الالسن في كل مكان وتغنى به اصحاب الشعر الملحون كما في قولهم

يـا حـبيـبي يـا مزيـان . لابـس كسوة الطليـان

مـا يكسبشي حتى ريـال والسيـقـاره في فـمـو

وفي آن واحد عم الشبان التونسيين لبس الشاشية المجيدي (٣) وتقاصر شان الشاشيـة التونسية كتقاصر العمامة التي سيؤول امرها فيما يلوح للتقاصر والتراجع وكانها ستبقى وقفـا على اهـل العلم فعليهم ان يجتهدوا في ابقائها على ضخامتها الاصلية التي لا يوافقها من الالوان غير البياض الناصع وان لا يشاركوا في اسباب تضاؤلها حتى لا تصبح الكشطة (٤) كشيطة ، والهرة هريرة ، وتغالى بعض الشبان التونسيين في التشبه بالعنصر الاقوى فكشفوا عن رؤوسهم في الطرقات العامة قياسا على مساكينهم من الاروباويين واليهود وكانهم غفلوا عن نتيجة هذا الاندماج ، واذا استفحل الداء عن العلاج ،

محمد بن الخوجه

---

(١) لفظ السحير المشتق من السحر رسمته ادارة الاشغـال العامـة في خريطـة الطرقـات العمومية بلفظ السحيل المشتق من الساحل ولعله اقرب للحقيقة لوقوع مكانه على مقربة من البحر فليتامل

(٢) هذا الناموس وفاه حقه المؤرخ ولي الدين ابن خلدون في المقدمه فليرجع اليه

(٣) نسبة للسلطان عبد المجيد خان المتوفى سنة ١٢٧٧

(٤) معرب من كشته في اللغة التركية ومعناه عمامة على حد قول سحيم

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

« تونس في القرن السابع »

« كما يصفها ابو عبد الله محمد بن احمد العبدري في رحلته »

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيفر

— ٢ —

علماء تونس وفضلاؤها

يقول في الاشادة بهم ما نصه واهلها ما بين عالم كالعلم، رافع بين اهله للعلم، ومعطل حد الضبا بحد القلم ومسلم على ربع بذي سلم، شاك من وجده فرط الالم، ويقول في شأنهم ايضا حين مروره بتونس ذاهبا الى الحج ما نصه وبها من اهل الرواية عدد وافر، يجلو الفخار بهم عن محيا سافر، ويبين عليهم وقد القت ذكاء يمينها في كافر، ولكنه لم يقض لي حين ورودها، ان اقضي الوطر من لقاء جميع مذكورها ومعدودها بسبب وظائف السفر ولوازمه، واقتصار معرفه على اعمال جوازمه، وكان حكم السفر حينئذ قد استمر وتمادى. فلم الق بها من اهل العلم الا آحادا، ثم ذكر جملة منهم، وعند قفوله من الحج ومروره بتونس قال في وصفهم ما نصه: وقد اقمت بها مدة حتى شفيت الحشى العليل، ونقعت بوردها الغليل، وقطعت فيها الغدو والاصيل، بمجالسة كل فاضل جليل، فما، نفصل عن عالم يوضح الحلك مهما اجاب، الا الى صالح به در السحاب، ولا اغدو عن مجلس أدب كقطع الرياض، الا لمحفل وعظ يسقي الخدود بالدمع الفياض، فقطعتها اياما من غفلات الدهر مختلسات، وانتظم لي بها شمل أنس طالما مني بالشتات، فلم يبق بها شيخ مذكور الا رايته، ولا عالم مشهور الا اتيته ثم ذكر جملة منهم

(الادب بتونس)

يظهر ان للادب بتونس في عصر صاحب الرحلة سوقا نافقة ولاهلها به اعتناء وتهمم فترى العبدري يذكر ما اخذ عن ادباء تونس من الشعر وما تدارسه عنهم من كتب الادب محليا ذلك بذكر سنده الذي يصل من رواه عنه بقائل ذلك الشعر او مؤلف ذلك الكتاب كما يذكر سند كتب الحديث التي رواها عن علماء تونس فتراه يذكر انه قرأ مقامات الحريري على ابي الحسن علي بن ابراهيم التجاني التونسي حدثه بها عن الشيخ الفقيه العالم ابي عمرو عثمان بن سليمان التميمي سماعا عن ابي الحسن ابن جبير سماعا عن ابي الطاهر الخشوعي عن الحريري ويذكر ان ابا الحسن التجاني حين قرأها عليه كان ينقدها نقد محقق وانه ذاكره في مواضع عدة كان يتعقبها فأثبت ابو الحسن قوله فيها واستحسنه كما ذكر انه أخذ عنه المقامة الدوحية حدثه بها عن الخطيب ابي محمد بن برطلة قراءة عن ابي زكرياء يحيى بن حسان القرطبي وحكى ايضا انه قرأ كتاب المذهبة في الحلى والشيات على

الفقيه الاديب الفاضل ذي العناية والتهمم ابي عبد الله محمد بن عبد المعطي بن محمد النفزي شهر بابن هريرة حدثه بها عن الشيخ الفقيه العالم ابي الجيش محمد بن ابراهيم بن احمد الانصاري قراءة وعن ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الازديني كلاهما عن ناظمها الشيخ الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد ابن عيسى ابن اصبغ بن المناصف رحمه الله . ويذكر ايضا انه اخذ عن ابي الحسن التيجاني قصيدة الشيخ الحافظ ابي عبد الله القضاعي (يعني ابن الابار) التي امتدح بها الامير ابا زكرياء بن عبد الواحد ابن ابي حفص قال وهي مشهورة اولها

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا　　　ان السبيل الى منجاتها درسا

حدثه بها عنه سماعا وانه قرأ عليه ايضا قصيدة الشيخ الاديب الاوحد الفاضل ابي الحسن حازم بن محمد بن حازم الاندلسي القرطاجني وهي المقلوبة من قصيدة امرىء القيس في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم قال وقد اجاد فيها وابدع ما شاء ورام الصعب فضارع الانشاء وهي مما ينبغي ان يقيد ولا يهمل ولذلك اردت اثباتها في هذا الموضع مستخيرا الله سبحانه وقد حدثني بها عن منشيها المذكور وهي

لعينيك قل ان زرت افضل مرسل　　　قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا　　　بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وساقها على طولها . ويقول انه قرأ قصيدة الشيخ الفقيه الصالح ابي زكرياء يحيى بن علي الشقراطسي التوزري على الفقيه الاديب ابي عبد الله ابن هريرة حدثه بها عن شيخه الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن علي بن عمر بن علي التوزري الشهير بالمصري قراءة منه عليه عن الشيخ الفقيه ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى الطواني عن (كذا) الشيخ الفقيه القاضي ابي عمرو عثمان بن ابي القاسم عبد الرحمان بن حجاج عن الشيخ ابي محمد عبد العزيز بن عمر بن حمادي (بفتح الحاء وتخفيف الميم) عن الفقيه الخطيب المحدث ابي القاسم عبد الرحمان بن محمد بن احمد النفطي عرف بابن الامام وبابن الصائغ عن الشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن يخلف بن وطاس بطاء مشددة عن ناظمها قال وقد رايت ان اثبت القصيدة هنا بجملتها بحول الله تعلى وهي هذه

الحمد لله منا باعث الرسل　　　هدى باحمد منا احمد السبل

خير البرية من بدو ومن حضر　　　وافضل الخلق من حاف ومنتعل

وذكرها على طولها ثم قال قد ابدع هذا الناظم رحمه الله فيما نظم ، وشرف هذه القصيدة بقصده الجميل فيها وعظم ، فراقت معنى ومنظرا وشاقت حسا ومخبرا ، فهي كما وصفها ، ابو عبد الله المصري حيث قال يئست من معارضتها الاطماع ، وانعقد على تفضيلها الاجماع ، فطبقت ارجاء الارض ، واشرقت منها في الطول والعرض ، على انه رحمه الله قد اكثر فيها لاجل الصناعة التصنع ، وتكلف منها ما هو بعيد المرام شديد التمنع ، واعترض في كل معنى عرض ، وربما اغرق النزع فخالف الغرض ، كقوله

فويل مكة من آثار وطأته. وقوله . وحل بالشام شؤم غير مرتحل

وما جرى هذا المجرى من كلامه رحمه الله ولكن قصيدته بالجملة قد حلت من البلاغة في يفاع ممنع ، وجلت وجها زهاه الحسن ان يتقنع ، فان انكرت من وصفها قولا ، او سمعت في مدحها تخصيص لولا ، احددت متاملا وانشدت متمثلا

ما سلم البدر على حسنه كلا ولا الظبي الذى يوصف
البدر فيه كلف ظاهر والظبي فيه خنس يعرف

وقد ولع بها الناس كل الولوع ، واستحسنوا في محاسنها كل مفرق ومجموع ، وعنوا بها شرحا وتخميسا وغنوا بها معهدا انيسا اهـ ثم ذكر ما صدر لها من التخاميس عن ادباء افريقية وجميعها قراءة منه على ابي عبد الله بن هريرة المتقدم حدثه بها عن اصحابها اجازة ومناولة . وذكر انه قرأ عليه ايضا تخميس ابي عبد الله المصري للمنفرجة قصيدة الشيخ الفقيه العالم الصالح الاوحد ابي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي وقد وسمه بعجالة الروية في تسميط القصيدة النحوية قال وهي قصيدة مشهورة تسمى ام الفرج وكان بعض الشيوخ يحض على حفظها واخذ النفس منها بحظها وذكر انه اخذها عن ابي عبد الله بن هريرة عن الاديب ابي عبد الله محمد بن يونس بن عبد الرحمن الهنتاتي التونسي قراءة لها عليه عن الفقيه ابي العباس احمد بن علي بن ابي بكر الحميري القلعي يعرف بالبلاطي عن الفقيه الامام ابي محمد عبد الله بن ميمون بن محمد بن الغنام القلعي عن الفقيه الامام الصالح ابي عبد الله محمد ابن عبد المعطى ويعرف بابن الرماح عن ابي الفضل بن النحوي ثم ذكرها مع تخميسها ونص طالعه

يا من يشكو ألم الحرج ويرى عسرة قرب الفرج
ابشر بشذى فرج ارج اشتدي ازمة تنفرجي
قد آذن ليلك بالبلج

وساق جميعه . ويقول انه قرأ على ابي العباس بن السكان ممن لقيهم بتونس ايضا قصيدته في مدح النبيء صلى الله عليه وسلم التي تزيد على الثلاثمائة وعشرين بيتا وهي التي جمع فيها معجزاته عليه الصلاة والسلام ووسمها بخلاصة الصفا في خصائص المصطفى قال وهي مهذبة منقحة لا حشو فيها البتة ومطلعها

لاحمد خير الخلق أهدي تحيتي محمد الآتي بحكم وحكمة
مدحت رسول الله والمدح دونه ولو ملا المداح كل صحيفة
ولو كان كالبحر المحيط مداده وكالشجر الاقلام ما قط جفت
يمد مدى الدنيا بسبعة ابحر لما بلغت من مدحه عشر حبة
كفاك ثناء الله في الفتح والضحى وتكريره اياه في غير سورة

وذكر جملة منها . ولا ريب ان فيما نقلناه عن صاحب الرحلة دلالة واضحة على مبلغ العناية بالادب في ذلك العصر وعلى نفاق سوقه بتونس

(شعراء تونس وادباؤها)

ذكر منهم في غضون كلامه جملة فحول (منهم) ابو الحسن علي بن ابراهيم التجاني المتقدم ذكره فمما اورد له من شعره ما حكاه عنه قال ـ اخبرني الشيخ الاديب الفاضل ابو الحسن التجاني بثغر تونس كلاها الله انه وقف على الروضة شرفها الله واذا في استارها مكتوب

هنيئا لكم يازائرين ضريحه امنتم به يوم المعاد من الرجس
وصلتم الى قبر النبيء بطيبة فطوبي لمن يضحي بطيبة او يمسي

قال فقال لي بعض من حضر زد عليهما شيئا فقلت ارتجالا توطئة للبيتين

قفوا سلموا هذا ضريح محمد اما تبصرون النور ابهى من الشمس
وصلوا عليه واسئلوا وتوسلوا الى الله بالمبعوث للجن والانس

هنيئا لكم البيتين . ومن شعره ايضا ما رواه عنه قال انشدني لنفسه

حدثني ابخر اضحى بما اهدى الى الاذان اذاني
كانما في فمه جيفة او شعرة من لحية الداني

قال وانشدني ايضا لنفسه

يا من اذا اودع سرا فلا دين له عن نشره يودعه
كالبوق ان اودع فيه فم الطف ريح ذاع مستودعه

قال وانشدني ايضا واظنه لنفسه

رغيف أبي علي حل خوفا من الاضياف منزلة السماك
اذا كسروا رغيف ابي علي بكى يبكي بكاء فهو باك

(ومنهم) اخوه الفقيه ابو حفص عمر بن ابراهيم التجاني اورد له من شعره قوله

سرك ان اعلمته ثانيا فاعلم بان قد آن ان تفشيه
لان ما اضمر في حالة الـ إفراد تستخرجه التثنيه

قال العبدري وهذا الاستدلال بالتمثيل نحوي مليح مناسب جدا يدل على طبع فاضل ومقول فاصل اه (ومنهم) ابو عبد الله محمد بن هريرة المتقدم ايضا قال في شانه ما نصه لقيت منه خيرا فاضلا صدوقا ذا مروءة واخلاق جميلة وله عناية بالتاريخ وحظ من الادب ومشاركة في غير فن افادنا وافدناه وجالسته كثيرا وناولني كتابه الذي جمعه في وفيات المشاهير من اهل كل فن ومواليدهم ونتف

من اخبارهم واسمعني مواضع منه واجازني بسائره وهو كتاب مفيد لولا انه لم يرتب على ما ينبغي (ومنهم) العلامة الامام قاضي الجماعة بتونس ابو العباس احمد بن الغماز . ذكر ان مما اخذه عنه كتابه المسمى مفاوضة القلب العليل على طريقة ابي العلاء المعري في ملتقى السبيل . قال ومما قراته عليه في حرف الكاف من مفاوضة القلب العليل

يا راكبا في نيل لذاته — مسالكا يعيي بها السالك
غرتك دنيا منقض شانها — وانت لابد لها تارك
خلابة سلابة للنهى — اصدق ما غرت به افك
ما مكنت من وصلها طالبا — الا انثنت وهي له فارك
حذار ان تلفى غدا باكيا — من طول ما أنت بها ضاحك
شاقك وجه في الدحى نير — اسود في عين الحجا حالك
ملكته رقك لم تدر ان — قد خسر المملوك والمالك

واورد له غير ما ذكر من شعره الرائق (ومنهم) ابو العباس احمد بن عمر بن ميمون الاشعري يعرف بابن السكان (وسننقل ما قاله في شانه بعد) اورد له من شعره . قوله

ازكى الخليقة خلقا عند خالقه — ذو حرفة عن سؤال الناس تغنيه
وخير ما اتصف العبد التقي به — في دهره تركه ما ليس يعنيه

واورد له ايضا قوله

من كان يرجو الخلق في حاجاته — خان الذي يرجى وخاب المرتجي
فاقصد الاه الخلق اما حاجة — عرضت فباب الله ليس بمرتج

قال وانشدني ايضا لنفسه

يقولون لي ان الشهادة مكسب — ولم تشتغل يوما بصرف المنى لها
فقلت لهم لي في الشهادة مذهب — انا في سبيل الله ارجو منالها

وقد اورد له غير ما ذكر

(شواعر تونس)

لما ذكر ان ممن لقيهم بتونس من الفضلاء ابا الحسن التجاني قال في شان بيت التجاني - ان بيتهم بالعلم شريف شهير وقل منهم ومن نسائهم من لا يقول الشعر - ثم ذكر ان ابا الحسن التجاني انشده لامراة من اهل بيته لم يسمها ملغزة في اسم تميم

يقولون لي هذا حبيبك ما اسمه — فمااستطعت افشاء ومااستطعت اكتم
فقلت اسمه ميم وحرف مقدم — فهذا اسم من اهوى فديتكم وافهموا

قال وانشدني لها ايضا في صفة شعر

اذا انسدلت منه عليها ذوابة — كغصن اراك عانق الغصن ارقم
انيث طويل فهو يستر جسمها — اذا نزعت عنه الملابس اسحم
كأن الصباح ارتاع من خوف طالب — بثار فاضحى بالدجى يتكتم

(يتبع)



رثاء فقيد العلم الامام محمد الصادق النيفر ❀

تأمل جبال العلم كيف تمور وكيف الشموس المشرقات تغور
وكيف مصابيح الهدى قط ضوءها فريعت صدور للعلاء صدور
قفوا اخشعا من سطوة الموت واعجبوا لطود على هام الرجال يسير

❀ ❀ ❀

ايا قوم هذا الميت عصر بذاته تولد في الخضراء عنه عصور
عصور بها للعلم عرش مشيد وملك يظل الفرقدين كبير
عصور درى اهل الحجا سر مجدها فباتوا وذا هاد وذاك شكور
مطالع انوار الفضيلة والهدى تلوح بها للمدلجين بدور
اذا غاب منها نير لاح نير وان ما خبا نور تصاعد نور
رعى الله هاتيك العصور فكم شدا بها علم طلق اللسان قدير
اذا انساب سيل العلم من نبع صدره زهت من افانين العقول زهور
وان ما رسا للعلم يكشف سره حنى راسه رضوى وذل ثبير
سلوا الكعبة الخضراء سلوا موئل الهدى فكل بذياك الفخار خبير
وفي كل وجه غرة من جميلهم وفي كل قلب بهجة وحبور
اذن فلتفض عين الزمان فخطبه باستاذه شيخ الشيوخ خطير
ونكبته في الصادق النيفر الرضا يعز لها بين الهموم نظير
مصاب اصاب العلم في ام راسه ورزء له كاد الاديم يثور

❀ ❀ ❀

ايا صبح يوم باكرتنا نعاته افاتك من يوم الزفاف سرور
فلحت بوجه حالك اللون اغبر ولحظ بنيران العداء يفور
وهضت جناحا كان للسبق حائزا اذا استبقت للمكرمات نسور
وقوضت صرحا ينطح النجم رعنه يشع بلالاء الحجا وينير
فيالك من يوم عصيب على النهى به الطرف هام والفؤاد كسير
فهذي وجوه القوم جللها الاسى وذا دمعهم حول السرير بحور
ترى النعش مرفوعا على هام موجها فيبدو ويخفى تارة فيغور
وتسمع البابا من الشجو خفقا تكاد من الحزن العميق تطير

❀ فجعت النوادي العلمية عموما والمعهد الزيتوني خصوصا بموت شيخ الشيوخ العلامة الامام استاذنا محمد الصادق النيفر فعم الاسى طبقات الامة فنعزي فيه عائلة العلم كافة . وسنلم بترجمته الوافية في العدد القابل بحول الله

العاطفة في الأدب العربي

هي المحاضرة التي القاها الاديب النابغ السيد احمد بن المختار الوزير في قاعة المحاضرات بقصر الجمعيات تحت اشراف هيئة التعليم العربي العمومي

(١)

سادتي الفضلاء

انه من اقدس الفروض ان اقدم كلمة شكر قصيرة الى هيئة التعليم العربي ، راجيا ان تبلغ عني بعض ما اشعر به من عظيم المنة والولاء ، واني لاحييكم جميعا واحيي هيئة المعلمين باسم الادب العربي فما اجتماعكم اليوم في هـذه القاعة الحافلة ، الا علامة حب مكين واخلاص صادق للادب العربي ، والامة بخير ما دامت تقبل على آداب لغتها اقبال تشجيع وإكبار وحرص على الحياة والبقاء

وحياة الادب العربي حياة ناطقة ، لا فظة ، فائضة ، ان استلهمتها العقول اوحت اليها بالمعجزات الخارقة . وباسرار المجد العتيد . وخير ما نستنطق بـه هذه الحياة الفيحاء . انما هـو الدرس والتحصيل . والنقد .

وهاهو ذا نقيب هيئة العليم العربي . يتحدث اليكم عن عزمه وعزم معلمي اللغة العربية الذى اعتزموه من انشاء « نادي المعلمين » . لقد تيمنت بحديثه وتسعدت منذ صارحني بهذه الفكرة الحسناء التي تجسمت في عقول المعلمين . وازددت انشراحا بها وغبطة ساعة علمت ان النادي سيكون قبل كل

وتلفي عقـولا فجر الشيخ درها ... عليهن افلاك العلـوم تـدور

❀ ❀ ❀

ايـا عام الخضراء في فقـه مالك ... لمن بعـدك القـول المبين يصير
ومن ذا يـوفي شرح كل عويصـة ... اذا اشكلت عنـد الشيوخ امـور
ومن ذا بتدريس الاحاديث يعتلي ... عـلاك ومن ذا في البيـان قدير
ومن يـزدري قسا بآيات لفظه ... ومن ذا باساوب الخطـاب بصير
ففي كل صدر من جميلـك صفحة ... وفي كل قـلب من جداك سطور
فلو جحدت يوما جميلـك السن ... لفـاضت بآيات المـديح صدور
واطرت مزايـاك الجسام مجـامع ... وخصتك بالشكر الجزيـل دهور
تجمع فيك العلم والفضل والهدى ... وبيتـك بـالمجد الاثيـل شهيـر
حييت مـلاذا ثم وليت تاركـا ... فحولا بهم طرف العـلاء قرير
وما مات من شاد القرائح والنهى ... وخلـف امثـال الخلـود تسير
فنم يـا فقيـد العلم نومـة صابر ... جـزاؤك عنـها جنـة وحرير

الطاهر القصار

شيء نصير اللغة العربية . والادب العربي . وهيئة التعليم خير من يتصدى لاقامة هذا النادي ويستشرف ويترشح له . اذ المعلمون هم رسل اللغة والادب والعلم والدين والتربية الحازمة في كل امة . ولولا الخشية من ضيق الزمن لذهبت اتحدث اليكم بهذه الذكريات الحلوة الثمينة التي اشعر الآن بازدحام صورها في خلدي . هي ذكريات « نادي دار العلوم » ذلكم النادي الذي كان وما يزال برغم ما يلاقيه مصدرا لماجد في مصر من نهضات الرقي في الادب واللغة والتربية والاجتماع . . ويشرفني بعد هذا ان اكون ممن يعمل خالصا مخلصا لتحقيق هذه الفكرة . وادعو الله من صميم قلبي ان يقرب تلك الساعة التي نرى فيها « نادي المعلمين » على خير ما يصفه الرجاء وتتحدث به الامال .

يا أيها السادة

اخترت التحدث اليكم في موضوع العاطفة في الادب العربي . وفي البدء التمس من حضراتكم غفران خطأ صغير تعمدت اتيانه في عنوان هذا الحديث . اذ قد ابحت لنفسي اختيار كلمة العاطفة للدلالة على ما يعرف في علم النفس « بالانفعال » واحسب ان غيري من شيوخ الادب الذين تلقينا عنهم كانوا يرتكبون مثل هذا الخطإ الصغير . فيطلقون كلمة العاطفة في دراستهم الادبية على ما يعرف في علم النفس بالانفعال . وليس لدينا جميعا ما نبرر به صحة هذا الاستعمال سوى شيء واحد لعله ينفعنا اذا ما اتخذنا عذرا . ذلك ان كلمة العاطفة اكثر شيوعا وتداولا بين الادباء والمتادبين من كلمة الانفعال . ولان لفظة العاطفة كيفما اطلقت في مناحي الاحاديث المدرسية وخاصة ما كان منها حائما حول هذا الفن الرفيع فن الشعر والنثر فانما تعين في اذهان الادباء معنى الانفعال في صورة من صوره المتباينة المختلفة . فكأن الادباء تواضعوا على اختيار هذه الكلمة . وكأنهم استحسنوا خفة استعمالها فاطلقوها على ما يعتري النفس الانسانية من ذلكم التموج حينما تثار لسبب قوي يغشاها بفيض من غمرات الوانه الزاهية القاتمة . الناصعة الحالكة . الزائغة الثابتة . ويبعث في سريرتها ثورة النشاط فتنطق صارخة بابليغ البيان وتتنفس معبرة عن احساسها بالشعر الرائع والنثر الحكيم وبما هو اصدق من الشعر والنثر من انغام الموسيقى المرهفة الصادحة . و بدائع النحت الماثلة الواضحة . واناشيد الاغاني السحرية الفاتنة . مما لا يكون منبعثا الا عن نفس مثقلة بالعواطف وروح قوية الحس قوية الشعور

ونحن نتلقى هذا الوحي العاطفي بكل ما فينا من تعطش ورغبة واخلاص وحرص ومازلنا نقبل عليه . ونتعلق به . ما دام يمثل لنا تمثيلا صحيحا صورا واضحة تامة من صدق العاطفة وقوتها وعمقها . وما دام يملا قلوبنا بما يملك علينا الحس والشعور من تلك المعاني القدسية التي غمرت خاطر الاديب وطفحت بها قريحته المتوهجة . فسالت على لسانه شعرا بديعا او نثرا محكما يعبر عن سر من اسرار هذه النفس الانسانية الحائرة . او يكشف قناع الغموض عن حقيقة من حقائق هذا الوجود الصاخب بما فيه من تناقض وضلال

ذلكم هو الادب في ادنى درجات اعتباره . وفي اخص حدوده . وفي ايسر ما يفهم من مقاييسه النقديه . صورناه في هذه العبارة الجامعة . ليتضح لنا ان العاطفة هي العنصر الاصيل لهذا الانتاج الذي نسميه ادبا . ونحاول اخضاعه للدرس والتحليل لنعرف مكان حسنه وجماله ومقدار قوته ومتانته . ثم لنعرف ايضا مكان قبحه وتناقضه ومواطن ضعفه ومهانته لنحكم له او عليه بالخلود والابدية . او بالتلاشي والموت القريب .

وليس من شك ان عمل الناقد البصير بفنه المخلص لدرسه . هو ذلك العمل الذي لا ينتهي الى غاية اصدار الحكم فحسب . بل يتجاوز هذه الغاية الدنيا الى غاية اخرى ابعد منالا واشد عناء واكثر فائدة ونفعا اذ عليه ان يخلص للادب وللحياة ويحاول التوفيق والملاءمة بينهما ما استطاع الى ذلك سبيلا . وعليه ان يتجه بهذا الادب الى اقدس المبادي واسمى المثل ليقربه من الرفعة والكمال المنشود برائد من رشاد نقده . وصحيح بحوثه ودرسه . وهو لن يبلغ هذه المكانة العليا من التمييز والتوجيه . الا اذا كملت في نفسه حذاقة الفن . واصبح ذا بصر بهذه المقاييس النقدية . التي تواضع المحدثون على اتخاذها سندا يعتمدون عليه في الدرس والتمحيص وفي النقد والتوجيه .

وسهل علينا بعد هذا الاجمال الذي اوضحنا بتحصيله معنى الادب . ومهمة النقد . وما يقوم به النقاد من عمل جليل خطير . ان نعرض بالجواب المفصل لهذا السؤال . الذي بدأنا نشعر به يتمشى في صدورنا . وهو : اين نتفقد قوة العاطفة وصدقها ؟ وفي اي منحى من المناحي نشهد ثورتها وطغيانها ؟ هل نتجه في بحثنا عن العاطفة الى الاديب الشاعر او الناثر ؟ ام الى نفوس القراء والسامعين ؟ ام اننا ننصرف انصرافا عن هذه وتلك . لنتجه الى ناحية اخرى محدثة . هي ناحية هؤلاء الممثلين الذين يعرضون على انظار الجمهور فوق خشبة المسرح تلك القطع الادبية . فيبدعون في اجادة تمثيلها والقاء فصولها في شيء غير قليل من الروعة والتأثير ومن القوة والصدق ؟

ولو شئنا اختيار لفظ آخر لتحديد مدلول السؤال وايضاحه ايضاحا يقربه من الاحاطة والحصر لكان لنا في ذلك ان نقول بعد استعراض هذه القطعة الباكية . من شعر مالك بن الريب التميمي . التي قالها وقد احس بالموت ينازعه في اغترابه . بعيدا عن اهله ووطنه .

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة	بجنب الغضى ازجي القلاص النواجيا
لقد كان في اهل الغضى لو دنى الغضى	مزار ولكن الغضى ليس دانيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه	وليت الغضى ما شى الركاب لياليا

❀ ❀ ❀

تذكرت من يبكي علي فلم اجد	سوى السيف والرمح الرديني باكيا
واشقر خنذيذ يجر عنانه	الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا
ولكن باطراف السمينة نسوة	عزيز عليهن العشية مابيا

صريع على ايدى الرجال بقفرة ... يسوون لحدي حيث حم قضائيا
ولما تراءت عند مرو منيتي ... وخل بها جسمي وحانت وفاتيا
اقول لاصحابي ارفعوني لانني ... يقر لعيني ان سهيل بدا ليا
فيا صاحبي رحلي دنا الموت ... فانزلا برابية . اني مقيم لياليا
أقيما علي اليوم او بعض ليلة ... ولا تعجلاني قد تبين مابيا
وقوما اذا ما استل روحي فهيئا ... لي السدر والاكفان ثم ابكيا ليا
وخطا باطراف الاسنة مضجعي ... وردا على عيني فضل ردائيا
خذاني فجراني ببردي اليكما ... فقد كان قبل اليوم صعبا قياديا

❀ ❀ ❀

السنا نسمع في صرخات هذا الشاعر صوت الالم ناطقا باصدق ما يقال في تصوير حال الغريب المحب الحريص على الحياة . الضنين بلذة العيش في ظلال الغضى . وفي مساكن القوم بجوار الغضى ؟ السنا نسمع في لثات انفاسه الضعيفة الخافتة . ندبات الحزن شاكية قساوة الموت النازل به في غربته النازحة وانقطاعه البعيد ؟ ثم السنا نجد في قرارة نفوسنا اصداء تلك الصرخات وهذه الندبات تدوي دويا يثير من مشاعرنا عاطفة التحنن الحادب . والرحمة المترفقة بالبائس المسكين ؟

فهذه قصيدة رثاء دون شك . وهو ليس من نوع الرثاء المالوف اذ قد رثى فيه مالك بن الريب التميمي نفسه فصور الكارثة كما كان يراها . وكما كان يرى نفسه في غمراتها المظلمة . .

فاذا حاولنا درس العاطفة في هذا القصيد . وتعرضنا له بالنقد . فهل ننقد عاطفة مالك بن الريب التي عبر عنها بما انشأ من قول ؟ ام ننقد عاطفتنا وقد قرأنا وسمعنا . فتأثرنا تأثرا اثار في خفايا نفوسنا عاطفة مكتظة طافحة بالمعاني الحزينة الباكية ؟ ام اننا نرجيء البحث الى حين حتى اذا ما مثلت القطعة على خشبة المسرح حاولنا نقد العاطفة من جديد وجعلنا الاعتماد في ذلك كل الاعتماد على قوة العرض وقوة التمثيل ؟

وكما قلنا في قصيدة مالك هذه نقول ايضا في خطبة علي رضى الله عنه تلك الخطبة الصارخة التي تحدث بها الى طائفة من انصاره الكوفيين . وقد اراد اثارة هممهم واباء نفوسهم . فصور لهم روعة ما قد نال النساء الحرائر من ضر الاذى ومكروه الالم . وعلي عيوف عزوف . عزيز منيع قوي في نفسه شديد . ان قرعته حوادث الدهر بغمزاتها المؤلمة . او مست الايام انصاره بشيء يضطهدهم اذلالا . ويذلهم هوانا واستصغارا . ضجت نفسه مستنكرة غضاضة الظلم وهضيمة الاعتداء . فكيف وقد رأى من شطار الشآم استباحة الحمى . وانتهاك الحريم .

أليس في هذا الموقف ما يثير عجاجة من لهيب عواطفه ؟ أليس يجب عليه ان يستحث الناس الى مدافعة الشر واقصائه . وقد كان كل ذلك . فاستمعوا له وقد انتهى اليه ان خيلا لمعاوية وردت

الانبار ، وقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان فخرج علي رضي الله عنه مغضبا يجر ثوبه حتى أتى « النخيلة » واتبعه الناس فرقي ربوة وحمد الله واثنى عليه ، وصلى على نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ثم قال ... « اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة عنه البسه الله الذل ، وسيماء الخسف ، وديث بالصغار وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا ، وقلت لكم اغزوهم من قبل ان يغزوكم ، فوالذي نفسي بيده ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا ، فتخاذلتم وتواكلتم ، وثقل عليكم قولي ، واتخذتموه وراءكم ظهريا ، حتى شنت عليكم الغارات ، هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرا ونساء والذي نفسي بيده لقد بلغني انه كان يدخل على المراة المسلمة والمعاهدة فتنتزع احجاؤهما وروعتهما ثم انصرفوا موفورين لم يكلم منهم احد كلما ، فلو ان امرأ مسلما مات من دون هذا اسفا ما كان عندي ملوما ، بل كان به جديرا ،

يا عجبا كل العجب ، عجب يميب القلب ، ويشغل الفهم ، ويكثر الاحزان من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم ، ، حتى اصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون ، ان قلت لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا اوان قر وصر وان قلت لكم اغزوهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ انظرنا ينصرف الحر عنا ، فان كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف افر ....

والله لقد افسدتم علي رايي بالعصيان ، ولقد ملاتم جوفي غيظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا راي له في الحرب ، لله درهم ، ومن ذا يكون اعلم بها مني او اشد لها مراسا فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، ولقد نيفت اليوم على الستين ،، ولكن لا رأي لمن لا يطاع

فقام اليه رجل من الانصار ومعه اخوه وقال « يا امير المؤمنين انا واخي هذا كما قال الله تعالى رب اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك . فقال لهما علي رضي الله عنه واين تقعان مما اريد »

والظن الغالب ان ما قد حدث عقب انتهاء علي من قوله المبين وحديثه الناري العاصف مما قصته علينا الرواية ، لم يكن من الوصف البعيد الغلو في المبالغة ، ولا من التصوير المتهم بل ربما كان من الهين جدا ان يسارع انصار علي الى التلبية بكل ما فيهم من قوة واخلاص وان يفعل الضعيف منهم ما قد فعل ،

وانا لنقول بغلبة هذا الظن اعترافا بما في هذه الخطبة من العاطفة القوية الصادقة ، وهل اصدق من عاطفة عمرت احقابا في احقاب ، وهي ما تزال باقية التاثير في النفس على تراخي العهود وبعد الآماد .

هذه امثلة ضربت لتوضيح السؤال السابق فعلي رضى الله عنه ما زال يخطب او في عبارة اخرى

ما زال يقذف بكلماته النارية المتضرمة . ونحن ما زلنا نستمع له ونتأثر بقوله كل هذا التأثر الحماسي اللائح في قسمات الوجوه . وفي مطامح الانظار . وكذلك يتملكنا الاعجاب لو عرضت علينا هذه الرواية عرضا قويا كل القوة صادقا كل الصدق .

وفي الحق اننا كدنا نقترب من موضوع البحث وان كنا لم نحدد بعد الناحية الخطيرة التي يجب ان يتجه اليها الناقد بنقده والدارس بدرسه . وفي تحديد ناحية النقد والدرس وتعيينها يجدر بنا ان نستعين بالمبادي التي يقررها علم النفس . فلعل تلك المبادي تشع علينا بضياء من النور وفي هذا الضياء نستطيع تعيين المظهر الحقيقي للعاطفة . وبذلك يمكننا ان نتجه اليها اتجاها خاصا حينما نحاول دراسة الادب دراسة منتجه قيمة . وما يقرره علم النفس لا يبعد ان يكون هو الحق . اذ انه يمنع ان تثار من مشاعرنا عواطف الالم والحزن . او السرور والطرب لشيء من الشعر او النثر قرأناه او طال استماعنا اليه . ما لم يكن ذلك النثر او الشعر مثقلا بالمعاني الحزينة المؤلمة . او راقصا بنشوة طافحة بالوان من الطرب والسرور . فعواطفنا لا تنخدع ولكنها تتأثر وهي لا تتأثر بلعلعة البريق الخادع . ولا تضطرب لشيء لم يكن مصدره من القلب . ومن هنا لا يمكن للاديب ان يتخذ من ادبه بعيث الم وسرور الى نفوس القراء والسامعين . ما لم تكن نفسه مكتظة بما يملك عليه الحس والشعور من معاني الحزن او الطرب . وهل يتيسر للقائد ان يقف في ساحة الوغى خطيبا محرضا الجنود الغزاة على القتال وانزال الشر بالاعداء مذكيا في قلوبهم حمية الغضب لشرف الكرامة والعزة والاباء . ما لم يكن فخورا بالموت شهيدا في سبيل الشرف والكرامة والعزة والاباء .

ومن السهل علينا ان نخرج من ذلك التردد الى شيء من الثبات والاطمئنان فقد بان لنا ان العاطفة الادبية هي ذلك العنصر الخفي الذي يغشى قلوبنا بلون من الوانه المختلفة ليحرك فينا كل ما يتناسب معه من المشاعر والعواطف . فنحن الذين نقرأ والذين نسمع نحن مظهر ذلك العنصر العاطفي . وعلى قدر عمقه وقوته وصدقه . يكون تأثيره فينا . ومن هنا اجمع النقاد المحدثون على ان يتخذوا نفوس القراء ميزانا حساسا لصدق العاطفة وقوتها فاذا قلنا ان هذا القصيد من اصدق الشعر عاطفة وانه قوي خالد التأثير . فمعنى ذلك انه من القلب . وما كان من القلب مصدره . ففي القلب منتهاه وروعته . واذا قلنا ان هذا الشاعر صادق مؤثر . فمعنى ذلك انه سما بعواطفه وافكاره وخياله ثم سما حتى انتهى في عليائه . الى حيث اصبح يشرف على العالم كله . واصبحت اصداء نغماته المرهفة الخفق . المنسجمة القطع والوصل . المنبعثة من تحريك اوتار قلبه ولسانه تبلغ كل القلوب . وتثير خامد المشاعر من كل النفوس .

وبعد فمن اين يأتي صدق العاطفة ؟ ومن اين تستمد العاطفة قوة تأثيرها ؟ او في عبارة اخرى اختارها لوضع هذا السؤال فأقول ما صدق العاطفة . وما قوة تأثيرها ؟

(للبحث بقية)

تنظيم الاوقاف والشؤون الاسلامية في سوريا « ٤ »

الفصل السادس ـ المحاكم الشرعية

المادة ٣٤ – ترتبط المحاكم الشرعية اعتبارا من تصديق هذا المشروع وبعد تشكيل المجلس الاسلامي الاعلى والمديريات بمديرية المحاكم الشرعية.

المادة ٣٥ – قاضي القضاة يعين الحكام الشرعيين ويعزلهم وفقا للقانون.

المادة ٣٦ – يعين للمحاكم الشرعية في كل لواء قاض ومثله في كل قضاء.

المادة ٣٧ – يضع المجلس الاسلامي الاعلى مشروع قانون الاحوال الشخصية واصول المحاكم الشرعية ويقدمه الى المجلس النيابي للتصديق

المادة ٣٨ – قاضي القضاة يكون المرجع الاعلى لقرارات المحاكم الشرعية

المادة ٣٩ – تصنيف القضاة والمفاتي وتثبيتهم وترفيعهم يعود لقاضي القضاة

المادة ٤٠ – للطوائف الاخرى حق المقاضاة امام المحاكم الشرعية كما كان لهم سابقا اذا اتفق الطرفان المتخاصمان

الفصل السابع ـ التكايا والزوايا

المادة ٤١ – جميع التكايا والزوايا ترتبط بالمجلس الاسلامي الاعلى

المادة ٤٢ – يوضع نظام خاص لربطها وادارتها بالمجلس الاسلامي الاعلى

الفصل الثامن ـ مواد متفرقة

المادة ٤٣ – تلغى الاوقاف الذرية ويضع المجلس الاسلامي الاعلى قانونا بذلك

المادة ٤٤ – يضع المجلس الاسلامي الاعلى تصنيفا جديدا للوظائف الدينية بعددها وشرائط التعيين والدرجات والمعاشات والكسوة

المادة ٤٥ – يضع المجلس الاسلامي الاعلى نظاما خاصا للمدارس الدينية واصول التعليم

المادة ٤٦ – وظائف الاطعامات وقراءة الاوراد والاجزاء ودلائل الخيرات وما شابهها من الامور تحول مخصصاتها الى اعمال تعليمية واسعافية

المادة ٤٧ – يضع المجلس الاسلامي الاعلى قانونا للجمعيات الاسلامية. دفن الموتى. تعليم الاميين. المولد. الاعياد. نشر الروح الدينية. مقاومة المفاسد. حماية اللقطاء والنساء. ترويج الزواج. المدارس الاولية. حماية المقابر. جمعية الآثار. دار الكتب

الفصل التاسع ـ الاوقاف

المادة ٤٨ – ١ – تعود ادارة الاوقاف والاشراف عليها الى الطائفة الاسلامية بواسطة مجلسها الاسلامي الاعلى

٢ – الاوقاف الخيرية والمضبوطة والملحقة تلتحق ادارتها العامة بمصلحة الاوقاف

٣ – المتولون الحاليون وجميع موظفي الشعائر والخدمة والوعاظ والجهات المشروطة يصنفون وتحدد رواتبهم من قبل المجلس الاسلامي الاعلى

٤ – يجري عليهم جميعا ماعدا ذوي الخدمات الموقتة قانون التقاعد الذي تجري عليه الحكومة

٥ – يزول الحق المكتسب في التولية والجهة والوظيفة بعد وفاة الموظفين الحاليين

٦ – الوكالة في جميع اعمال الاوقاف والتدريس والشعائر والمحاكم الدينية لا تجوز الا لعذر شرعي وبقرار من المجلس الاسلامي في اللواء

٧ – في الاوقاف الخيرية المشروطة يجرى اعتبار القائمين بادارتها كموظفين في الاوقاف يصنفون وياخذون راتبهم وفقا لاعمالهم .

٨ – الاوقاف الذرية ذات الجهة الخيرية يفرز منها المجلس الاسلامي ما يوازي حاجة الجهة والباقي يعتبر ملكا ويحل وفقا للمادة ٤٣

٩ – الاوقاف الذرية التي لا يمكن توزيعها مهاياة ولا يمكن افرازها تباع بمعرفة المجلس الاسلامي وتوزع على المرتزقة الاحياء وفقا للميراث الشرعي .

١٠ – الموظفون في الاوقاف والمدارس والمحاكم الدينية يقسمون الى خمس عشرة مرتبة يكون اقل معاش فيهم عشر ليرات سورية واكثره مائتين وخمسين ليرة سورية شهريا .

	ليرة سورية		ليرة سورية
١	١٢	١٣	١٥٠
٢	١٧	١٤	٢٠٠
٣	٢٢	١٥	٢٥٠
٤	٢٧		
٥	٣٢		
٦	٣٧		
٧	٤٥		
٨	٥٥		
٩	٦٥		
١٠	٧٥		
١١	٨٥		
١٢	١٠٠		

الفصل العاشر ـ الميزانية العامة

المادة ٤٩ – تدفع الحكومة جميع المخصصات الحالية التي هي للقضاة والمحاكم الشرعية وللافتاء الى ميزانية المجلس الاسلامي الاعلى .

تدارك سهو (تعليق تابع لصحيفة ١٦٠) وردت على ادارة مجلتنا اسئلة كثيرة تحوم حول طلب بيان حكم طعام اهل الكتاب واستعمال آنيتهم ولبس ثيابهم ومنسوجاتهم فراينا ان ننشر نص الفتوى البيرمية التي كان اجاب بها المنعم شيخ الاسلام محمد بيرم الرابع عن السؤال الذي وجهه له المولى احمد باشا باي الاول في نفس الموضوع على طريق كاتم اسراره الشيخ ابن ابي الضياف لانها وفت الموضوع حقه واحاطت به من جميع اطرافه زيادة عما تدل عليه من شدة تمسك امراء العائلة الحسينية المالكة باهداب الدين الحنيف وانهم لا يقدمون على امر الا بعد التثبت فيه واخذ رأي علماء دينهم في حكمه الشرعي

في جمعية الرابطة الادبية

اقامت هاته الجمعية احتفالا بهيجا لذكرى الماسوف عليه الاديب الكبير مصطفى صادق الرافعي يوم الجمعة ٢١ شوال المنصرم في قاعة (سينما فريتي) حضره عدد كبير من اهل العلم والادب وان كان دون ما يناسب مقام ذلك المصلح العظيم والكاتب الشرقي القدير وترأس الاحتفال الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي صاحب هذه المجلة وقد ارتجل خطابا افتتح به الاحتفال اتى فيه على نبذة من حياة الفقيد وشرح طريقته في الادب فاتى ببسطة دلت على مكانة الرافعي في هذا المضار وبين الاسباب التي تركت بعض الادباء ينقمون على الرافعي ويتحيرون عند الحكم له او عليه

ثم تداول الخطابة بعده السادة مصطفى الجد رئيس جمعية الرابطة الادبية فالقى خطابا تعرض فيه الى مكانة الرافعي في الادب . والغرض من اقامة هذه الذكريات . ووفاء ابناء تونس لنوابغ الاسلام ثم تلاه الاستاذ الطاهر صفر فالقى خطابا فلسفيا تعرض فيه الى ناحية من حياة الرافعي وهي حياته السياسية واستعرض نصوصا ادبية للرافعي دلت على نفس كانت تتقد حماسا ثم تبارى الشعراء كل باحسن ما جادت به قريحته في تخليد ذكرى رجل الشرق وانتهت الحفلة بالترحم على الفقيد وشكر هيئة الرابطة الادبية على نجاحها فيما تقوم به من خدمة الادب ورجاله .

محمد عثمان باشا داي الجزائر

كان اهدانا صديقنا اللوذعي النحرير المؤرخ الفاضل السيد احمد توفيق المدني نزيل الجزائر اليوم كتابه « محمد عثمان باشا داي الجزائر » فالفيناه سفرا عظيم الفائدة غزير المادة جلا في وضوح وشيء من الدرس والتحليل ذلك العصر الغامض من تاريخ الجزائر وتلك الحقبة المجهولة من عموم المشتغلين بالتاريخ واظهر ما اختص به الحكم التركي لتلك البلاد ورفع كثيرا من اللبس والاغلاط التي كانت تحوم حول ذلك العصر .

وقد نسقه مؤلفه البصير بدقائق الفن احسن تنسيق وبوبه اجمل تبويب فخرج تحفة فنية فائقة ادت حق الفن والحقائق العلمية اكمل تأدية هذا زيادة عن الصور الجميلة والوثائق التاريخية العزيزة الوجود التي لا يظفر بها الا مثل ذلك البحاثة الذي لا تفوته نادرة او شاردة فيما يوجه عنايته له من الموضوعات النافعة والابحاث المفيدة . كيف لا ومؤلفنا أشهر من ان يعرف في عالم التأليف وهو من ابرز رجالات هذا الشمال انتاجا ودرسا لكل ما يعين على نشر ثقافة اسلامية شرقية تعمل لاسترجاع مجد غبر . وشرف مؤثل أخفته صروف دهر شأنه غير مستقر

فحيي على خير عمل، وبارك رجال العلم والانتاج بما ينفع الناس ويزرع في نفوس الشباب حبة الامل،



الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
كانت ممضاة من امين المال
والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء الخامس	تونس في ذي الحجة عام ١٣٥٦ وفي فيفري ١٩٣٨	المجلد الثاني

فهرس العدد

ثمن العدد ثلاثة فرنكات

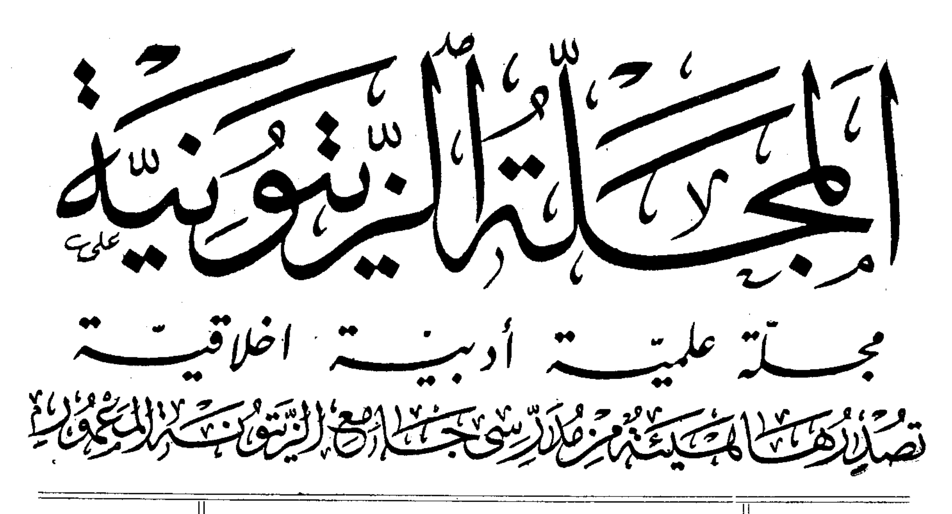
المطبعة التونسية

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لاتعتبر الا اذا
كانت ممضاة من امين المال
والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



الجزء الخامس	تونس في ذي الحجة عام ١٣٥٦ وفي فيفري ١٩٣٨	المجلد الثاني

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحجاج التونسيون

يساء اليهم في طريق الحج ويكلفون بما لا يطاق ثم يستغيثون ويستنجدون فهل لهم من مغيث وهل لهم منجد

بقلم رئيس التحرير

سافر الحجاج التونسيون في هذا العام يوم الاربعاء ٢٤ قعدة المنصرم (الموافق ليوم ٢٦ جانفي) وعددهم ٣٨١ من مرسى (بنزرت) على ظهر الباخرة (بريطانيا) التي هيئتها شركة تكونت بالجزائر لتنقل عليها حجاج المغرب والجزائر وتونس الى جدة واشرف عليها رئيس هاته الشركة السيد الفضيلي

وكان المتوقع في مثل هذا الوقت ان نقتصر على الاخبار بسفرهم والدعاء لهم بان يجعل الله حجهم مبرورا . وسعيهم مشكورا . وحظهم من العناية الالهية موفورا . وان يسهل الله لهم طريق الاياب متمتعين بالصحة والعافية . والنعم الضافية . فيلتئم بهم شمل عائلاتهم واقاربهم . وتزول عنهم وحشة الفراق . هذا ما كنا نتوقع ان نقتصر عليه ولكن المعاملة السيئة والقساوة الفضيعة التي عومل بها حجاجنا الكرام في هذا العام تركتنا ننتقل من الدعاء الى الاحتجاج ومن التهنية الى الاستغاثة . اذ لم يمض على سفر الحجاج الا ايام قليلة حتى راجت عدة اشاعات في البلاد استفدنا منها ان الحجاج التونسيين قد وقعت معاملتهم من طرف مستاجر الباخرة بغاية القسوة والفضاعة رغما عن الاموال الباهضة التي دفعوها اجرة للركوب . ثم بعد ايام تايدت هاته الاشاعة بالكتاب المفتوح الذي وجهه الحجاج من (بورت سعيد) بتاريخ ٣٠ جانفي الى صاحب الجلالة ملكنا المعظم يبثون اليه ما وقع لهم من الاضطهاد ويستنجدون به لانقاذهم من الشر المستطير الذي حل بهم . (وقد نشر هذا المكتوب بجريدة النهضة في عددها المؤرخ بيوم الثلاثاء ٧ حجة والموافق ليوم ٨ فيفري الجارين) كما ارسل بعض الحجاج من بورت سعيد مكاتبة لبعض الجرائد تذمر فيها من اضطهادات مالية فرضت على الحجاج قهرا ولم تكن لهم على بال .

وتتلخص انواع التعديات التي وقعت على الحجاج فيما ياتي :

١ — عند ما ركب الحجاج الباخرة من مرسى بنزرت وجدوها قد ملئت بالحجاج القادمين من

المغرب ومن الجزائر فلم يجدوا الاماكن اللائقة بهم ولم يلتفت المكلف بالباخرة اليهم ولم يهتم بهم . حتى انهم بقوا على ظهر الباخرة كامل اليوم وطول الليل وهم يعانون - شيوخا ونساء واطفالا - الم البرد الشديد .

٢ — وزيادة على عدم تمكينهم من بقاع في الباخرة فقد حرموا من الطعام رغما عن كونه داخلا في معلوم الركوب طبق الاتفاق الواقع من قبل

٣ — ولم يقع هذا الخلل مع ركاب الرتبة الثالثة والرابعة فقط بل وقع حتى مع ركاب الرتبة الاولى الذين ما دفعوا الاجر مضاعفا الا طلبا للراحة . فاذا بهم لا يجدون اي امتياز بل لم يجد بقاعا ينامون فيها

٤ — ثم لم يكف مستاجر الباخرة بهذا كله بل اراد ان يتمادى على ارهاق الحجاج المساكين فقبل وصول الباخرة الى (بورت سعيد) طلب من جميع الحجاج ان يسلموا له جوازات سفرهم وبعد ما تسلمها طالب كل واحد منهم بستمائة فرنك بعنوان معلوم المرور من ذلك المضيق . فنشأ عن ذلك اضطراب كبير للحجاج لان جميع مصاريف التنقل داخلة في اجرة الركوب طبق الاتفاق الواقع من قبل . وعليه فلماذا يطالبون بهذا الاداء الجديد . ويدفعونه عن يد وهم صاغرون

وما علم الناس بهذه التعديات المتكررة الواقعة على الحجاج حتى حصل في البلاد استياء شديد وقلق عام . واخذ كل واحد يفكر في حالة قريبة وما يعانيه من هاته التعديات الفاحشة زيادة عما يقاسيه من عناء السفر . وقد حرر اولياء الحجاج عريضة دفعوها لصاحب الجلالة ملكنا المعظم وتقدم وفد منهم في موكب رابع العيد وبسط له القضية من جديد . وألفت نظره العالي الى حالة الحجاج من رعيته وكيف يعاملون اسوء معاملة . وهم المنضومون تحت رايته . والعائشون في كنف رعايته

وقد نظر جلالته في هاته القضية بغاية الاهتمام . واذن باجراء بحث حول هاته الاشاعات . حتى يقع الانتصاف لهؤلاء الحجاج المساكين الذين وقعت اذايتهم في سبيل الله . وقد بلغنا ان الحكومة التونسية طلبت من الحكومة الجزائرية بصفة رسمية اجراء (بحث قانوني) وموافاتها بنتيجته في اقرب وقت .

ونحن نتعجب غاية العجب من هاته الحالة السيئة ومن هذا الارهاق والاعنات الذين يعامل بهما الحجاج التونسيون — لا في هذا العام فقط بل في كل عام — فكانهم لا ولي لهم ولا نصير . وكانهم ليست لهم حكومة تغار عليهم وتذود عن حماهم وتدفع يد العدوان عنهم . ففي كل عام يساء اليهم وتنتهك حرماتهم ثم يعلو الضجيج فنظن ان الحكومة ستتلافى ذلك الخلل في العام المقبل . فاذا جاء العام المقبل تجددت الحالة بافظع مما كانت عليه وهكذا . ونرى ان السبب في ذلك عدة امور يجب تداركها حتى لا تقع اعادتها في المستقبل . بحول الله

منها جعل الحج بيد فرد او افراد يتاجرون به كما يتاجرون بسائر البضائع ويرتكبون في ذلك كل انواع التحيلات ، مع ان الواجب يقتضي ان يكون الحج حرا بان يسافر الناس احرارا على بواخر البريد من غير ادنى كلفة ولا مشقة ، كما يقع السفر لسائر بقاع الارض . واذا كان من اللازم ان يذهب الحجاج قافلة واحدة فليكن ذلك تحت مراقبة الحكومة التونسية وعلى نظرها مباشرة ، من غير ان يكون امر الحج مجالا للتجارة الفاجرة ، وسوقا للارباح على كاهل افراد عاجزين عن المدافعة عن انفسهم ليتمتع بها رجال لا يخافون الله ولا يقرؤون للآخرة حسابا .

ومنها عدم جعل رئيس للحجاج التونسيين - فالمتعارف من قديم الزمان ان الدولة ترسل مع الحجاج نائبا عنها يكون كرئيس لهم يدافع عن مصالحهم ويخاطبونه في جميع شئونهم ، ويدفع عنهم كل ما يراد الحاقه بهم من المضار سواء على ظهر الباخرة او في البر ، ويلقبُ بشيخ الركب وهذا ما كان معمولا به في تونس ، ثم من منذ اعوام قريبة ابطل ذلك وصار الحجاج التونسيون يسافرون وليس معهم شخص يدافع عنهم ويجلب الخير اليهم ، ولو كان مع الحجاج في هذا العام مندوب عن الحكومة يرجع امرهم اليه لما أمكن لمستأجر الباخرة ان يزدري بهم هذا الازدراء الفاحش ولصده عن العبث بحقوقهم الشرعية ، وكرامتهم الانسانية ، حتى انهم لما حرروا برقيتين على ظهر الباخرة يوم ٢٧ جانفي في الاحتجاج على ما عوملوا به من الفظاعة والفضاضة احداهما موجهة لجلالة الملك والاخرى موجهة لجناب المقيم العام ودفعوا عليهما المصروف اللازم وهو فرنكات ٢٠»٣٠١ منعوا من ذلك وتعلل المكلف بالبريد عن عدم ارسالهما بان مندوب حكومة الجزائر اذنه بعدم الارسال ، فاي دخل لمندوب حكومة الجزائر في منع التونسيين من التشكي لجلالة اميرهم ، أليس السبب في ذلك عدم وجود رئيس للركب التونسي يدافع عنه بصفة رسمية ويمكنه من جميع حقوقه الشرعية

ومن اسباب الخلل جمع الحجاج المغاربة والجزائريين والتونسيين في باخرة واحدة ، تكون القافلة الاخيرة التي تحملها هم الحجاج التونسيون بعد ان تكون قد امتلات بغيرهم فلا يجد بها الحجاج التونسيون البقاع التي كان من الواجب ان تعد لهم ، وهذا من الخلل الذي سببه سوء الادارة وفساد التنظيم وعدم الاهتمام والا فمن الواجب ان تقسم الباخرة على حجاج الاقطار الثلاثة بصورة محكمة بحيث يخصص لحجاج كل قطر قسم منها بالنسبة لمختلف الرتب حتى اذا جاء حجاج ذلك القطر وجدوا بقاعهم محفوظة لهم لم يقع التعدي عليها .

وقد حكى لنا رجل فاضل ذهب لتوديع صديق له وطلع معه الى الباخرة ، وكان هذا الصديق حجز موضعا له في الرتبة الاولى فلما طلب من المكلف بالباخرة تمكينه من موضعه اجابه بانتهاء بقاع الرتبة الاولى وامره بالنوم على سطح الباخرة

على ان هناك امرا افظع من ذلك كله والعجيب اننا لم نر في الصحافة اليومية والاسبوعية حديثا

عنه ، وهو ما وقع لحامل الصرة المندوب عن جلالة الملك : فقد بلغنا ان هذا المندوب لما صعد الى الباخرة وطلب الموضع المخصص له اجابه المكلف بعدم وجود موضع له فاحتج على ذلك وصادف ان هناك بيتا بالرتبة الاولى اعدت لنائب الشركة بتونس وحيث قد تأخر هذا النائب فقد ظنوه عدل عن السفر فاعطوا بيته لمندوب الملك ولكن بعد حصة وجيزة حضر صاحب البيت واراد حيازته ، فحاول نائب الشركة من مندوب جلالة الملك ان يخرج ليقع تسليم البيت لصاحبه فامتنع المندوب من ذلك والتف حوله من كان حاضرا من بعض متوظفي الدولة فابقاه في البيت الذي سلموه اليه وانحل الاشكال

هكذا بلغتنا هاته الحادثة وهي تدل على تهاون كبير من المكلف بالباخرة والا فكيف يعقل ان مندوب جلالة الملك لا يهيأ له موضع من قبل .

فهذه الاخلال كلها ليس لها من سبب الا جعل امر الحج منوطا بعهدة افراد يتاجرون به ويتخذونه مغنما لسلب الاموال الطائلة من الناس الاتقياء الذين يقصدون الى عمل قد نهى الله تعلى عن الرفث والفسوق فيه .

ولولا هذا الخلل الناشىء عن سوء الادارة لكان اجتماع حجاج الاقطار الثلاثة في باخرة واحدة من اهم ما نرغب فيه لانه يفضي الى تعارفهم وتقوية اواصر الوداد بينهم. ولكنه لما كان ذريعة الى هذه الاضطرابات المتنوعة نطلب ان يجعل لحجاج كل قطر باخرة خاصة بهم ، او تتخذ طريقة عادلة في حفظ بقاع كل فريق منهم على الطريقة التي يقع بها السفر للاقطار الاروبية المبنية على احكم الاساليب واضبطها ، حتى ان رجلا من تونس لو اراد السفر الى اميريكا في يوم ١٥ رجب المقبل فانه يمكنه ان يذهب اليوم الى شركة (كوك) مثلا ويطلب منها حجز موضع في الباخرة (نورماندي) لذلك اليوم في الرتبة التي يريدها ، فتعطيه عدد الموضع المخصص له فاذا خرج من تونس يوم ١٢ رجب ووصل الى (الهافر) يوم ١٥ رجب صعد الى الباخرة ووجد الموضع الذي خصص له من قبل بثمانية اشهر فمن الواجب اذا اريد الاصرار في المستقبل على جمع حجاج الاقطار الثلاثة في باخرة واحدة ان يتخذ مثل هذا النظام

هذه هي التراتيب التي نرى من الواجب على الحكومة ان تتخذها في المستقبل حتى اذا سافر الحجاج كانوا بسببها ءامنين مطمئنين على اموالهم وابدانهم وكرامتهم اما بقاء الحالة على ما هي عليه الآن ففيه جلب لقلاقل لا داعي اليها ومن اليسير تداركها ، وفيه ايضا تضعيف لهمة الناس عن الاقدام على الحج مع أن حكومتنا بصبغتها الاسلامية من واجبها ان تسهل اسباب هاته الفريضة على الناس وتبذل معهم غاية الجهد في ازالة العراقيل والاتعاب التي يمكن ان تحول بينهم وبينها

اما حجاج هذا العام فاملنا وطيد في ان الحكومة ستدافع عنهم وستنير لهم حقوقهم المهضومة لا سيما بعد العناية التي اظهرها جلالة ملكنا ابقاه الله وذلك بان تلزم مستاجر الباخرة بان يرجع لكل

من اعطي موضعا اقل من رتبته مقدار الفرق بين الرتبة التي دفع اجرتها والتي اعطيت له بالفعل وبان تلزمه بترجيع الستمائة فرنك التي اخذها منهم بعنوان المرور من بوغاز (بورت سعيد) حيث ان ذلك داخل في اجرة الركوب كما وقع عليه الاعلان وكما وقع عليه التعاقد . ونلاحظ هنا للحكومة بان البحث الاداري الذي طلبت اجراءه من الحكومة الجزائرية كما اشرنا اليه سابقا لا يكفي وحده لاظهار الحقيقة . لان الابحاث الادارية قد تسير على اوجه يكون مـآلها طمس الحقيقة عوضا عن اظهارها لذلك نرجو اجراء بحث شرعي على الطريقة القضائية المعمول بها في سائر النوازل المدنية فما الحجاج الا مدعون وما مستاجر الباخرة الا مدعى عليه فينبغي تسيير النازلة على هذا الاساس حتى تتجلى فيها الحقيقة . وحتى يعلم مستاجر الباخرة ان الحجاج التونسيين ليسوا العوبة في يده وان لهم حكومة عادلة متيقظة تدافع عنهم وتحول بينهم وبين كل ضيم يراد الحاقه بهم .

والمرجو ان تاخذ هاته القضية حقها من العدل والانصاف . بفضل انتصار الحكومة واصرار الحجاج على المطالبة وان يعود الينا حجاجنا الكرام جامعين بين اداء الفريضة وحسن القبول متزودين بعظمة البيت الحرام ومهبط الوحي ومدينة الرسول بعد ما وقفوا على قبره صلى الله عليه وسلم وهو الذي لا يقف شقي عليه . ولا يحظى بالمثول بين يديه . والله المرجو بفضله ان يوفقنا لتدارك ما فات وان يعفو برحمته عما ارتكبناه من الـزلات . انه الكريم الدي عم فضله كل قاصد . والرحيم الذي شملت رحمته كل صادر ووارد .

محمد المختار بن محمود

محاسن الفقر

روي عن ابي الدرداء انه قال : لان اموت وعلي اربعة آلاف درهم انوي قضاءها احب الي من ان اترك مثلها حلالا . وقال سلمان الفارسي قد خشيت ان اكون قد تركت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل ولم ذاك : قال لانه قال من اراد ان يدخل الجنة فلا يكن زاده من الدنيا الا كزاد الراكب وانا قد جمعت ما ترون . فقوموا ما عنده فبلغ ثمانية عشر درهما . وكان يقال من اصبح آمنا في سربه معافا في بدنه عنده قوت يومه فعلى الدنيا العفاء . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان من دعائه : اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة الفقراء اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا . فسئل بعضهم ما الكفاف فقال جوع يوم وشبع يوم . قيل وكان الفضيل بن عياض يقول في دعائه اللهم أجعتني وأجعت عيالي وتركتنا في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك يا رب



الحمد لله

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

« ٤ »

« الحمد لله » هذا اول القرآن على الصحيح من مذاهب علماء الامصار وهم الذين لا يرون ان البسملة آية من سورة الفاتحة والفاتحة هي اول سورة من القرآن اعتبارا ولذلك جعلت أوله في ترتيب المصحف المستند لقراءة النبيء صلى الله عليه وسلم فسواء كانت الفاتحة اول القرآن نزولا على قول بعض العلماء أم كان غيرها اوله نزولا فان الفاتحة هي اول القرآن اعتبارا وترتيبا ويجوز ان يقدم بعض الكتاب في الوحي ثم يوقف بعد ذلك على الترتيب المراد .

وانما جعلت سورة الفاتحة اول سور القرآن لان فيها اعداد نفوس السامعين لتلقي الهدي الذي اشتمل عليه القرآن فان القرآن انما انزل هدى للناس وتبيانا للاحكام التي بها اصلاح الناس في عاجلهم وآجلهم ومعاشهم ومعادهم ولما لم يكن للنفوس سبق اعتياد بذلك لزم ان يهيأ المخاطبون بها الى تلقيها ويعرف تهيؤهم باظهارهم استعداد النفوس بالتخلي عن كل ما من شانه ان يكون عائقا عن الانتفاع بهاته التعاليم النافعة وذلك بان يجردوا نفوسهم عن العناد والمكابرة وعن خلط معارفهم بالاغلاط الفاقرة . فان النفس لا تكاد تنتفع بالعظات والنذر . ولا تنتفع بالحكمة والنظر . ما بقي يخالجها العناد والبهتان او تخامرها نزغات الشيطان . فلا مناص لها قبل استقبال تلك الحكمة والنظر من الاتسام بميسم الفضيلة ، والتخلية عن السفاسف الرذيلة ، فنبه الله تعلى المخاطبين بهذا الكتاب الى هاته الخصلة ليكون تلقيهم لما يرد في تضاعيفه من الاحكام اسرع واثبت بما لقنهم اياه من المناجاة التي اشتملت عليها سورة الفاتحة وهي المشار اليها بقوله : ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين الى ءاخرها فانها مناجاة للخالق تضمنت التنزه عن التعطيل والالحاد والدهرية بما تضمنه قوله « ملك يوم الدين » وعن الاشراك حسب ما تضمنه قوله « اياك نعبد واياك نستعين » وعن المكابرة والعناد بما تضمنه « اهدنا

الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم » فان طلب الهداية اعتراف بالاحتياج الى العلم ووصف الصراط بالمستقيم اعتراف بان من العلم ما هو حق ومنه ما هو مشوب بشبه وغلط ومن اعترف بهذين الامرين فقد اعد نفسه لاتباع احسنهما. وعن الضلالات التي تعتري العلوم الصحيحة والشرائع الحقة فتذهب بفائدتها وتنزل صاحبها الى دركة اقل مما وقف عنده الجاهل البسيط وذلك بما تضمنه قوله « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ولاجل هذا سميت هاته السورة ام القرآن كما تقدم ، ولما لقن المخاطبون هاته المناجاة البديعة التي لا يهتدي الى الاحاطة بها في كلامه غير علام الغيوب سبحانه قدم الحمد عليها ليضعه المناجون كذلك في مناجاتهم جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء ان يفتتحوا مناجاتهم اياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل فكان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب المجيد ، لكل بليغ مجيد . فلم يزل البلغاء من يومئذ يلقبون كل كلام نفيس لم يشتمل في طالعه على الحمد بالابتر اخذا من حديث كل امر ذي بال لا يبتدا فيه بالحمد لله فهو ابتر وقد لقبت خطبة زياد ابن ابي سفيان التي خطبها بالبصرة بالتبراء لانه لم يفتتحها بالحمد .

وكانت سورة الفاتحة لذلك منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب او المقدمة للخطبة وهو شان عظيم من الانشاء فان تقديم المقدمة بين يدي المقصود اعون للافهام وادعى لوعايتها . ومما يحسن في الديباجه أو المقدمة امور احدها الايجاز لئلا تمل النفوس بطول انتظار المقصود ولانه ادل على بلاغة المتكلم وعدم حصره وعيه . الثاني الاشارة الى الغرض المقصود وهو المعبر عنه ببراعة الاستهلال لانه يهيء النفوس للغرض حتى تتأهب للتلقي ان كانت من اهل التلقي والنقد او التكملة ان كانت في تلك الدرجة ولان ذلك يدل على تمكن المتكلم من الغرض وثقته بصحة قوله فيه حتى انه ينبه النفوس اليه . الثالث الاشتمال على الحمد لله تعلى . وقد جمعت ديباجة القرآن وهي الفاتحة هاته المحاسن وابانتها وهذا عندي هو السر في قصر سورة الفاتحة مع ان السور الاوائل من القرآن هي الطوال . الرابع ان تكون من بليغ الكلام وجوامعه .

والحمد هو الثناء على الجميل اي الوصف الجميل الاختياري فعلا كان كالكرم واغاثة الملهوف ام غيره كالشجاعة . وقد جعل الثناء جنسا للحمد فهو اعم منه ولا يكون ضده فالثناء الذكر بخير مطلقا وشذ من قال يستعمل الثناء في الذكر مطلقا ولو بشر وينسب لابن القطاع وغره في ذلك ما ورد في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم « من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار » وانما هو مجاز دعت اليه المشاكلة اللفظية . واما الذي يستعمل في الخير والشر فهو النثاء بتقديم النون وهو في الشر اكثر كما قيل . ولا يخفى ان اخذ الثناء جنسا لمفهوم الحمد يقتضي ان يكون الحمد ذكرا باللسان فلا يعترضك ما اعترضهم من اشكال كون الله تعلى حامدا لنفسه مع التنزه عن

اللسان ومع كونه حامدا نفسه في الازل فلا يكون با لقول لان ذلك مدفوع بداهة بان المراد باللسان الكلام عبر به لانه الآلة لذلك في المتعارف فالحمد با لكلام النفسي يقدر ثناء لانه سيكون مدلول كلام لفظي او انشاءه او نحوها عند ما يبلغ للملائكة او البشر بعد ايجادهم . على ان المفهومات اللغوية وضعت للمتعارف بين المتواضعين على اللغة واطلاقها على الصفات الالهية ومتعلقاتها انما هو بالتقريب بغاية المستطاع كما قدمناه في الرحمن . واما المدح فقد اختلف فيه فذهب الجمهور الى ان المدح اعم من الحمد فانه يكون على الوصف الاختياري وغيره وهي طريقة البيضاوي وظاهر كلام القاموس وقال صاحب الكشاف الحمد والمدح اخوان .

وعندي ان القول بترادف الحمد والمدح هو الحق الذي لا ينبغي الانصراف عنه وهو الذي يشهد به استعمال العرب ، والحمد في الآية مرفوع باتفاق القراء الا من شذ وهو مرفوع على الابتداء والمجرور خبره اذ لا يتوهم غير ذلك وهو من المصادر التي اتت بها العرب بدلا عن افعالها في معنى الاخبار فاصله النصب على المفعولية المطلقة على انه بدل من فعله وتقدير الكلام نحمد حمدا لله حمدا فلذلك التزموا حذف افعالها معها مثل سقيا ورعيا وخيبة وبؤسا واما قول العرب سقيالك فانما هو ليبينوا المعني بالدعاء وربما تركوه فاذا عرفوا هذه المصادر رفعوها نحو الحمد لله والعجب له والويل له وانما استحبوا الرفع فيه لانه صار معرفة وهو خبر (اي غير انشاء) فقوي الابتداء (اي انه لما كان خبرا لادعاء وكان معرفة بال تهيأت فيه اسباب الابتداء لان كونه في معنى الاخبار يهيء جانب المعنى للخبرية وكونه معرفة يصحح ان يكون مبتدأ لان الابتداء انما هو خبر واحسنه اذا اجتمع معرفة ونكرة ان تبدأ بالاعرف وهو اصل الكلام . وليس دخول الالف واللام في هذه المصادر بمطرد فلم يقولوا السقي لك والرعي لك . ومن العرب من ينصب بالالف واللام وعليه عامة بني تميم قال صاحب الكشاف والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى اه . . . . »

قلت وانما كان الاصل في هاته المصادر النصب لانه اصل المصادر في هذا الباب لانها بدل عن افعالها فكان الشان ان تكون منصوبة لتدل على الافعال المحذوفة لا سيما وقد كثر النصب فيها نحو حمدا وشكرا . او لان المصادر دالة على الاحداث القائمة بمحالها فهي تقتضي ان يدل على نسبتها لمحالها والاصل في الدلالة على النسب هو الافعال وقد تأيدت هذه المناسبة بورودها منصوبة بكثرة كما قاله السيد في شرح الكشاف

ومن شان بلغاء العرب انهم لايعدلون عن الاصل الا وهم يرمون الى غرض عدلوا لاجله والعدول عن النصب هنا الى الرفع لتتأتى لهم الدلالة على الدوام والثبات لصيرورة الجملة اسمية . والدلالة على العموم المستفاد في المقام من أل الجنسية والدلالة على الاهتمام المستفاد من التقديم . وليس واحد

من هذه الثلاثة بممكن الاستفادة لو بقي المصدر منصوبا اذ النصب يدل على الفعل المقدر والمقدر كالملفوظ فلا تكون الجملة اسمية اذ الاسم فيها نائب عن الفعل ولا يحصل الدوام . ولانه لايصح معه اعتبار التقديم فلا يحصل الاهتمام ولانه وان صح اجتماع الالف واللام مع النصب كما قريء بذلك وهي لغة تميم فالتعريف حينئذ لايكون دالا على عموم المحامد لانه ان قدر الفعل أحمد بهمزة المتكلم فلا يعم الا محامد المتكلم دون محامد الناس وان قدر الفعل نحمد واريد بالنون جميع المؤمنين بقرينة اهدنا الصراط المستقيم وبقرينة اياك نعبد فانما يعم محامد المؤمنين او محامد الموحدين كلهم كيف وقد حمد الله تعلى اهل الكتاب والعرب في الجاهلية قال امية بن ابي الصلت

الحمد لله حمدا لا انقطاع له فليس احسانه عنا بمقطوع

اما اذا صار الحمد غير جار على فعل فانه يصير إخبارا عن جنس الحمد بانه ثابت لله فيعم كل حمد كما سياتي . واعلم ان قراءة النصب وان كانت شاذة الا انها مجدية هنا لانها دلتنا على تطور هذا التركيب المشهور وان بعض العرب نطقوا به في حال التعريف ولم ينسوا اصل المفعولية المطلقة . فان قلت لماذا وقع الاهتمام بالحمد مع ان ذكر اسم الله تعلى اهم فكان الشان تقديم اسم الله تعلى حتى لا يلجأ الى تغييره عن النصب الى الرفع لاجل هذا الاهتمام قلت قدم الحمد لانه حمد على نعمة تنزيل القرآن الذي فيه صلاح الدارين فتلك المنة من اكبر ما يحمد الله عليه من جلائل صفات الكمال لاسيما وقد اشتمل القرآن على كمال المعنى واللفظ والغاية فكان خطوره عند ابتداء سماع إنزاله او ابتداء تلاوته مذكرا بما لمنزله تعلى من الصفات الجميلة وذلك يذكر بوجوب حمده وان لايغفل عنه فكان المقام مقام الحمد لا محالة فلذلك قدم وازيل عنه ما يؤذن بتاخيره ثم ان ذلك الاهتمام تاتي به اعتبار الاهتمام بتقديمه ايضا على ذكر الله تعلى اعتدادا باهمية الحمد العارضة في المقام وان كان ذكر الله أهم في نفسه لان الاهمية العارضية تقدم على الاهمية الاصلية لانها امر يقتضيه المقام والحال والآخر يقتضيه الواقع . والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال والمقام . ولان ما كان الاهتمام به لعارض هو المحتاج للتنبيه على عارضه اذ قد يخفى بخلاف الأمر المعروف المقرر فلا فائدة في التنبيه عليه بل ولا يفيته التنبيه على غيره . فان قلت كيف يصح كون تقديم الحمد وهو مبتدا مؤذنا بالاهتمام مع انه الاصل وشان التقديم المفيد للاهتمام هو تقديم ما حقه التاخير . قلت لو سلم ذلك فان معنى تقديمه هو قصد المتكلم للاتيان به مقدما مع امكان الاتيان به مؤخرا لان للبلغاء صيغتين متعارفتين في حمد الله تعلى احداهما الحمد لله كما في الفاتحة والاخرى لله الحمد كما في سورة الجاثية . واما قصد العموم فسيتضح عند بيان معنى التعريف فيه وليس هو متعينا في كون اللام فيه للاستغراق كما نقله الخفاجي عن رد ذكره البيضاوي لان العموم حاصل على كلا التقديرين كما سيجيء نعم ان العموم مستفاد من التعريف باللام واللام لا تاتي الا عند العدول به عن التنكير الذي هو اثر اعتباره بدلا عن الفعل (البقية على الصفحة عدد ٢٢٥)

« الرحمن على العرش استوى »

من تفسير فضيلة شيخ الاسلام المالكي

« كتب الي احد الفضلاء من بلد طولقة من عمالة قسنطينة يسالني عن قوله تعلى في سورة طه الرحمن على العرش استوى وذكر انه عجز عن فهم المراد منها وانه تطلب كشف الاشكال فلم يحظ بكشفه ولما رايت من حذقه وسمو همته احببت ان اتحفه بتفسير هذه الآية على وجه ارجو ان يزيل اشكاله . ويزيد على مثل هذا المهم الشريف اقباله »

هذه الآية تندرج تحت القسم الثاني من اقسام المتشابه العشرة التي تعرضت لتاصيلها وفرعتها في تفسير سورة آل عمران ونشرت خلاصة ما كتبته فيها في مجلة الهداية الاسلامية في ج ١٢ من المجلد ٢ لسنة ١٣٤٨ وحاصله ان هذا القسم هو من المتشابه الذي نشأ التشابه فيه من القصد الى اعلام الامة بمعان من شؤون عظمة الله تعلى تعين ايرادها مجملة لتعظيم وقعها في نفوس السامعين حتى يستحضر كل لب مقدارا من مدلولها على مقدار تفاوت القرائح والافهام مع الاعتماد على ايمان المخاطبين بها ان لا يحملوها على ما يظهر بادىء الراي من معان لا تليق بجلال الله تعلى . وهذه الآية ونحوها كقوله تعلى في سورة الاعراف ثم استوى على العرش لكونها من المتشابه كانت طرائق علماء الاسلام في الكلام عليها مختلفة متفاوتة

فاما السلف من الصحابة فلم يخض منهم فيه سائل ولا مسئول ولا تطلبوا بيانه من الرسول وتلك سنتهم في امثالها حين كانت عقائد الامة سالمة من الدخل . وحين كان معظم انصرافها الى حسن العمل . ثم حدث التشوف الى الغوص على المعاني في عصر التابعين وربما طنت بآذانهم اسئلة السائلين فاخذوا يسدون باب الخوض في مثل هذا ويبتعدون عنه لواذا والحقوه بالمتشابه فقضوا بالامساك عن تاويله ويقولون ءامنا به ويتاولون لطريقتهم بقوله تعلى « ومايعلم تاويله الا الله » ثم بقوله « والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ولذلك نقل عن جماعة منهم انهم قالوا في آيات المتشابه «نمرها امرارا كما جاءت بلا كيف ولاتعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل» ودرج على ذلك معظم ائمة العصر الذي بعد عصر التابعين مثل مالك وابي حنيفة والاوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وسفيان ابن عيينة ومن تبع طريقتهم من اصحابهم والطبقة التي تليهم مثل الشافعي وعبد الله بن المبارك واسحاق بن راهويه ونعيم بن حماد شيخ البخاري واحمد بن حنبل والبخاري وقد سئل مالك رحمه الله عن هذه الآية فقال للسائل « الاستواء معلوم والكيفية مجهولة وفي رواية (والكيف غير معقول) والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة واظنك رجل سوء أخرجوه عني » وعن سفيان الثوري انه سئل عن الآية فقال « فعل فعلا في العرش سماه استواء » . ثم طلع الشك بقرنه في نفوس من لم

يزنوا الايمان حق وزنه فاضطر المتكلمون من ائمـة الاسلام فيما اضطروا اليه من تبيين حقـائق الصفات وتعلقاتها الى ان يخوضوا في الآيات وتاويل متشابهاتها اقناعا للمرتاب ، واقماعا لمن جاء يفتح لالحاده الباب ، ولم يروا عملهم هذا مخالفا لما درج عليه السلف ولكنهم رأوا السلف سلكوا التأويل باجمال وراوا انفسهم في حاجة الى تفصيل التأويل وراوا ان كلتا الطريقتين تاويل وفسروا قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم بمعنى عطف قوله الراسخون على اسم الجلالة. ولقد ابدع إمام الحرمين في بيان وجه عدم الامساك عن تفصيل التأويل اذ قال « ان كل مؤمن مجمع على ان لفظة الاستواء ليست على عرفها في الكلام العربي فاذا فعل ذلك فهو قـد فسر لا محالة (يعني حيث لم يحمل اللفظ على ظاهر معناه) فلا فائدة في تاخره عن طلب الوجه والمخرج البين بل في تأخره عن ذلك إلباس على إلباس وايهام للعوام » وقال الغزالي « لاخلاف في وجوب التأويل عند تعين شبهة لا ترتفع الا به اه . » وتسمى هذه الطريقة طريقة الخلف وهي الطريقة المثلى المناسبة لما عدا القرون الثلاثة الاولى ومن ثم قال بعض العلماء « طريقة السلف اسلم وطريقة الخلف اعلم » ومعنى هذا الكلام فيما افهم انا ان السلف ارشدوا الى تطلب السلامة من الخوض في مثله خشية قصور الافهام والتورط في الشك فلما لم ينصع الناس الى نصحهم وابوا الا السؤال وادخال الشك تعين سلوك طريقة الخلف فهي اعلم اي ادخـل في العلم اي اكثر علمـا لان بيان التأويـل وتفصيله يكثر فيه الاحتياج الى الاستدلال بالعلم والقواعد

وكلتا الطريقتين طريقة هدي يسع المسلم سلوكها قـال ابن السبكي في خاتمة جمع الجوامـع « وما صح في الكتاب والسنة من الصفات نعتقـد ظاهر المعنى وننزه عنـد سماع المشكل ثم اختلف ائمتنا أنؤول ام نفوض منزهين مع اتفاقهم على ان جهلنا بتفصيله لا يقدح »

فعلى طريقة الخلف تأولوا قوله تعلى الرحمن على العرش استوى بتاويلات ثلاثة

التأويل الاول قال جمهور الاشاعرة وفي مقدمتهم امام الحرمين ان معنى الاستواء القهر والغلبة والاستيلاء كما في قول الاخطل

قـد استوى بشـر على العـراق ... من غيـر سيف ودم مهـراق (١)

وقول الآخر

فلما علـونا واستوينـا عليهـم ... جعلناهم مرعى لنسر وطائـر

وهذا هو التأويل الشائع بين طلبة العلم وعندي ان معناه ضعيف اذ لا مناسبة لان تستعمل غلبة

(١) هو بشر بن مروان بن الحكم الاموي اخو الخليفة عبد الملك بن مروان توفي سنة ٧٥ بالبصرة عن نيف واربعين سنة كان جوادا ممدحا اولاه عبد الملك امارة الكوفة سنة ٧٢ ثم ضم اليه امارة البصرة سنة ٧٣ فاجتمع له العراق كله وبعد وفاته خلفه على امارة العراق الحجاج بن يوسف

العرش في معنى عظمة الله تعلى اذ ليس العرش بمتوهم فيه خالفية ولا تعاص حتى يعبر بغلبته عن عظمة الغالب وعلى هذا التأويل فالمراد بالعرش العرش الذي هو من عالم السماوات

التأويل الثاني للامام الرازي قال الاستواء الاقتدار وزعم انه احسن تأويل والحق عندي أنه تأويل ضعيف اذ لا كبير معنى للاقتدار هنا والمراد بالعرش على هذا مثل المراد به على التأويل الاول

التأويل الثالث قال صاحب الكشاف « لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك (بكسر اللام) يرادف الملك (بضم الميم وسكون اللام) عرفا اي يلازم وصف الملك جعله العرب كناية عن الملك (بضم الميم) فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة اه . » يريد ان ذلك من الكناية باللازم المتعارف عن الملزوم ومعلوم ان اللفظ المستعمل كناية عن لازم معناه لا يلزم فيه صحة ارادة الملزوم فلذلك زاد صاحب الكشاف قوله « وان لم يقعد على السرير البتة » فالمراد بالاستواء فيه هو معنى الجلوس والمراد بالعرش كرسي الملك فحصلت الكناية بذلك عن الملك ولا استواء ولا عرش

❀ ❀ ❀

ويظهر لي تأويل رابع ، وميزانه في سورة الحق راتع : وهو ان قوله تعلى الرحمن على العرش استوى مركب دال على هيئة جلوس الملك على العرش وتلك هيئة عظيمة في عقول السامعين فقد عرف العرب ملوك الفرس وملوك الروم وتبابعة اليمن ودخلت وفودهم اليهم ، وتحدثوا بعظمتهم في سوامرهم ونواديهم ، حتى تقرر في اذهان اهل الصناعة اللسانية منهم ما لهؤلاء الملوك عند جلوسهم على عروشهم من العظمة المفرطة والجلالة البالغة فجاء في هذه الآية تشبيه عظمة الله تعلى التي لا تصل العقول الى كنه هيئتها بهيئة عظمة هؤلاء الملوك تشبيها مقصودا به التقريب وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس واستعمل المركب الدال على الهيئة المشبه بها في معنى الهيئة المشبهة استعمال الاستعارة التمثيلية وقد تقرر في علم البيان ان التمثيل هو اعلى انواع الاستعارة لابتنائه على التشبيه المركب الذي هو ابدع من التشبيه البسيط وقد نشأت عنه امثال العرب كما هو مقرر وعلى هذا الوجه فالمراد بالاستواء وبالعرش مثل المراد به في التأويل الثالث وانما ترجح عندي كون الآية استعارة تمثيلية وليست بكناية وان كانت الكناية تجيء بالمركب نحو قول زياد الاعجم

ان السماحة والمروءة والندى   في قبة ضربت على ابن الحشرج

لوجهين احدهما اعتبار رشاقة المعنى فان الكناية تنبني على صحة ارادة المعنى الصريح وذلك اصل الفرق بينها وبين المجاز المرسل الذي علاقته اللزوم فقولهم طويل النجاد لا يفهم منه السامع الا ان له نجادا طويلا وان ذلك يلزمه طول القامة وان المتكلم ما اراد الا الاخبار عن طول القامة فالسامع يظن انه طويل النجاد حقيقة وكذلك جبان الكلب ومهزول الفصيل وقد يكون المتحدث عنه لا نجاد

له ولا كاب له ولا فصيل الا ان ذلك امر قلما يعلمه السامع . واما الآية فلا يصح فيها ارادة المعنى الاصلي لما هو معلوم لكل مؤمن من استحالة جلوس الرحمان على العرش فلا يصح الكنى به عن معنى الملك المقصود من الآية ولا يغني عن ذلك قول صاحب الكشاف « وان كان لم يقعد على السرير البتة » لان الذي نظر به تجوز فيه ارادة المعنى الاصلي والآية لا يجوز فيها ذلك فكيف يصح في الآية الانتقال من المعنى الاصلي الى المعنى الكناءي مع ان المنتقل منه لا يستقر فيه الذهن فضلا على ان ينتقل منه فلزم سلوك طريقة الاستعارة التمثيلية ونظير الآية قول ابي تمام

من شاعر وقف الكلام ببابه　　　واكتن في كنفي ذراه المنطق

فقوله وقف الكلام ببابه ليس كناية عن ملازمة صنعة الكلام لهذا الشاعر بل هو تمثيل لتسخير الكلام حتى صارت هيئة مقدرته على الكلام الذي يريده تشبه هيئة تسخير عبد واقف ببابه لخدمته يتوجه اينما وجهه او هيئة عاف واقف ببابه لطلب معروفه وكذلك قوله واكتن في كنفي ذراه المنطق لظهور ان الشاعر لم يثبت لنفسه ذرى يسكنها المنطق بخلاف بيت زياد الاعجم فان المروءة والسماحة والندى مشتمل عليها ابن الحشرج فتكون قبة ابن الحشرج مشتملة على السماحة والمروءة والندى لاشتمالها على الموصوف بها .

الوجه الثاني بقاء لفظ الاستواء ولفظ العرش لمعنيهما الحقيقيين لان المركب في الاستعارة التمثيلية ليس فيه اطلاق مفرداته على غير ما وضعت له بل مفرداته باقية في معانيها وانما الاستعارة في مجموع المركب . وهذا الوجه احسن تاويلا واقوم قيلا . واوضح حجة ودليلا ،

قاله : محمد الطاهر ابن عاشور

عليك ايها المسلم ان تعلم انه . . .

اذا جارت الولاة قحطت السماء واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا ظهر الربا ظهر الفقر واذا خفرت الذمة اديل العدو .

وعن ابن عباس قال :

اذا رأيتم السيوف قد اعريت والدماء قد اريقت فاعلموا ان حكم الله جل وعز قد ضيع وانتقم من بعضهم ببعض . واذا منعتم القطر فاعلموا ان الناس قد منعوا ما عندهم من الزكاة فمنع الله جل وعز ما عنده

آيــة التغــابن

نشرنا بالجزء الرابع من مجلد هذا العام تفسيرا لآية التغابن وهي قوله تعلى (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور . ثم بعد ذلك ارسل الينا فضيلة الشيخ الصادق المحرزي الاستاذ بالكلية الزيتونية تحريرا ابان فيه عن رأي ءاخر في فهم الآية المشار اليها ننشره له اتماما للفائدة شاكرين همته العلمية ونصه بعد ديباجته : وقفت بالجزء الرابع من المجلة الزيتونية على ما حبره يراع العلامة الهمام شيخ الاسلام المالكي شكر الله سعيه وأدام رعيه جوابا عن سؤال ورد على فضيلته في استكشاف المراد بالتغابن في قوله تعلى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فاذا هو وجه وجيه يستحسنه كل نبيه وبما انه كان يختلج بصدري وجه ءاخر لعله يكون من محامل الآية الكريمة فقد اردت ان اكشف الستار عنه في مجلتكم الغراء

ذلك انه لا خلاف بين المفسرين في ان المراد بيوم التغابن هو يوم القيامة ، ولطوله كما قال تعلى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون» وتعدد مواقفه العظام تعددت اسماؤه باضافته اليها فيسمى تارة بيوم الحساب واخرى بيوم الحشر واخرى بيوم التغابن وفي ذكر يوم التغابن عقب يوم الجمع اشارة الى انه من اول مواقفه ولا يخفى ما في التعبير عنه بذلك من التهويل ، والتغابن تفاعل من الغبن كالتغافل والتناسي لفظا ومعنى ومنه الغبن في البيع اذا غفل البائع عن قيمة متاعه فباعه بابخس منها وعليه فيحتمل ان يكون المراد بيوم التغابن يوم تناسي الناس مبراتهم وطاعاتهم التي هي بضائعهم في دار الدنيا وكانوا اعـدوها لذلك اليوم العظيم ويبخسهم لقيمتها حتى لا يرون لانفسهم طاعة تذكر ولا مبرة تشكر امام ما يشاهدونه من هول ذلك الموقف (جعلنا الله فيه من الآمنين يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) فلا اعتماد للمخلوق الا على رحمة الخالق ومن نوقش الحساب هلك فقد ورد في حديث الشفاعة العظمى على ما رواه الشيخان في صحيحيهما من رواية انس ابن مالك وابي هريرة رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انـه قـال : يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فياتون آدم فيقولون انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى مـا نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله (١) ونهـاني عن الشجرة فعصيت (٢) نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيذهبون الى نوح فيقولون

---

(١) اي اظهر شدة غضبه في هذا اليوم على من عصاه مريدا ايقاع العذاب به وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده

(٢) اي خالفت امر ربي وهي مخالفة بحسب الظاهر لان آدم لم يتعمد المخالفة بالاكل من

انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغناه الا تشفع لنا الى ربك فيقول مثله ويذكر خطيئته التي اصاب بسؤال ربه بغير علم (١) وفي رواية وكانت لي دعوة (٢) دعوت بها على قومي . نفسي نفسي اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كذبات كذبهن (٣) نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى كليم الله ونجيه فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب بقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

عين الشجرة التي نهي عنها وانما اكل من شجرة اخرى من نوعها ظنا منه انه انما نهي عن عين تلك الشجرة لا على نوعها لتتم كلمة ربك ففي الحديث ان موسى عليه السلام قال لآدم انت اكلت من الشجرة فاخرجتنا من الجنة فقال آدم يا موسى تلومني على امر قدره الله قبل خلقي بالف سنة فقال صلى الله عليه وسلم فحج ءادم موسى وانما اطلق على هاته المخالفة معصية في حق الآنبياء عليهم السلام لشدة تعظيمهم لله تعلى حتى انهم يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا مما لم يوافق ما سبق في علم الله ذنبا عظيما من باب حسنات الابرار سيئات المقربين والا فالانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الوقوع في المعاصي حقيرها وجليلها حفظا لهم ولطفا بهم من الله تعلى اذ العصمة كما قال ابو اسحاق الماتريدي هي ان يخلق الله تعلى في النبيء مانعا عن المعصية لكن لا بحيث ان يلجئه ويسلب اختياره ويجلبه على الطاعة بل هي لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والتكليف قلت وبذلك نفهم جيدا معنى قوله تعلى في حق يوسف عليه السلام « ولقد همت به وهم بها لو لا ان رأى برهان ربه »

(١) هو ما نطق به القرآن العظيم بقوله : ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين)

(٢) دعوة نوح عليه السلام ما قصه الله تعلى في سورة نوح من قوله: وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا « اي هلاكا».روي عنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

(٣) اخرج البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاثا ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله اني سقيم لما دعاه ابوه للسجود للصنم . وقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون . وقال بينا هو ذات يوم وسارة اذ اتى على جبار من الجبابرة فقيل له ان هاهنا رجلا معه امراة من احسن الناس فارسل اليه يساله عنها فقال من هذه فقال اختي فاتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك وان هذا سالني فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني فارسل اليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فاخذ فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فاطلق ثم تناولها الثانية فاخذ مثلها او اشد فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت فاطلق فدعا بعض حجبته فقال انكم لم تاتوني بانسان وانما اتيتموني بشيطان فاخدمها هاجر فاتته وهو قائم يصلي فاومأ بيده مهيا فقالت رد الله كيد الكافر او الفاجر في نحره واخدم هاجر (قال ابو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء) وهي دفينة مع ابنها اسماعيل بالمطاف امام باب الكعبة شرفها الله



روي عن أبي أمامة ابن سهل انه سمع ابا سعيد الخدري رضي الله تعلى عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر ابن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا بما أولت ذلك يارسول الله قال الدين

البيـــان

هذا الحديث الشريف اخرجه البخاري رحمه الله تعلى في باب تفاضل اهل الايمان في الاعمال والكلام فيه ينحصر في ثلاثة مباحث وخاتمة الاول في تحقيق معنى الرؤيا والثاني في طريق تعبيرها والثالث فيما يتعلق بجوهر الحديث والخاتمة في مناقب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

المبحث الاول

قرر علماء الشريعة المطهرة أن الله تعلى خلق الآدمي مركبا من عنصرين سماوي وارضي فهو ناظر للارضي بجسده وللسماوي بروحه التي جعلها الله قائدة الحيوي في تدبير شؤونه من جلب المنافع ودفع المضار فكانت الروح كشمس مضيئة على بدنه مطلعها القلب ومن حكمته تعلى ان جعل الحواس

فاوتى فاقول لهم انالها فاتي تحت العرش فاخر ساجدا فاحمد الله بمحامد لا اقدر عليها الآن الا ان يلهمنيها الله فيقال لي يا محمد ارفع راسك وسل تعط واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي امتي (٢) الى ءاخر الحديث » وبما تضمنه هذا الحديث من هول ذلك الموقف العظيم وان الناس يهرعون فيه الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام في طلب الشفاعة ولا يقدم عليها الا من خصه الله بها صلى الله عليه وسلم يتضح لك جليا وجه العدول عن التعبير في الآية الكريمة بيوم الغبن الى يوم التغابن بزيادة الالف لدلالتها على امتداد مدلوله وانتشاره بين جميع الطبقات وتاكيد وقوعه كما هي في قوله تعلى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه اذ المراودة انما وقعت من امراة العزيز فقط دون يوسف عليه السلام وان ما تمحله بعض المفسرين من جعل الالف فيه للمفاعلة المقتضية وقوع الفعل من الجانبين كالمخاصمة في غنية عنه كلام الله الحكيم . وفوق كل ذي علم عليم ،

---

(١) قوله امتي امتي الظاهر ان الثاني تاكيد للاول على وزان قول الانبياء عليهم السلام نفسي نفسي وفي مقابلته والمراد بامته صلى الله عليه وسلم جميع من في المحشر من المؤمنين لان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الامم واضافهم صلى الله عليه وسلم لنفسه اما تغليبا لامته ويحق لها ذلك لفوزها بهذا النبيء العظيم وسبق سعادتها كما قال تعلى كنتم خير امة اخرجت للناس او ان جميع المؤمنين في ذلك الموقف العظيم كامة واحدة له صلى الله عليه وسلم لارسالهم من انبيائهم والتجائهم اليه لما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة كما قال تعلى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم

الحس كسحاب يغشاها في حال اليقضة ولولاه لانكشفت لها جميع المدركات الغيبية اذ هي من عالم الملكوت

فاذا سكنت الحواس وارتاضت الروح بالنوم او بغيره كالتجرد للحق تعلى امكنها استطلاع ما كان مستورا عنها وانكشفت لها مدركات جزئية تارة تتعلق بنفس الرائي وتارة بغيره فتحفظها المخيلة حتى اذا زال الارتياض ورجعت الروح اعملها البدني حكتها المخيلة للحس المشترك بصورة تناسبها مرة مناسبة تامة فلا تحتاج الى التعبير ومرة غير تامة فتحتاج اليه

ومن حكمة اللطيف الخبير ان جعل الارواح كالاجساد قوة وضعفا فالاجساد يظهر اختلاف قواها ومقاديرها في الاعمال البدنية والارواح يظهر اختلافها في المدركات العلمية

وبما ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام هم اقوى الناس ارواحا لضعف اشتغالهم بمراجع الحواس البدنية واعراضهم عن المصالح الدنيوية كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث تأبير النخل انتم أعلم بامور دنياكم كانت مرائيهم عليهم الصلاة والسلام صادقة وضربا من الوحي الالهي الذي خصهم الله به الا تنظر الى قول اسماعيل عليه الصلاة والسلام لابيه عند ما قال له سيدنا ابراهيم يابني اني ارى في المنام اني اذبحك قال افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فقد جعل ما رءاه ابوه في المنام امرا من الله تعلى . وفي حديث عائشة رضي الله تعلى عنها انها قالت اول ما بدىء به رسول الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لايرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح . وبكونه لا فرق بين ما يوحى به اليه صلى الله عليه وسلم يقضة او مناما في التشريع لامته اذ لا ارتياب في صدق ما يخبر به عن ربه تعلى كما قال جل وعلا وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى تسنى للعلماء الخلاف في حديث المعراج هل كان يقضة او في المنام ولا خلاف بينهم في صحة ما ورد فيه والعمل به من افتراض الخمس صلوات في اليوم والليلة وغيره من احاديث المرائى المشحونة بها كتب الصحاح غير ان القرآن العظيم لما كان كلام الله المقدس لم يوح شيء منه مناما اعتناء بشانه وحفظا له من الاشتباه حيث كان متعبدا بلفظه بل نزل كله يقضة منجما بحسب الوقائع والحادثات بواسطة جبريل عليه السلام الملقب بالناموس عند اهل الكتاب قال الجوهري في صحاحه ناموس الرجل صاحب سره الذي يطلعه على باطن امره ويخصه بما يستره عن غيره

وبما ان اول ما بدىء به صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة عدها من المبشرات بنبؤته والمبشر من ياتيك بخبر الخير اولا فقد روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يارسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وفي رواية من خمسة وستين وفي رواية من سبعين جزءا من النبوة وحملت الرواية الاولى وهي اشهر الروايات على ان مدة نبوته

صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثة وعشرين سنة منها ستة اشهر يوحى له فيها بالرؤيا الصالحة وحمل بعضهم اختلاف الروايات في العدد على اختلاف حال الرائي في الصلاح وهو حسن

ونقل القرافي عن الكرماني في كتابه الكبير ان ما يراه النائم يرجع الى ثمانية اقسام اربعة منها ناشئة عن الاخلاق الاربعة الغالبة على مزاج الرائي وهي السوداء والصفراء والبلغم والدم فمن غلب عليه خلط رأى ما يناسبه كالالوان السود والمحرقات لمن غلبت عليه السوداء والالوان الصفر والطعوم الحامضة لمن غلبت عليه الصفراء والالوان الحمر والطعوم الحلوة لمن غلب عليه الدم والمياه والثلوج لمن غلب عليه البلغم . والخامس ما هو من حديث النفس في النوم ويعرف ذلك بجولانه فيها في اليقظة والتفكر فيه . والسادس ما يحدث به الشيطان ويعرف بكونه فيه حث على تنكره الشريعة والسابع الاحتلام وذلك بان يتمثل له الشيطان في صورة توقعه في الحلم ولذا ينبغي التعوذ منه عند النوم والتحصن بما وردت به الآثار من القرآن العظيم وفي الحديث الشريف الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان وهاته الاقسام السبعة لا تعبر وليست برؤيا روحية بل هي خيالات موهومة تجول بنفس النائم والقسم الثامن هو ما تستكشفه الروح من اللوح المحفوظ بواسطة الملك الموكل بها وهو المعبر عنه بالرؤيا الصالحة في قوله صلى الله عليه وسلم لم يبق بعدي من النبوة الا الرؤيا الصالحة وبما تضمنه الحديث المذكور من انها جزء من النبوة فلاينبغي ان يعبرها الا من كان من اهل العلم الذين يحسنون تعبير المرائي بما اودع الله فيهم من المعرفة والقوة الذهنية على ادراك ما تضمنته . قيل للامام مالك رحمه الله تعلى ايفسر الرؤيا كل احد قال ابالنبوة يلعب فقيل له ايفسرها على الخير وهي عنده على الشر لقول من قال الرؤيا على ما اولت فقال الرؤيا جزء من اجزاء النبوة أفيتلاعب بامر النبوة . وذلك لان ما يراه النائم ينحدر من المخيلة للحس المشترك بمثل لاشياء موجودة او ستوجد لا انه يرى حقائق تلك الاشياء بعينها فيدخلها ما يدخل الالفاظ الصوتية من الحقيقة والمجاز والكناية والتصحيف والقلب وغير ذلك اذ تعبير الرؤيا هو العبور من ظاهرها الى باطنها والعبرة الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد فينبغي للمعبر ان يكون عارفا بتطبيقها على ما ينص عليه وان ينظر في القرائن الخارجية من احوال الرائي وغيرها حتى يتفرس الحقيقة فيمكنه تطبيق الاثار الخيالية على المدركات الروحية كما لو رأى نائم انه يخوض بحرا فيعبر له بفيضان نعم الله عليه ان كان تاجرا او من حواشي السلطان وبحصول علم متسع ان كان من طلبته ومن رأى انه صعد على منبر فيعبر له بولاية ملك ان كان من اهله وبخطة القضاء ان كان من اهل العلم وقد اذكرني ذلك ما رايته في تاريخ ابن الاثير ان الحسن ابن علي رضي الله عنهما لما تخلى عن الخلافة وسلمها لسيدنا معاوية رضي الله عنه عام اربعين من الهجرة ورجع من الكوفة الى المدينة لقيه اعرابي في الطريق وكان من شيعة ابيه وفيه غلظة فقال له الى اين تذهب يا مسود وجوه

المسلمين منكرا عليه التسليم في الخلافة فقال له الحسن رضي الله عنه لا تعذلني يا اخ العرب فان جدي صلى الله عليه وسلم راى في المنام بني امية يترقون على منبره واحدا بعد واحد فلما استيقض استوحش من ذلك فانزل الله عليه (انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر) تسلية له بجعل بيته بيت نبوة فعلم ان بني امية يتولون هذا الامر ويمكث بايديهم الف شهر وتصديقا لذلك فقد كانت مدة خلافة بني امية من تاريخ تسليم سيدنا الحسن ثلاثة وثمانين سنة واربعة اشهر وهي الالف شهر . كما ينبغي للمعبر ان يكون مستحضرا لآيات الكتاب الحكيم والسنة النبوية اذ كثير من المرائي ما يستند في تفسيرها للكتاب والسنة. فقد رايت في ترجمة ابي الوليد الباجي ان تلميذه ابا محمد الهواري وكان يميل لما يراه شيخه ابو الوليد من انه صلى الله عليه وسلم باشر الكتابة بنفسه فيما كتبه لسهيل بن عمرو في صلح الحديبية مع قريش فرأى في المنام انه دخل المدينة واتى المسجد النبوي فرأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم يتشقق ويميد ولا يستقر فاعتراه فزع عظيم فقص رؤياه على ابي الحسن بن معوز من غير ان ينسبها لنفسه فقال له اخشى على صاحب هذه الرؤيا ان يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ليس من صفته وينتحله ما ليس له اصل فساله من اين علمت هذا فقال من قوله تعلى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا) فتاب الى الله ورجع عما كان يعتقده وما رجع اليه هو التحقيق في المسئلة فانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرأ ولا يكتب قبل النبوة وبعدها على الصحيح تحقيقا للمعجزة وان الكاتب لصك صلح الحديبية هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقد روي انه لما ابتدأ الكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال له سهيل بن عمرو نحن لا نعرف الرحمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم فكتب ثم كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله لا تبعناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي امحها فقال علي والله لا امحها وانت رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم ارني اياها فاراه اياها فمحاها بيده الكريمة وقال له اكتب من محمد بن عبد الله. ولله در البصيري في قوله : كفاك بالعلم في الامي معجزة ❋ في الجاهلية والتاديب في اليتم

يتبع

محمد الصادق المحرزي

كلمات حكيمة

قيل لحكيم : ما المروءة ؟ قال : ترك ما لا يعني ، قيل فما الحزم ؟ قال : انتهاز الفرصة ، قيل فما الحلم ؟ قال : العفو عند القدرة ، قيل فما الشدة ؟ قال : ملك الغضب ، قيل فما الخرق ؟ قال : حب مغرق وبغض مفرط ،



مقدمة

للاستاذ الشيخ بهجة البيطار «صاحب المقال» سمعة مقرونة بالتجلة والاكرام اذ انه عالم دمشق الاوحد الذي يسير على قدم الاستاذين محمد عبده والافغاني ويقتفي اثر المجددين الذين يانفون من الجمود المزري بالدين وينكر على البدع المسيئة لسمعة الاسلام والمسلمين دون ان يخشى في الله لومة لائم ومع ذلك فهو عالم عامل لا تجد معمعة سياسية الاوله فيها القسط الاوفر وما من جمعية خيرية الا كان احد مؤسسيها ويقضي بياض نهاره في الارشاد والوعظ في مجتمعات الشبيبة والطبقات العامة دون اجر سوى ثواب الآخرة شان الفقراء الصابرين وهذه الواجبات المهمة لم تمنعه من اداء واجب في المجمع العلمي العربي الذي هو احد اعضائه البارزين

والخلاصة ان الاستاذ البيطار يعد الان قطب دائرة علماء الدين علما وعملا بالديار الشامية ولعلني ساعرف به القراء في مقال آخر مطول بعد ان تتمكن الصلة بينه وبين مجلتنا كما انني ساعرفهم ببعض رجالات الشرق الذين سيبعثون بنفثات يراعهم الى المجلة الزيتونية الغراء فالى اللقاء

دمشق — محمد الكامل التونسي

الاخلاق الفاضلة

المحاضرة المرتجلة التي القاها الاستاذ محمد بهجة البيطار في مدرج الجامعة السورية

افتتح القول باسم الله وبحمده والصلاة والسلام على النبي العربي العالمي وعلى سائر اخوانه الانبياء والمرسلين ومن تبعهم في هديهم واصلاحهم .

سيدي الوزير المعظم - اساتذتي الاجلاء - زملائي الاعزاء :

فكرت فيما القيه على مسامعكم الكريمة هذه الليلة ، وفكرت في نفسي ايضا ، فوجدتني مدرسا للدروس الدينية ، ووجدت الاولى بي ان يكون موضوعي اخلاقيا ، ولكن الناس اختلفوا في الاخلاق اختلافا بينا ، فما يراه هذا سيئا يراه الآخر حسنا ، فرايت ان استمدها اخلاقا قدسية سماوية ممن اوجد هذا العالم وعلم ابانا آدم عليه السلام (وعلم آدم الاسماء كلها) (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)

آيات عشر من آخر سورة آل عمران كان يتلوها ويعجب بها معلمنا العربي الاول (صلوات الله عليه) كان اذا نهض ثلث الليل الاخير تلا هذه الآيات وانتم ايها الاساتذة الكرام تحيون طائفة من الليل باعداد دروسكم وتصحيح وظائف تلاميذكم فجدير بنا ان نتلو تلو معلمنا الاول ونستفتح

عملنا بتلاوة هذه الآيات واولها (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) .

لا اريد ان اذكر ما يتعلق بهذه الآيات من الوجوه الشرعية والعربية فذاك في كتب التفسير وهي في متناول ايديكم ايها الاساتذة الكرام ولكن اورد بعض ما يحضرني في معاني بعض هذه الآي الشريفة مقتصرا في ذلك على ما يتسع له المقام .

(ان في خلق السموات والارض) هذه الآية صريحة في ان الله تعلى جعل للانسان سلطانا على العوالم العلوية والارضية ودلت على ان الانبياء هم اول من فتحوا ابواب البحث والنظر في العلوم الكونية وهذا كقوله سبحانه قل انظروا ما ذا في السموات والارض فهو نظر علمي ينتج افضل النتائج والثمار وكقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) وهو تسخير تمكين وانتفاع واكتشاف واختراع .

وكقوله (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) وهذا خطاب عام لامة القرآن يدعوهم ويوجه نظرهم الى ما اودع تعالى في جوف هذه الارض من الكنوز والمعادن ويرشدهم الى الاستفادة منها والانتفاع بما بث فيها من الخواص والقوى ويثبت ان جميع ما استحدثته امم الغرب من المكتشفات والمخترعات هو مما ارشد اليه الاسلام وسبقت الى العمل به الامة العربية في عصورها الذهبية فرده رد لنصوص القرآن وتعطيل لاحكامه وتجريد لهذه الامة من كل ما يعزز قوتها وينمي ثروتها ويدفع عوادي الشر عنها وأي جناية على هذه الامة اكبر من هذه الجناية .

(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) .

الجمع بين الذكر والفكر في آية واحدة هو جمع بين العلم والفضيلة ولا غنى لاحدهما عن الآخر وانما قدمت الفضيلة لانها اساس العلم ونبراسه وعليه بنيت فكرة التربية الصحيحة القائلة (هذبوا النفوس قبل ان تعلموا الرؤوس) فالذكر ينبوع العدل والرحمة والفكر آية العلم والحكمة الذكر والفكر هما علم وعمل بل هما جناحان يحلق بهما الفرد والامة في سماء العلم والعرفان والرحمة والاحسان، الذكر هداية ورحمة. والفكر علم وحكمة ولا غنى للفكر عن الذكر الا اذا امكن ان تستغني هذه الارض عن نور الشمس . هذه الامة العربية ايام نهضتها قد فجرت القرآن عيونا واستنبطت من كنوزه اخلاقا وعلوما فهم بعد ان سمت عقولهم بالتوحيد وزكت ارواحهم باقدس العبادات اصبحوا بعلمهم وهديهم خير امة اخرجت للناس لم يشهد التاريخ لهم مثيلا بين الامم ،

(وهنا اورد الاستاذ المحاضر الشواهد الكثيرة من سيرة الخلفاء الراشدين والملوك العادلين ثم قال)

وقد وصفهم الحكيم الاجتماعي كوستاف لبون بقوله (لم يعرف التاريخ فاتحا ارحم ولا اعدل من

العرب) لقد فسر الذكر ايضا بالصلاة كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك) اي لا يقطعون ذكرهم في جميع احوالهم بسرائرهم وحركاتهم والسنتهم كما قال احد الذاكرين .

ذكرتك لاني نسيتك ساعة　　　وايسر ما في الامر ذكر لساني

قال لي شاب مرة : ان هذا العصر هو عصر مادة وقوة فما فائدة العبادة الشخصية كالصلاة مثلا في معترك الحياة العملي والجهاد القومي . فاجبته بان جميع التكاليف الشرعية من روحية وبدنية ومالية مبني على درء المفاسد عن الامة وجلب المصالح لها فالصلاة الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف تنهى عن الفحشاء والمنكر واشد الفواحش والمنكرات فتكا وهتكا هي تلك الجيوش المعنوية التي مهد بها الغرب السبيل لفتح بلاد الشرق كالخمر والقمار والبغاء والربا والانتحار فكثير ممن اضاع الصلاة واتبع الشهوات وقع في هذا التيار الذي اسلمه الى الجنون او المنون فكان ذلك من اشد المصائب على الوطن واهله

فالمرجو منكم ايها الزملاء الاعزاء ان تربوا النشء الجديد على حب الله واقام الصلاة والمحافظة عليها وان تحيوها في المدارس بل ان تحيوا المدارس بها فهي من الوجهة الصحية رياضة بدنية ولكنها تمتاز من الوجهة الروحية بانها صلة بين المخلوق وربه وبين الروح وجسمه وبين الآخرة والاولى

وقد اخبرنا الاستاذ محمد بك العشماوي وكيل وزارة المعارف المصرية الجليلة في دار معالي وزيرنا ان وزارة معارف مصر قد انشأت مساجد في جميع مدارسها الابتدائية والثانوية والعالية وانهم فصلوا مدارس الذكور عن الاناث فمتى يكون عندنا مثل هذه النهضة الخلقية الطيبة

وجملة القول . ان الذكر بلا فكر جهل وضعف والفكر بلا ذكر قسوة وعنف ونحن لو كنا من اولى الذكر الصحيح لطهرت بلادنا من المهالك والمفاسد ولو كنا من اولى الفكر الصحيح لاوجدنا كل ما نحتاج اليه واستغنينا بذلك عن الاجانب فطوبى لمن جمع بين الامرين ونالوا الحسنيين ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته . وما للظالمين من انصار

اي شيء اخزى من افتضاح السرائر والاعمال في ذلك اليوم العصيب (يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) . ولكن هل يبالي بخزي الآخرة من يرتكب الجرائم والمآثم في هذه الدنيا ولا يبالي بالخزي

القرآن الحكيم يزن بالقسطاس المستقيم عقائد الناس واعمالهم ويميز بين طبقات محسنيهم ومسيئيهم فلا يحكم عليهم في الدنيا حكما واحدا ولا يجعلهم في الآخرة مستوين في منازل الكرامة او الندامة ام يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام يجعل المتقين كالفجار

الفتاوى والاحكام

وردت على ادارة المجلة الاسئلة الآتية

السؤال (١) إمام تذكر وهو في صلاة الظهر انه لم يصل الصبح فقطع صلاة الظهر وقضى الصبح ثم أدى الظهر فقيل له أعليك فوائت فقال نعم علي فوائت قديمة وانا منذ عشرين سنة لم تترتب علي فوائت فقيل له واجبك التمادي على صلاتك ثم قضاء الصبح مع الفوائت القديمة فهل ما قيل له هو الصواب او ما فعله. وهل صلاة المأمومين بطلت عليهم حين قطع الامام ام هي صحيحة فيتمونها

الجواب : ان من تذكر وهو في صلاة حاضرة فوائت تزيد على الخمس سواء أكانت قديمة العهد ام حادثته ام بعضها قديم العهد وبعضها حادثه (كما في صورة الحال) - يجب عليه التمادي على الصلاة التي هو فيها اتسع وقتها او ضاق لان الترتيب انما يجب بين الحاضرة ويسير الفوائت دون كثيرها قال خ «ويسيرها مع حاضرة» قال عبد الباقي في حل هذه العبارة: ووجب غير شرط ايضا مع ذكر ترتيب يسيرها (اي الفوائت) اذا اجتمع مع حاضرة - قال عليش - ومفهوم يسيرها تقديم الحاضرة على كثيرها وهو كذلك ندبا ان اتسع وقتها ووجوبا ان ضاق - فاطلاق فقهائنا لمفهوم يسيرها دون تفصيل بكونها مجتمعة او مفترقة قديمة العهد او حديثته دليل على عدم اختلاف الحكم - اما ما يخص صلاة المأمومين في صورة ما اذا قطع الامام جهلا كما في واقعة الحال فلا شك انها تبطل لبطلان صلاة الامام لان كل صلاة بطلت على الامام بطلت على المأموم الا فيما أستثني وهذه الصورة ليست منه ولذا ذكروا في صورة ما اذا تذكر الامام فوائت يسيرة وهو في صلاة حاضرة انه يقطعها محافظة على

فعلى رجال العلم والاخلاق ان يبينوا للناس ان اهل الخزي في الدنيا هم اهل الخزي في الآخرة وان نار الآخرة وقودها جثث وهام. ويجب على حماة الوطن والاقتصاد ان يحسموا من هذه البلاد مادة الفساد اذا ارادوا سلامة هذه الامة ووطنها وان ينصحوا للمتهورين من الشباب بمقاطعة الملاهي الفاسدة المفسدة والسعي في اغلاق المقامر وبيوت الفحش والخمور والعري والفجور ويجب بيان ان هذا العري الذي يبديه الرقيق الابيض الماجور في نوادي الخزي والعار هو تقليد لبعض همج القرون الوسطى كما يراه المتتبع لتاريخ الفحشاء واسبابها وامتدادها ونشوئها بين الامم وهل يسهل على رجال العلم والاخلاق ان تشيع الفواحش في هذه البلاد المباركة وان يكون بعض شبابنا اداة لحمل هذه البضاعة الضارة ونقلها الى بيوت الطهر والعفاف ويكون هو ايضا جرثومة للاوبئة والامراض وسببا لضياع الانساب والاحساب وافساد الفتيان والفتيات وحل روابط الاسر والبيوتات

الترتيب الواجب وان مأمومه يقطع ايضا تبعا له قال خ - وامام ومأمومه قال عبد الباقي - اي وقطع امام ذكر اليسير عليه وهو في صلاة وقطع مأمومه تبعا له -

السؤال (٢) اكثر جوامع بلد جربة مطاهرها في جوانب رحابها بحيث انه لا يمكن الوصول اليها للتطهر الا بالمرور على تلك الرحاب كما انه يقع تعليم الصبيان بها في ظل جدران رحابها صباحا ومساء فهل رحبة المسجد كالمسجد في الحرمة عند المالكية ام ان المسجد يزيد حرمة على رحبته فان كان الثاني فلا حرج علينا فيما كنا نفعله وان كان الاول فقد كنا في خطا عظيم

الجواب ان رحبة المسجد (اي صحنه) كالمسجد في الحرمة عندنا قال عبد الباقي عند قول خ - وتمنع الجنابة موانع الاصغر الا كآية لتعوذ ونحوه ودخول مسجد ولو مجتازا - ما نصه - وسطحه وصحنه كهو - نعم استثنى فقهاؤنا مسائل يجوز للجنب فيها دخول المسجد بالتيمم وهي اذا كان مريضا او مسافرا عادما للماء او حاضرا صحيحا اضطر لدخوله بان لم يجد الماء الا في جوفه او كان بيته داخله واراد دخوله او الخروج منه لاجل الاغتسال او اضطر للمبيت به ففي الصورة المسؤول عنها لا يجوز للجنب الحاضر الصحيح اجتياز صحن الجامع للوصول للمطهرة التي به ليتطهر منها ولو تيمم لذلك اللهم الا اذا فرضنا انه لم يجد ماء الا في تلك المطهرة . هذا هو مشهور مذهب مالك نعم هناك قول لبعض اهل المذهب رده خ (بلو) على عادته وهو انه لا باس بمرور الجنب بالمسجد اذا كان عابر سبيل اي مجتازا اخذا بظاهر قوله تعلى (يايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا) بناء على ان المعنى ولا تقربوا مواضع الصلاة الا عابري سبيل وحمل مالك عابر السبيل في الآية على المسافر وجعل معنى الآية لا تفعلوا في حال السكر صلاة ولا تفعلوها وانتم جنب الا عابري سبيل اي وانتم مسافرون بالتيمم اما تعليم الصبيان في المساجد فهو جائز اذا حوفظ على حرمة المسجد وروعيت آدابه وعمل المسلمين بمدارسة العلم بالمساجد سلفا وخلفا شرقا وغربا من غير نكير عليهم في ذلك برهان واضح على الجواز والله اعلم

السؤال (٣) ما جرت به العادة من الجهر بالذكر حال حمل الجنازة والسير بها الى المقبرة هل هو افضل لما فيه من تذكير المشيعين وحملهم على الخشوع حيث ينبههم الى ترك الاشتغال بلهو الحديث ولغوه ام ان الافضل السكوت لانه ادعى للتذكر والاعتبار بناء على ان العبادة بالفكر افضل من العبادة بالذكر

الجواب انه وقع خلاف بين ائمة المالكية هل القراءة على الميت عند موته وبعده وعلى قبره مكروهة او مستحبة والمذهب وهو الذي اقتصر عليه خ هو الكراهة قال خ عاطفا على ما يكره - وقراءة عند موته - ويتخرج على هذا الخلاف في القراءة الخلاف في الذكر حال حمل الجنازة الواقع في السؤال والذي يظهر من مذهب مالك رضي الله عنه كراهة ذلك لما ذكروه دليلا للقول بكراهة

القراءة على الميت نقلا عن سماع ابن القاسم واشهب عن مالك من قوله ـ ليست القراءة والبخور من العمل ـ اي انها ليست من عمل السلف الصالح وان وجه ذلك كون المقصود تدبر احوال الميت للاتعاظ بها وما ذكر من الكراهة هو المناسب لمذهب مالك وشدة تمسكه بالسنة وما كان عليه السلف وفرط كراهته للابتداع حتى انه في مذهبه يكره قول القائل استغفروا للجنازة قال خ ـ وقول استغفروا لها ـ وذلك لان هذا القول بدعة ولذا لما سمع سعيد بن جبير هذه المقالة قال لقائلها ـ لا غفر الله له ـ على ان ما جاء في السؤال من كون الذكر جهرا حال حمل الجنازة ينبه المشتغل بلهو الحديث الى الاعتبار والاتعاظ ـ لا يتم لانا نشاهد ان ذلك لم يمنع المشيعين من الاشتغال بالحديث المنهي عنه حال اتباع الجنازة

السؤال (٤) الزكاة في المزارعة هل تجب في نصيب رب الارض فقط دون نصيب العامل ام تجب الزكاة فيهما ولو كان العامل خماسا وعلى الاحتمال الثاني هل يضم النصيبان لبعضها بحيث تجب الزكاة فيهما ان كان مجموعهما نصابا ولو لم يبلغ احدهما او كل منهما بانفراده نصابا ام لا يضمان بل ينظر لكل منهما هل بلغ نصابا ام لا

الجواب ان الزكاة في المزارعة تجب على من بلغ نصيبه من الشريكين نصابا سواء في ذلك رب الارض ام العامل ولو خماسا من غير ضم احدهما للاخر قال البرزلي في نوازل الزكاة ما نصه : ولا زكاة على شريك في ميراث او غيره حتى يبلغ نصيبه نصابا ومثله الخماس اليوم لانه شريك

السؤال (٥) تاجر محتكر باع لتاجر مدير زيتا بقدر معلوم من الدراهم للبتوة على ان يقبل من المشتري عوض الدراهم شعيرا بقدر معلوم من الدراهم ايضا للويبة وعلى ان يكون قبض الشعير بعد بيع المشتري للزيت وشرائه بثمنه شعيرا وذلك في مقدار ثلاثة اشهر فهل هذا البيع صحيح جائز ام لا

الجواب انه بيع فاسد غير جائز سواء نظرنا لكونه في الحقيقة بيعا للزيت بالشعير من غير تناجز وهو ممنوع لانه بيع للطعام بالطعام نسيئة ام نظرنا الى ظاهره حيث اشتمل على عقدين بيع الزيت بالدراهم وتصيير الشعير فيها لان التصيير شرطه الانجاز لما تصير كما لا يخفى ويشتمل هذا التعاقد على وجه آخر للمنع وهو ان الاجل المضروب لقبض الشعير « الذي هو ثمن الزيت او هو مصير في ثمنه » غير معلوم لان الثلاثة الاشهر جعلت ظرفا للقبض وهي زمن ممتد من اول يوم منها لآخر يوم فوقت القبض مجهول وجهالة الاجل في المعاملات يوجب بطلانها

السؤال (٦) رجل تحصل على غلة زيتون تبلغ نصابا واراد ان يخرج زكاتها دراهم بمقدار قيمة ما وجب عليه فهل يجزئه ذلك في المذهب المالكي ام لا

الجواب ان مذهب مالك عدم اجزاء ذلك فلا بد من اخراج الزكاة من عين ما وجبت فيه

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

« ٤ »

١٤ – لا تجد الاسلام يكلف ان تعتقد ما هو ضد ما تحس وما تتعقله يقينا. وعقائده مقبولة في غاية السهولة ليس فيها لغز ولا رمز ولا ايهام كما يوجد في عقائد غيره من الملل بل عقائده مبينة واضحة والدين دين الاميين وتجد غيره من الاديان غير خال من ذلك

فالوثني يصور صورة بيده من حجر أو حلواء ثم يعبدها ويطلب منها خيره او يدفع بها ضره ثم يأكل الحلواء ويكسر الحجر. وكل عقائده لغوز ورموز لا حل لطلاسمها الى الابد وتجد البوذي بل والمسيحي تكلفهما الكنيسة باعتقاد التثليث او الحلول والاتحاد ولم يقم لهما عليه برهان بل المسيحي تكلفه الكنيسة ان يعتقد في خبز ياكله انه لحم المسيح الذي رفع الى السماء منذ قرون وهي تحرم اكل لحوم الادميين وان يعتقد في خمر يشربه انه دم المسيح ايضا وهو قد خبز الخبز بيده وعصر الخمر بيده

وكلفته باعتقاد ألوهية المسيح مع اعتقاد انه بشر مولود ياكل ويشرب ويحتاج الى ما يحتاج اليه الانسان وانه وجد بعد ان لم يكن وانه ولدته مريم وانه ولد الله (تعالى عن ذلك) وبالجملة تكلفه باعتقاد المتناقضات المستحيلات اعتقادا جازما لا يرتاب فيه فهل ذلك ميسور ...؟

والمسلم في راحة من حمل هذه الاثقال . بل نقول قد أوجب الاشعرية اعتقاد تنزيه الله عن الجهة فاذا وجد قاصر العقل ضيق الفكر لا قدرة له على فهم هذه العقيدة واعتقد الجهة فانه معذور

لان الشارع قصد تشريك الفقراء مع الاغنياء في اعيان الاموال ولذا علق الزكاة بالاعيان غير انه في صورة الحال له الخيار بين أن يخرج العشر زيتا او حبا

السؤال (٧) ما يصرفه رب الزيتون على جمع زيتونه هل يطرح بمقداره من الزيتون ويزكي الباقي فقط اولا يطرحه بل يزكي الجميع ـ وما يبيعه قبل تمام عصره من الزيتون ليخلص من ثمنه العملة هل يخرج عشره ام لا

الجواب ان ما يصرف على جمع الزيتون لا يطرح بمقداره من الزيتون وان ما باعه منه قبل تمام عصره محسوب عليه في الزكاة فيجب زكاة الجميع ان بلغ نصابا لان الزكاة وجبت في عينه من غير اي اعتبار آخر ولذا قال مالك يحسب على الرجل ما أكل من الثمر والزرع قبل الحصاد في النصاب . والله اعلم

علي النيفر

بالعجز كما وقع للامة التي سألها النبي صلى الله عليه وسلم اين الله فقالت في السماء فقبل اسلامها وحديثها في الصحيحين

١٥ — مدار عقائد الاسلام على تنزيه الله عما لا يليق بمقام الالوهية وعدم التعطيل بان تثبت له تعلى الصفات التي اثبتها النقل وسلمها العقل

ثم انا وجدنا آيات دلت على التنزيه (ولم يكن له كفؤا احد) (ليس كمثله شيء) (ولا يحيطون به علما) (هل تعلم له سميا) ووجدنا آيات اكثر منها عددا (١) دلت على التشبيه (الرحمن على العرش استوى) (يخافون ربهم من فوقهم) (وهو معكم) (أمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض) (ان اصنع الفلك بأعيننا) (لما خلقت بيدي) (والسموات مطويات بيمينه) في آيات أخر

لما تعارضت الادلة السمعية فزع العلماء الى العقل وجعلوه حكما . فتصفح ادلة التشبيه فوجدها نفسها تعارضت فما دل على جهة العلو عارضه ما دل على المعية او الامام وما جاز على نصوص الجهة جاز على النصوص الدالة على الجوارح اذ الكل تشبيه فسقط ما دلت عليه من الظاهر التشبيهي المنافي للتنزيه وبقي ما دل على التنزيه على نصوصيته والعقل عاضد له (٢)

اذ العقل يحيل ان يكون الاله الذي خلق العالم والزمان والمكان والاجرام وعوارضها الازلي الابدي القائم بنفسه الغني عن غيره الذي لم يكن من شيء ولا عن شيء موصوفا بما يخالف ذلك من التشبيه الدال على الحدوث والافتقار واذا احال ذلك فقد حكم برجحان آيات التنزيه على التشبيه واوجب عدم اعتقاد ما افاده ظاهر هذه من التشبيه

ثم لك ان تفوض وان تؤول حسب مشربك فالعقل لا يوجب هذا ولا ذاك فادلة العقل مقدمة عند علماء الكلام على ما تدل عليه ظواهر الاوضاع العربية اذ ادلة العقل يقينية والاوضاع ظنية لان الآيات الدالة على التشبيه ليست دلالتها صريحة وانما هي ظاهرة تقبل التأويل فهي ظنية الدلالة واليقين مقدم على الظن باجماع العقلاء كما سبق (٣)

١٦ — في القرآن والسنة آيات واحاديث دلت على قواعد من العلوم العقلية المحضة فلسفية طبيعية وهندسية وفلكية وغيرها ترشد الى حقائق الكون وادوار الطبيعة وادوار حياة الانسان الى غير ذلك مما يبهت الناظر ويستوقف الخاطر أ ـ كآية وارسلنا الرياح لواقح الدالة على إلقاح الانثى

---

(١) خلافا لابن خلدون في المقدمة ان آيات التنزيه اكثر

(٢) بهذا التحرير تعلم ما وقع لابن القيم في اعلام الموقعين ج ٢ عدد ٣٧٠ وبهذا يمكنك التخلص ايضا مما وقع للذهبي في كتابه العلو فانظرهما

(٣) بهذا الجواب تعلم دفع ما اطال به الذهبي في كتاب العلو مما يخالف هذا وكذلك ابن تيمية وغيرهما

بالذكر من النبات ، عرف العرب هذا من القرآن منذ بضعة عشر قرنا وما اكتشفت العلوم الطبيعية الا حديثا

ب ــ آية انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب . اشارة الى قاعدة هندسية

ج ــ آية او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء . اشارة الى الاستفادة من علوم الفلسفة الطبيعية

د ــ آية ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار . اشارة الى النظر في علم الهيئة والفلك والتعديل

هـ ــ آية ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون. اشارة الى النظر في علوم البحر والحوادث الجوية وعلم النبات والحيوان الى غير ذلك

و ــ وقوله تعلى والله أنبتكم من الارض نباتا وقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم جعلنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر . بينت الآيتان اطوارا الانسان قبل الرحم وفي الرحم حيث كان جمادا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا فتبارك الله احسن الخالقين ويتعلق بذلك فوائد من علم التشريح وغيره

ز ــ آية الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة . رتبت مراحله بعد الولادة الى الوفاة

ح ــ آية كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم. اخذوا منها قواعد من علم الاقتصاد السياسي وكل هذه الآيات وغيرها اذا راجعت التفاسير وما أخذه علماء الاسلام منها مما يطول بنا تتبعه وجدتها منبهة الى الاستفادة من العلوم العقلية والاستعانة بها على فهم الحياة مع الاستدلال بها على صميم المعتقدات وكل ذلك دليل اعتبار الدين للعقل والعلم واعتضاده بهما وكيف والقرآن يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ويجب علينا ان نقف عند حد ما يدل عليه الاسلوب العربي وان نتمسك بالحقائق ممسكين عن السباحة في بحر الخيال متحققين ان القرآن قد يدخر الله فيه للمتأخرين ما لم يصل اليه المتقدمون

١٧ ــ أخذ علماؤنا علوما عقلية وضموها الى علوم الدين كالحساب والهندسة وتخطيط البلدان ومسح الارضين والاقتصاد السياسي وغير السياسي وعلم الطب والصيدلة والنجوم والتعديل وكل ما

يفيدنا في حياتنا ويتوقف عليه امر من امور ديننا او دنيانا فالحساب صار جزءا من علم الفرائض (التركات) الذي يروى فيه انه نصف علم الشرع.والقرآن اعتبره ايضا قال لتعلموا عدد السنين والحساب.ومن لم يتقن الحساب ام يتقن قسم التركات وايصال كل ذي حق حقه ومن لم يعرف مسح الارض والهندسة لم يكن قساما ولا يصلح كاتبا للخراج ومن لم يكن طبيبا لم يصلح ان يشهد في العيوب وقيس الجراحات والتدميات الى غير ذلك

فكل علم يتوقف عليه وظيف من الوظائف الشرعية أوامر من امور الدين صار من جملة العبادات

ولكونه وسيلة الى مقصد أعطى حكم ذلك المقصد من وجوب كفاءي او عيني او ندب (١)

فاكثر العلوم العقلية صارت من العلوم الشرعية فكيف يكون الدين ضد العلم ام كيف ينكر مسلم تعلمّ هذه العلوم وهي من الفروض الدينية

وتسميتها علوما حديثة تسامح لان جلها وجد قبل الاسلام انما الذي يحق ان يسمى علوما حديثة ما اخترعه الاروبيون والاميركيون بعد نهضتهم الاخيرة

كما فعل غيرهم من الامم قبلهم فالاسلام اخترع ما اخترعه قبلهم واخترع قبله غيره ايضا يونان وغيرهم فاخذه الاسلام وهذبه ونماه

فالعلوم العقلية ملك مشاع بين الامم كل عمل فيه ما قدر له نعم المسلمون وبالاخص العرب منهم اكثرهم كان معتنيا بالعلوم الادبية اكثر من غيرها لترقية النوع الانساني واخراجه من ظلمات الجهل والاخلاق الفاسدة والاوهام والضلالات التي تعوقه عن الرقي وبالعلوم الرياضية

وكان اعتناء اوربا بالعلوم الطبيعية والميكانيكية ونحوها ولها ايضا فضل عظيم في ذلك وان ادى كثير منه الى هلاك النوع الانساني

ولكن الذي مهد السبيل لذلك هي العلوم التي مهدها الاسلام من ادبية ورياضية واحتفظ بامانتها

فالاسلام مهد الارض وزرع وغيره نمى الزرع وحصد وكل ما زادته اوروبا او غيرها يتعين علينا معرفته والا كنا مخلين بواجب ديني

١٨ — اكثر العلماء اختصاصا بعلوم الدين هم فلاسفة المسلمين الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية وخدموها خدمة جلى مثل ابي يوسف يعقوب الكندي اعظم فلاسفة العرب والاسلام ثم الغزالي والرازي وسعد الدين التفتازاني وابن رشد الحفيد ويطول بنا تعدادهم

وماسبب ظهور الاشعري وتمذهب اكثر الائمة بمذهبه والانتساب له الا طول باعه في الفلسفة التي بها استعان على هدم اصول الاعتزال فلو لم يكن الدين معتبرا للعقل وعلومه ماكان اشد

(١) انظر شراح خليل لدى قوله في الجهاد كالقيام بعلوم الشرع وانظر احياء الغزالي وغيرها

الناس اختصاصا بهما اشدهم اختصاصا به ، لم يأنف المسلمون عن اخذ العلوم العقلية حتى عن الامم المقهورة لهم مثل الفرس والهند والرومان واليونان اخذوا كل فلسفة وجدوها عند غيرهم فهذبوها وهم الذين احيوا فلسفة اليونان بعد دروسها بقرون ونشروها في اوربا ولولاهم لضاعت ولو ضاعت ما امكن اوروبا ان تنهض هذه النهضة الا بعد قرون من زماننا هذا

فالدين الاسلامي لا يناهض الفلسفة الحقيقية المفيدة غير الوهمية ولا يمنع منها من له بـاع في علوم الديانة وتمكن منها نعم يمنع من الفلسفة من لم يعرف علم الدين ولا تمرس به او من كان ناقص الذكاء الفكرى لان الخوض فيهـا لمن لم يتوفر فيه الشرطان ضرر فادح ويـؤدي الى الكفر الفاضح اذ تسبق الى ذهنه الشبهة المظلمة المضلة وهو جاهل بالدين الاسلامي فيظنهما متناقضين اما من كان قليل الذكاء فشغله بها عبث وفساد

واشتغال من يجهل الدين بالفلسفة هو سبب ادعاء بعض المتفرنجين ان دين الاسلام ضد العقل والعلم وبنى على هذا الاساس المنهار قوله ان الدين مانع من رقي الاسلام

وهـذا الذي وقع لمؤلف كتاب مصطفى كمال وهو حكم على شيء عظيم قبل تصوره وقياس فاسد على دين الوثنية

فالاسلام دين العلم وعضد العقل ودين الرقي وهو الدين الذي لم يشب بخرافات تشوهه وهو ما في صريح القرآن وصحيح الاثر الصريح ايضا

١٩ — اشتغل صدر الامة في خير القرون بترجمة كتب اليونان وغيرها في العلوم العقلية ايـام المنصور العباسي والعلماء الكبار متوافرون فما انكر جمهورهم ولا قالـوا ان ذلك ضـد الدين ذلك دليل انهم كانوا يرون ان الدين ليس ضد العقل ولا العلم

وكونه تسبب في حدوث فرق المعتزلة وغيرهم فليس كل عمـل يجوز يجب ان يخلو من كل مفسدة بل المدار على غلبة المصلحة على المفسدة ومـا سبب الفرقة الا أنصاف العلمـاء وأرباعهم وقدمـا قالوا (لو سكت من لا يدري لقل الخلاف)

وكما ترجموا علوم الاوائل عن غيرهم ترجموا ايضا دينهم الى غيرهم فترجموا القرآن وغيره ولولا الترجمة ما اسلمت تلك الامم ولا وصل الـدين لاعماق قلـوبهم وتمكن منهم تمكن الـذي ذاقه بل امتلا منه وهضمته معدته

فالاسلام اخذ علوم غيره من الامم وبذل ما عنده بسخاء مفرط فهو ليس ضد العقل ولا العلم بحال

وذلك كله يدلك على مقـدار العقل وعلومه في نظر الاسلام الحنيف وعلماء الاسلام الكاملـين وينفي عنه مايلصقه به اعداؤه من كونه مانعا من رقي الاسلام وهم يرون ان اهله لما كانوا متمسكين به كانوا أعلم اهل الارض وارقاهم (يتبع)



شاع في الاوساط التونسية قديما وحديثا انه اذا وافق يوم احد العيدين الفطر والاضحى يوم الجمعة كان ذلك العيد ثقيلا على الامير

فيتشاءمون بذلك ويتطيرون وزوربما طوحت طيرتهم وسوء اعتقادهم بـ عاعهم الى التعدي على المقامات الشرعية فيتهمون اهل الذكر الذين يجب الرجوع اليهم في ذلك وما اليه بانهم يتفادون ما امكنهم من اثبات احد العيدين بالجمعة تزلفا للامير وارضاء له

وهذا ما تكاثفت فيه الضلالة وتراكب به الجهالة اذ كيف يصح لدى ذي منطق صحيح وعقل رجيح تعقل ذلك والآثار الشرعية والادبية صريحة في الدلالة على خلافه

فليوم الجمعة من اليمن والفضيلة في الاسلام المنزلة المعروفة والمكانة الموصوفة ناهيك انه ببركته يدرأ العذاب ويتضاعف الثواب

وهذا ما شاع في العامة ايضا (ميت الجمعة مايتحاسبش) (١) وحينئذ اذا لابست هذا اليوم الميمون فضيلة زمانية اخرى كالعيدية والحج وما الى ذلك من الفضائل الزمانية فقد تم الحظ وتضاعفت الخيرات فحقت التهاني والبشارات (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)

فأكرم بيوم الجمعة يوم أكمل فيه الدين وأتمت نعمة رب العالمين وارتضي فيه الاسلام دينا لعباد الله المؤمنين ولهذا السبب شاع في العامة ايضا التنويه بفضيلة حجة الجمعة على ما سواها من الايام لان حجة الوداع التي توفرت فيها تلكم النعم المذكورة في الآية المتقدمة كانت حجة الجمعة

ومما يشير الى ما تقرر في اذهان المسلمين من اعتقاد شرف الجمعة على سائر ايام الاسبوع قول الشاعر :

عيد وعيد وعيد صرن مجتمعه وجه الحبيب ويوم العيد والجمعه

وحينئذ فالمراد من ثقل يوم العيد الذي وافق يوم الجمعة على الامير انما هو الثقل الحسي الحاصل من تواصل الاعمال وترادف الاشغال على خصوص امير المؤمنين وذلك لما هو شان عامة امراء المسلمين من القيام بامامة صلاة العيد فقبول التهاني والمعايدة من عامة الشعب والرعية فصلاة الجمعة فالقيام للوافدين مباركين ومتبركين بالائمة والشفعاء على ما عليه عمل الناس في ديارنا التونسية من هرعهم الى ذلك كلما انفتل الامام من صلاة الجمعة والعيدين .

فلا جرم والحالة ما ذكر ان وردت تلك المقالة واصفة لحالة حقيقية فيها ما فيها من هذا الثقل المحسوس على امير وقتها تعارف معناها على وجهه المتواضعون في تلك العصور فتلقاها الاخلاف عن الاسلاف وبتطاول الامد واختلاف الاحوال اعتراها ما اعتراها من التحريف عن موضعها وطلوع شمسها من غير مطلعها ولله في خلقه شؤون .

الناصر الصدام

---

(١) قال صاحب الدر المختار من خصائص يوم الجمعة قراءة سورة الكهف وفيه تجتمع الارواح وتزار القبور ويأمن الميت من عذاب القبر ومن مات فيه أوفي ليلته أمن من عذاب القبر ولا تسجر فيه جهنم وفيه يزور اهل الجنة ربهم تعلى اه وكتب ابن عابدين على قوله ويأمن من عذاب القبر الخ ما نصه قال اهل السنة والجماعة عذاب القبر حق وسؤال منكر ونكير وضغطة القبر حق لكن ان كان كافرا فعذابه يدوم الى يوم القيامة ويرفع عنه يوم الجمعة وشهر رمضان الى ان قال والمؤمن العاصي يعذب ويضغط لكن ينقطع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها ثم لا يعود وان مات يومها او ليلتها يكون العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر ثم ينقطع .كذا في المعتقدات للشيخ ابي المعين النسفي الحنفي من حاشية الحموي اه ملخصا بحذف وبعض تصرف

الحمد لله رب العالمين

(تابع للمنشور بصفحة عدد ٢٠٢)

فالتعريف فيه بالالف واللام تعريف الجنس لان المصدر هنا في الاصل عوض عن الفعل والفعل من قبيل المطلق عند الاصوليين او النكرة عند النحاة فلا جرم ان يكون الدال على الفعل والساد مسنده الا على الجنس فاذا دخل عليه حرف التعريف فهو لتعريف مدلوله فاذا كان المسمى جنسا فللام تدل على تعريفه. والمراد من تعريف الجنس هو تمييزه من بين اجناس الافعال كلها كما في الكشاف وأقول اي من بين اجناس الافعال او بين الاجناس التي تلتبس به او التي تشاركه في جنس اعلى وهو الظاهر لي فاذا قلنا الحمد لله او العجب لك فانما تعرف هذا الجنس من بين اجناس الافعال كلها او من بين ما يلتبس به كأنك تريد ان هذا الجنس معروف لديك ولدى مخاطبك لا يلتبس بغيره كما انك اذا قلت الرجل واردت معينا في تعريف العهد النحوي فانك تريد ان هذا الواحد من الناس معروف بينك وبين مخاطبك وتعريف الجنس يسمى تعريف الحقيقة فهو في المعنى كالنكرة من حيث ان التعريف فيه ليس معه كبير جدوى اذ تعيين الجنس من بين بقية الاجناس حاصل بذكر لفظه الدال عليه لغة وهو كاف في عدم الدلالة على غيره اذ ليس غيره من الاجناس بمشارك له في اللفظ ولا متوهم دخوله معه في ذهن المخاطب فلذلك كانت اداة التعريف للجنس قليلة الجدوى بخلاف تعريف العهد الخارجي فانها تدل على واحد معين بينك وبين مخاطبك من بين بقية افراد الجنس التي يشملها اللفظ الدال على الجنس فلا يفيد هذا التعريف اعني تعريف الجنس الا توكيد اللفظ وتقريره وايضاحه للسامع لانك لما جعلته معهودا فقد دللت على انه واضح ظاهر وهذا معنى قول صاحب الكشاف « هو نحو التعريف في أرسلها العراك ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال » وليست لام التعريف هنا للاستغراق ولذلك قال صاحب الكشاف « والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منه » غير ان حاصل معنى الاستغراق حاصل هنا لان الحكم باختصاص جنس الحمد بالله تعلى بوجود لام تعريف الجنس في الاختصاص في قوله لله يستلزم انحصار افراد الحمد في التعلق باسم الله تعلى لانه اذا اختص الجنس اختصت الافراد اذ لو تحقق فرد من افراد الحمد لغير الله تعلى لتحقق الجنس في ضمنه فلا يتم معنى اختصاص الجنس المستفاد من لام الاختصاص الداخلة على اسم الجلالة . ثم هذا الاختصاص اختصاص ادعاءي فهو بمنزلة القصر الادعاءي للمبالغة . ثم ان جملة الحمد جملة خبرية اصالة لانها تستعمل اخبارا تقول لمن سألك لمن الحمد ؟ الحمد لله . ثم صار للانشاء بالنقل مع تعاهد الاصل كما يراد من الخبر انشاء التحسر والتحزن في نحو قوله تعلى اني وضعتها انثى وقول الشاعر هواي مع الركب اليمانين مصعد البيت فيكون المقصد الاصلي هو الانشاء والعدول الى الاخبار لما يتأتى بواسطة الاخبار من الدلالة على الاستغراق والاختصاص والدوام والثبات ووجه التلازم بين الاخبار عن حمد الناس لله وبين انشاء حمد المخبر لله تعلى ان المخبر عن حمد الناس له تعلى لا جرم انه منشىء ثناء عليه بذلك وكون المعنى الالتزامي في الكناية هو المقصود دون المعنى المطابقي اظهر منه في اعتبار الخبرية المحضة لما عهد في الكناية من انها لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادة الاصل معه وقال جماعة من ائمة اللغة ان

جملة الحمد لله انشاءي لا اشعار له بالخبرية على انها من الصيغ التي نقلتها العرب من الاخبار الى انشاء الثناء كما نقلت صيغ العقود وافعال المدح والذم اي نقلا مع عدم اماتة المعنى الخبري في الاستعمال فانك قد تقول الحمد لله جوابا لمن قال لمن الحمد او من احمد ولكن تعهد المعنى الاصلي ضعيف محتاج للقرينة

وعندي ان الحق الذي لا محيد عنه ان الحمد لله خبر مراد منه الانشاء فالقصد هو الانشاءية لا محالة وعدل الى الخبرية ليمكن تحميل جملة الحمد من الخصوصيات ما يناسب جلالة المحمود بها من الدلالة على الدوام والثبات والاستغراق والاختصاص والاهتمام وشيء من ذلك لا يمكن حصوله بصيغة انشاء نحو حمدا لله او احمد الله حمدا ومما دلني على اعتبار العرب اياها انشاء قول ذي الرمة

ولما جرت في الجزل جريا كانه سنا الفجر احدثنا لخالقها شكرا

فعبر عن ذكر لفظ الحمد والشكر بالاحداث والاحداث يرادف الانشاء لغة فقوله احدثنا خبر حكى به ما عبر عنه بالاحداث وهو حمده. (رب العلمين) وصف لاسم الجلالة فانه بعد ان اسند الحمد لاسم ذاته تعلى تنبيها على الاستحقاق الذاتي عقب بالوصف ليكون الحمد متعلقا به لان وصف المتعلق متعلق ايضا ليؤذن باستحقاقه الوصفي ايضا للحمد كما استحقه بذاته وذلك لان في تعليق الحكم على وصف ايذانا بالعلية وهذا الايذان مستفاد من الكلام بمعونة المقام ونسج الكلام فانه لما كان في ذكر الوصف غنية عن ذكر الموصوف لا سيما اذا كان الوصف منزلا منزلة الاسم كاوصافه تعلى وكان في ذكر لفظ الموصوف ايضا غنية في التنبيه على استحقاق الحمد المقصود من الجملة علمنا ان المتكلم ما جمع بينهما الا وهو يشير الى ان كلا مداولي الموصوف والصفة جدير بتعليق الحمد به فذلك مستفاد من كيفية تركيب اللفظ والعدول عن مقتضى الظاهر . وقد اتبع اسم الجلالة هنا باربعة اوصاف وقد رتبت الصفات المذكورة هنا ترتيبا لوحظ فيه غاية المناسبة اذا ابتدىء منها بالوصف الظاهر تعلقه بسائر المحدثات وذلك نعمة الايجاد وابلاغ الوجود الى غاية كماله ثم ثني بالوصف الذي به كمال ذلك وهو وصف الرحمن والرحيم على ما تقدم من بيان المراد بهما ثم ذكر ملك يوم الدين المنبيء بوصف العدل الذي هو سبب الثواب والعقاب لان به كمال تلك النعم الماضية لان فيه ما يزجر المفسد عن فساده ويجزي الصالح على صلاحه ولما كان الحمد على هذا الوصف انما يظهر بالنسبة للمؤمنين ناسب تاخيره بالنسبة للحمد وبالنسبة لكون متعلقه مكمل تعلقات بقية تلك الصفات المذكورة قبله .

والرب اما مصدر واما صفة مشبهة على وزن فعل من ربه يربه بمعنى رباه وساسه والتربية تبليغ الشيء الى كماله تدريجا ويجوز ان يكون من ربه بمعنى ملكه

والعالمين جمع عالم قالوا ولم يجمع فاعل هذا الجمع الا في لفظين عالم وياسم اسم للزهر المعروف بالياسمين جمعوه على ياسمون وياسمين

والعالم في الاصل ماسوى الله تعلى مما تعارفه الناس من الحوادث اي مجموع المحدثات ويطلق على كل جنس من اجناس الموجودات. وليس هو مشتركا ولا حقيقة ومجازا لان كليهما خلاف الاصل بل هو موضوع للقدر المشترك اعني ما يدل على العلم بالخالق فتارة يقصد ذلك المعنى الموضوع من حيث العبرة والمجموع وتارة يقصد الى نوع منه متميز عما سواه وقد بنته العرب على وزن فاعل بفتح العين وهذا البناء مختص بالدلالة على الآلة غالبا كخاتم وقالب وطابع فجعلوا العوالم لكونها ءالة للعلم بالصانع او لكونها ءالة للعلم بالحقائق. ولقد ابدع العرب في هذه اللطيفة اذ بنوا اسم جنس الحوادث على وزن فاعل لهذه النكتة

وقد قال التفتزاني في شرح الكشاف العالم يطلق على ذوي العلم . وعلى كل جنس يعلم به الخالق نحو قولهم عالم الانسان عالم النبات عالم الحيوان . ولا يطلق على المجموع اي على جميع ما سواه فقال السيد ويطلق على مجموع تلك الاجناس عالم لكن الشائع انه لا يطلق على كل جنس منها الا باضافة نحو عالم الانسان عالم الملك عالم المجردات . والتعريف فيه للاستغراق اذ لا وجه لتخصيص اضافة الرب ببعض اجناس العوالم ،

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

الالقاب والنعوت الملكية

في البيت الحسيني

بقلم العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان اول الالقاب الملكية الحسينية هو لقب الباي معرب من لفظ بك في التركية كما تراه بالطابع السعيد ومعناه السيد العظيم وهو في اصله عندهم اي الترك من القاب رؤساء الجيش وابناء الباشوات كما ان لفظ باي برسمه هذا معناه امير في اللغة الفارسية (١) واصل دخول هذا اللفظ في الاستعمال بتونس كان باثر دخول الايالة التونسية في طاعة السلطان سليم خان الثاني سنة ٩٨١ فان الوزير سنان باشا لما فرغ من الفتوح باشر ترتيب الدولة وجعل رئاستها في اثنين : الباي لضبط الوطن وتمهيد الراحة واستخلاص المجابي والآغه للنظر في احوال الجند وكان في الحملة اربعة ءالاف عسكري على راس كل مائة منهم امير يلقب بالداي واول من تولى خطة الباي بتونس هو رمضان باي في سنة ٩٨١ وتولاها بعده مراد باي في سنة ١٠٢٢ وهو اول امراء الدولة المرادية ثم ابنه محمد باي وغلب عليه اسم حمودة باشا وهو صاحب الجامع المنسوب له المجاور لزاوية سيدي احمد بن عروس تلقب بالباي في سنة ١٠٤١ ثم ابنه مراد باي الثاني في سنة ١٠٧٦ ثم ابناؤه الثلاثة محمد باي صاحب الجامع الضخم المواجه لزاوية سيدي محرز بن خلف وعلي باي ورمضان باي باخذ ورد بينهم في الولاية من سنة ١٠٨٦ الى سنة ١١٠٨ وتخللهم عمهم محمد الحفصي باي في سنة ١٠٨٦ وصهرهم محمد بن شكر باي في سنة ١١٠٦ ثم مراد باي الثالث بن علي باي في سنة ١١١٠ وهو ءاخر الامراء المراديين وقد حفظ له التاريخ من سوء السلوك ما يحمر له وجه السماء ثم ابراهيم الشريف باي في سنة ١١١٤ وقد تلقب بالباشا باي داي وهو ءاخر البايات قبل قيام الدولة الحسينية فكانت جملة البايات في مدة حكم الترك احد عشر بايا ولما دخلت الايالة التونسية في حكم

---

(١) هذا التعريف في اللغتين التركية والفارسية استفدته من صاحبنا المرحوم الوزير السيد الطاهر خير الدين وحق علي تزويده بالرحمة الواسعة في هذه الآونة لما كان امدني به من التحقيقات والبيانات الشافية في مجالس متكررة ببيته وبيتي اثناء ابحاثي التاريخية لضبط كثير من الحوادث التونسية التي وقعت في عهد وزارة والده رحمهما الله

البيت الحسيني سنة ١١١٧ بطلب من اهل تونس وعن طيب نفس منهم اخذت سلطة الباي في النمو والظهور واخذت سلطة الداي في التراجع والتضاؤل بتغلب الاولى على الثانية الى ان آل امر هـذه للاضمحلال والزوال وفيما بين ذلك رسخت قدم البيت الحسيني في الامارة فكان حبهم متمكنا في القلوب وسلطانهم باسطا جناحيه على كامل التراب التونسي واول من تـولى الامر منهم مؤسس بيتهم ثابت الاركان راسخ البنيان المولى حسين باي بن علي تركي في سنة ١١١٧ ثم حفيده للاخ المولى علي باي الاول بن محمد بن علي تركي في سنة ١١٤٨ ثم المولى محمد الرشيد بـاي بن حسين بن علي في سنة ١١٦٩ ثم اخوه المولى علي باي الثاني في سنة ١١٧٢ ثم ابنه المولى حمودة بـاي في سنة ١١٩٦ ثم اخوه المولى عثمان باي في سنة ١٢٢٩ ثم ابن عمه المولى محمود باي ابن محمد الرشيد باي في سنة ١٢٣٠ ثم ابنه المولى حسين باي الثاني في سنة ١٢٣٩ ثم اخوه المولى مصطفى بـاي في سنة ١٢٥١ ثم ابنه المولى احمد باي الاول في سنة ١٢٥٣ ثم ابن عمه المولى محمد باي بن حسين بـاي الثاني في سنة ١٢٧١ ثم اخوه المولى محمد الصادق باي في سنة ١٢٧٦ ثم اخوه المولى علي باي الثالث في سنه ١٢٩٩ ثم ابنه المولى محمد الهادي باي في سنة ١٣٢٠ ثم ابن عمه المولى محمد الناصر باي بن محمد بـاي في سنه ١٣٢٤ ثم ابن عمه المولى محمد الحبيب باي بن محمد المامون باي في سنة ١٣٤٠ ثم ابن عمه ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني في سنة ١٣٤٧ اعلى الله على الاقدار قدره. وانفذ في العالمين نهيه وامره

هذا وقد نظم العلامة الشيخ محمد بيرم الثاني (١) ابياتا تضمنت ذكر جميع البايات من تاريخ

---

(١) كان من اعلم فقهاء زمانه ناهيك انهم سموه بابي يوسف الثاني توفي سنة ١٢٤٧ وقد نعتوه بالثاني عقب اسمه احترازا من الالتباس بابيه الشيخ محمد بن حسين بيرم المتوفى سنة ١٢١٤ وعلى قياسه اضافوا العدد (٣) لابن الشيخ الثاني يعني الشيخ محمد بن محمد بن محمد بيرم المنعوت بالثالث المتوفى سنة ١٢٥٩ ثم اضافـوا العـدد (٤) لابن الشيخ الثالث وهو الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن محمد بيرم المنعوت بالرابع المتوفى سنة ١٢٧٨ . هذا هو السبب في اشتهارهم دون غيرهم من بيوت العلم بالاول والثاني الخ وبقي بمحفوظي من مجلس حضرته للوزير الاكبر السيد محمد الجلولي انـه ورد عليه بمشاهدتي المرحوم الشيخ محمد (السلامي) بيرم ابن الشيخ الرابع في سلسلة مجدهم الاثيل اثر ولايته خطة الفتوى سنة ١٣٢٥ وطلب منه الترخيص له باضافة العدد (٥) لاسمه فاذن لـه بذلك ولكنه لما سعى في نقش ذلك النعت على خاتمه لم تحصل الموافقة عليه من المقدس المولى محمد الناصر باي اعتبارا لكون الاعداد التمييزية المتحدث عنها انما اتخذها اسلافه بعد ولايتهم مشيخة الاسلام لا قبلها على ان رئيس جمعية الاوقـاف كان الشيخ محمد بيرم ابن المحتسب الشيخ مصطفى بيرم ابن شيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الثالث المتقدم ذكره لما نشر كتابه صفوة الاعتبـار في سنة ١٣٠٢ رسم عليـه اسمه ونعت نفسه باسم محمد بيرم الخامس فيكون مبنى هذا النعت فيما يلوح هو مجرد التسمية باسم محمد في عموم السلسلة البيرمية لا باعتبـار تسلسل اسم محمد في عقب فرع واحد من اب لقب بشيخ الاسلام لابن له ورث عنه مباشرة هذا اللقب الممتاز كما هو المفهوم من النعوت العددية المضافة لاسماء الشيوخ المحمدين الاربعة الذين ورثوا بتتابع خطة المشيخة الاسلامية خلفا عن سلف

الفتح العثماني في سنة ٩٨١ الى زمن امير عصره المولى محمود باي متولي كرسي الملك الحسيني في سنة ١٢٣٠ وهذه الابيات ننقلها هنا اتماما للفائدة مذيلة بابيات على وزنها وقافيتها نظمتها في ذكر بقية البايات الحسينيين من اين وقف الناظم الاول الى هذا الزمان . قال الشيخ الثاني قدس سره

بايات تونس ان ترم عدالهم ... فالست مع عشراهم (١) اعداد
رمضان اولهم وثان بعده ... مولاه ذو الصيت البعيد مراد
ثم ابنه حمودة باشا الذي ... ايامه بين الورى اعياد
ثم ابنه المبتز للدايات ما ... لهم من الملك الكبير مراد
ثم الثلاثة من بنيه محمد ... وعلي ورمضان (٢) هم الاطواد
ولقد تخلل بين ذلك عمهم ... بمحمد الحفصي الشهير يراد
وكذا ابن شكر صهرهم وعتيقهم ... من حركته لحربها اعضاد
ومراد بن علي الآتي من الـ ... ـأسواء ما فتت به الاكباد
ثم الشريف ابراهم وبه قد انـ ... ـقطعت على من قبله الامداد
ثم استقر حسين بن علي الذي ... لم تعرفي ايامه انكاد
من بعد ذاك علي حسين عمه ... وابن الحسين محمد ويزاد
فيهم علي باي اخوه وبعده ... ابن له من سعده يزداد
حمودة الباشا المعين على الذي ... فيه صلاح للورى وسداد
واخوه عثمان تلاه ودون ار ... بعة الشهور ضمه الالحاد
فاتى ابن عمهما امير زماننا ... محمود مقرونا به الاسعاد
لا زال في حصن الحماية مرشدا ... والخير في ايامه يزداد

هنا انتهى نظم الشيخ محمد بيرم الثاني والابيات التالية هي التي نظمها هذا العبد المتطفل على ابواب الادب .

من بعد محمود حسين نجله ... واخوه ذاك المصطفى المنجاد
ثم ابنه لقب المشير شعاره ... هو احمد والوصف جا حماد

---

(١) حصر الناظم عددهم في ستة عشر ولكنه اتى في الجملة على ذكر ثمانية عشر بايا صاغ عقدهم في ابيات عددها ستة عشر فليتامل القاري

(٢) هذا رمضان باي هو صاحب البطحاء المنسوبة لاسمه بمدينة تونس وهو لاقبر له حيث قتله حفيده مراد باي الثالث واحرق جثمانه ونسف رماده في اليم ورمضان هذا هو الذي اتم بناء الجامع الذي احدثه اخوه محمد باي جوار زاوية سيدي محرز بن خلف كان ابتداء بنائه في سنة ١١٠٤ وتمامه في سنة ١١٠٩ وتاريخ التمام مرسوم بارقام ذهبية على واجهة المنبر

وهم المتم لعشرهم في بيتهم — قد كان حصنا حوله الاجناد
ثم الثلاثة من بني عم له — ورثوا العلا والكل هم امجاد
منهم ابو عبد الاله محمد — وابو الوفاء الصادق المسعاد
وعلي ابو الحسن الذي به يقتدي — في فضله النساك والعباد
ثم ابنه الهادي المليك المرتضى — والناصر اللذ صنعه الارشاد
من بعد ذا قام الحبيب المقتفي — اسلافه الاقبال ممن بادوا
ثم العناية اقبلت من ربنا — نحو البلاد فعمها الاسعاد
بولاية المولى الذي من اجله — امسى يجر ذيوله الامداد
نعني به الباشا ابا العباس احـ — ـمد نخبة الامراء ممن سادوا
فالله يحمي ملكه ويديمه — ابدا وازمان له اعياد
ثم الصلاة على النبي والآل والصـ — ـحب الذين لدينه قد شادوا

هذا وقد اخبرناك فيما تقدم بتقاصر خطة الداي ثم انقراضها في العصر الحسيني وصورة ذلك ان الداي امست خطته في الدولة الحسينية قاصرة على مباشرة النوازل الجارية في الدريبة (١) بولاية من الباي فلما تولى المشير احمد باي وقعت في عهده ولاية الداي كشك محمد (٢) وهو ءاخر الدايات

(١) في الدور الاخير من مدة الدايات غلب عليهم لقب الدولاتلي الذي هو مسمى الداي نفسه ولفظ دولاتلي في اللغة التركية يقابله في الترجمة بالعربية عبارة صاحب الدولة ولكن لا بالمعنى العمومي المتلبس بهذه العبارة في زماننا هذا بل بحصره في ادارة شؤون محكمة الدريبة وهذه قرينة عهد منابل ما زال اسمها موجودا في الانظمة العدلية الحالية بتونس ووجه تسميتها بدريبة الدولاتلي لانها كانت مجاورة لدار الداي وهذه هي دار الطباعة الرسمية العربية في الزمن الحاضر وكان انتصابها هنالك على يدي في سنة ١٣١٩ وكان سقيفها العمومي هو ساباط الدريبة حيث كان جلوس اعوان الدولاتلي والخصوم وسجن المكان وكانت وظيفة الداي في ذلك الدور قاصرة على مباشرة النوازل الجارية كالسرقات والضرب والجنح تشبه من قريب خطة كميسار البوليس في هذا الزمان واليك ما جاء في حقها بالجزء الرابع من كتاب اتحاف ابناء اهل الزمان عند الكلام على ترجمة الداي احمد ءاغا ونص محل الحاجة : فاعطى الخطة حقها وضبط البلاد وخافه اهل الشر والفساد وتأنس به اهل الخير والعافيه اهـ

(٢) كان قبطانا للبحرية بحلق الوادي وكانت له شهرة بين اهل زمنه لما اظهره في سابق خدمته من الجسارة والاقدام في القرصنة البحرية وهو الذي كان قائدا للاسطول التونسي الذي ارسله المرحوم حسين باي لمياه اليونان واحترق في جملة الاساطيل العثمانية في واقعة ناورين المشهورة ولما توفي الداي احمد ءاغا دفين مقبرة الاشراف الواقعة ببطحاء القصبة وتعرف اليوم بزاوية سيدي الشريف وكان ذلك في سنة ١٢٦٨ تقدم كشك محمد لخطة الداي ولكنه لم يقبلها الا على شروط حيث قال للباي عند عرض الخطة عليه حسبما حكاه الشيخ احمد بن ابي الضياف : نمتثل امرك في كل خدمة ونعرف ما لهذه الخطة من العادات والظروف الفارغة التي منها ان تقوم الي ولا ءاتيك الا باذن وهو اشدها علي وان يكون الترجمان هو الرسول بيني وبينك وان لا اتوجه لموضع الا باذن خاص

اعطاه التقليد بسراية المحمدية واطلقت عند ولايته المدافع قياسا على الرسوم المسنونة من قديم ولكنه لقبه في ءان واحد بوزير التنفيذ وبسط له يده فقبلها واقره على فصل النوازل الجارية بالدريبة فباشرها الى حين وفاته في سنة ١٢٧٧ وبموته ماتت خطة الداي بالايالة التونسية

وفي بحر القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر اشتهر امر البيت الحسيني بالاقطار القاصية والدانية فكان الملوك الحسينيون يعقدون المعاهدات مباشرة مع دول اوروبا بدون وساطة الباب العالي والدول الاروباوية معترفة لهم باستقلاليتهم الداخلية في بلادهم بحيث اصبح لقب الباي في نظر الامم علما على ملوك تونس كلقب سلطان لآل عثمان ولقب خديوي لولاة مصر ولقب شاه لملوك الفرس ولقب خان لامراء التتار الى غير ذلك من الالقاب الخاصة بملوك الاسلام في الشرق والغرب ـ هذا تفسير معنى لقب الباي في الاصلاح السياسي فهو مساو للقب ملك لا لقب بك بالمعنى الشرقي

وهل يتساوى سادة وعبيدهم اذا كان اسماء الجميع موالي

واللقب الثاني لسمو الباي هو لفظ الباشا لا بمعنى الباشوية الممنوحة في بعض الدول بالمشرق والمغرب لاصحاب الوظائف العالية المدنية والعسكرية بل هو لقب متلبس بالصبغة الملكية لانفراد صاحبه به في مملكته واضافته لنعته الاول اي للقب باي نعم ان خطة الباشوية في اصلها كان ياتيهم التقليد بها من الباب العالي ولكن بايات تونس استمروا على التلقب بها في دور استقلالهم عن الدولة العثمانية وقد كنا لعهد قريب نسمع الخطباء في الجوامع عند صلاة الجمعة ينعتون سلطان ءال عثمان « بسلطان البرين وخاقان البحرين مصر والشام والروم والعراقين » مع كون بعض تلك البلاد المذكورة خرجت عن حكم ءال عثمان منذ زمن بعيد وليست هذه الالقاب والنعوت الاسمية من خصوصيات ملوك الاسلام فقط بل هي تتناول ايضا الكثير من ملوك اوروبا فان ملك ايطاليا الحالي من جملة القابه السيادة على بلاد سافوايا منشأ اسرته وانت تعلم ان هذه البلاد جزء متمم لخريطة فرنسا وقس عليه ما كان لانبراطور النمسا والمجر وما كان لملوك اسبانيا من الالقاب والنعوت المقتبسة مما كان لاسلافهم من قوة السلطان في القرون الوسطى والتاريخ يعيد نفسه فان بعض الالقاب ينشأ ضئيلا ثم يتعاظم وينمو الى ان يبلغ لقمة المجد وبعضها ينشأ فخيما ثم يتضاءل ويتقاصر الى ان يؤول

كالمسجون الى غير ذلك فان اعفتيني من هذه الامور بان اقدم اليك متى اردت واقبل يدك كسائر وزرائك واقوم معهم بين يديك واتوجه حيث شئت فاني خادمك تضعني فيما تراه والافاني في خدمتي بحلق الوادي شاكرا لله محسوبا من الاعيان فقبل المشير (احمد باي) منه ذلك بسرور واذن له في التوجه حيث شاء بشرط ان لا يبيت خارج الحاضرة لان حراستها في عهدته اه وكان صادق اللهجة محمود السيرة طيب السريرة عزيز النفس عالي الهمة ءاية في النصح والوفاء بالعهد وءاداب المعاشرة وكان مشكور الخدمة موفور الحرمة الى ان ادركه اجله في مدة المشير محمد الصادق باي سنة ١٢٧٧ ودفن جوار القاضي الشيخ احمد بن نفيس بمقبرة السلسلة رحمه الله

للاضمحلال والزوال وهذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا واللقب الثالث لسمو الباي هو « صاحب المملكة التونسية (١) » وهذا لقب حادث بالنسبة للآخرين واول من اتخذه بالصفة الرسمية بطريقة قارة هو المشير الثاني محمد باشا باي كتبه تلو اسمه مسبوقا بلقب الباشا باي يوم تأسيسه لقانون عهد الامان وقد ختم لائحة هذا القانون بخط يده بما نصه « صح من كاتبه المشير محمد باشا باي صاحب المملكة التونسية والله على ماتقول وكيل » وكان سلفه المشير احمد باي يصدر مناشيره مفتتحة بقوله « من عبد الله الخ المشير احمد باشا باي امير الايالة التونسية » واما البايات الاسبقون فانهم كانوا يختمون مراسيمهم بعبارة « والسلام من الفقير الى ربه الباشا فلان (٢) باي او عبده فلان باشا باي » وكان المرحوم مصطفى باي يمضي احيانا مكاتيبه بقوله « مصطفى ميرميران تونس دار الجهاد » ورتبة (ميرميران) كانت تاتيهم من الباب العالي وبعضهم قلده السلطان رتبة بيلى بك ومعناه باي البايات وممن احرز على هذه الدرجة مفخرة الزمان البـاي حمودة باشا وبالآخر جاءهم لقب المشير من الدولة العثمانية وهو افخم الالقاب في انظمة الجيش العثماني واول من تلقب به من البايات المـولى احمد باي الاول ثم المولى محمد باي ثم المولى محمد الصادق باي ولقد وقفت على بعض الاوامـر العليـة الصـادرة اثناء الايام الاولى من ولايـة المولى علي باي ختمها كتاب ديوان الانشاء بالوزارة الكبرى بعبارة « والسلام من المشير الرابع عبده علي باشا باي صاحب المملكة التونسية » فاعيد النظر فيها والغيت عبارة المشير الرابع حيث لم تكن من النعوت الملكية الوراثية في البيت الحسيني فانت ترى كيف تطورت الالقاب الملكية في العصر الحسيني الى ان بلغت في ابتهاجها وانتهاجها لذروة العظمة والمجد والكمال، كما هو مشاهد للعيان وما بعد العيان بيان .

محمد بن الخوجه

---

(١) رايت في بعض الرسوم العقارية بتاريخ اواسط القرن الماضي ان عدول ذلك العصر كانوا يلقبون باي زمنهم وهو المولى حسين باي الثاني بلقب « صاحب كرسي تونس »

(٢) ننقل هنا وثيقة تاريخية مثبتة لما ذكرنا ونلفت نظر القاري الكريم لغرابتها من حيث اعتبار ما ورد فيها من مقدار جراية العلماء في ذلك الزمان ونصها بالنقل عن اصلها

تذكرتنا هذه بيـد الفقيه الشيخ حمودة ابن الحاج علي خوجة الحنفي وانا انعمنا عليه بدرس المرحوم سي باكير الامـام الـذي بجامع المرحوم سي يوسف داي ورجعنا له الثمانية نـواصر التي كانت للمرحوم سي باكير من فاضل الاحباس على العادة تجري له من شهر التاريخ بحيث انه يقري ما شاء والسلام من الفقير الى ربه الباشا علي باي بن حسين بـاي في اوائل رجب سنة ١١٨٣ اهـ قلت لا جرم ان عبارة هذه الوثيقة التاريخية الصحيحة مما يحمل الكاتب على مجـاراة فقهاء زمانـه في تذمرهم من انخفاض مقدار ارزاقهم بالنسبة لغيرهم من اهل عصرهم وان كانت الجرايـات العلمية في هذا الزمان اوفر من الجراية الواردة في تلك الوثيقة التاريخية بالآف اضعافها ولكن هـذا التذمر سبقني اليه الشاعر بقوله

ورزقهـم مـرخـم منـادى   كيا سعا فيمن دعا سعادا

العاطفة في الأدب العربي

هي المحاضرة التي القاها الاديب النابغ السيد
احمد بن المختار الوزير في قاعة المحاضرات بقصر
الجمعيات تحت اشراف هيئة التعليم العربي العمومي

« ٢ »

صدق العاطفة

اما الصدق فليس من شك انه وليد الفواعل المحركة والاسباب الحافزة. وهو ايضا نتيجة ما يكون من الحاح لمثيرات الاغراء والتحريض. فعلى قدر صحة الداعي وقوة السبب الخارجي وملابسته لنفس الاديب يكون الصدق. وما اكثر ما في الحياة من البواعث والمثيرات والاسباب التي ان لامست الاديب بظاهر او باطن منها تجاوبت اصداء لمسها في حنايا الضلوع واعماق القلوب وقرارات النفوس

فهناك الشاعر مفتون بجمال الربيع فاذا راى الربيع يزور الكون زورته مد اليه البصر خاشعا معجبا مستلهما مستوحيا. وتلقاه بقلبه كما تتلقاه الازهار والاوراق والخمائل والمروج والاعشاب واستقبله فرحا طروبا. فاذا ما نبه الربيع الاطيار فغنت وغردت واحلولى الغناء وطاب التغريد. واذا ما نفح الربيع الفروع والاغصان بنسمات من طيب فوحه وزكاة نشره فانتشت وتمايلت. والتفت وتعانقت. فهناك قلوب الشعراء اكثر يقظة واشد حسا. وارهف عاطفة واندى واعطر من الازهار والاطيار والاغصان. وهم اذا ما ترقصت موجات عواطفهم وتغنوا بجمال الربيع وحسنه ونضارته. تاهت نفسك من اعجابها بقدسية هذا الجمال الفردوسي الذي اصبحت تدركه اكثر من ذي قبل. واصبحت تهواه وتعشقه اكثر من ذي قبل

وهناك الصحراء يرف فوق وهادها ونجودها الآل ويترقص على مدى اطرافها وحواشيها السراب المغري. وهناك الغابة الخرساء يتوجها الجلال. وتتعانق فوق صدرها الناهد الانهار الجارية. والاودية المتفجرة. وتسارع في رحاب احضانها ينابيع الماء ساكنة خاشعة. هناك البحر في حلاوة امنه ومرارة خطره. هناك الحياة في لذاذات نعيمها. وقساوات بؤسها. في مسوح الفقر. واثواب الغناء. في منافعها واضرارها. في الفتها الجامعة وتقاطعها البغيض. في ظلمها وعدلها. في ذل عبوديتها وبذخ سيادتها. هناك الحياة في كل لون من الوانها

ثم هناك المرأة. وانظر الى المرأة كيف شئت فجمالها اظهر جمال في هذا الوجود. لانه جمال حي ناطق يستلهيك ويغريك ويوقظ الحس ويذكي الشعور. وينبه العاطفة ويلهب جوعات النفس الراغبة

ثم هناك الدين والمعتقد، والمثل العليا للخير والسلم، وهناك بعد كل هذا مثيرات اخرى ربما كانت ادنى الى النفوس من غيرها، هناك صدود الحبيب، وموت القريب، وبعد الاصحاب والاخوان، والنزوح عن الاهل والاوطان، ودروس المنازل وذكريات العهود المواضي : وانا لذاكرون مثالا واحدا نكتفي به في تصويرنا لصحة الاسباب وقوة الفواعل المحركة وهذا المثال من شعر ابن الرومي في رثاء ولده، وقد كان موته رزءاً عظيما طغت كربته واحاطت بالنفس حسرته فقال يرثيه ويتوجع من آلام حزنه والبكاء عليه :

كان الذي خفت ان يكونا ... انا الى الله راجعونا
امسى المرجى ابو علي ... موسدا في الثرى يمينا
حين انتهى واستوى شبابا ... وحقق الرأي والظنونا
اصبت فيه وكان عندي ... على المصيبات ان يعينا
دافعت الا المنون عنه ... والمرء لا يدفع المنونا
اذا شكا غصة وكربا ... لاحظ او راجع الانينا
يدير في رجعه لسانا ... يمنعه الموت ان يبينا
يشخص طورا بناظريه ... وتارة يطبق الجفونا
تصرف الدهر لي صروفا ... وعاد لي شانه شؤونا
وحز في اللحم بل براه ... واجتث من طلحتى فنونا
اصاب مني صميم قلبي ... وخفت ان يقطع الوتينا
فالمرء رهن بحالتيه ... فشدة مرة ولينا

وما دمنا نتحدث عن صدق العاطفة، فلعله يحسن بنا ان نقف قليلا مستعرضين بعض ما قاله الشعراء والنقاد القدماء، مما له صلة بما نحن بسبيل درسه، فقد سأل عبد الملك بن مروان ارطاة ابن شهيه، اتقول الشعر اليوم ؟ فقال مجيبا والله ما اطرب ولا اغضب ولا اشرب ولا ارغب، وانما يجيء الشعر عند احداهن !

وفي كتاب العمدة لابن رشيق : وقالوا قواعد الشعر اربع ـ الرغبة، والرهبة، والطرب، والغضب ـ فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب.

وحكى الاصمعي عن ابن ابي طرفة كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب، والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب، وعنترة اذا كلب، وايسر ما نستطيع استخلاصه من هذه الاقوال ان بعض النقاد والشعراء كان يدرك بحق ما لقوة السبب من الاثر في تحريض الاديب وارغامه على الانشاد

والتغني بما يختلج في نفسه من المعاني المثيرة لعواطفه ومشاعره. فكأن الاديب المطبوع لا يستطيع الصبر على التغني والانشاد حينما تضطره ملابسة الحوادث وحينما يحس في دخيلته بشيء من اثار الطرب او الغضب او الرغبة او الرهبة. وبرغم من هذا فهل احسن النقاد الاستفادة من جملة هذه الاقوال ؟ وهل توجهوا لدرس العاطفة وتحليلها ذلك ما ساكت عنه الآن

بقي علينا ونحن بهذا الصدد ان الفت انظاركم ايها السادة الى طائفة غير قليلة من الادباء احسبهم مرضى العواطف. وهؤلاء بحق هم الذين ليسوا من الشعراء في شيء ولا من الكتاب في شيء واقوالهم ليست من الشعر في شيء ولا من النثر في شيء . هؤلاء هم الذين افسدوا الادب بانتسابهم اليه . وما كان اغناهم عن هذا الانتساب لولا انهم احسوا بالعجز يساورهم في كل عمل يقبلون عليه . وراوا ان الاستظلال بدوحة الادب قد يكفيهم مطاردة الحياة . فعاشوا يتبعون جثث الموتى الى المقابر . وعاشوا يزورون المدائح ويحسبونها من غرر القصائد. وهم في هذه وتلك كاذبون ملفقون . وهم في هذه وتلك مبطلون مخادعون . ولولا خداعهم وتزويرهم ما تكلفوا المبالغة والتهويل . ولولا ضعف معانيهم ما استنجدوا ضخامة الالفاظ. ولا استعانوا بغريبها النابي عن الذوق والطبع .

هؤلاء مرضى العواطف لانهم لا يقتطعون القول من قلوبهم . ولا يستلهمون وحي قصائدهم من الطبيعة ولا من الحياة . ولا من اسرار النفس في مختلف الوانها . وادبهم ادب زائف مصطنع ان دل على شيء فانما يدل على الطمع المتغلغل في اعماق شهواتهم وغرائزهم . وعلى حبهم للملق والرياء والكذب المزري . . . واظهر ميزة في ادب هؤلاء هي ذلكم الطمع العاجز الذي كان يسوقهم دائما الى الاستجداء بالمدائح الفاترة .

واكره الاطالة عليكم في هذا المقام بذكر الامثلة المريضة الفاترة . وحسبي ما قلته الى هنا في تحديد صدق العاطفة .

(للبحث بقية)

اربع كلمات صدرت عن اربعة ملوك

كانما رميت عن قوس واحدة

قال كسرى ملك الفرس لم اندم على ما لم اقل وندمت على ما قلت
وقال قيصر ملك الروم انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت
وقال ملك الصين اذا تكلمت بالكلمة ملكتني واذا لم اتكلم بها ملكتها
وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة ان رفعت ضرته وان لم ترفع لم تنفعه
وابلغ من ذلك كله قول النبيء صلى الله عليه وسلم : وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنتهم اهـ وقال الشاعر العربي :

ولئن ندمت على سكوتي مرة ... فلقد ندمت على الكلام مرارا

الاستاذ الشيخ محمد الصادق النيفر

« نسبه » هو الشيخ ابو الوفاء محمد الصادق ابن الشيخ محمد الطاهر ابن السيد محمود ابن السيد احمد النيفر . وعنه تتفرع اصول هذه الاسرة كلها ، وهذا السيد شريف الابوين ينتهي نسبه الابوي الى الحسين السبط رضي الله عنه ، واما امه فمن بيت السيد الشريف الصالح الشيخ الحلفاوي الشهير دفين باب الخضراء بحاضرة تونس ، وكان من كبار التجار بسوق العطارين في الحاضرة ووجهائهم الممتازين بمتانة الدين والامانة والصدق والعزوف عن الدنايا .

ولد هذا السيد سنة نيف وتسعين ومائة والف وربي تربية دينية خالصة في حجر ابيه الفاضل الخير السيد ابي الفضل قاسم فحفظ القرآن حفظا جيدا واتخذ تلاوته وردا له من صباه الى شيخوخته وتلقى من العلم الديني جملة صالحة وباشر التجارة بسوق العطارين في سن الفتوة ، وتزوج امراة من بيت الحجام احدى بيوتات الحنفية العتيقة بتونس وفي ذيل بشائر اهل الايمان (١) ترجمة الشيخ محمد الحجام من علماء ومدرسي جامع الزيتونة في القرن الثاني عشر .

وقد انجبت هذه العقيلة ستة ذكور وهم السادة محمد وصالح والصادق ومحمود وحمدة ومحمد (بفتح الميم) .

اما الصادق سمي صاحب الترجمة فقد توفي عن تسع سنين ، واما سائر اشقائه فقد كبروا .

سلك اكبرهم الشيخ محمد وشقيقاه الشيخان صالح ومحمد سبيل العلم فكانوا من اقطاب رجاله واعلام مذهب مالك العاملين النافعين ، وتوفي اولهم بطيبة المنورة في المحرم سنة ١٢٧٧ ودفن ببقيع الغرقد وتوفي ثانيهم في ذي القعدة سنة ١٢٩٠ وثالثهم في المحرم سنة ١٣١٢ وتراجمهم مدونة معروفة

واما السيدان محمود وحمدة فقد يسرهما الله للتجارة الصادقة البارة ولثانيهما شهرة بالولاية لم يزل الصادقون من اهل تونس يتلون آياتها البينة الى اليوم وتوفي السيد محمود سنة ١٢٨٤ وتوفي السيد حمدة مستهل هذا القرن .

واما والدهم فقد توفي بالقاهرة منصرفه من حجته الثالثة بصحبه ولده العلامة الشيخ صالح عاشر صفر سنة ١٢٨١ وصلي عليه بمسجد الحسين ودفن بالقرافة في بستان العلماء جوار الشيخ عبد الله الشرقاوي

وبالسيد محمود يتصل صاحب الترجمة رحمه الله رحمة واسعة

وامه بنت العلامة الطائر الصيت الشيخ محمد الطاهر النيفر قاضي الجماعة المتوفى سنة ١٣١١ وامها من بيت الوزير احدى بيوتات الاندلس العريقة الوجيهة .

« مولده ونشأته الاولى » ولد رحمه الله في جمادى الآخرة سنة ١٢٩٩ بدار جده لابيه حيث يسكن والده واعمامه في حومة جامع غربال قرب جامع الزيتونة وتبناه جده لامه الشيخ الطاهر فتولى تربيته بنفسه ، وحفظ القرآن الحكيم تحت اشرافه بضريح الشيخ الصالح انس المجاور لدار الشيخ رحمه الله على المعلم الشيخ محمد الزواري احد شهود المرسى اليوم .

(١) ص ١٨٣ طبع المطبعة الرسمية بتونس سنة ١٣٢٦

« دخوله جامع الزيتونة وطور الاستفادة » دخل رحمه الله جامع الزيتونة الاعظم سنة ١٣١٣ فأخذ مبادي القراءات والتجويد عن المرحوم المقري الموثق الشيخ المولدي بن عاشور المتوفى في شهر رمضان سنة ١٣٢٥ واخذ سائر الفنون المتداولة به يومئذ عن مشهوري اساتيذه من اعلام المذهبين وكان قوي العارضة صحيح الحافظة وافر العناية فمن اساتيذه فضيلة شيخ الاسلام الحنفي في التاريخ والشيخ ابو العباس احمد ابن مراد المفتي الحنفي والشيخ ابو النجاة سالم بوحاجب كبير اهل الشورى المالكية والشيخ ابو حفص عمر ابن الشيخ المفتي المالكي والشيخ محمد النجار المفتي المالكي والشيخ حسين بن حسين المفتي المالكي والشيخ احمد بيرم شيخ الاسلام والشيخ مصطفى ابن خليل والشيخ مصطفى رضوان ووالده والشيخ عمر ابن عاشور والشيخ محمد النخلي والشيخ علي الشنوفي ، وكان معظم تحصيله وانتفاعه على الشيخ حسين بن حسين فقد حضر كثيرا من دروسه التي كانت مهبط تحقيق وتدقيق وافادة واختص من بين اترابه بمجالس بيته الخاصة التي لم تكن تقل في النفع والافادة عن دروسه بجامع الزيتونة .

وقد امتلا وطابه بما اخذ عن هؤلاء الاعلام وصار في مقدمة اقرانه على حداثة سنه وتهيأ ان يفيد وينفع بما استفاد ونفع .

« طور الافادة » التدريس والخطابة — تقدم لامتحان شهادة التطويع سنة ١٣١٨ فكان في طليعة المجلين في حلبته وكانت هذه الشهادة تخول صاحبها حق التدريس بجامع الزيتونة بصفة متطوع بإثر الحصول عليها . فشرع رحمه الله يدرس وعني بتنشئة الطبقات وتربيتها وتناول الفنون المختلفة فدرس اكثر كتبها المتداولة بالجامع يومئذ دراسة نصح وتحقيق وبلغت دروسه في اليوم الواحد الستة اوجاوزتها وكانت له عناية خاصة بالفقه والسير والحديث ، ومن اجل ما درسه من كتبها شرح التاودي على التحفة ختمه نحوا من خمس مرات وشرح الدردير وسيدي عبد الباقي على المختصر والشفاء للقاضي عياض بدأه واتمه وشرع مكانه في تدريس الموطا فأقرأ زهاء ربعه . وشرع في تدريس العارضة شرح سنن الترمذي للقاضي ابي بكر بن العربي فأقرأ جملة صالحة منها بضريح السيد انس وكان يختار تدريس الحديث الشريف في شهر رمضان ويعنى في دروسه بما يفيد العامة من حاضريه وحضر في هذا الطور طور الافادة بعض دروس الجلة من اساتيذه يقتبس من نورهم ويغترف من بحورهم ومنهم الشيخ سالم بوحاجب والشيخ حسين بن حسين وقد اقرا متطوعا ومدرسا رسميا زهاء ربع قرن من سنة ١٣١٨ الى منتصف سنة ١٣٤١ وكانت الطبقات المتتابعة تأخذ عنه واكثرهم يزين اليوم مناصب التدريس والقضاء والفتوى ودواوين العدلية

ولاول العهد بانتصابه للتدريس خطب بجامع باب البحر نائبا عن والده فسلك في الخطابة طريقة مثلى تسفر عن حكمة الشارع فيها واعتمد ما ينشئه من الخطب التي تتفق مع الاحوال الحاضرة ويخاطب فيها الناس بما يفهمون وكان لمواعظه الاثر الصالح وقد يضم الى الخطابة دروسا يلقيها بالجامع في شهر رمضان ينتفع بها العامة والخاصة

« صلته بعلماء المغرب » وفي اثناء اشتغاله بالتدريس دخلت تونس حواشي الشيخ المهدي الوزاني مفتي فاس على شرح التاودي على التحفة ولصاحب الترجمة غرام بتدريس الشرح فعني بهذه الحواشي

واتصل بصاحبها بالمكاتبة ثم زار الشيخ المهدي تونس سنة ١٣٢٣ فنزل ضيفا بدار صاحب الترجمة وزادت الصلة بينهما قوة وكان كل يعرف لصاحبه فضله ومكانه من العلم ثم رغب اليه الشيخ المهدي رحمه الله ان يزور المغرب الاقصى سنة ١٣٣٠ فلبى الدعوة وتعرف بكثير من اهل العلم والفضل وكان محل التجلة والاعجاب ، وكان بينه وبينهم حوار في موضوعات شتى علمية وتاريخية اسفر على قوة عارضته ونهوض حجته وكتب عن هذه الرحلة مفكرات خاصة لم يسبكها على قالب مؤلف مستقل

« المناصب التي تقلدها » ولي رحمه الله خطة الاشهاد بالحاضرة سنة ١٣١٨ وكانت تبعا للحصول على شهادة التطويع . وفي ذي القعدة سنة ١٣٣١ ولي مدرسا من الطبقة الثانية . وفي شهر ربيع الاول سنة ١٣٣٢ ولي مدرسا من الطبقة الاولى . وفي سنة ١٣٣٩ ولي الامامة والخطابة بجامع باب البحر ورواية الحديث بمدرسة بير الحجار خلفا عن والده . وفي سنة ١٩٤١ تم العزم على تسميته عضوا حاكما بالمجلس المختلط العقاري باحياء الخطة التي كان يتقلدها المرحوم العالم الشيخ محمد المختار شويخه وكانت موقوفة من يوم وفاته سنة ١٣٣٤ واعلمت الحكومة رئيس المجلس المختلط بهذا ووافقها وتعين ميعاد تنصيبه ولكن الحكومة تغير عزمها فقلدته قضاء الجماعة في اليوم الذي عين لتنصيبه بالمجلس المختلط وكان هذا في رجب سنة ١٣٤١ واضطلع رحمه الله بعبء القضاء فقد كان فقيها جليلا واسع الاطلاع على النصوص بصيرا بامر تنزيلها على الحوادث ماضي العزم وظل يباشره نافذ الامر والنهي عزيز الجانب الى ان تخلى عنه في ذي القعدة سنة ١٣٤٧

« مؤلفاته » كتب رحمه الله بضعة تعاليق نفيسة على ابواب من صحيح البخاري قام بها دروسا بمدرسة بير الحجار وجامع باب البحر في مواعيد اختامهما وكان يترك الكتابة في الاكثر ويكتفي بمطالعة ما يعين على فهم الحديث ثم يقوم بذلك كله درسا يفهمه العامة ولا يستغنى عنه احد من الخاصة وجرى على هذه الطريقة في ايام ولايته للقضاء لتزاحم اعماله عليه ولم يكتب في هذه المدة الا سنة ١٣٤٢ وهي السنة التي عني المقدس المولى محمد الحبيب باشا باي بحضور بعض مجالس اختام الحديث الشريف فيها ، ومنها مجلس ختم الشيخ بجامع باب البحر فكتب تعليقا جليلا محررا على باب كلام الرب مع اهل الجنة من صحيح البخاري ابدع فيه ما شاء الله ان يبدع وفي اواخر سني حياته اقبل على المطالعة والكتابة وزاد شغفه بالحديث وكتبه وترك فيه تقاييد نفيسة جليلة ، وقد كتب في بضعة اعداد من المجلة الزيتونية فصولا في وضع الحديث ولم يتمها وله حاشية على التاودي قيمة

« اخلاقه » كان رحمه الله متواضعا بشوشا وفيا نصوحا ولتلاميذه حب جم فيه غرسه في قلوبهم نصحه لهم واخلاصه في تربيتهم وتعليمهم عزيز النفس قوي العزيمة

« مرضه وموته وموكب جنازته ودفنه » كان رحمه الله مصابا بداء ضعف القلب منذ امد بعيد وكان اثره فيه خفيا ولم تظهر اماراته عليه الا في السنين الاخيرة ، وهو يغالبه بجلده وصبره ، وكان يشعر في ءاخر عمره بدنو الاجل وتصرم حبل الحياة وقد كتب رحمه الله وصية بخطه عهد بتنفيذها الى بنيه واودعها ما يجب ان يكون في غسله وتكفينه وحمله وتشييعه والصلاة عليه ودفنه ولم يخرج في شيء مما اوصى به عن محيط السنة ، ومن مظاهر بر بنيه به بعد موته ان نفذوها كما عهد اليهم وكان موكب جنازته من المواكب النادرة شاركت فيه طبقات الامة كافة ءاسفة حزينة ولا سيما تلاميذه على وفرة عددهم وصلي عليه بالمقبرة طبق وصيته ودفن في تربة سلفه بالجلاز

نسال الله ان يتغمده برحمته ورضاه وان يجعل من بنيه خير معز عنه يبقي ذكره ويعمر بيته ان ربي قريب مجيب

تاجيل شهادة (الاهلية) من الخدمة العسكرية

نص القرار الذي اصدره وزير الحرب في ذلك

على اثر الضجة الكبرى التي وقعت في العام الماضي من تلامذة الجامع الاعظم جامع الزيتونة ادام الله عمرانه حول شهادة (الاهلية) التي هي الشهادة الاولى التي تعطيها الجامعة الزيتونية ، وطلبهم من الدولة ان تمنح المحرز عليها الاعفاء من الخدمة العسكرية قياسا على الشهادة الابتدائية التي تعطى من المكاتب الدولية والتي يحرز حاملها على المنحة المذكورة - وان كان الفرق بين الشهادتين عظيما لان شهادة الجامع ارقى من شهادة المدارس الدولية من حيث الفنون التي تدرس قبل الاحراز عليها ومن حيث اتساع المدارك وسمو الثقافة - لم تجب الدولة عن هذا المطلب جوابا مبنيا على تمام المقايسة بين الشهادتين ، بل ابقت الفرق ظاهرا بينهما . ذلك انها قررت ان شهادة (الاهلية) يمنح حاملها (التاجيل) لا (الاعفاء) . بمعنى ان من يحرز على شهادة (الاهلية) يؤجل اربعة اعوام ريثما يحرز على شهادة (التحصيل) فان احرز عليها في هاته المدة منح الاعفاء التام . والا فانه يطالب بالخدمة العسكرية . وقد نشرت الجريدة الرسمية قرارا من وزير الحرب يقتضي اجراء العمل بذلك . ورغبة منا في تسجيل هذا الحق وتمكين من عسى ان ينتفع به من الاطلاع على نصه اردنا نشره هنا . واليك هو :

« قــرار »

ان جناب الجنرال هانوت القائد الاعلى للجيوش التونسية ووزير الحرب بالحكومة التونسية(١)

بعد اطلاعه على قانون التجنيد المؤرخ في ٧ فيفري ١٨٦٠ وفي ١٢ جانفي سنة ١٨٩٢ قرر ما ياتي :

الفصل الاول - التونسيون المسلمون المحرزون على شهادة الاهلية والمرسمون بجرائد التجنيد تؤجل مناداتهم اربعة اعوام ان ادلوا بما يثبت تقييدهم بالكلية الزيتونية

---

(١) كانت وزارة الحرب قبل نصب الحماية الفرنسوية على المملكة التونسية (بمقتضى معاهدة باردو الواقعة في ١١ ماي ١٨٩١) تسند لرجال من التونسيين مثل وزارة المعارف ووزارة البحرية وممن تولى وزارة الحرب قبل الحماية الوزير مصطفى اغه والوزير محمد خزنه دار واخر من تولاها من التونسيين الوزير سليم الفريك وقد باشرها مدة عام في اول عهد الحماية . ثم بعد ذلك بدلت الارض غير الارض وصارت وزارة الحرب ومثلها وزارة البحر ووزارة الخارجية تسند للفرنسويين . فصار وزير الخارجية هو السفير الفرنسوي بتونس . وصار وزير الحرب هو القائد الاعلى للجيوش التونسية (وكان يلقب بقائد جيش الاحتلال ومن منذ اربعة اعوام ابطل هذا اللقب لما فيه من التذكير بما اقتضت السياسة التلطف بتناسي ذكراه) وصار وزير البحرية هو الاميرال القائد للاسطول الفرنسوي الراسي بثغر بنزرت . وجملة الوزارات التي بتونس ستة . الثلاثة المذكورة بيد الفرنسويين . والثلاثة الاخرى وهي الوزارة الكبرى ووزارة القلم ووزارة العدلية بيد التونسيين ولله الامر من قبل ومن بعد

الفصل الثاني ـ الطلبة الذين يكونوا (كذا) قد حصلوا عند انقراض (كذا) الاجل المذكور على شهادة التحصيل يطرحون نهائيا من دفاتر التجنيد عملا بالفقرة ١٤ من الفصل ٣٦ من القانون المؤرخ في ١٢ جانفي ١٨٩٢

الفصل الثالث ـ الطلبة الذين لم يمكنهم مدة الاربعة سنوات الاحراز على شهادة التحصيل يقع انخراطهم مع اول حصة ءاتية بعد انتهاء الاجل الممنوح

الفصل الرابع ـ ويقع العمل بهذا القرار من تاريخ غرة جانفي ١٩٢٨

تحريرا في ٢٧ نقامبر ١٩٣٧

الجنرال القائد الاعلى للجيوش التونسية ووزير الحرب بالحكومة التونسية

الامضاء : هانوت

هذا ورغما عما اقتضاه هذا القرار بصريح عبارته من ان كل من يكون محرزا على شهادة (الاهلية) وادلى بما يثبت استمراره على مزاولة الدروس بالجامع فانه يمنح (الاعفاء) فقد بلغنا انه قد وقع خلل في تاويله من طرف الادارة الحربية . حيث انها امتنعت من تطبيق هذا القرار على من احرز شهادة (الاهلية) قبل جانفي ١٩٣٨ تمسكا بالفصل ٤ كما انها ارادت جبر من وجبت عليه الخدمة العسكرية في عام ١٩٣٥ مثلا ثم لم يباشرها لاسباب ماذون فيها كوجود اخ مباشر للخدمة العسكرية او لمرض يمنع من الخدمة موقتا الى ان احرز على شهادة (الاهلية) فيما بعد ارادت جبر هؤلاء على مباشرة الخدمة العسكرية الآن رغما عن الادلاء بشهادة الاهلية بحجة ان مثل هؤلاء لا حق لهم في التمتع بهاته المنحة لان الخدمة وجبت عليهم من قبل

ونحن نلفت نظر جناب مدير الادارة الحربية الى ان هؤلاء جميعا يشملهم الفصل الاول من فصول القرار المذكور . لان المشترط في الاحراز على منحة الاعفاء هو التحصيل على شهادة الاهلية بقطع النظر عن ان يكون المحرز عليها اليوم لم يحل اجل خدمته الا هاته السنة او حل اجل خدمته من قبل لكنه اجل لاسباب شرعية . وعليه فجميعهم يستحقون منحة (التاجيل)

والرجاء ان تحظى ملاحظتنا هاته بالقبول لانها مبنية على نص القرار الصادر من وزير الحرب لا سيما وعدد الافراد الذين سيقع معهم هذا الاشكال قليل جدا . فلا داعي للتشدد معهم . وللتسبب في احداث مشاكل من اليسير تلافيها . على ان الصفة العلمية التي لهؤلاء الافراد من شانها ان تبعث الادارة على التسامح معهم وغض الطرف عنهم وذلك بنوع من التوسع في فهم ما عسى ان يكون معارضا لما قلناه من فصول القرار المذكور .

محمد المختار بن محمود

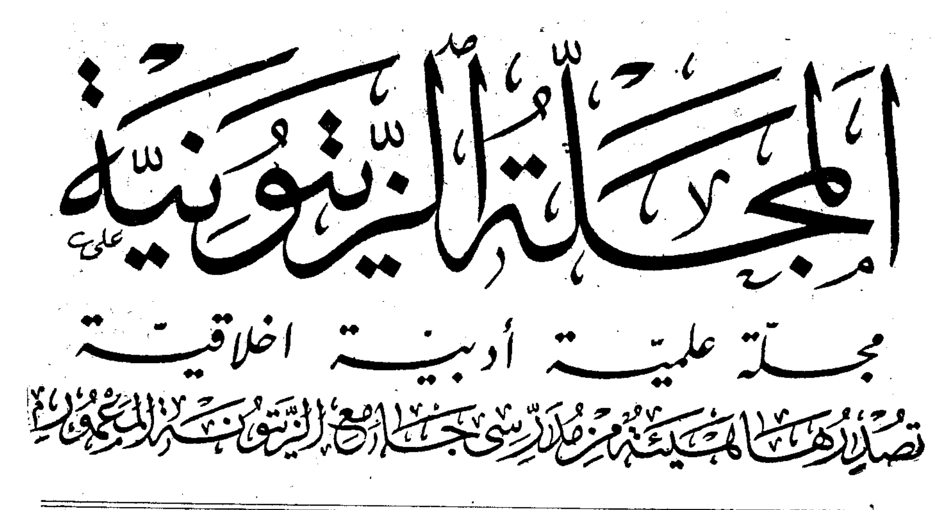
وفاة عالمين فاضلين

في ليلة الاحد ٥ حجة الجاري (الموافق ليوم ٦ فيفري) توفي ببلدة حمام الانف العالم الفاضل الشيخ محمد بوراس المدرس المالكي من الطبقة الثانية بجامع الزيتونة بعد مرض شديد الزمه الفراش ما يقرب من عام فتعطل التدريس بالجامع كامل اليوم المذكور حدادا عليه طبق العرف الجاري به العمل في الجامع وقد حمل في مساء ذلك اليوم الى مدينة القيروان حيث دفن هناك رحمه الله برحمته الواسعة ورزق ءاله الكرام جميل الصبر رجزيل الاجر

❁ ❁ ❁

وفي ليلة الثلاثاء ٢٨ حجة الجاري (الموافق ليوم غرة مارس) توفي العلامة الجليل بقية السلف الصالح علما وعملا الشيخ سيدي حسين بن الخوجه المدرس الحنفي من الطبقة العليا بجامع الزيتونة والمفتي الشرفي عن ثلاثة وثمانين عاما قضاها في العلم والفتوى على مذهب الامام الاعظم والخطابة بجامع القصر . ودفن في مساء اليوم المذكور بمقبرة اسلافه بالجلاز . وقد تعطل التدريس بالجامع ثلاثة ايام حدادا عليه اغدق الله على ضريحه الطاهر سحائب جوده وفضله . ونحن نعزي البيت الخوجي في هذا المصاب العظيم خصوصا عميد البيت امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة وابناءه الكرام واخاه العالم الهمام الشيخ سيدي علي بن الخوجة المفتي الحنفي ونرجو لهم من الله الصبر الجميل والثواب الجزيل





المجلد الثاني	تونس في محرم الحرام عام ١٣٥٧ وفي مارس ١٩٣٨	الجزء السادس

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

رئيس قلم تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

المجلد الثاني — الجزء السادس

فهرس العدد

المقال	صاحبه
٢٤٢ المدارس القرآنية	بقلم رئيس التحرير الشيخ محمد المختار بن محمود
٢٤٩ تفسير الفاتحة (٥)	« صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٢٥٦ شرح حديث تفاضل اهل الايمان ٢ ...	« الاستاذ الشيخ محمد الصادق المحرزي
٢٦٠ الفتاوي والاحكام	« شيخ الاسلام المالكي
٢٦٢ التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين ..	« الوزير المصلح الشيخ محمد الحجوي
٢٦٦ يوم عاشوراء	« العالم الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
٢٧٢ التاريخ واوليته واهميته	« العلامة الشيخ عبد الرحمان زيدان الشريف
٢٧٥ الطابع الملوكي السعيد	« امير الامراء العلامة سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة
٢٨٠ الربيع (موشح)	« الاديب الشيخ الطاهر القصار
٢٨١ العاطفة في الادب العربي ٣	« الاديب الاستاذ احمد بن المختار الوزير
٢٨٤ شهادة الاهلية تؤجل من الخدمة العسكرية	« رئيس قلم التحرير
٢٨٦ نداء الى تلامذة الكلية الزيتونية وبقية المعاهد العلمية	« رئيس قلم التحرير
٢٨٧ الحجاج التونسيون	« « «

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



الجزء السادس	تونس في محرم الحرام عام ١٣٥٧ وفي مارس ١٩٣٨	المجلد الثاني

العام الجديد

بمناسبة دخول العام الهجري الجديد - وهو العام السابع والخمسون من القرن الرابع عشر للهجرة - نبسط اكف الضراعة الى الله جل جلاله ان يجعله عاما مباركا سعيدا على عموم المسلمين في جميع اقطار الارض ، يسترجعون فيه مجدهم ، ويبدل الله فيه عسرهم باليسر ، وشقاءهم بالسعادة ، وتفرقهم بالاتحاد ، فقد كان العام الذي فارقنا ، عاما مثقلا بالاحداث والنكبات ، لا سيما في بلادنا التونسية ، فقد تعددت فيه المصائب ، واهمها تفرق الاحزاب السياسية ، وتشتت شملها ، واختلاف الناس شيعا واحزابا من حولها ، ولا يخفى ان التفرق اعظم داء يصيب الامم المستضعفة المغلوبة على امرها ، فانه يزيدها بعدا عن النجاح ، ويقصيها مراحل شاسعة الى الوراء ، فالله تعالى هو المرجو بفضله ان يجعل هذا العام الجديد عام خير وبركة ، ويمن واسعاد ، لا سيما على صاحب الجلالة ملكنا المعظم سيدنا احمد باشا الثاني ، حفظه الله وحفظ ملكه بسر القرءان العظيم والسبع المثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المدارس القرءانية

كيف تأسست – مهمتها – نتائجها – مدارس قرءانية للبنات

القانون الذي يراد وضعه لها -- نداء لرجال المدارس القرءانية

بقلم رئيس التحرير

ان من اهم المشاريع التي تاسست بالبلاد التونسية مشروع المدارس القرءانية ، ذلك المشروع العظيم الذي كان الغرض من تاسيسه هو المحافظة على تعليم القرءان الكريم مع ترقية اسلوب تعليمه بفتح منافذ الثقافة العامة في وجه متعلميه ، وبجعل تعليم القرءان متمشيا مع الاساليب العصرية في التعليم ، من حيث النظام وتقصير مدة التعليم ، مع المحافظة على الآداب الشرعية

ونظرا لما اشيع من منذ مدة من عزم الحكومة على وضع قانون اساسي للمدارس القرءانية يحتوي على تقرير نظام عام لجميع ما يتعلق بها من اسلوب التعليم ، ومواد الدراسة ، وكيفية فتح مدارس قرءانية جديدة في المستقبل واعطاء الرخص لطالبيها الى غير ذلك مما يتعلق بها

ونظرا لما طالعناه في بعض الصحف اليومية من تجري بعض الناس على انكار فضل المدارس القرءانية والمكابرة بجحود مزيتها ، فقد اردنا ان نتحدث في افتتاحية هذا العدد عن المدارس القرءانية من جميع نواحيها ، حتى نكون قد قمنا بالقسط الواجب علينا نحو مشروع نعتقد انه من اهم المشاريع القائمة في بلادنا ، وانه يتطلب من جميع اصحاب الرأي ان يمدوا له يد المساعدة قولا وفعلا ، حتى يطرد نجاحه ، ويستمر فلاحه ، اذ من الغلط الذي لا يعذر صاحبه ان يتعمد انسان الفت في ساعد هذا المشروع العظيم فيكون سببا في القضاء عليه او في تضعيف سمعته

كيف تاسست المدارس القرءانية

ان اهم ما يستدل به على رقي الامة ونهوضها اعتناءها بالتعليم ، ذلك ان الشعب الامي الجاهل لا يمكن ان يعد في صف الامم الحية ، ولا يمكن ان يقام له وزن ، بل يبقى دائما ذليلا مستعبدا يسخر كما تسخر الدواب ، وينتفع به ولا يحسب له حساب ، فمن اجل ذلك كان الغرض الاهم الذي يسعى اليه المفكرون للرقي بامهم هو بث التعليم بين كافة الطبقات ، حتى ترتفع عن القلوب غشاوة الجهل وحتى يغسل عنها ران ظلامه الحالك ، ومن جملة مايدخل في الاعتناء ببث العلم الاعتناء باسلوب التعليم

بل ذلك عند العقلاء هو الاجدر بالعنـاية ، ولا تزال امم الغرب تبتكر في كل عـام اساليب جديدة للتعليم تستعملها في مدارسها على سبيل التجربة حتى اذا ظهر لها ما هو خير منها ابطلت الاول وعملت بالجديد ، وفي وزارات المعارف في جميع الاقطار الراقية اقسام ليس لها من العمل الا البحث في اساليب التعليم والنظر في اي الطرق اقرب لتكوين المتعلمين تكوينا صالحا لتهذيب عقولهم ، وترقية شعورهم وتقوية مداركهم ، حتى اذا ما انتهوا من التعلم وخرجوا الى ميدان العمل كانوا اكفـاء لكل ما يطلب منهم ، مقتدرين على التحمل باعباء كل ما يناط بعهدتهم ، فليس الغرض من التعليم بجميع اصنافه الا تكوين الرجال العاملين لصالح اوطانهم ، القادرين على ترفيع مستوى شعوبهم

ولما وقعت النهضة العلمية العامة في سائر بلدان العالم من نحو قرن وجدت في البلـدان المتقدمة مرتعا خصيبا لنموها وازدهارها والسير بها الى ارفع مستوى يمكن ان تصل اليه ، واثارت في الامم النائمة الخـاملة بواعث العمل ودوافع النشاط ،واستفزت همم رجالها لمسايرة تلك الامم الراقيـة ، والسعي في السير على منوالها

ولما كان الاسترسال في التحدث عن تطور هاته النهضة العلمية ، وسريانها في مختلف الشعوب ، ربما يبعد بنا كثيرا عن موضوعنا فمن الخير مع قرائنا ان نجعل حديثنا اليهم خاصا بـاثر ذلك في الشعب التونسي

ان للتونسيين اتصالا قديما بكثير من شعوب العالم ولا سيما بالبلاد التركية التي هي من اسبق بلدان العالم الى الرقي وتنظيم العلوم والمعارف ، فمن اجـل ذلك كان التونسيـون — وعلى الاخص قادتهم والمفكرون منهم — مطلعين على حركات النهوض الواقعة في كثير من بلـدان العالم ، وكانوا يتطلعون الى السير على منوالها ويحرصون على الاقتداء بها ، ولكن التطلـع الى الشيء لا يكفي للوصول اليه ، بل لا بد من القيادة والارشاد ، ولا بد من وجود الرجال الذين يحملون المشاعل فيستضيء اتباعهم بنورها ، ويهتدون الى سلوك طرق الرشاد ، ومثل هؤلاء الرجال قليل عددهم على اختلاف العصور .

وقد انبتت هاته البلاد افرادا جديرين بان يخلد ذكرهم مهمـا طال الزمـان ، حاولوا ان ينهضوا بالامة الى المستوى اللائق بها ، وصادفهم النجاح في كثير مما حاولوه ، وفي طالعة هؤلاء الرجال يجب ان يعد الوزير خير الدين رحمة الله عليه فقد توفرت فيه شروط الزعامة من الصدق والاخلاص وبعد النظر والاقدام والصرامة ، وقد قام بتاسيس عدة امور مهمة بقيت اثارها الى اليوم ، منها تاسيس المدرسة الحربية ، وتاسيس المدرسة الصادقية ، وتاسيس جمعية الاوقاف ، وترتيب اعمال العـدول ، وتنظيم المحاكم الشرعية ، وتنظيم التعليم بجامع الزيتونة وغير ذلك من المشاريع العلمية والاقتصادية .

وكان من اهم ما يجب الاعتناء به بالنسبة لشعب مثل الشعب التونسي التعليم الابتـدائي وتنظيمه

باسلوب محكم ، حيث ان غالب الناس لا يقدرون على تجاوزه الى التعليم الثانوي فكان من الواجب ان يقع الاهتمام به حتى توجد في المقتصرين عليه ثقافة تكفي لمسايرة الحياة ولو شيئا ما .

وكان التعليم الابتدائي هو التعليم الواقع في (الكتاتيب) والكتاتيب وان كان لها فضل عظيم في المحافظة على القرآن واخراج الحافظين له ، لكن نظامها ضيق جدا لانه لا يقع فيها الا حفظ القرآن من غير ان يزاد على ذلك ولو شيء بسيط من المعلومات التي لا بد منها ، فكان المتخرج من تلك الكتاتيب لا قدرة له الا على القراءة والكتابة مع استظهار القرآن . وحفظ القرآن وان كان شيئا عظيما في حد ذاته لكنه لا يغني عن تعلم مبادي العلوم الاولية التي يحتاج اليها كل انسان في حياته مثل التوحيد والنحو والتاريخ ومبادي الحساب والهندسة وما يتعلق بها من المبادي الضرورية .

وقد فكر بعض الحذاق من مؤدبي الكتاتيب من نحو اربعين عاما في ادخال بعض امور زائدة على تعلم القرآن فاخذوا يعلمون تلامذتهم بعضا من المبادي الحسابية ويحفظونهم منظومات ادبية واخلاقية . ولما كانت الكتاتيب بهيئتها المعروفة غير قابلة للاسترسال في التوسع من الناحية المذكورة فقد فكر بعض الناس في احداث مدرسة تسمى المدرسة القرآنية ليكون اسمها مشعرا بموضوعها وتكون صبغتها الاصلية هي تعليم القرآن ثم يضم اليه من مبادي العلوم ما يفي بتهذيب عقول المتعلمين وفتح ابواب التعلم في وجوههم .

وقد وجدت هذه الفكرة استعدادا من غالب اهل البلاد ، واخيرا قدر للفكرة ان تنجح ، فتاسست اول مدرسة قرآنية بحاضرة تونس ، وكان تاسيسها في نفس الدار التي لا تزال بها الى اليوم — وهي الكائنة بنهج سيدي بن عروس عدد ٥٨ —

ويرجع معظم الفضل في ابراز هذا العمل الى الوجود الى حضرة السيد الهمام المفضال خير الله بن مصطفى(١) الذي اضطلع باعبائه ، وناضل عنه ، وقاوم جميع العراقيل التي اعترضته . وقد تكون مجلس استشاري للنظر في مصالح المدرسة القرآنية وقع انتخاب افراده على اساس ان تمثل فيه طبقات مختلفة ، ونذكر من بين افراده جناب الوزير الاكبر الحالي سيدي الهادي الاخوة امد الله في عمره . والسيد محمد الكعاك احد العدول بالحاضرة ، والسيد محمد العنابي احد اعيان الوكلاء بالحاضرة ، والمرحوم الشيخ

(١) كان السيد خير الله بن مصطفى في ذلك التاريخ مترجما محلفا بالمجلس المختلط العقاري ثم ترقى من بعد الى خطة مدير التشريفات ، ثم الى خطة مدير جمعية الاوقاف وقد احيل على المعاش من منذ ثمانية اعوام فانقطع عن الحياة العامة واعتكف في قصره الذي بناه بالمرسى منقطعا الى عبادة الله مقبلا على شؤونه الخاصة ، ينظر من كثب الى حوادث الدهر وتقلبات الايام ، وغالب الظن انه مشتغل بتدوين حياته التي فيها من التاريخ صفحات مطوية يجدر به ان لا يهمل تسجيلها لما فيها من الحقائق المفيدة في تاريخ هاته البلاد .

الصادق بن القاضي المدرس بجامع الزيتونة والمرحوم الشيخ عمر بن عاشور المدرس بجامع الزيتونة والمرحوم الشيخ عثمان بن الخوجة المدرس بجامع الزيتونة ، والمرحوم السيد عمر بوحاجب والمرحوم السيد عبد الجليل بن ابراهيم .

وبعد ما تهيأت الاسباب وزالت الموانع فتحت المدرسة القرءانية وكان افتتاحها في يوم السبت ١٤ شوال سنة ١٣٢٤ الموافق ليوم ١ ديسمبر سنة ١٩٠٦ وكلف بادارتها السيد محمد صفر (المعلم الآن بمدرسة ترشيح المعلمين والقيم العام بها) بعد ان كان مؤدبا بكتاب نهج الحفصية . فهو اول مدير لاول مدرسة قرءانية اسست بالمملكة التونسية ، وانضم اليه بعض المؤدبين وهم السيد محمد بن نور والسيد محمد بن حسين بن عبد السلام والسيد البشير القراني

وقد طلب مجلس المدرسة من جمعية الاوقاف ان تقوم بمصاريف المدرسة من كراء المحل والاثاث وما يتعلق بذلك فاجابهم رئيسها الهمام المرحوم السيد البشير صفر بانه ليس في ميزانية الجمعية ما يقتضي القيام بمثل ذلك — وكان يتمنى في نفسه ان يجيبهم لما طلبوه ولكن لما كانت التراتيب الادارية تفرض عليه ان يجيب بالمنع فقد اوعز اليهم ان يتشكوا منه الى الكاتب العام — فقدم مجلس المدرسة مطلبا للكاتب العام يطلب منه ان ياذن جمعية الاوقاف بالقيام بذلك فاجيب المطلب . وصدر الاذن لجمعية الاوقاف بمباشرة ذلك ، فباشرته وبقي العمل جاريا بذلك الى اليوم ، وتكلفت الجمعية زيادة على ذلك بمرتب معلم اللغة الفرنسية (وكان اذ ذاك مائة فرنك في الشهر)

وكان برنامج المدرسة في التعليم هو تخصيص غالب الوقت لحفظ القرءان وتعليم المبادي الاولية للعلوم التي لا بد منها مع دراستها باللغة العربية ، وتخصيص ساعة في النهار لكل قسم لتعلم اللغة الفرنسية وممن باشر التعليم بالمدرسة في اول عهدها المرحوم السيد البشير صفر حيث اقرا درسا في علم الجغرافيا

وكانت ميزانية المدرسة تتكون من المقدار الذي يدفعه الموسرون من التلامذة وكان مقدارا زهيدا وهو ثلاثة فرنكات في الشهر فكان المدير والمعلمون بالمدرسة يقتسمون ما يتجمع من ذلك في ءاخر كل شهر ،

وقد اقبل الناس على المدرسة اقبالا هائلا ، وسارت المدرسة سيرا مطردا في طريق النجاح ، وظهرت ثمرتها في وقت قريب ، فكان التلميذ يتمم حفظ القرءان في ستة اعوام وتكون له مع ذلك مشاركة طيبة في فنون مختلفة ولما ظهر نجاح هذا التاسيس اراد المفكرون في مختلف بلدان المملكة تاسيس مدارس قرءانية في بلدانهم فتاسست مدرسة بالمكنين ثم بسفاقص ثم بالقيروان وهكذا اخذ المشروع ينتشر ويشتد الاقبال عليه حتى كادت كل بلاد تسعى في تاسيس مدرسة على هذا الطراز ورغما عن المثبطات الكثيرة ، والعراقيل المتعددة ، فقد سار مشروع المدارس القرءانيه دائما الى الامام وتاسست مدارس بكثير من بلدان المملكة من جربة الى بنزرت فما بينهما ، ولا تزال الامة تطالب بالتكثير من تاسيس امثال هاته المدارس لما رأوه فيها من المنافع المحسوسة ، والاثار الجليلة

مهمة المدارس القرءانية

ولا يخفى ان السر في اقبال الناس على هاته المدارس هو شرف مهمتها ، الذي فيه الجمع بين حفظ القرءان العظيم الذي يجب على كل مسلم بذل غاية الجهد في اعانة ابنه على حفظه ، وتعليم التلامذة مبادي العلوم على اختلاف اغراضها ، باسلوب موصل ، جامع بين الافادة وقصر الوقت مع التربية الدينية ، والاخلاق الفاضلة

نتائج المدارس القرءانية

وقد كانت المدارس القرءانية عند حسن الظن بها وذلك بفضل مديريها المسلمين الصادقين ، ومعلميها الفضلاء العاملين ، الذين ضحى كل واحد منهم باعز ما عنده من الوقت والمال ، فبذلوا غاية الجهد في المحافظة على ما اسست له من تعليم القرءان ، وتعليم مبادي العلوم ، رغما عن طفافة الموارد، وقلة المناصر والمساعد ، حتى ان منهم من يدفع الاموال الطائلة من جيبه الخاص للقيام بشؤون مدرسته ، جازاهم الله احسن الجزاء ، وذلك لان الحكومة وان صارت تعطي اعانات للمدارس القرءانية لكنها اعانات قليلة بالنظر لعظم تكاليفها ، وتعدد اعمالها . والمؤمل من الحكومة التي تعودنا منها الاعانة على بث العلم ان تضاعف لها الاعانة حتى تصل بها الى الاقتدار على القيام بما يسد خلتها ، وما على الحكومة الا ان تقايس بين ما تستدعيه مدرسة ابتدائية ذات ثلاثة اقسام من التكاليف والمصاريف ، وما تستحقه مدرسة قرءانية ذات ثمانية اقسام من مثل ذلك ، فعند ذلك يظهر لها ان المدارس القرءانية جديرة بتوسيع العطاء ، وتضعيف الجزاء

وان من يتأمل في نتائج المدارس القرءانية يجدها قد اتت بنتائج باهرة ، لا يكابر فيها الا من يجحد ضوء الشمس في رابعة النهار . فتجد المتخرجين منها جامعين بين حفظ القرءان او نصيب وافر منه ، وبين المشاركة في علوم مختلفة وفنون متنوعة مع معرفة جيدة باللغة الفرنسية ، بحيث ان من يشارك من تلامذة المدارس القرءانية في امتحان الشهادة الابتدائية يظفر غالبا بالنجاح ، ومن ينخرط منهم في سلك المتعلمين بجامع الزيتونة او بالمدارس الثانوية يكون ظاهر النبوغ متميزا عن بقية الاقران .

وقد مضى علي في مباشرة التعليم بجامع الزيتونة ادام الله عمرانه اربعة عشر عاما وبالمدرسة الصادقية اربعة اعوام كنت الاحظ في خلالها حالة تلامذتي من حيث النبوغ والاستعداد فكنت اجد في التلامذة المتخرجين من المدارس القرءانية استعدادا عجيبا ، ونبوغا واضحا ، وتربية فاضلة ، واخلاقا عالية ، بحيث يكونون في الغالب متميزين عمن سواهم ، لا افضل في ذلك مدرسة على مدرسة ولا مديرا على مدير فجازهم الله جميعا بما يستحقه الرجال العاملون لصالح اوطانهم

ولقد اخذ مني العجب كل ماخذ عند ما طالعت منذ ايام قريبة في جريدة (النهضة) مقالة لاحد الكتاب ابدى فيها استنقاصه للمدارس القرءانية وضآلة نتائجها ، والمؤمل منه ان يعيد التامل ويمعن النظر حتى يظهر له انه مخطىء في مقالته ، فيرجع عن ضلالته ، والا فهو جدير بان ننشد عليه قول المعري

اذا وصف الطائي بالبخل مادر   وعير قسا بالفهاهة باقل

وقال السهى للشمس انت ضئيلة   وقال الدجى للصبح لونك حائل

فيا موت زر ان الحياة ذميمة   ويا نفس جدي ان دهرك هازل

وجوب احداث مدارس قرءانية للبنات

ورغما عما ظهر من فضل المدارس القرءانية وحسن نتائجها فانه لا توجد اليوم ولا مدرسة واحدة منها مختصة بالبنات مع ان البنات اجدر بان تؤسس لهن مدارس من هذا النوع ، لانهن اجدر بالتربية الدينية ، والتهذيب الاسلامي ، والمحافظة التامة على مبادي الشرف والطهر والعفاف ، التي لا يتحقق جميعها الا في المدارس القرءانية

وقد كانت وقعت تجربة من هذا النوع من منذ خمسة وعشرين عاما ، حيث اسست (بنات الفخري) مدرسة قرءانية كانت تابعة لادارة المعارف ، وكانت تشتغل بتعليم القرءان وبعض المبادي العلمية وبالصناعات اليدوية . ونجحت نجاحا باهرا ، وكانت تتمثل فيها المحافظة والاخلاق الراقية ، حتى ان متفقد التعليم في ذلك الوقت ـ وهو السيد المفضال الصادق التلاتلي العضو بالمجلس الكبير الآن ـ عند ما كان يذهب لتفقد المدرسة ، كان يسأل التلميذات من وراء حجاب . ولكن هاته المدرسة لم تدم طويلا ، حيث اضمحلت بعد امد قصير ولم يبق لها اثر

ونحن نتمنى ان لو يفكر اولياء البنات في هذا الامر تفكيرا جديا ويسعوا من الآن سعيا حثيثا في تكوين مدارس قرءانية للبنات على نمط مدارس الذكور ، لا سيما وقد تكون اليوم عدة بنات متعلمات فيهن القدرة التامة على ادارة مثل هاته المدارس بغاية الضبط والاتقان ، والمؤمل ان تجد هاته الفكرة من الحكومة غاية التشجيع

القانون الجديد الذي يراد وضعه للمدارس القرءانية

اشرنا في طالعة هذا المقال الى ما اشيع من عزم الحكومة على وضع قانون جديد للمدارس القرءانية ، وقد تايدت هاته الاشاعة بما تحدث به جناب المقيم العام للصحف الباريسية عند رجوعه من فرنسا من منذ شهر ، ونحن يلزمنا تلقاء ذلك ان نبدي ما لنا من راي حول ما يراد وضعه من الانظمة لهاته المدارس التي لها ارتباط واي ارتباط بجامع الزيتونة الذي نحن نتكلم دائما بلسانه

فاول ما نرجوه من الحكومة ان تكون لجنة لوضع هذا القانون يحضرها فضيلة شيخ الجامع الاعظم لما له من الاشراف على جميع انواع التعليم الذي له صبغة دينية بهاته البلاد كما يحضر بها بعض المدرسين بالجامع الاعظم وبعض مديري المدارس القرءانيـة ومعلميها ثم نرجو ان يراعـى في وضع القانون الصبغة التي للمدارس القرءانية ، والغرض الذي اسست من اجله ، وذلك باحترام التعليم الديني فيها والاعتناء التام بتعليم القرءان ، محافظة على الغرض الاصلي من تاسيسها ، لان التونسيين لم يقبلوا على هذه المدارس ولم يرضوا بجعلها عوضا عن الكتاتيب الا لما التزمته من الاعتناء بـالقرءان ، وفي اعتقادي ان المدارس القرءانيـة اذا ضعف فيها الاعتناء بالقرءان وقل الاهتمام به فان غلقها خير من ابقائها ، ثم نرجو ان لا يكون القانون الجديد محدثا لعراقيل امام من يريد فتح مدارس جديدة ، بان تتخذ فيه جميع الاسباب التي من شانها ان تسهل ذلك

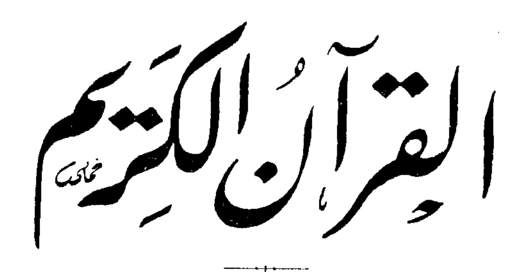
ولنا امل قوي في ان تجيبنا الحكومة الى هاته الاقتراحات ويتاكد عندنا هذا الامل بما عهدناه منها من احترام الاحساسات الدينية ، والتعهد بالمحافظة عليها ، فتستوجب بذلك شكر جميع الناس ، واقرارهم لها بالجميل

نداء لرجال المدارس القرءانية

ولم يبق لنا بعد هذا كله الا ان نتوجه لاخواننا الافاضل من مديري المدارس القرءانية ومعلميها شكر الله صنيعهم ، واعانهم على ما اولاهم ، راجين منهم ان يقضوا بغـاية الحكمة على اسباب الخلاف الذي دبت عقـاربه فيما بينهم من منـذ عامين ، فالامانة المحمولة على عواتقهم عظيمة ، والمشروع المكلفون بـه مشروع جليل هائـل ، فللقديم افضلية السبق ، وللجديد صعوبة الابتكار وللمدير مسئولية الادارة ، وللمعلم مشقة التعليم ، فلكل واحد فضيلته التي لا تنكر ، ومزيته التي لا يعقل جحودها ، وليكن ما وقع بينهم فيما مضى من نزغات الشيطان ، الذي ما جعل الله له على عبـاده من سلطان ، فاذا استعيذ بالله منه رجعت المياه الى مجاريها ، وتصافت القلـوب بعـد تجافيها ، وقـديما نزغ الشيطان بين يوسف واخوتـه الاسبـاط فوقـع بينهم ذلك الشنآن العظيم ، ثم حفت العنـاية فزال الشقاق وقال يوسف لابيه : (يا ابت هـذا تاويل رؤياي من قبـل قد جعلها ربي حقا وقـد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم)

محمد المختار بن محمود





تفسير الفاتحة

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(٥)

(الرحمان الرحيم) اجراء هذين الوصفين العليين على اسم الجلالة بعد وصفه بانه رب العالمين لمناسبة بليغة لانه بعد ان وصف بما هو مقتضي استحقاقه الحمد من كونه رب العالمين مدبر شؤونهم ومبلغهم الى كمالهم في الوجودين الجثماني والروحاني ناسب ان يتبع ذلك بوصفه بالرحمان اي الذي الرحمة وصف ذاتي له تصدر عنه ءاثاره بعموم واطراد على ما تقدم في الكلام على البسملة فلما كان ربا للعلمين وكان المربوبون ضعفاء كان احتياجهم للرحمة واضحا فاذا قات ان الربوبية تقتضي الرحمة لانها ابلاغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وذلك يجمع النعم كلها فلماذا احتيج الى ذكر كونه رحمانا قلت لان الرحمة تتضمن ان ذلك الابلاغ الى الكمال لم يكن على وجه الاعنات بل كان برعاية ما يناسب كل نوع وفرد ويلائم طرقه واستعداده فالربوبية نعمة والنعمة قد تحصل بضرب من الشدة والاذى فاتبع ذلك بوصفه بالرحمان تنبيها على ان تلك النعم الجليلة وصلت الينا بطريق الرفق واليسر ونفي الحرج ولان من طرق ابلاغ المربوب الى كماله ما قد يظنه المربوب غير رحمة لما يبدو في بادي رأيه من عدم ملاءمة ومن اشمئزاز وهو ضروب التكاليف والزواجر فنبه بالوصف بالرحمان على ان تلك رحمات عند التأمل الصادق فان التكاليف غايتها حصول الملائم عاجلا وءاجلا والزواجر والحدود ونحوها غايتها اقلاع المرتكب عن العود الى مثل تلك المفاسد المضرة واتعاظ غيره به عن الوقوع في امثالها كما قال تعلى ولكم في القصاص حياة فمعظم تدبيره تعلى بنا هو رحمات ظاهرة كالتمكين من الارض وتيسير منافعها ومنه ما رحمته باعتبار مئاله مثل التكاليف الراجعة الى منافعنا كالطهارة وبث مكارم الاخلاق ومنها ما منفعته للجمهور فتتبعها رحمات الجميع لان في رحمة الجمهور رحمة بالبقية في انتظام الاحوال كالزكاة والزواج

واما اتباع الرحمان بالرحيم فقد مضى القول فيه مستوفى عند الكلام على البسملة ونزيد هنا ما

هو بهذا المقام اعلق وهو ان التحميد اولى بالنص على مظهر الصفتين لقصد ان يستوعب الحمد عليهما فكان اجدر بذكرهما من مقام التسمية لان التسمية لمجرد التيمن .

(مالك يوم الدين) وصف رابع لاسم الجلالة. ومعناه صاحب الحكم في يوم الجزاء وهو يوم القيامة وما يتبعه من داري ثواب وعقاب وعندي ان اتباع الاوصاف الثلاثة المتقدمة به ليس لمجرد سرد شيء من صفاته تعلى بل هو مما اثارته الاوصاف المتقدمة فانه لما وصف الله تعلى بانه رب العلمين الرحمان الرحيم فكان ذلك مفيدا لما قدمناه من التنبيه على كمال رفقه تعلى بالمربوبين في سائر اكوانهم ثم التنبيه بان جميع تصرفه تعلى في جميع تلك الاكوان والاطوار هو تصرف رحمة عند المعتبر وكان من جملة تلك تصرفات تصرفات الامر والنهي المعبر عنها بالتشريع الراجعة الى حفظ مصالح الناس عامة اوخاصة وكان معظم تلك التشريعات مشتملا على اخراج المكلف عن داعية هواه الذي يلائمه اتباعه وفي نزعه عنه ارغام له ومشقة خيف ان تكون تلك الاوصاف المتقدمة في طالعة كتاب الشريعة مخففا عن المكلفين عبء العصيان لما امروا به ومشيرا لاطماعهم في العفو عن استخفافهم بذلك وان يمتلكهم الطمع فيعتمدوا على ما علموا من الربوبية والرحمة المؤكدة فلا يخشوا غائل الاعراض عن التكاليف لذلك كان من مقتضى المقام وهو مقام افتتاح كتاب الشريعة وقصد اشتمال سورة الفاتحة على المقاصد المشتمل عليها الكتاب المجيد تعقيب ما تقدم بذكر انه صاحب الحكم في يوم الجزاء يوم تجزى كل نفس بما كسبت وذلك اكمال للرحمة لان الجزاء على الفعل سبب في الامتثال والاجتناب فالشريعة جاءت رحمة لنا لحفظ مصالح العالم واحيط ذلك بالوعد والوعيد وجعل مصداق ذلك الجزاء يوم القيامة ولان كثيرا من الضالّين اذا جاءتهم العظات وصموا عنها يغرهم حسن حالهم في الدنيا فيخالون ان الله راض عنهم كما حكى الله عن بعضهم قوله (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) وانما يمهلهم الله في الدنيا استدراجا لهم كما قال تعلى : سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم بعكس ذلك قد يكون حال بعض المؤمنين المطيعين فاعلم الله تعلى في طالعة كتابه بان عقابه وثوابه انما يظهران يوم الدين ولذلك اختير هنا وصف الملك المؤذن باقامة العدل وعدم الهوادة فيه ولو قيل رب يوم الدين لكان فيه مطمع المفسدين ان يجدوا من شأن الرب رحمة وصفحا. فان قلت فاذا كان اجراء الاوصاف السابقة مؤذنا بأن جميع تصرفات الله تعلى فينا رحمة فقد كفى ذلك في البحث على الامتثال والانتهاء اذ المرء لا يخالف ما هو رحمة به فلا جرم ان ينساق الى الشريعة باختياره قلت المخاطبون مراتب منهم من لا يهتدي لفهم ذلك الا بعد تعقيب تلك الاوصاف بهذا الوصف ومنهم من يهتدي لفهم ذلك ولكنه ربما ظن انه في فعل الملائم لا رحمة به ايضا فربما اثر الرحمة الملائمة على الرحمة المنافرة وان كانت مفيدة

له وربما تأول الرحمة بأنها رحمة للعموم وانه انما يناله منها حظ ضعيف فئاثر رحمة ترضي حظه الخاص به على رحمة ترضي حظه التابع للعموم وربما تأول ان الرحمة في تكاليف الله تعلى امر اغلبي لا مطرد وان وصفه تعلى بالرحمان بالنسبة لغير التشريع من تكوين ورزق واحياء وربما ظن ان الرحمة في المئال فئاثر عاجل ما يلائمه وربما علم جميع ما تشتمل عليه التكاليف من المصالح باطراد ولكنه ملكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكل هؤلاء مظنة للاعراض عن التكاليف الشرعية ولامثالهم جاء تعقيب الصفات الماضية بهذه الصفة تذكيرا لهم بما سيحصل من الجزاء يوم الحساب لئلا يفسد المقصود من التشريع حين تتلقفه افهام كل متأول مضيع

وقوله تعلى ملك قرىء بلاالف وقرىء مالك بالالف وكلتا القراءتين من السبعة المشهورة فالاول صفة مشبهة والثاني اسم فاعل وكلاهما مشتق من ملك فأصل مادة ملك في اللغة ترجع تصاريفها الى معنى الشد والضبط كما قاله ابن عطية ويقولون ملك بمعنى حكم وبمعنى استطاع وبمعنى احتوى وبمعنى غلب فالملك بفتح الميم وكسر اللام هو اكبر حاكم في قوم او بلد بحيث يتصرف في عموم احوالهم . والمالك هو من اتصف بملك شيء فقراءة ملك بدون الف تفيد معنى تشبيه عموم حكم الله وقدرته في يوم القيامة بتصرف الملك المعروف للمخاطبين والله تعلى هو الملك على الحقيقة ولذلك ورد في الحديث انه تعلى يقول يوم القيامة « انا الملك اين ملوك الارض » واضافة الملك على هذه القراءة الى يوم الدين اضافة على معنى في كما تقول ملك العصر واما قراءة مالك يوم الدين فهي خبر على وجه الحقيقة دون تشبيه واضافته الى يوم الدين اما على معنى اللام بتقدير انه مالك شئون يوم الدين اذ الزمان لا يملك حقيقة فيكون المضاف اليه هو المفعول لمالك تقديرا واما على معنى في ويكون مفعول اسم الفاعل محذوفا لقصد العموم اي مالك الاشياء كلها او الامور كلها لان المضاف اليه على معنى في لا يصلح للمفعولية بل هو بمنزلة المفعول فيه . وقراءة ملك بدون الف ارجح لما تدل عليه من تمثيل الهيئة في نفوس السامعين على نحو ما في قوله تعلى الرحمن على العرش استوى من تمثل جلاله تعلى بعظمة الملك الجالس على العرش تقريبا لافهام الناس بمعتادهم ولان اضافته الى اليوم اظهر لان الصفة المشبهة لا تحتاج الى المفعول به بخلاف اسم الفاعل فان شان اضافته ان تكون الى مفعوله وقد علمت ان اليوم لا يصلح لان يكون مفعولا به الا بتكلف ، ويوم الدين يوم القيامة ومبدا الدار الآخرة فالدين فيه بمعنى الجزاء قال الفند الزماني (١)

---

(١) الفند بكسر الفاء الجبل وقد لقب به الشاعر واسمه شهل بشين معجمة وليس في اسماء العرب شهل بالشين المعجمة غيره وهو من شعراء حرب البسوس وانما لقب الفند لانه لما جاء لينصر بني بكر بن وائل في حرب البسوس قالوا ما يغني هذا الهم (اي الشيخ الهرم) فقال لهم اما ترضون

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

اي جازيناهم على صنعهم كما صنعوا مشاكلة اوكما جازونا من قبل اذا كان اعتداؤهم ناشئا عن ثار ايضا وهذا هو المعنى المتعين هنا وان كان للدين اطلاقات كثيرة في كلام العرب كلها تحوم حول معنى المعاماة والمجازاة ظاهرا او اعتقادا

(اياك نعبد واياك نستعين) لما حمدوا الله واجروا صفاتهالجليلة شرعوا في المناجاة شكرا لله تعلى وتمجيدا له وعندي ان هذا استيناف انتقلوا به من غرض الى غرض والمنتقل اليه هو المقصود الاصلى فان مفاتحة العظماء بالتمجيد قبل الخطاب سنة عربية، روى ايمة الادب عن حسان بن ثابت قال كنت عند النعمان بن المنذر فنادمته واكلت معه فبينما انا على ذلك معه في قبة اذا رجل يرتجز حولها يقول

اصم ام يسمع رب القبه يا اوهب الناس لعيسى صلبه
ضرابة بالمشغر الاذبه ذات هباب في يديها خلبه
في لا حب كانه الاطبه (١)

فقال النعمان اليس بابي امامة (يعني النابغة) قالوا بلى قال فاذنوا له فدخل فأنشد قصيدته البائية وقد قال بعض ايمة اللغة ان قول الخطباء اما بعد تقديره اما بعد دعاءي لك فدلنا ذلك على ان الخطباء لما كانوا اكثر ما يخطبون بين يدي الملوك وعظماء القوم كانوا يصدرون الخطبة بالدعاء

فقوله اياك نعبد الخ هو عندي ابتداء كلام لانه الغرض فليس استينافا بيانيا ولكنه استيناف نحوي وقال السيد الجرجاني في شرح الكشاف هو استيناف بياني جواب اسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات كان سائلا يقول ما شانكم مع هذا الموصوف وكيف توجهكم اليه وقد بنى كلامه على ان المقصود من الكلام هو الحمد لله ووصف الله تعلى بجلائل الصفات وان قوله اياك نعبد تكملة لذلك المقصود وذهب صاحب الكشاف الى ان قوله اياك نعبد الخ هو بيان لصورة حمدهم وهو بناء على ان الحمد وما بعده هو المقصود وان هذا بيان له فتكون الجملة عطف بيان او بدل اشتمال وهو وجه

ان اكون لكم فندا تأوون اليه اي معقلا ومرجعا في الراي والحرب والزماني بكسر الزاي وتشديد الميم نسبة لبني زمان ابناء عم بني حنيفة بن بكر بن وائل

(١) تقول العرب اصم فلان ام يسمع ويريدون ايسمعني ام هو في شغل عني . والصلبة بضم الصاد القوية. والمشغر بالغين المعجمة الرمح شبه به اذنابها. وروي بالمشفر بالفاء كانه يعني انها تكثر الاكل . والاذبة صفة للمشغر او المشفر لانه اراد بالمشفر الجنس فصح نعته بالجمع وهو جمع ذبابة السيف اي نهايته وقوله ذات هباب بباءين موحدتين أي سرعة السير . والخلبة بالخاء المعجمة حلقة من ليف تجعل في رجل البعير ليقيد بها في معطنه خشية هروبه وذلك لقوته. وقوله في لاحب متعلق بهباب واللاحب الطريق والاطبة جمع طباب وهو الشراك يجمع به بين اديمين في الخدد

ضعيف اذ ليست العبادة والاستعانة وطلب الهداية براجعة لمعنى الحمد لغة ولا عرفا وقد تكلف سعد الدين التفتزاني لتقريره بما لا نطيل بجلبه لقلة جدواه

واعلم ان العدول عن طريقة الغيبة التي ابتدىء بها الكلام من قوله الحمد لله الى هنا والتنقل الى طريقة الخطاب في قوله اياك نعبد من افانين كلام العرب وهو الملقب بالالتفات عند علماء البلاغة وفائدة الالتفات في كلام العرب هي اظهار مقدرة المتكلم والتوسعة عليه في الكلام فان التعبير بطريق من التكلم او الغيبة او الخطاب في مقام يظهر انه اولى بغير ذلك الطريق هو اسلوب بديع يدل على صحة الذهن اذ ينتقل من الاسلوب الظاهر لغيره مع انتساق المعنى ولهذا سماه ابن جني شجاعة العربية ولان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب تجديد لنشاط السامع وسماه السكاكي تري الارواح والعبادة غاية التذلل والخضوع وفعلها عبد يعبد كنصر ويقال عبد ذلل ومنه طريق معبد اي مطروق للسابلة حتى تذللت ارضه

ثم خصصها العرف اللغوي بالخضوع والتذلل بالفعل او القول لذات معتقد الوهيتها ومؤمن بها فهي اخص من مطلق الخضوع والتذلل والفرق بينها وبين مطلق التذلل عند كل قوم بحسب اصطلاحهم فرب فعل يعد عبادة عند قوم وهو لا يعد عند ءاخرين الا ترى ان السجود عند العرب عبادة فكانوا يسجدون للاصنام ولم يكونوا يسجدون للملوك وهو عند غيرهم ليس عبادة فقدسجد يعقوب وابناؤه وامراته ليوسف كما حكى الله تعلى عنهم بقوله (ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا) والا ترى ان كلمة سبحان قد خصصها عرف العرب بان ينزه بها الالهة ولذلك قال بعض شعرائهم في الاسلام

يا عز كفرانك لا سبحانك　　　　اني رايت الله قد اهانك

والعبادة في الشرع اخص فتعرف بانها فعل او قول ما يرضي الرب من خضوع وامتثال واجتناب وقال الفخر في تفسير سورة الذاريات هي تعظيم امر الله والشفقة على الخلق وهذا المعنى هو الذي اتفقت عليه الشرائع وان اختلفوا في الموضع والهيئة والقلة والكثرة فهي بهذا التفسير تشمل الامتثال لاحكام الشريعة كلها الا ان الفقهاء اصطلحوا على تخصيص اسم العبادة بنوع من الافعال التكليفية وهو ما لا حق فيه للناس ابتداء وقابلوه بالمعاملات

وقد فسر الصوفية العبادة بانها فعل ما يرضي الرب والعبودية بالرضا بما يفعل الرب فهي اقوى من العبادة وقال بعضهم العبودية الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود وهذه اصطلاحات لا مشاحة فيها واما الحقيقة اللغوية فقد عرفتها ومراتب العبادة قال الامام الرازي ثلاثة الاولى ان يعبد الله طمعا في الثواب وخوفا من العقاب وهي درجة نازلة لانه فعل الحق وسيلة لنيل المطلوب . الثانية ان يعبد الله لاجل ان يتشرف بعبادته والانتساب

اليه بقبول تكاليفه وهي اعلى من الاولى إلا انها ليست كاملة لان المقصود بالذات غير الله . الثالثة ان يعبد الله لكونه آلها خالقا مستحقا للعبادة وكونه هو عبدا لـه وهذا اعلى المقامات وهو المسمى بالعبودية اهـ قلت ولم يسم الامام المرتبة الثانية باسم والظاهر انهـا ملحقة في الاسم بالمرتبة الثالثة اعني العبودية لان الشيخ ابن سينا قال في الاشارات « العارف يريد الحق لا لشيء غيره ولا يؤثر شيئا على عرفانه وتعبده له فقط ولانه مستحق للعبادة ولانها نسبة شريفة اليه لا لرغبة او رهبة اهـ فجعلهما حالة واحدة، هذا وما زعمه الامام رحمه الله من سقوط الدرجة الاولى ونزول مرتبتها قد غلب عليه فيـه اصطلاح غلاة الصوفية والا فإن العبادة للطمع والخوف هي الـتي دعا اليها الاسلام في سائر ارشاده وهي التي عليها جمهور المؤمنين وهي غاية التكليف وقد قال تعلى انما يخشى الله من عباده العلماء فإن بلغ المكلف الى المرتبتين الاخريين فذلك فضل عظيم وقليل بالغوها على انه لا يخلو من ملاحظة الخوف والطمع في احوال كثيرة ، نعم ان افاضل الامة متفاوتون في الاحتياج الى التخويف والاطماع بمقدار تفاوتهم في العلم باسرار التكليف ومصالحه وتفاوتهم في التمكن من مغالبة نفوسهم ومع ذلك لا محيص لهم عن الرجوع الى الخوف في احوال كثيرة والطمع في احوال اكثر واعظم دليل على ما قلنا انـ الله تعلى مدح في كتابه المتقين في مواضع جمة ودعا للتقوى وهذا وهل التقوى الا كاسمها بمعنى الخوف والاتقاء من غضب الله . والمرتبة الثالثة هي التي اشار لها قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له كيف تجهد نفسك في العبادة وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا لان من الظاهر ان الشكر هنا على نعمة قد حصلت فليس فيه حظ للنفس بالطمع في المزيد لان الغفرانـ العام قد حصل له فصار الشكر لاجل المشكور لا غير وتمحض انه لا لخوف ولا لطمع

واعلم ان من اهم المباحث البحث عن سر العبادة وتاثيرها وسر مشروعيتها وذلك انّ الله تعلى خلق هذا العالم ليكون مظهرا لكمال صفاته تعلى وهي : الوجود والعلم والقدرة وجعل قبول الانسان للكمالات التي بمقياسها يعلم نسبة مبلغ علمه وقدرته من علم الله تعلى وقدرته واودع فيـه الروح والعقل الـذين بهما يزداد التدرج في الكمال ليكون غير قانع بما بلغه من المراتب في اوج العمران والمعرفة وأرشده وهداه الى ما يستعين به على مرامه ليحصل له بالارتقاء العاجل رقي ءاجل لا يضمحل وجعل استعداده لقبول الخيرات كلها عاجلها وءاجلها متوقفا على التلقين من الرسل الموحى اليهم بأصول الفضائل ، ولما توقف ذلك على مراقبة النفس في نفراتها وشرداتها وكانت تلك المراقبة تحتاج الى تذكر المجازي بالخير وضده شرعت العبادة لتذكر ذلك المجازي لانـ عدم حضور ذاته واحتجابه بسبحات الجلال يسرب نسيانه الى النفوس كما انه جعل نظامه في هذا العالم متصل الارتباط بين افراده فأمرهم بلزوم ءاداب المعاشرة والمعاملة لئـلا تفسد الارض ولمراقبة الدوام على ذلـك ايضا شرعت العبادة لتذكر به على ان في ذلك التذكر دوام الفكر في الخالق وشئونه وفي ذلك تخلق بالكمالات

تدريجا فظهر ان العبادة هي طريق الكمال الذاتي والاجتماعي مبدءا ونهاية وبه يتضح معنى الحصر في قوله تعلى : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون، الآئل الى معنى ما خلقت الجن والانس الا لينتظم امرهم وذلك لوقوفهم عند ما نحدد لهم من الاوامر والنواهي وهو العبادة فالعبادة على الجملة لا تخرج عن كونها محققة للمقصد من الخلق وعلة لحصوله عادة ولماكان سر الخلق والغاية منه خفية الادراك عرفنا الله تعلى اياها بمظهرها وما يحققها جمعا لعظيم المعاني في جملة واحدة وهي جملة الا ليعبدون . وقريب من هذا التقرير الذي نحوناه وأقل منه قول الشيخ في الاشارات «لما لم يكن الانسان بحيث يستقل وحده بأمر نفسه الا بمشاركة اخر من بني جنسه وبمعاوضة ومعارضة تجريان بينهما يفرغ كل واحد منهما لصاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير وكان مما يتعسر ان أمكن وجب ان يكون بين الناس معاملة وعدل يحفظها شرع يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة ووجب ان يكون للمحسن والمسيء جزاء من عند القدير الخبير فوجب معرفة المجازي والشارع وان يكون مع المعرفة سبب حافظ للمعرفة ففرضت عليهم العبادة المذكرة للمعبود وكررت عليهم ليستحفظ التذكر بالتكرير آه» وقول الشيخ وجب يحتمل اي يريد به الوجوب العقلي على طريقة المعتزلة وهو الظاهر من حال الشيخ وسياق الكلام ويحتمل ان يريد الوجوب الشرعي الذي اخبرت به ادلة الوعد والوعيد . والحصر في قوله تعلى اياك نعبد حصر حقيقي لان المؤمنين الملقنين لهذا الحمد لا يعبدون الا الله تعلى ،

اصلاح اخطاء مطبعية في الجزء الثالث

من المجلد الثاني من المجلة الزيتونية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩٨	٧	فيها	فيه
»	١٢	التكرارا وهو	التكرار اه اقول هو
١٠١	١٣	اللعيث	البعيث
١١٢	٩	راهوية	راهويه
»	١٢	صباحا	صياما



روي عن أبي أمامة ان سهل انه سمع ابا سعيد الخدري رضي الله تعلى عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها مايبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر ابن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا بما أولت ذلك يارسول الله قال الدين

٢

لا خلاف بين المحققين من العلماء في صحة رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام وانها ليست باضغاث احلام ولا من تشبيهات الشيطان لما اخرجه البخاري عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رءاني في المنام فقد رءاني فان الشيطان لا يتمثل بي ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والصحيح ان المرئي في المنام هو مثاله الشريف لا ذاته الكريمة بدليل انه صلى الله عليه وسلم قد يرى في مكانين لرائيين في وقت واحد وانما تثبت رؤياه صلى الله عليه وسلم لاحد رجلين صحابي رءاه في اليقظة فعلم صفته فانطبع في نفسه مثاله الشريف فاذا رءاه جزم بانه رأى مثاله المعصوم من الشيطان وثانيهما رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب حتى انطبعت في نفسه صفته ومثاله المعصوم فاذا رءاه جزم برؤية مثاله صلى الله عليه وسلم وما يظهر للرائي من بعض التغييرات في مثاله الكريم فانها من صفات الرائين واحوالهم تظهر في مثاله صلى الله عليه وسلم لانه كالمرءاة لهم ولا يحدث التغيير شكا للرائي في المثال الشريف اذ كان متحققا لصفته صلى الله عليه وسلم كمن علم اباه شيخا فرءاه في المنام شابا وكما تظهر في مثاله صلى الله عليه وسلم بعض صفات الرائين تظهر فيه تغييرات لاحكامه الشرعية كما نقل عن الشيخ محي الدين بن العربي انه رأى في نومه انه دخل جامع اشبيلية فرأى مثاله صلى الله عليه وسلم في صورة ميت مسجى بثوب في زاوية من زوايا المسجد فاستفزع مما رأى ولما كان بعد سنتين دخل ذلك المسجد مع بعض الفضلاء من اهل اشبيلية فاراد الشيخ ان يتنفل بركعتين فاشار عليه رفيقه بان يتنفل في تلك الزاوية فامتنع الشيخ من التنفل فيها فساله عن سبب امتناعه فقص عليه ما رأى وانه امتنع من ذلك مهابة له صلى الله عليه وسلم فاستعجب الرجل من ذلك وقال له ان رؤياك حق وساخبرك بتاويلها وهو ان تلك الزاوية كانت بيتا لي ولما اراد امير البلاد تفسيح المسجد سامني فيها بغير ما يرضيني واخذها مني غصبا بصورة المبايعة فالذي رايته في المنام لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو شرعه مات بالنسبة لذلك

الموضع والثوب المسجى به عورة المبايعة اما الآن فاني اشهدك باني طيبتها الله فتقدم اليها الشيخ وصلى بها

فان قيل ان تعبير الرؤيا بل والمرائي نفسها ضرب من علم الغيب وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم يسرون المرائي فتاتي كفلق الصبح ويعبرونها فتصدق وخصوصا ابا بكر رضي الله عنه فقد كان يعبر الرؤيا بمحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك في كثير من الاحاديث ومنها ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رايت كاني واياك في مرقات فسبقتك بمرقاتين فقال له ابو بكر تنتقل للرفيق الاعلى قبلي بسنتين ونيف وكان الامر كما قال فكيف يقع تفسيرها من غير الرسل وقد قال تعلى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) اذ المعنى لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي يكون رسولا وقد استدل صاحب الكشاف بالآية الكريمة على ابطال كرامات الاولياء قائلا ان الاولياء وان كانوا مرتاضيين فليسوا بمرسلين قلت اجيب عن هذا الاشكال باجوبة اظهرها فيما ارى اما بالنسبة للمرائي فان الرؤيا تكون بواسطة الملك الموكل بالرؤيا ولا تقييد في الآية للرسول بالمبعوث للخلق بل هو شامل لمن يرسله الله من العباد او الملائكة واما بالنسبة للتعبير وكرامات الصالحين وكذلك المرتاضين من غيرهم فيحتمل ان يكون بطريق الالهام من الله عز وجل على ان ما يخبر به المعبر او الولي والمرتاض لا يخرج عن كونه بطريق الظن الذي يغلب صدقه وليس ذلك من الاظهار المراد في الآية الكريمة اذ هو الانكشاف والانجلاء بوضوح وذلك خاص بالرسل عليهم السلام سواء كان ما يخبرون به في حالة اليقظة او في حالة المنام قال تعلى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) كما حدث به صلى الله عليه وسلم بقوله بينا انا نائم اي بين اوقات انا نائم فيها رايت الناس اي المؤمنين بدليل ان الحديث في تفاضل اهل الايمان وقوله يعرضون علي من العرض وهو الانجلاء للشيء وقوله وعليهم قمص جمع قميص وهو الثوب الذي يلبسه الانسان ساترا لبدنه من رقبته الى ما تحت ركبتيه وقوله منها ما يبلغ الثدي جمع ثدي واصله ثدوي على وزن مفعول قلبت الواو ياء ثم ادغمت وابدلت الضمة كسرة للمناسبة ومنها ما دون ذلك من جهة اسفل اي من القمص ما هو قصير جدا فيبلغ الثدي ومنها ما هو اطول من ذلك كما في رواية الترمذي منهم من كان قميصه الى سرته ومنهم من كان قميصه الى ركبتيه ومنهم من كان قميصه الى انصاف ساقيه، وفي التعبير عن الثديين بالثدي الذي هو صيغة جمع دليل لمن قال اقل الجمع اثنان لا ثلاثة وهي مسالة خلافية بين الاصوليين فرع عليها الفقهاء ان من اقر بدارهم عليه لفلان ولم يبين هل يلزمه درهمان او ثلاثة قال الشهاب الخفاجي في طراز المجالس استشكل القرافي هذا الخلاف فقال لاح لي اشكال عرضته على الفضلاء عشرين سنة فلم يظهر لي ولهم جوابه وهو ان اهل الوصول اختلفوا في اقل الجمع هل هو ثلاثة او اثنان فان ارادوا به مدلول ج م ع لم يلزم اتيانه في الجموع الاصطلاحية وهم مثلوا لها وان ارادوا ما يطلق عليه الجمع من جمعي القلة والكثرة والتكسير والسلامة لم يصح ذلك أيضا لاتفاق النحاة على ان جمع القلة موضوع للعشرة فما دونها الى

الثلاثة او الاثنين على الخلاف وجمع الكثرة لما فوق العشرة فاقله احد عشر . وفي المفصل وغيره ان كلا منهما يستعار للاخر فلا يستقيم ما ذكر في جمع الكثرة وتمثيلهم بدراهم ونحوه يدل على انهم لم يريدوا جمع القلة فقط. قال الشهاب واجاب عنه الاصبهاني بان كلامهم على اطلاقه وجمع الكثرة يصدق على مادون العشرة حقيقة واما جمع القلة فلا يصدق على ما فوق العشرة. ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الجمعين متحدان في المبدا مختلفان في النهاية والاشكال وارد على قول من يفرق بينهما مبدأ ونهاية فالجواب لا يدفع الاشكال واجيب ايضا بان كلام الاصولين في الجمع المعرف واما المنكر فيفرق بين جمعيه في المبدا والانتهاء ورد هذا بان تمثيل الاصوليين للجمع بدراهم الذي هو جمع كثرة منكرا ياباه

ثم اجاب الشهاب بما حاصله انه على فرض تسليم ما اشتهر عن النحاة هي قضية مهملة اغلبية يحمل عليها عند الاشتباه ويصدق من فسر بها والمراد من بيان الخلاف نفي صدقه على ما دونها لا على ما فوقها ثم قال فلم يبق للاشكال مجال وانتقده بعض الشيوخ رحمهم الله بان قوله قضية مهملة اغلبية خلاف الظاهر من كلامهم اذ ظاهره حكاية الخلاف في مدلول كل جمع ويدل عليه ذكر الاصوليين لهاته المسألة عقب الكلام على الجمع المنكر الشامل لكل جمع ثم قوله مهملة وقوله اغلبية لا يتأتى على ما تقرر عند المناطقة من ان مهملات العلوم كليات ومطلقاته ضروريات . وبما تقرر يظهر الك قوة الاشكال فتأمل وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ورأيت عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قيل بما اولت ذلك يارسول الله فقال الدين تمثيل الدين بالقميص من تشبيه المعقول بالمحسوس لان القميص يستر عورة الانسان في الدنيا ويقي جسده من الحر والقر والدين يستر عورة الجهل ويقي المؤمن من ويض جهنم وقر سقر وهو ماخوذ من القرآن العظيم في قوله تعالى وثيابك فطهر وفي قوله تعلى ولباس التقوى ذلك خير وفي وصف القمص بالطول والقصر اشارة الى ان التفاضل بين المؤمنين كما يقع بالاعمال يقع بنفس الايمان كما يدل عليه حديث اخرجوا من كان في قلبه حبة خردل من ايمان فقصر القميص في المنام يدل على ضعف دين لابسه وطوله يدل على قوته ومتانته وجره له يدل على بقاء آثار ايمانه وصالح اعماله . فمن آثار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحه للشام والعراق فقد روي ان عمر ابن الخطاب لما فتح الله عليه العراق والشام عنوة واجلى عنها كسرى وجنوده الفرس الذي كانوا افتكوها من يد بني اسرائيل وشتتوهم في بقاع الارض وكانت لهم جزيرة العرب مأوى ومامنا حتى تكونت منهم شعب وقبائل كبني قريضة وبنى النضير . وقسم الغنائم بين المجاهدين طلبوا منه ان يقسم بينهم الارض والاعلاج قال لهم فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الارض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء . ما هذا براي فقال له عبد الرحمن بن عوف معارضا له ما الارض والاعلاج الا ما افاء الله عليهم فقال عمر ماهو الا كما تقول ولست ارى ذلك والله لايفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى ان يكون كلا على المسلمين فاذا قسمت ارض الشام بعلوجها وارض العراق بعلوجها فما يسد به الثغور

وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من اهل الشام والعراق . فاكثروا على عمر وقالوا تقف ما افاء الله علينا باسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولابناء قوم وابناء ابنائهم لم يحضروا وكان عمر لا يزيد على ان يقول هذا رايي قالوا فاستشر به فاستشار المهاجرين الاولين فاختلفوا فكان راي عبد الرحمن بن عوف ان تقسم لهم حقوقهم وراي عثمان وعلي وطلحة وابن عمر راي عمر فارسل الى عشرة من الانصار خمسة من الاوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم واشرافهم فلما اجتمعوا قال اني لم ازعجكم الا لان تشتركوا في امانتي فيما حملت من اموركم فاني واحد كاحدكم ولست اريد ان تتبعوا الذي هو هواي . معكم من الله كتاب ينطق بالحق فوالله لئن كنت اريده ما اريد به الا الحق . قالوا قل نسمع يا امير المؤمنين قال قد سمعتم كلام هؤلاء اليوم الذين زعموا اني اظلمهم حقوقهم واني اعوذ بالله ان اركب ظلما لان كنت ظلمتهم شيئا هو لهم واعطيته غيرهم لقد شقيت ولكن رايت انه لم يبق شيء يفتح بعد ارض كسرى وقد غنمنا الله اموالهم واراضيهم وعلوجهم فقسمت ما غنموا من الاموال بين اهله واخرجت الخمس فوجهته على وجهه وان لي توجيهه وقد رايت ان احبس الارض بعلوجها واضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يردونها فتكون فيئا للمسلمين ارايتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها ارايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها من ان تشحن بالجيوش وادرار العطاء عليهم فمن اين يعطى هؤلاء اذا قسمت الاراضي والعلاج فقالوا جميعا الراي رايك فنعم ما قلت وما رايت ان لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقوتون به رجع اهل الكفر الى مدنهم فقال قد بان لي الامر وقرر ابقاء الارض بيد اهلها وضرب الخراج عليهم وكان رايه رضي الله عنه سديدا وسكت المخالفون اتباعا للراي الغالب ونرجو من الله تعلى ان تبقى كذلك بيد اهلها الى يوم القيامة فقد اخرج البخاري عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طائفة من امتي ظاهرة الحق الى يوم القيامة قيل واين هم يا رسول الله قال بالشام وكفاك بهاته المنقبة ذكرا لمناقب عمر رضي الله عنه لما تضمنته من العدل والانصاف والراي السديد الذي اسفر عن سداد راي ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما عهد له بالخلافة عند ما حضرته الوفاة وامتنع عمر من قبولها فعارضه سيدنا ابو بكر بقوله انتخبناك لها ولم ننتخبها اليك فرضي الله عنهم اجمعين والحقنا بهم مؤمنين بجاه خاتم النبيئين صلى الله عليه وعلى ءاله وصحبه اجمعين

محمد الصادق المحرزي

اصلاح ءاية

وقع في الجزء الثالث صفحة ١٤٦ سطر ٥ سهو في كتابة ءاية وهي قوله تعلى (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) حيث وضعت (ان) موضع (اذا) غلطا فالواجب اصلاحها

الفتاوى والاحكام

وردت على ادارة المجلة الاسئلة الآتية

(س ١) قد اباحت لنا الشريعة المطهرة التزوج بالمرأة الكتابية لكن هناك من الكتابيات من اصبحن شعوبيات لا دين لهن . فهل يصح التزوج بهن ام لا .

❁ ❁ ❁

(س ٢) رجل تزوج بامرأة زواجا شرعيا ورزق منها بعدة بنين وبنات ولكنه كان يحس بنفور من زوجته وكلما هم بطلاقها خاف الاثم لانها لم تقترف ذنبا ولكن بعد بحث عن سبب هذا النفور حدثته بعض قواعد العائلة بانها اخته من الرضاع . وهنا وقعت الطامة الكبرى فما الحكم في هاته المسألة.

❁ ❁ ❁

(س ٣) ارض وقف معين على اناس معينين يستحقون فيه عقبا خلف عقب استولت عليها الدولة واسست فيها قرية ثم اقيم بها جامع تقام فيه الجمعة . جوابكم عن الصلاة فيه هل هي صحيحة او باطلة . واذا قلتم باطلة فهل يشمل ذلك صلاة من يعلم ومن لا يعلم . وهل من صلى فيه يجب عليه القضاء او صحت بخروج وقتها .

❁ ❁ ❁

(س ٤) ما قولكم في مشروعية قراءة القرآن جهرا يوم الجمعة قبل خروج الامام للصلاة . وهو امر شائع في سائر البلدان ومع ذلك نجد في بعض الاحاديث النهي عن الجهر بالقراءة في وقت الصلاة . من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : يا علي لا تجهر بقراءتك ولا بدعائك حيث يصلي الناس فان ذلك يفسد عليهم صلاتهم . وقوله صلى الله عليه وسلم : لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن .

❁ ❁ ❁

الجواب عن السؤال الاول ان المراة الكتابية هي المتدينة بدين له كتاب قد دل القرءان على ان ذلك الكتاب على الجملة منزل من الله تعلى على رسول من رسله مثل التوراة والانجيل والزبور فالكتابية هي اليهودية اوالنصرانية والحق بهم الصابئة فكل امراة تتدين باحد هذه الاديان يحل للمسلم

تزوجها . وطريق معرفة كونها متدينة بذلك الدين هي قولها وانتماؤها الى اهل ذلك الدين ولا يضر اعتقاد بعض فرق النصارى التثليث والاهية عيسى عليه السلام ولا اعتقاد بعض فرق اليهود ان عزيرا ابن لله تعلى لان الله تعلى حيث اباح للمسلمين تزوج نسائهم قد علم ذلك منهم . اما المرأة التي لا تدين بدين اي التي تكون دهرية او نحوها فلا يسوغ تزوجها اذ ليست بكتابية

❀ ❀ ❀

والجواب عن السوال الثاني ان المرأة التي اخبرت الرجل بان زوجته هي اخت له من الرضاع ان كانت مطلعة على تزوجه بتلك الزوجة وعالمة بمعاشرته لها ولم تخبره بذلك حتى يطلقها ولا رفعت امرها الى القاضي فخبرها غير ملتفت اليه لانها فاسقة بسكوتها على رؤية المنكر . وان لم تكن عالمة بالمعاشرة بين الزوجين الا حين سؤالها فاخبارها ايضا غير موجب شرعا لفسخ النكاح على المشهور اذ يشترط في ثبوت الرضاع الموجب للفسخ ان يكون بشهادة رجلين عدلين او رجل وامراة عدلين او امراتين عدلتين اذا كان قولهما فاشيا قبل العقد لكن في المشهور يستحب للزوج ان يتنزه عن استدامة هذه الزوجية مراعاة لرواية من روى عن مالك رحمه الله فسخ النكاح بشهادة امراة واحدة عدلة اذا كان قولها فاشيا قبل العقد

❀ ❀ ❀

والجواب عن السؤال الثالث ان الصلاة في المسجد الموصوف في السؤال صلاة صحيحة لانه ان ثبت بواجب الثبوت شرعا كون الارض المبني بها المسجد ملكا لصاحب الحبس وفرضنا ان الذي باشر بناء القرية فيها من اعوانه الدولة كان عالما بحبسيتها ووضع يده عليها بدون حكم ولا معاوضة فغاية الامر ان المسجد قد بني في ارض مملوكة لغير باني المسجد بعد تقدير ثبوت ذلك فهو اعتداء على حق الوقف ولكنه لا يؤثر في صلاة المصلين فيه على المشهور من المذهب بل صلاة المصلين فيه صحيحة فيبقى المسجد حتى يقوم مستحقوا الوقف بنازلة ويحكم لهم باستحقاق الارض فحينئذ يجري حكم ذلك المسجد على حكم بناء المستحق منه في ارض الوقف

❀ ❀ ❀

والجواب على السؤال الرابع ان الجهر المتوسط بقراءة القرآن في المسجد قبل صلاة الجمعة جائز اذا لم يخش منه تشويش على متنفل بحيث يبلغ اليه صوت القاري ويشوش عليه فان كان المصلي قريبا من القاري وخشي عليه التشويش كره الجهر حينئذ فيخافت القاري من صوته . واما الجهر الشديد فايقاعه في المسجد مكروه عند مالك رحمه الله مطلقا واما حديث يا علي لا تجهر بقراءتك ولا بدعائك الخ فلم اقف على اصله . وحديث لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن فقد رواه ابو داود في سننه وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف ولو صح فمحمل النهي فيه على الكراهة

محمد الطاهر ابن عاشور

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

« ٥ »

علم اصول الفقه

٢٠ — من المقرر في الاصول ان البراءة الاصلية لا يقبل اجتهاد مجتهد لم يعتبرها وهي دليل عقلي فدلائل السمعيات يثبت بها التكليف والبراءة الاصلية تنفيه اذا لم يجد المجتهد نصا على التكليف بعد البحث عنه اذ الاصل براءة الذمة فالدليل العقلي معتبر في الشرع الاسلامي

٢١ — من المخصصات المعتبرة في علم الاصول العقل قال ابو حامد الاسفرايني لا خلاف بين اهل العلم في جواز التخصيص بالعقل قال الرازي قد يخصص بضرورة كقوله تعلى الله خالق كل شيء فان الضرورة تقضي انه لم يخلق نفسه وبنظرية كقوله ولله على الناس حج البيت فتخصيص الصبي والمجنون لعدم الفهم ومن خالف فيه شذوذ والخلاف لفظي يعلم من كتب الاصول وازيد بيانا فاقول غير خفي ان تخصيص العام باحد المخصصات معناه دفع التعارض بين نص فيه عام نحو اقتلوا المشركين ونص فيه خاص نحو فان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية، ونحو حتى يعطوا الجزية، فدفعنا التعارض باستثناء الآيتين الاخيرتين من الاولى فلم يبق تعارض فهو عمل بالدليلين معا لاعتبار انهما متساويان فلو رجحنا احدهما على الآخر لابطلنا واحدا منهما بدون حجة وقد نص ابن الحاجب في المنتهى على ان تخصيص دليل بدليل ليس تقديما له عليه بل توفيق بينهما وعمل بهما

وهذا ما يؤكد ما بيناه من ان الدليل العقلي عند علماء الاسلام معتبر كالدليل النقلي وليس احدهما ضد الآخر

٢٢ — من المخصصات عندهم الحس نحو قوله تعلى ـ تدمر كل شيء بامر ربها ـ عموم الآية يقتضي ان الريح التي عذب بها قوم عاد دمرت الارض كلها وغيرها والحس خص ذلك التدمير بكفار قوم عاد لمشاهدة عدم تدمير غيرهم وغير خفي ان الحس من مواد العقل وهو دون دلائل العقل، ويرى علماء المنطق ان الاوليات مقدمة على الحسيات اذ سلطان العقل اقوى من سلطان الحس اذ الحس له غلطات، فالتخصيص بالعقل احروي، فلو فرض تعارضهما لقدم العقل على الحس ! وقد كان فلاسفة القرن الثامن عشر يرون تقديم الحس على العقل قالوا ان كل قضية عقلية لم يؤيدها الامتحان الحسي فهي ظنية فقط وبنوا ذلك على مذهب الشك والتشكيك لكن فلاسفة العصر رجحوا مذهب المناطقة القائل بان سلطان العقل اقوى من الحس

٢٣ — اتفق من يعتد به من علماء الامصار كالايمة الاربعة واهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين الا من شذ على العمل بـالقياس الفقهي بشروطه المبينة في الاصول وانه من الادلة الشرعية والقياس دليل عقلي مستند الى اصل نقلي والنبي صلى الله عليه وسلم ارشد اليه والقرءان كذلك كما يعلم من مراجعة الفكر السامي في مبحث القياس وغيره

٢٤ — اتفق الايمة الاربعة ايضا على ان القياس من المخصصات كما في المنتهى لابن الحاجب .

٢٥ — جمهور العلماء على اعتبار المعنى المناسب في باب القياس اذا كان جليا سابقا للفهم عند ذكر النص فقالوا يصح تحكيمه في النص بالتخصيص والزيادة عليه كقوله عليه السلام (لا يقضي القاضي وهو غضبان) فاعتبروا ان المعنى المناسب هنا هو التشويش فمنعوا الحكم مع جميع المشوشات الغضب وغيره واجازوه مع ما لا يشوش من الغضب فهذا تصرف في النص على مقتضى العقل بالزيادة والنقص وهناك ابحاث ومناقشات لفظية لابي اسحاق الشاطبي لا محل لها هنا .

وقد صرح هو اول المقدمة العاشرة من ج ١ من الموافقات بتعاضد العقل والنقل في المسائل الشرعية على شرط ان لا يقدم العقل بل هو تابع للنقل غير ان كلامه في الفروع . وازيد انه لا بد ان يشترط ان لا يكون احدهما قطعيا والآخر ظنيا والا قدم القطعي كما سبق .

٢٦ — جزم الاصوليون بان القدح فيما دل عليه العقل دلالة قطع قدح في اصل النقل لان النقل فرع العقل كما سبق لان اصل النقل المعجزة وهي امر عقلي والقدح في اصل الفرع لتصحيحه قدح فيهما معا فوجب الاخذ بما دل عليه العقل يقينا وتاويل النص بوجه مقبـول ذوقـا وعربيـة واصولا ان لم يكن قطعيا دلالة وسندا اما معارضة قاطعين فذلك مما لم يوجد . مثلا ننظر النقلي فان كان عاما فدلالة العام على بعض افراده ظنية كما علم في الاصول فنخصص العام بالعقل الذي هو قطعي جمعا بينهما ونقيده ان كان مطلقا كذلك .

٢٧ — كثير من الايمة الكبار اعتبروا التلازم بين حكمين من الادلة الشرعية .

٢٨ — كذلك إعتبروا التنافي بين حكمين منها .

٢٩ — كذلك اعتبروا المصالح المرسلة منها .

٣٠ — كذلك اعتبروا سد الذرائع منها .

٣١ — كذلك اعتبر بعض الايمة الاستحسان منها .

٣٢ — كذلك اعتبروا الاستصحاب منها .

٣٣ — كذلك اعتبروا ان اليقين لا يرفع بالشك منها .

وكل هذه ادلة للعقل فيها دخل قوي واعتبروها ادلة شرعية .

علم الحـديث

٣٤ — وجدنا جملة من ايمة الحديث العظام . ابـو الفرج ابن الجوزي وابن كثير والنووي وغيرهم نصوا على عرض الحديث على محك النظر وقواعـد العقل القطعية التي لا مراء فيهـا وسلمها

الامتحان العلمي وكل ما خالف ذلك حكموا بوهم رواته اياكانوا فحكموا بشذوذ الحديث لوصح وبوضعه ان كان رواته لا اعتبار بهم ولا يبيحون العمل به او الاحتجاج بنصه

قال ابن الجوزي كل حديث خالف الاجماع او المعقول او ناقض الاصول فاعلم انه موضوع ولا تتكلف اعتباره نقله السخاوي في شرح الفية العراقي ونحوه نقله الحافظ ابن حجر عن الحافظ أبي بكر الخطيب والامام ابي بكر الباقلاني ونظمه السيوطي في الفيته

وقال بعض العلماء الكمل احكم بوضع خبر ان ينجل
قد باين المعقول او منقولا خالفه او ناقض الاصولا

وقال الزركشي في البحر كل خبر اوهم باطلا ولم يقبل التاويل اما لمعارضته للدليل العقلي او القطعي النقلي وهو المتواتر عن صاحب الشرع ممتنع صدوره عنه قطعا هـ

وقد عد الزركشي في مختصر التقريب من الاشياء التي يعرف بها وضع الحديث مخالفته القاطع ولم يقبل التاويل . وكذلك فعل الحافظ ابن حجر في النخبة وشرحها ؛ وبناء على هذا الاصل حكموا برد احاديث

أ - حديث احمد ومسلم في صحيحه وغيرهما عن ابي هريرة اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال . خلق الله البرية يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين الحديث

قال الزركشي هذا الحديث من غريب مسلم وتكلم فيه ابن المدني والبخاري وغيرهما وجعلوه من كلام كعب الاحبار وان ابا هريرة انما سمعه منه فاشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا . نقله المناوي في فيض القدير ونحوه لابن كثير في البداية قائلا . ان في متنه غرابة شديدة وليس فيه خلق السماوات وانما فيه خلق الارض وما فيها في سبعة ايام وذلك مخالف للقرءان هـ

فرواته عدول لايشك فيهم ومع ذلك حكموا برده وان الوهم جاء من قبل بعض الرواة حيث رفعه واكد رفعه بقوله . أخذ بيدي . وانما هو من كلام كعب الاحبار عن الاسرائليات

ب - حديث الترمذي عن ابي بن كعب الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . ان الله امرني ان اقرأ عليك القرءان فقرأ عليه لم يكن الذين كفروا وقرا فيها (ان الدين عند الله الحنيفية المسلمة لااليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ومن يفعل خيرا فلن يكفره) وقرأ فيها (لو ان لابن ءادم واديا من مال لابتغى اليه ثانيا ولو ان له ثانيا لابتغى اليه ثالثا ولا يملا جوف ابن ءادم الا التراب ويتوب الله على من تاب) والحديث في الصحيحين لكن بحذف ما زاد على قوله لم يكن الذين كفروا

ج - حديث مسلم عن ابي موسى انه بعث الى قرآء البصرة رسولا فدخل عليه ثلاثمائة رجل فقال انتم خيار اهل البصرة وقرآؤهم فاملوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست

قلوب من كان قبلكم وانا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير اني حفظت منها . لو كان لابن ءادم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن ءادم الا التراب وكنا نقرأ سورة نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير اني حفظت منها يا ايها الذين ءامنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة هـ

وان هذين الحديثين الاخيرين مع كون ءاخرهما في صحيح مسلم شاذان اذ غير خفي ان العلم بصحة نقل القرءان كالعلم بوجود مكة والمدينة مثلا وكالعلم بالحوادث الكبار كبعثته صلى الله عليه وسلم وغزوة بدر وبوجود الكتب الشهيرة والدواعي المتوفرة على نقله وحراسته بلغت حدا لا غاية بعده لان القرءان هو دستور المسلمين لدينهم ودنياهم يرجعون اليه في حل مشكلاتهم واخذ علومهم الادبية والدينية والاجتماعية وقد بلغ علماؤهم بل عامتهم في حفظه وحمايته ما لم تبلغه اي امة سواهم حتى عدوا حروفه وسكناته وحركاته وضبطوه الضبط الشديد وضبطوا قراءته . فادعاء الزيادة او النقص فيه مخالف للمعقول والمحسوس القطعي فكل حديث خالف هذا القطعي منبوذ

وهب ان ابا موسى نسي فالصحابة اللذين حفظوا القرءان على عهد رسول الله كانوا غيره كثيرا وقد كان القرءان كله مكتوبا على عهد رسول الله في بيته وكان جمعه بحضرة اجماع الصحابة فكل راو روى ما يخالف هذا او يشككنا فيه فهو مشكك في الدين هادم لبنيان اجماع المسلمين محمول على الغلط ان كان من اهل العدالة وعلى نية فاسدة ان كان من الشيعة او الامامية او امثالهم وكل قول من اقوال الامامية او غيرهم ناقض ذلك فهو خلف اذ الامامية يزعمون ان القرءان حذفت منه سورة تتعلق بامامة علي وءايات في فضل اهل البيت وكل ذلك افتراء بلا مراء فان عليا حضر البيعة وبايع ابا بكر ثم عمر ثم عثمان وكان معهم وزيرا او مستشارا ومعينا موصوفا بشجاعة السنان واللسان لا يهاب في مثل هذا الامر الاعظم خليفة فمن دونه وله عصبية هاشمية قوية يحمونه

وقد سئل كما في الصحيح هل ترك لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة فاذا فيها الديات وفكاك الاسير او فهم اوتيه رجل مسلم وقد حضر هو نفسه جمع المصحف على عهد ابي بكر وحضر نسخه على عهد عثمان وهو راض عالم غير منكر فما يتقولونه ليثبتوا به خلافته ليس الا اثباتا منهم لكفره وحاشاه من ذلك وابو موسى حضر زمن جمع المصحف في خلافة ابي بكر ثم حضر نسخه في المصاحف زمن عثمان فسكوته عن النقص مع العلم يعد قدحا في عدالته وحاشاه وحاشا عليا اذ كل منهما عدل ثقة مامون وكل رواية اقتضت النقص (١)

فهي شاذة لا معول عليها وان كانت من رواية العدول الثقاة كما هنا ولا يستغرب كونه في الصحيح وهو شاذ المتن وقد صح السند

---

(١) وقد اطلت هنا حيث اني في الفكر السامي لم اعلق على الحديث شيئا فوجب الاستدراك هنا

يوم عاشوراء

يوم عاشوراء هو اقدم الاعياد الاسلامية واكثرها اختلافا في العوائد بين بلدان الاسلام وقد يدرك المسلمون عموما ما فيه من العوائد والابتداعات فيحتار اغلبهم في تعليلها وبيان وجه تسربها والكثير منهم لا يعلم عن هذا اليوم الا انه يوم مقتل الحسين

لذلك احببنا ان نلم في هذه الكلمة بمنشإ هذا الموسم وتطوراته قبل ظهور الاسلام وبعده وما لبعض الامم الاسلامية فيه من العوائد المتباينة

فنقول ان اصل هذا العيد من اعياد اليهود وهو عيد الفصح الذي يقام تذكارا لنجاة بني اسرائيل من تعذيب المصريين واختراقهم البحر الاحمر تذبح فيه الشياه ويتجنب الخمير وهو المعروف اليوم عند اليهود بعيد الفطير

وقد ورد ذكره في توراتهم في الاصحاح الثاني عشر من سفر الخروج وعين لليوم العاشر من الشهر الاول من السنة العبرانية بصريح التوراة

الا ان ما ادخله اليهود على نظام سنتهم القمرية من النسيء باعد بينه وبين عيد راس السنة

وقد دخل هذا العيد بلاد العرب منذ احقاب بعيدة فيما دخلها من تعاليم اليهودية وعوائدها بتكرر نزوح اليهود الى بلاد العرب

الا ان اليهود المهاجرين اصطلحوا على اعتبار هذا العيد في اليوم العاشر من الشهر الاول من السنة العربية وهو المحرم فكانوا يظهرون فيه شعائر العيد ويصومونه يشهد لذلك ما ورد في صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال كان اهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدا ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم وما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا هذا اليوم الذي اظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيما له

وقد اخذ العرب في الجاهلية عن اليهود الاحتفال بهذا اليوم واجلاله فادخلوه في عوائدهم كما ادخلوا كثيرا من طقوس اليهودية والنصرانية والمجوسية والصابئة والظاهر انهم لم يسموه باسم عاشوراء الذي عرف به في الاسلام وانما هو من الاوضاع الاسلامية كما جزم به ابن الاثير في النهاية وانبثت عادة تقديس يوم عاشوراء بين العرب حتى تغلغلت في قريش والحقت بشعائرهم في الجاهلية ففي حديث الصحيحين عن عائشة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم من طرق ان يوم عاشوراء كان يصام في الجاهلية وان قريشا كانت تصومه وكانت تكسو فيه الكعبة وفي حديث عائشة رضي الله عنها ان النبيء صلى الله عليه وسلم صامه قبل البعثة

والاحاديث متظافرة على ان صومه لم يشرع في الاسلام الا بعد الهجرة ففي البخاري عن عبد الله بن عباس وابي موسى الاشعري رضي الله عنهم ان النبيء صلى الله عليه وسلم لما سأل اليهود عن سبب صومهم يوم عاشوراء وقالوا له انه اليوم الذي نجى الله فيه بني اسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال صلى الله عليه وسلم فانا احق بموسى منكم فصامه وأمر المسلمين بصيامه

وظاهر الاحاديث ان صومه كان واجبا وهو مذهب جمهور الايمة خلافا للشافعي رضي الله عنه

وقد ابتدا صومه في السنة الثانية من الهجرة لان النبيء صلى الله عليه وسلم لم يدرك عاشوراء السنة الاولى اذ كانت هجرته عليه السلام في ربيع الاول بلا ريب

ولما فرض رمضان في شعبان من تلك السنة نسخ وجوب عاشوراء بوجوب رمضان على قول الجمهور وخير المسلمون في صوم عاشوراء وبقي صومه مندوبا

وقد كان كثير من الصحابة يصومه وكثير منهم لا يصومه كعبد الله بن عمر رضي الله عنهما

وعلى ذلك استمر هذا اليوم خافت الذكر في عصر الصحابة فلم نظفر بما يفيد لهم فيه عملا يخالف بقية الايام وبذلك يستدل لما مال اليه الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه من انكار الحديث الذي اخرجه الطبراني في الاوسط في الحث على التوسيع في النفقة على العيال يوم عاشوراء اذ لو كان الحديث معروفا عندهم لكانوا اسرع الناس الى العمل به

وعلى كل حال فقد شاع ذلك الحديث في القرن الثاني وتقرر العمل به في عوائد المسلمين في القرن الثالث كما تدل على ذلك الابيات التي كتب بها الامام عبد الملك بن حبيب الى الخليفة عبد الرحمان بن الحكم بالاندلس ليلة عاشوراء واوردها القاضي في المدارك وهي

لا تنس لا ينسك الرحمان عاشورا — واذكره لا زلت في الاحياء مذكورا
قال الرسول صلاة الله تشمله — قولا وجدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليل عاشوراء ذا سعة — يكن بعيشته في الحول محبورا
فارغب فديتك خيرا فيه رغبنا — خير الورى كلهم حيا ومقبورا

وقد صادف ان طرأ على يوم عاشوراء اثناء القرن الاول حادث قضى بتغيير صبغته وجعل مظاهره عند الامم الاسلامية مختلفة باختلاف فرقهم وعصبياتهم الاعتقادية

وذلك الحادث هو مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة ٦١ يوم عاشوراء باتفاق المؤرخين ومعلوم ما كان لذلك الحادث من الاثر في الدعوة الشيعية وما اصطبغت به منذ ذلك الحين من مظاهر الحزن والتحريك للثار

فبدأوا من اواخر القرن يلتزمون في هذا الموسم علامات من الاسف ومظاهر الحداد في حين إتخذ اعداؤهم النواصب ذلك اليوم عيدا ويوم سرور وقد ذكر المقريزي في خططه عند الكلام على

اعياد الشيعة ان ابتداء التظاهر باعلان السرور والفرح في يوم عاشوراء راجع الى ما سنه الحجاج لاهل الشام في عهد عبد الملك بن مروان

الا ان الحداد الشيعي في عاشوراء لم يتقرر رسميا في مظهره العمومي الا اواسط القرن الرابع ببغداد في عهد سلطنة بني بويه وكانوا هم الذين نظموا الاعياد الشيعية فوضعوا عيد الغدير (١) رمزا الى حقهم في الخلافة . وحزن عاشوراء رمزا الى انفلات ذلك الحق من بين ايديهم . قال ابن الاثير في الكامل : « وفي هذه السنة (٣٥٢) عاشر المحرم امر معز الدولة الناس ان يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الاسواق والبيع والشراء وان يظهروا النياحية ويلبسوا ثيابا عملوها بالمسوح وان يخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولان السلطان منهم اهـ »

وعلى هذا المنهج جرى عمل الدولة الفاطمية بمصر فكانوا يعطلون الاعمال ويطوفون بالنواح في القاهرة ويقيمون المناحات على المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ثم صاروا يقيمونها بالمشهد الحسيني عند تاسيسة في منتصف القرن السادس

وكان يقام لذلك الحزن مجمع رسمي يشهده الوزير وقاضي القضاة وكان محل اقامته الجامع الازهر ثم صار المشهد الحسيني ثم يقام سماط بدار الملك يشهده وجوه الدولة ويلتزم في شكل تقديمه وانواع الاطعمة المعروضة فيه ما يدل على التقشف والحزن ويخالف سائر السماطات في الاعياد وقد فصل ذلك المقريزي في خططه عند الكلام على المشهد الحسيني

ومن احسن ما يتجلى فيه ما بلغت اليه تلك العوائد من الاعتبار عند الشيعة اوائل القرن الخامس القصيدة الرائية التي وجهها مهذب الدين احمد بن منير الطرابلسي الشاعر المشهور الى الشريف المرتضى يسترجع بها مملوكه المسمى تتر ويتهدده ان هو لم يرجعه بالانسلاخ عن عقيدة الشيعة ومطلعها

عذبت قلبي يا تتر ... واطرت نومي بالفكر

يقول فيها

بالمشعرين وبالصفا ... والبيت اقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا ... ف به ولبى واعتمر
لان الشريف ابن الشريـ ... ـف الموسوي ابي مضر
ابدى الجحود ولم يرد ... الي مملوكي تتر
والبيت آل امية الط ... ـهر الميامين الغرر

---

(١) راجع الجزء الاول من نهاية الادب والجزء الاول من خطط المقريزي ص ٣٨٨ بولاق

ثم يقول عاطفا على امور ينكرها الشيعة

وحلقت في عشر المحر م ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره وصيام ايام اخر
ولبست فيه اجل ثو ب للملابس يدخر
وسهرت في طبخ الحبو ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا اصا فح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريـ ـق اقص شارب من عبر

ويقول في مقابلته

واذا جرى ذكر الغديـ ـر اقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملا بس ما اضمحل وما دثر

وقد استتبع ما عليه الشيعة من اعلان مظاهر الحداد ان اصبح اضدادهم النواصب يتعمدون اظهار الفرح في يوم عاشوراء ويتخذون فيه شعار الاعياد حتى اتخذوا لذلك اليوم طعاما خاصا تطبخ فيه الحبوب لم يزل معروفا عند الناس الى اليوم باسم العاشوراء واليه يشير ابن منير بقوله فيما تقدم

وسهرت في طبخ الحبو ب من العشاء الى السحر

وقد ذكر المقريزي ان بني ايوب لما قام ملكهم بمصر بعد الفاطميين كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم سرور ويظهرون فيه شعار الاعياد

وقد دامت هذه الكيفيات الثلاث في معاملة يوم عاشوراء متميزا بعضها عن بعض ما دامت المجتمعات المختلفة النحل متميزة قائمة العصبيات حتى اذا بدأت العصبيات الاعتقادية تتحلل بسقوط الدول الحافظة لها بدأت عوائد كل فريق تتسرب الى الآخر مسلوبة الروح مجهولة العلة واعان على سرعة تلقف هذه العوائد بين المجتمعات ما خيم على المجتمع الاسلامي منذ سقوط بغداد من الجهالة القاضية بتغلب الاوهام والخرافات والاسراع الى التعلق بالشيء لمجرد ذكرانه بركة او مجلبة خير

فلذلك اصبحنا نجد المجتمع الاسلامي السني منذ اواخر القرن السابع تشيع فيه عوائد خاصة بيوم عاشوراء هي خليط من عوائد الشيعة وعوائد النواصب وعوائد اهل السنة المبنية على ندب صومه وتوسيع النفقة فيه مع التزامهم ما لا يلزم في تصوير ذلك بما يغلب على الظن انهم اقتبسوه عن اليهود

وقد اورد ابن الحاج الفاسي دفين القاهرة من عوائد البلاد المصرية صدر القرن الثاني في كتاب المدخل ما يتبين فيه مقدار هذا الخلط

فمن عوائدهم فيه التزام زيارة القبور واحضار الخيط والكتان لاكفانهم وهو امر مستمد من عقائد الشيعة المبنية على ما نقلوا من الاحاديث في فضل ميت ذلك اليوم وتوسعهم في رجاء ذلك للميت الذي يترحم عليه فيه او يمت موته اليه بسبب

ومن عوائدهم استعمال النساء للحناء وهو من مظاهر الفرح وطبخ الحبوب الذي هو من شعار النواصب كما تقدم ومن عوائدهم التزام اكل الدجاج وهو في الظاهر من باب التوسعة في النفقة وفي الحقيقة اخذ من عيد احدثه اليهود تذكارا لنجاتهم من الاضطهاد الفارسي في القرن السادس من قبل المسيح يلحقونه بعيد النجاة الاكبر وهو المعروف عندهم بعيد بوريم

وقد شاعت هذه العوائد مختلطة بتونس كما شاعت بمصر فنجدهم في القرن الحادي عشر يعدون طعاما من الحلواء خاصا بذلك اليوم ويلتزمون فيه اكل الدجاج كما بسطه ابن ابي دينار في المؤنس وشاع عندهم مما ذكره في المؤنس ايضا التغالي في اقتناء الفواكه وتزيين محلاتها واتخاذ آلات الطرب لصغارهم ولعل في هذا وان كان اصله التوسعة نزوعا الى عادة النواصب في اظهار الفرح بيوم عاشوراء

ويضيفون الى ذلك الامساك عن اقامة الافراح كامل الشهر وترك الحناء للنساء ويلتزمون زيارة القبور وكل ذلك من العوائد الشيعية

وعلى هذا النحو من الاختلاط تنتشر العوائد المتباينة في هذا اليوم بين غالب البلاد الاسلامية حيث تسود العقيدة السنية في حين تحتفظ المجتمعات الشيعية المنحازة بفارس او الهند بعوائد خاصة بها في هذا الموسم ربما تبدو من الغرابة بمكان في نظر عموم المسلمين

وقد بلغنا عن هذه الحفلات ما ضمنه الرحالون الاربــاويون في القرن الثاني عشر كتبهم من الوصف المدقق لهامثل الرحالة الفرنساوي موريبه الذي تردد على بلاد الفرس فيما بين سنتي ١٢٢٣ و١٢٢٧ وكتب رحلتين قيمتين زودنا في كل منهما بوصف حفلة من الحفلات الشيعية تخالف اختها

والرحالة الفرنساوي ايضا روسليه الذي ساح في بلاد الهند ست سنين من سنة ١٢٧٩ الى سنة ١٢٨٥ والف عن سياحته مجلدا ضخما وصف فيه حفلتين شيعيتين احداهما اقيمت في بومبــاي والاخرى في بهو بال

اما الحفلان اللذان ببلاد فارس فاحدهما شعبي اقامه عامة الناس خارج العاصمة وثانيهما رسمي شهده الشاه وحاشيته اقامته الدولة بتخت الملك

يبتدىء الاول باعداد هيكل مزين على ربوة عالية في داخله صورة لقبر الامام علي ثم يقوم احد زعمائهم يرتل قصص آل البيت والسامعون يقاطعونه بالضرب على صدورهم بانتظام ثم تحضر خشبة مزينة باعلاها صورة سيفي الامام فيطأطىء لها ويضعها على بطنه ثم على صدره ثم على فمه وهتاف الناس متصاعد من حوله ثم تظهر طائفة من الرجال تشخص للناس مقتل الحسن والحسين - والعقيدة الشائعة عند العامة في بلاد الاسلام انهما قتلا في يوم واحد - وينتهي بتصوير القتل فيعلو البكاء والنحيب من كل جانب وينصرف الناس

استقالة مدير المجلة

اشعرنا حضرة العالم الاديب الشيخ الطاهر القصار (مدير المجلة الزيتونية) بانه نظرا لاسباب خاصة يتعذر عليه الاستمرار على ادارة المجلة . وبينما كنا نحاول ان نكفه عن هذا العزم بادر بتقديم استقالته بصفة رسمية بمكتوب مؤرخ بيوم الثلاثاء ٢٧ محرم ٢٩ مارس من العام الجاري

ومجلس الادارة بمقدار ما وقع له من الاستياء على مفارقة هذا الصديق الفاضل فانه يقدم اليه وافر الشكر وجزيل الثناء على ما قام به من الاعمال اثناء ادارته للمجلة ، هذا وقد وعدنا الشيخ القصار بان الظروف وان حالت بينه وبين الاستمرار على الادارة ، فانه سيستمر على نشر قصائده الرائعة في الصفحة الادبية ، ونحن نسجل على الصديق الفاضل هذا الوعد

هذا وقد قرر مجلس المجلة في اجتماعه الاخير اسناد الادارة اصاحب المجلة بعضوية العالمين الشيخين الحطاب بوشناق ومحمود بن الطاهر وعليه فيجب ان توجه جميع المكاتبات اليه الا ما يتعلق بالمالية فانها تكون باسم امين المال

مجلس الادارة

والثانية وهي التي يشهدها الملك واعيان العلماء يقتصر فيها على سرد قصة مقتل الحسين من طرف احد مشائخهم يعرف بالمولى مصحوبة بتمثيل ما يسرد من طرف من يستمعون لذلك حتى اذا انتهوا الى الضربة القاضية اجهش الحاضرون بالبكاء فيطوف عليهم رجل بقطنة يجفف بها دموعهم وتحفظ في قارورة كامل العام يستشفي بها المرضى

واما الحفلان الهنديان فكلاهما شعبي ففي بومباي يستعد للموسم اهل اليسار باتخاذ صناديق يحاكون بها التابوت المنصوب على مشهد الحسين بكربلاء تصنع من العاج او الابنوس او الصندل واحيانا من الفضة وفي ليلة عاشوراء يعرض تلك المآة من الصناديق اصحابها بازقة البلاد وياتي الناس يتبركون بها ويبخرون حولها ويحيطونها بتماثيل ثمينة لاشكال مختلفة ومن الغد تحمل تلك التوابيت ويسار بها في موكب صاخب بين البنود والرماح حتى ينتهي الى شاطىء باكباي فتلقى في البحر وسط الهتاف العالي .

وفي بهوبال تقام سوق حاشدة من اوائل المحرم يجتمع لها الناس من كل صوب وتجري فيها من الالعاب البلهوانية ورياضات المتروحنين امور مدهشة كما تقام آلاف من الدكاكين لعرض الفواكه المجففة وفي ليلة عاشوراء يحملون هياكل عظمى من الورق الثخين بديعة التزيين والتذهيب تحاكي في شكلها هيكل كربلاء ويسيرون بها على ظهور الفيلة يعلو حولها الهتاف وطلقات البنادق ويتقدم الموكب رجل عليه افخر الثياب واسنى الحلع يمثلون به الامام عليا حتى اذا جاء الليل اتخذ جميع السائرين مشاعل فسار بها الموكب قليلا حتى اذا انتهى الى البحيرة القيت المشاعل والهياكل وخيم السكون اذ كان الموكب قد انتهى .

محمد الفاضل ابن عاشور



التاريخ واهميته واوليته

من تحريرات العلامة المؤرخ فرع الدوحة النبوية
الشريفة سيدي عبد الرحمان زيدان نقيب السادة
الاشراف بالمغرب الاقصى وكبير العائلة المالكة

لما رايت ابناءنا البررة ، لايدرسون التاريخ ولا يجنون ثمره ، ولا يتبينون من مقاطعه عبرة ، ولا ينشرون في الناس حبره ، مع انه مرآة الزمان ، واساس العمران ، ومن كان معتنيا به فله عمران حملني ذلك على ان القي على مسامعكم هذه المسامرة التي ترغب في الاعتناء به وتبين اهميته ، وتشرح مزيته . وتنشيء في الناشئة نشوته ، وتحبب اليهم ندوته .

ان التاريخ وما ادراك ، هو الذي ينور الذهن ويرقي الادراك ، شؤونه كلها عجب ، تحمل على القيام بما وجب ، والتمسك منه بكل سبب ، وكيف لا وهو المنزل من علوم العمران منزلة العقود من اللبب ، والكؤوس البلورية من الحبب . ان تطلبتم ايها المصغون الاماثل فائدته ، وجدواه وعائدته وجدتموه مرقيا للافكار منورا للالباب ، ومددا قويا للاطلاع على حوادث الازمان والاحقاب ، فيه ترغيب وترهيب ، وتهذيب وتشذيب ، وانذار . واعتبار ، وشغل بال وتسلية . وتخلية وتحلية ، وتحضيض وتحريض ، ، هو المرآة الكبرى لاستكشاف نتائج الاولين ، وءاثار الاقدمين ، في العلوم والصنائع ، وبدائع الافكار الروائع . والمدرجة العظمى للوقوف على احوال القرون الشاسعة ، واخبار الامصار الجامعة ، وما لها وعليها من الامور الضارة والنافعة ، بل هو غذاء الارواح ، ومهب الارواح ، الملقحة للاشباح ، وخزانة اخبار السلف ، المفيدة للخلف ، وسجل اعمال الرجال في كل مجال ، وزينة الاديب الاريب ، وعمدة الحاذق اللبيب ، الجهل به سبة ، والعلم به جميل المغبة .

ليس بانسان ولا عاقل من لا يعي التاريخ في صدره
ومن درى اخبار من قبله أضاف اعمارا الى عمره

لا يجهل فضله الا ساقط الهمة ، او غبي لا اهتمام له بالامور المهمة ، ان بحثتم ايها المصغون الجلة عن بيان فضله وفضيلته وجدتموه من اشرف العلوم ، واجلها عند الخصوص والعموم ، به يزن الانسان نفسه بمن مضى من اشكاله في هذه الدار فيتمشى على بصيرة في جميع شئونها بمقدار ، ناهيكم انه نزلت به الكتب السماوية ، منها ما ورد باخباره المجملة ، ومنها ما جاء بانبائه المفصلة ، نص في سفر من اسفار التوراة . ما تضمن تفاصيل احوال الامم السالفة ، وورد في الانجيل . واتى الاحتجاج به في الفرقان . قال الله العظيم : يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من

بعده افلا تعقلون ؟ وهذا من لطائف الاستدلال كما قال الزين العراقي ، وقال تعالى : يسألونك عن الاهلة . قل هي مواقيت للناس والحج . وقال : ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة وقال : فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما . وقال نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك . وقال : لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب . وفي صحيح مسلم عن جابر بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنهما : كنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم ، كان لا يقوم من مصلاه الذي صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فياخذون في امر الجاهلية ويضحكون ويتبسمون . واخرج البخاري في بدء الخلق من صحيحه عن ابن شهاب قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول : قام فينا النبيء صلى الله عليه وسلم مقاما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه . واخرج مسلم في صحيحه عن عمرو ابن اخطب قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فاخبرنا بما كان وبما هو كائن فاعلمنا أحفظنا . واخرج الامام احمد في مسنده عن ابي زيد الانصاري باللفظ الا انه قال صلاة الصبح بدل صلاة الفجر وفي سنن ابي داوود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني اسرائيل ما يقوم الا لعظيم صلاة . وفي الشفا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع جلسائه بحديث اولهم اي بما كان قبل الاسلام من حروبهم كيوم بعاث . وبوب للتاريخ البخاري في الصحيح .

ايها المصغون النبهاء هل كان يمكننا لولا التاريخ ان نميز بين الشرائع والاحكام ، ونعرف قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وسير الخلفاء العظام ، والملوك والامراء الفخام ، ودثار البخلاء وشعار الكرام ، وهل كان من الممكن لولا التاريخ ان نعلم ما عسى ان يوجد في الاسانيد وطرق الرواية والنقل وهي وسائل الدين من انقطاع او عضل او تدليس او ارسال ، او مجاهيل او جهال وهل كان متأتيا ان نحقق الناسخ من المنسوخ والراجح المرجوع اليه من المرجوع عنه المرجوح ، هؤلاء المهاجرون والانصار والبدريون وسواهم في طبقات اخرى أكنا نستطيع الفرق بينهم لولا التاريخ الذي دلنا عليهم ثم يتلوهم بنفس الاعتبار تمييز الصحب من الاتباع ، والاتباع من تابعيهم ومن كان فاضلا او مفضولا ، معروفا او مجهولا ، ناهيك باحوال الرواة وطبقاتهم وتمييز الضعفاء منهم وقدر الثقاة قدرهم ومعرفة القول المعمول به من المهجور والمتاخر من المتقدم والسابق من اللاحق ! ؟ أكان يتضح لولا التاريخ وأراه الفن الاجتماعي الضروري والعلم المتأكد قبل غيره لمعرفة كل شيء به وبناء كل اساس عليه ، والا لما شعرات من الخلق بذاهب ، ولا اتصل حاضر

منهم بغائب ؟ اكانت تعرف المسالك والممالك ومنشأ الامم وتطورها والادوار التي مرت بها دون ان نلجأ الى التاريخ وفروعه ، فيمدنا بكل ما نحاول ويفيض علينا نورا يهبنا الارشاد والاهتداء لما نريد ؟

هذه العبادات واوقاتها والمعـاملات الشرعية اكثرها منها مثلا الامساك والافطار والحج والزكاة وعدة المـرأة ومدة الحمل ووضع الجنين وحلـول الدين وانصـرام الآجـال . أيفرض امكان ضبطها دون تقييد التاريخ ودراية التاريخ ؟ او ليس التاريخ ومداوله يرافقنا في كل شان من شئوننا الاجتماعية عامة او خاصة ومنه واليه نضطر في جميع ما لدينا ؟

ليس الا التاريخ ـ واعيد القول ـ انه العلم الضروري واخطر العلوم الإجتماعية شانا الـذي يقدر ان يهبنا كل ما تقدم وسواه من معرفة انسابنا واحسابنا ودرجة اتصال الواحـدة منها بالاخرى واهميتها وتقديرها ولا ازيدكم تعريفا بالتاريخ فقد عرفتم انـه كاشف العواقب . وناشر المناقب ، ومذيع اقدار الدول ، وعظماء الرجال ، والمبرهن عن مقاماتهم في كل مجال

التاريخ يهدي المحاكم ويرشد القضـاء العـادل الى تدقيق الشئون وايضاح النوازل ، وكشف غوامض الزور والتدليس في غير قليل من القضايا الرائجة والحوادث التي تطـرأ في كل وقت . يحفظ التاريخ نفسه لنا من هذا النوع ما نتداوله من قضية رئيس الرؤساء التي ادلى فيها يهود خيبر بعقد يتضمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اسقط الجزية عنهم يوم فتح خيبر ، فلما قدم ذلك الى حافظ المشرق ابي بكر الخطيب قال هذا مزور ، لان فتح خيبر كان سنة سبع من الهجرة وسعد مات قبل ذلك يوم بني قريظة ، ولان معاوية انما اسلم سنة ثمان بعد فتح مكة . فكيف يشهد فيما وقع قبـل ذلك عند فتح خيبر سنة سبع . فازاح ببيانه التاريخي كل شبهة عن تزوير ذلك العقـد ، وبطل سعي المدلى به ورد به . ثم في سنة ثلاث عشرة ومائة والف زمن خلافة الجد السلطان ابي النصر والفـدا اسماعيل الاكبر قدس الله روحه ادلى اليهود بنظير الرسم المزور مرفوعا عليه بتاريخ غرة صفر عام ثمانية وعشرين وسبعمائة سمى مختلقه نفسه محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمـان الهـروي والعاطف عليه قاسم بن يحي بن احمد بن سعادة وعلى ذلك الصك المفتعل عدة افتاءات بابطاله ودحـض حجة مريد الادلاء به للاحتجاج . وقد الم بذلك كله الشريف العلمي في جامع نوازله وتعـدد ظهـوره مرات ءاخرها عام اثنين واربعين ومائة والف على ما في طالعة نشر المثاني

وفي مقدمة صحيح الامام مسلم ان المعلى بن عرفان قال حدثنا أبو وائل قال : خرج علينا ابن مسعود بصفين . فقال ابو نعيم يعني الفضل بن دكين حاكيه عن المعلى : اتـراه بعث بعد الموت ؟ يعني لان ابن مسعود توفى سنة اثنين او ثلاث وثلاثين قبل انقضاء خلافة عثمان بثلاث سنين ، وصفين كانت في خلافة علي بعد ذلك بسنتين ، فلا يكون ابن مسعود خرج عليهم بصفين . وهناك غيرهما وغيرهما

يتبع

الطابع الملوكي السعيد

بقلم امير الامـراء العلامة المـؤرخ السيد
محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان الطابع الذي يختم به على الاوراق مقتبس من خاتم الاصبع والخاتم من الخطط السلطانية والوظائف الملكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبيء صلى الله عليه وسلم اراد ان يكتب الى قيصر فقيل له ان العجم (١) لا يقبلون كتابا الا ان يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه « محمد رسول الله » اه من ابن خلدون وفي السيرة الحلبية انه كتب ذلك في ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر وقراءتها من الاسفل يعني محمد بآخر سطر ورسول بالوسط واسم الجلالة في السطر الاعلى وقد اجمع كتاب التاريخ واصحاب السير على ان الخاتم النبوي تختم به ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثم سقط من اصبع عثمان في بئر اريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد — هذا اصل الخاتم في الاسلام وقد اقتدى الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم من الخلفاء والملوك والسلاطين بتلك السنة النبوية فكان لابي بكر خاتم منقوش عليه « نعم القادر الله » ولعمر خاتم منقوش عليه « كفى بالموت واعظا » وخاتم عثمان منقوش عليه « لتصبرن او لتندمن » وخاتم علي منقوش عليه « الملك لله » ونقش معاويه على خاتمه «لكل عمل ثواب» وعمر بن عبد العزيز كتب على خاتمه « الوفاء عزيز» وهارون الرشيد اتخذ له خاتمين ، كتب على احدهما « لا اله الا الله » وعلى الآخر « كن من الله حذرا » وابنه المامون كتب « عبد الله يؤمن بالله مخلصا » ولعله اتخذ هذا الرمز لتبرئة نفسه مما رموه به من القول بخلق القرآن الى غير ذلك من العبارات والرموز التي اختار الخلفاء والملوك نقشها بخواتمهم وفقا لمذاهبهم واميالهم في سياسة الامة وقد افاد التاريخ ان بعض ملوك الاندلس اتخذ لخاتمه رمزا بقي في عقبه كعبد الرحمن ابن الحكم فقد نقش على خاتمه « عبد الرحمن بقضاء الله راض » ومما نظمه الشعراء في هذا الختم

---

(١) ليس المقصود من لفظ العجم الجنس العجمي يعني الامة الفارسية بل المراد منه عموم الاجناس الغير العربية من اي امة كانوا لان العرب يطلقون لفظ العجم على كل من لم يكن من الجنس العربي قال الامام البوصيري

محمد سيد الكونين والثقلين — والفريقين من عرب ومن عجم

اما قيصر الذي كاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه للاسلام فهو هرقل الاول انبراطور بيزنطه تولى الملك من سنة ٦١٠ الى سنة ٦٤١ للميلاد والمبعوث الذي حمل له المكتوب النبوي هو دحية الكلبي رضي الله عنه وعبارة المكتوب موجودة في الصحاح وفي كتب السير وهذه المراسلة وقعت في شهر ذي القعدة سنة ٦ للهجرة يوافقها شهر ابريل سنة ٦٢٨ للميلاد

خـاتـم للنـاس اضحـى حكمه في النـاس ماضـي
عـابـد الرحمن فيـه بقضـاء الله راضـي

قال في نفح الطيب وهو اول من احدث النقش وبقي وراثة لمن بعده من ولده اه قلت كما هـو الحال في ابيات البردة المتوارث نقشها بالطابع الملوكي في البيت الحسيني بتونس كما ستراه قريبا والمقام يقتضي الالمام والاختصار لان التوسع فيه لاطائل تحته لاسيما وان بابه طرقه الكثيرون من كتاب التاريخ بيد انا نقول ان المؤتمن على الخاتم الملوكي في عهد الخلفاء كان هو الوزير يدلك عليه ان هارون الرشيد لما اراد ان يستوزر جعفر ويستبدل به من الفضل اخيه قـال لابيهما يحيى بن خالد « يا ابت اني اردت ان احول الخاتم من يميني الى شمالي » فكنى له بالخاتم عن الوزارة لان وضعه على الرسائل والصكوك كان من وظائف الوزارة لعهدهم وهكذا كان ختم السلطنة العثمانية فانه كان في امانة الصدر الاعظم حتى اذا بعث له السلطان في استرجاعه فهم وانه عزله من الصدارة ولذلك اطلق كتاب التاريخ في العصر الحسيني لقب الوزير على صاحب الطابع قبل احداث الوزارات لانـه هو المكلف بختم الاوراق المعروضة على امضاء سمو الباي . ولننتقل بك لحديث الطابع السعيد في البيت الحسيني فان الباي حسين بن علي تركي جد هذه السلالة الشريفة اتخذ لنفسه طابعا بيضي الشكل نقش حول طوقه الخارجي قوله

ختمت بـه والله ارجـو تفضـلا ليسهل حسن الختم في القول والفعل

وحول طوقه الداخلي قوله « اللهم بجاه حسين بن علي احفظ عبدك » وبالوسط اسمه « حسين بن علي بك » متبوعا بتاريخ سنة ١١١٧ التي هي سنة ولايته الملك واتخـذ حفيده الباشا علي بـاي الاول (١) طوابع متعددة بين كبير وصغـير اعظمها طابعه البيضي المنقوش عليه بالطوق الخارجـي قوله من بردة الشيخ البوصيري

ومن تكن بـرسول الله نصرتـه ان تلقه الاسد في اجامهـا تجـم
ولن تـرى من ولي غير منتصـر به ولا من عـدو غير منفصـم

وبالطوق الداخلي قوله « راجي لطف الحي عبده » وبالوسط اسمه « علي باشا وبك » (بواو العطف) متبوعا بسنة ١١٥١ وترى انه عطف لفظ بك على لفظ باشا مما يدل على انه كان محرزا على رتبتين في النظام العثماني وفعلا تولى مسند الباشوية في ايام عمه المـولى حسين بن علي باي ثم تقلـد رتبة الباي عند تغلبه على عمه المشار اليه وكونه نقش بطابعه تاريخ العام ١١٥١ يدلنا من ناحية اخرى

---

(١) هو الذي غرس شجرة الفخامة الملكية بالبيت الحسيني حيث اسس محكمـة فخمة بقصـر باردو واقام بها كرسيا ملكيا لجلوسه ورتب مجلسا للنظر في النوازل الشرعية بحضور الفقهاء يجتمعون لديه مرة في الاسبوع واسس حوله مكتبة جامعة لعيون التصانيف بقصر باردو وهو اول من اتخـذ شاوش السلام الذي كان يتقدم ركابه عند ظهور موكبه بين الناس

على انه لم يقدم على اتخاذ هذا الطابع الملوكي قبل ذلك لانه ربما كان يحس وان قدمه لم تكن راسخة بالملك الذي اغتصبه من عمه في سنة ١١٤٨ فلما احس من نفسه قوة جهر به واتخذ له الطابع المتحدث عنه ثم اتخذ في سنة ١١٥٧ الطابع المربع المعروف بطابع الشون كتب بقلبه « علي باشا » وتحتها سنة ١١٥٧ وحول ذلك على التربيع قوله من قصيدة البردة « يا اكرم الخلق مالي — من الوذ به — سواك عند حلول — الحادث العمم » (١) ومذ كان بايا للامحال في عهد عمه اتخذ له طابعا بوسطه قوله « علي بك » وحوله على التربيع « الواثق — بالملك — الحي الفقير — الى الله » وتحتها سنة ١١٣٣ .

ولم نقف على طابع المولى محمد الرشيد باي بن حسين بن علي ثالث الملوك الحسينيين ولكنه لابد وانه كان بشكل طابع ابيه لان طابع اخيه علي باي الثاني رابع الملوك في السلسلة الحسينية كان بيضي الشكل كطابع ابيهما الذي تقدم وصفه وكان بقدر بيض الحمام جدده بطابع اكبر منه اثناء مدته وعبارة الختمين واحدة وليس به الا طوق واحد يحتوي على سطرين ففي السطر الخارجي عبارة البيت المنقوش بطابع ابيه « ختمت به والله ارجو الخ » وبالسطر الداخلي قوله « اللهم بجاه علي وحسين ابن علي احفظ عبدك وبالوسط اسمه « الباشا علي بك بن حسين بن علي » وتحتها سنة ١١٩٥ ولعلها سنة تجديد الختم لان ولايته كانت في سنة ١١٧٢ وتولى الملك بعده ابنه حمودة باشا فكان طابعه بيضيا اكبر من طابع ابيه بوسطه قوله « حمود باشا بك » متبوعا بتاريخ ١١٩٦ الذي هو عام ولايته الملك وبالطوق الداخلي بيت البردة « احل امته في حرز ملته ❁ كالليث حل مع الاشبال في اجم » وفي الطوق الخارجي قوله منها ايضا « ومن تكن برسول الله نصرته الى قوله منفصم في ءاخر البيت بعده » والذي اشار عليه بنقش هذه الابيات الثلاثة من البردة هو صهره المفتي الشيخ احمد البارودي ومما يستحب التعريف به هنا ان الا يات المشار اليها اتخذها ايضا محمد علي باشا والي مصر رمزا لطابعه ولكن افضلية السبق بها كانت من نصيب باي تونس هذا وقد اتيح لي الوقوف باحدى المكاتب العمومية بباريس على صورة من طابع ءاخر للباي حمودة باشا بيضي الشكل كبير الحجم نشر باروبا لنحو مائة سنة ماضية ضمن كتاب في تاريخ تونس للحكيم فرانك طبيب الباي المشار اليه وعبارته غير عبارة الطابع السابق ففي الوسط قوله حمودة باشا ميرميران (يعني باي البايات) وحوله في طوق واحد قوله « اللهم دام (كذا) ملكه في دار الجهاد تونس — ١١٩٦ » وقد اشكل امر هذا الطابع على المؤرخ هوكون الذي تعرض له في كتابه المسمى « شعائر بايات تونس » فقال انه لا يكون الا نتيجة خاطر خيالي سمح لبعضهم بصنع هذا الطابع من حجارة ثمينة كاليماني او شبهه تفخيما وتكريما لصاحبه وهذا الفهم ربما كان غير بعيد عن الحقيقة فقد رايت ضمن مجموعة نفايس تاريخيه بمكتبة بعض اصحابنا من شيوخ العلم طابعا للباي المذكور من حجارة يمانية مربعة الاضلاع بشكل طابع الشؤن ولكن عبارته غير العبارة المتقدمة مما يدل على ان المولى

(١) نقل حضرة الكاتب صورة ما هو مرسوم على اختام الملوك بالصورة التي هي مرسومة بها من وضع الفواصل بين الكلمات مع عدم مراعات المعنى وليتنبه لمثل ذلك فيما بعد (المجلة)

حمودة باشا كان لديه طوابع كثيرة بين كبير وصغير ولكن طابعه المستعمل في الرسميات هـو ختمه الموشح بابيات البردة الذي تقدم بسط حديثه في الاول . اما اخوه المولى عثمان باي الـذي ورثه في ملكه ليلة عيد الفطر ١٢٢٩ فان مدته كانت قصيرة (٩٩ يوما) ومما لا ريب فيه انه اتخذ لـه طابعا لكنني لم نتوفق للوقوف عليه والامير الحسيني الذي صعد بعده لكرسي الملك في المحرم من العام التالي هو ابن عمه المولى محمود باي وكان طابعه بيضي الشكل رسم بوسطه قـوله « عبده محمود باشا بك » وحول اسمه الثلاثة الابيات المتقدم ذكرها من بردة البوصيري وسنة التاريخ ١٢٣٠ منقوشة بعـد قوله احل امته وقبل قوله في حرز ملته ولكن اتفق له تجديد طابعه اثناء ولايته بطابع بيضي اجمـل من الذي اتخذه في الاول وهكذا استمر حـال الطابع الملوكي الحسيني من حيث الشكل البيضي والرمز بالابيات المتقدمة من البردة في عهد ابنه المولى حسين باي الثـاني واخيه المولى مصطفى باي وابنه المشير احمد باي وابن عمـه المشير محمد باي واخيه المشير محمد الصادق باي واخيهما المـولى علي باي الثالث وابنه المولى محمد الهادي باي وابن عمه المولى محمد الناصر باي وابن عمه المولى محمد الحبيب باي ويكون نقشه بحروف بارزة بالنسبة لاسم البـاي وبحروف محفـرة بالنسبة للابيات التي بطوقي الطابع حول الاسم الشريف بحيث انه عند الختم به يظهر الاسم الشريف بالمـداد الاسود وابيات البردة تظهر بحروف بيضاء في محيط اسود وقد وقفت للمشير محمد الصادق باي على اثر طابع له كالسابق من حيث الشكل والكتابة الا ان نقشه كله بالتحفير بحيث ان عبارة « عبده محمد الصادق باشا بك » كانت كلها باحرف بيض كابيات البردة الثلاثة رايت ذلك بامر صدر منه في الشهر الثاني من ولايته اي في شهر ربيع (١) الاول ١٢٧٦ مما يدل على انه طابع وقتي الغاه بعد تمام صنع طابعه الذهبي لانهم كانوا يصنعون لسمو البـاي بدار السكة يـوم ولايته طابعا وقتيا من شمع الشهد للختم به ريثمـا يتم صنع طابعه من معـدن الذهب ورايت في تقييد مؤرخ بعام ١٢٩٠ اشتمل على بعض مصاريف هذا الباي انهم صنعوا له طابعا مربعا لطبع الكتب التي قصد تحبيسها على الجامع ولعل هذا الطابع كان من معدن غير الـذهب لان ثمنه قدروه بخمسة وسبعين ريالا في ذلك الزمان ويلوح انهم فعلوا ذلك

---

(١) فائدة من كتاب سمط اللآل للشيخ محمد بن علي قويسم المتوفى سنة ١١١٤ - قال رحمه الله الشهور كلها مذكرة الا جمادى وليس منها شيء يضاف اليه شهر الا شهرا ربيع ورمضان قال الله تعلى شهر رمضان الذي انزل فيه القرءان وقال الراعي

شهرا ربيع مـا تـذوق لبـونهم الا حموضـا وخمـة ودويـلا

فما كان من اسمائها اسما للشهر او صفة قامت مقام الاسم فهـو الـذي لم يجز ان يضاف لفظ الشهر اليه ولا يذكر معه ورمضان وربيعان ليست باسماء للشهور الثلاثة ولا صفات لها فلابـد من اضافة شهر اليها ورواة الحديث يرون ان رمضان اسم من اسماء الله تعلى وربيع انما هـو اسم للغيث وليس الغيث بالشهر اهـ

احتفاظا بطابعه الذهبي حتى لا يناله السمول بتكرار الطبع الف مرة او اكثر هذا ولما آل كرسي الملك لحضرة ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني بلغه الله الاماني رسم بوسط طابعه السعيد اسمه الشريف « عبده احمد باشا بك » متبوعا بسنة الولاية ١٣٤٧ وكتب حوله بالطوق الداخلي قوله

« ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في اجامها تجم »

وبالطوق الخارجي كتب من اعلى قوله

« ولن يضيق رسول الله جاهك بي اذا الكريم تحلى باسم منتقم »

ومن اسفل قوله

« يا اكرم الخلق مالي من الوذ به سواك عند حلول الحادث العمم »

وهذا الطابع البيضي هو الختم الكبير الذي تطبع به القوانين والتراتيب الدولية والولايات والمخاطبات الملكية وشبه ذلك ولسمو الباي طابع اخر اسمه طابع الشون مربع الشكل بقلبه اسم الباي وتاريخ ولايته بالمداد الاسود وحوله بالتحفير قوله « يا عالم الخفايا - يا رازق البرايا - من فضلك العطايا - اغفر لي الخطايا » وهذا الطابع لم يطرأ عليه تطور بل هو بشكل واحد للجميع من تاريخ حدوثه الى هذا الزمان وهو من معدن الذهب كالطابع الكبير وانما كان حجمه في القديم دون حجمه في الوقت الحاضر ويستعملونه لختم التحابيس والصكوك ودفاتر المحاسبات والامثلة الهندسية وشبه ذلك واتخذ المقدس المولى علي باي الثالث اثر ولايته الملك طابعا صغيرا ذهبيا لطبع معاريض الاحكام ومطالب الولايات كتب به قوله « علي باشا باي » وتحته سنه ١٢٩٩ ثم جدده اثناء مدته وكتب به « عبده علي باشا بك » بدون تاريخ وعلى قياسه جرى عمل اخلافه من بعده سوى انه زيد فيه لفظ « تونس » بعد لفظ بك في مدة المولى محمد الحبيب باي وتحت لفظ تونس سنة « ١٣٤١) وهذا التاريخ هو العام الثاني من ولايته لانه جلس رحمه الله على تخت الملك في ١٠ قعدة ١٣٤٠ . واما طابع المعاريض في عهد سيدنا الملك الموجود متع الله ببقائه الوجود فهو بيضي ذهبي صغير الشكل بسطره الاول قوله « احمد باشا » وبالسطر الثاني قوله « بك تونس » وبالسطر الثالث سنة ولايته السعيدة « ١٣٤٧ » وكان المشير محمد الصادق باي يمضي على المعاريض بخط يده بعبارة نصها « صح مما ذكر » قالوا ان بعض الشيوخ التمس وجها في سلامتها من التحريف النحوي والكلام هنا مع سيبويه والعهدة فيه عليه وكان المولى حسين باي الثاني يوقع على دفاتر حسابات بيت خزندار بعبارة « صح المبين اعلاه » بخط منشرح جميل . هذا ما تيسر جمعه في هذا الباب وفوق كل ذي علم عليم .

محمد بن الخوجة



الربيع

كلل الوسمي هامـات الهضـاب وشدا القمري
فاغتنم مـا دامت في عهد الشباب غفلة الدهر

❀ ❀ ❀

وابتـدر بهجة ايام الربيع فوق احضان الخزامى
بين ورد وبهر
تحت ظل الايك في روض بديع مع صحب وندامى
وسماع وسمر

❀ ❀ ❀

والصبا قـد البست درع الحباب صفحة النهر
فجرى ينساب مـا بين الرواب وسنا الزهر

❀ ❀ ❀

دار بالمروج كعقد من جمان شع في جيد فتاة
زانها في الخد خال
كاعب وجنـاء من حور الجنان ان رنت فهي مهاة
اوهفت فهي غزال

❀ ❀ ❀

وشحت شطيه اجفـان السحـاب بحلى النور
فبدا يغـري شذاهـا المستطـاب قالة الشعر

❀ ❀ ❀

باكر اللـذة في ظـل الخميلـه ولتدع عين الرقيب
لعيون النرجس
وارتشف من باقـة الورد الجميلـه وجنا العطن الرطيب
كل ثغر العس

❀ ❀ ❀

فاتن المبسم معسول الرضـاب عاطر النشر
تزدري انفـاسه العطر العـذاب نكهة الخمر

الطاهر القصار

العاطفة في الأدب العربي

هي المحاضرة التي القاها الاديب النابغ السيد
احمد بن المختار الوزير في قاعة المحاضرات بقصر
الجمعيات تحت اشراف هيئة التعليم العربي العمومي

« ٣ »

قوة العاطفة

واما قوة التأثير فقد يكون من الواضح جدا ادراك ما بين الصدق وقوة التأثير من الملازمة اليس احدهما يتبع الآخر ويأتي من بعده على الترتيب والتعاقب ؟ ألسنا نقول في تحقيق ما بينهما من وثيق الاتصال هذا قول صادق لانه صادر عن احساس وشعور . وما كان كذلك فهو لا بد مؤثر ؟ ثم ألسنا نستدل بقوة التأثير على الصدق . وبالفتور والتلاشي على الكذب والتزوير ؟

وقد سبق ان قلنا ان عواطفنا لا تنخدع دائما ولكنها تتأثر وهي لا تتأثر بلمعة البريق الخادع ولا تهتز لشيء لم يكن مصدره من القلب . واذن فوصف الصدق في العاطفة الادبية يستلزم قوة التأثير . واذكاء الشعور . ويستلزم فوق ذلك الوحي والالهام . وهل يمتاز الادب الصحيح بشيء سوى ايقاظنا وتنبيهنا لمعاني ما عجزت عن ادراكه عقولنا . وربط مشاعرنا باشياء لم تكن مألوفة من قبل ؟

الادب الصحيح الملهم هو الادب الصادق المؤثر هو الادب الذي يبعث فينا من عنصره العاطفي تيارات كهربائية فيها القوة الكاملة واليقظة البصيرة والنشاط الواعي . هو الذي يستحث العزمات الصارمة ويحرك الهمم العالية . هو الذي يكشف امام ناظرك غيب ما تحاول الطبيعة اخفاءه عنك .

الادب الصحيح الملهم هو الذي في حيويته ثورة حساسة متعطشة تدفعك دفعا الى الاستقراء والملاحظة . وفي مادة معانيه القدسية نور المعرفة . وهدى الخير . وسحر الجمال . واشهى وامتع ما في الادب الصحيح هو ذاك الايمان القوي بالالهام الذي يتسرب من القلب الى القلب . هو ذلك الانتشاء من عاطفة تهب هبوب النسمات في خفة ونشاط . او تعصف عصف الرياح في طغيان وعنف هو ذاك السحر الغنائي الذي يتغشاك ويلم بك . سحر متمرد مصدره انسجام مقاطع الكلام . واعتدال طوالعه ومخارجه مع تواطيء الفواصل والاقسام . ومع حدة الالفاظ وخفتها واشراقها . ويخيب الوفاء ويتخاذل اعتقادي في شعر الشابي رحمه الله ان لم اذكر من شعره مثالا اصور به في قلوبكم روعة الفن الكامل والادب الصحيح . يقول الشابي في استغراق الخاشع امام مظهر عظيم من مظاهر الجمال . .

عذبة انت كالطفولة كالاحلام ... كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء ... كالورد او كابتسام الوليد

انت روح الربيع تختال في الدنيا فتهتز رائعات الوجود
كلما ابصرتك عيناي تمشيـن بخطو موقع كالنشيد
خفق القلب للحياة ورف الزهـر في حقل عمري المجرود
خطوات سكرانة بالاناشيـد وصوت كرجع ناى بعيد
وقوام يكاد ينطق بالالحـان في كل وقفة وقعود
كل شيء موقع فيك حتى لفتة الجيد واهتزاز النهود
انت انت الحياة في قدسها السامي وفي سحرها الشجي الفريد
انت انت الحياة في رقة الفجر وفي رونق الربيع الوليد
انت دنيا من الاناشيد والاحلام والسحر والخيال المديد
انت فوق الخيال والشعر والفن وفوق النهى وفوق الحدود
انت قدسي ومعبدي وصباحي وربيعي ونشوتي وخلودي

رددوا هذه الابيات واستمعوا قايلا الى هذه الموسيقى الساحرة ، وتحللوا من قيود المادة وسرحوا عقولكم في متع هذه المعاني المشرقه اللامعه واتركوا الفن بعد كل ذلك يتحدث اليكم بما شاء وكيف شاء

ومهما يكن من شيء فعله يحسن بنا ان نقف قليلا قبل انتهاء الحديث عن قوة التاثير ، امام هذه المشكلة النفسية ، التي لم يوفق علم النفس في بيانها الى وجه يرتضيه ولم يبلغ بعد في حلها الى مكان الاستقرار والثبات ، هذه المشكلة التي يتلقاك بها الناس جميعا كلما خذت تحدثهم في شيء له صلة بالعاطفة او على الارجح له علاقة بالفن او بتذوق الجمال وادراك متعه ، فهم يقولون لك السنا نختلف اختلافا لاحد له في تقدير درجة الفن ؟ ثم اليس بيننا من التفاوت الظاهر في المنطق العاطفي ما يجعل الفرق جليا في تاثرنا بالمؤثرات العاطفية ؟ والموسيقى وهي رمز الشعور الصادق تذكرنا بالعاطفة تذكيرا عجيبا فوق الالفاظ والكلمات ، ولكن نظرا لخلوها من الضبط فانها لا تكون واسطة تقارب بين مشاعر الناس وعواطفهم الا على وجه خفي مبهم

« ويقول احد علماء النفس ما نص تعريبه « الافكار تشترك في المنطق العقلي حسب قواعده العامة ، واما المشاعر في المنطق العاطفي فانها تجتمع في الغالب على شكل غير ارادي وبمقتضى نظام دقيق ، لم نعلم منه سوى الشيء اليسير ، وفضلا عن ذلك نقول ان بعض المشاعر قد تولد مشاعر اخرى لا تلبث ان تمتزج بها فالالم يوجب الغم والحب يورث السرور والغضب يولد حب الانتقام ،

ولكون قواعد المنطق العقلي مادية فانها تطبق على صورة واحدة من قبل جميع الناس الذين بلغوا شأوا بعيدا في الرقي العقلي — وهذا هو سبب اتفاقهم في جميع الموضوعات العلميه واما المنطق العاطفي فانه بالعكس يختلف باختلاف الناس اذ الناس متباينون في مشاعرهم ، ولذلك تعذر الاتفاق على جميع المسائل التي تمس العواطف والمشاعر

وقل ما شئت في سبب هذا الاختلاف فهو من الواقع الذي لا شك فيه ، وتامل احوال الناس جميعا اليس منهم من يستخفه الطرب لسماعه قصيدة من قصائد الغزل والتشبيب ، ومنهم من يلتهب

حماسة لسماعه الملاحم الصاخبة ومنهم من يستلذ الزهد القانع والتنكر والتشاؤم من الحياة فلا يتأثر الا من سماع تلك الشكايات الساخطة والصرخات الباكية . تلك حال الناس في منطقهم العاطفي . واذن فمن الصعب ان يرضي الشاعر القراء على تفاوتهم ومن الصعب ان يناجيهم بتغريده وتنغيمه وشدوه ونشيده . ومن هنا جاز ان يداخلنا الشك فيما قرره النقاد المحدثون . وما اجمعوا عليه من اتخاذهم نفوس القراء والسامعين ميزانا حساسا لصدق العاطفة وقوة تاثيرها

وجوابنا في حل هذه المشكلة من وجهين . اولا ان عجز علم النفس عن وجدان قاعدة عامة الشمول في المنطق العاطفي لا يفرض علينا الرضى بفوضى الاختلاف ولا يقرر لزوم ذلك . فهنالك عالم التربية الوجدانية . وهنالك التهذيب العاطفي . فعلى المربي الحازم ان يلمس بيده الجانب الوجداني والعاطفي من نفوس الطلاب . وعليه ان يغذي مشاعرهم بما قد يبعث في عواطفهم اليقظة والحياة . وبما يساعد وجدانهم على النمو والترقي . وهو باستدراج لباقته وحذق مهارته وبكلماته الحلوة الساحرة وصوته العذب وبيانه الاصيل يستطيع ان يربط مشاعرهم بالمثيرات المتقاربة المتماثلة وبذلك يبتعدون رويدا من تلك الفوضى العاطفية القاضية بتوزع الرغائب واختلاف الميول في التحسين والتقبيح

واذا ما استطاع المربي ان يوجه انتباه طلابه الى العناصر التي تجعل الشيء جميلا محببا فقد وفق الى تكوين جيل متماثل النزعة في تقدير درجة الفن ونوع الجمال . معتمدا في ذلك على رائد من احساساته الوجدانية المهذبة الراقية . والادب الصحيح فن ما في ذلك ريب وهو اذا ما احسنا تدريسه وتلقيناه على خير وجه كان خليقا ان يثير من مشاعرنا كل ما يتناسب مع ما في ظلة كلماته من معاني الوحي والالهام

وثانيا الاديب المطبوع شاعرا ام ناثرا . يشد اوتار قيثارته من صادق حسه وصادق وجدانه . من خياله وخاطره . ويتغنى بالنشيد القدسي . نشيد الطبيعة والحياة . وفنه انما يطالبه بشيء واحد يطالبه بالصدق . يقول له كن صادقا ايها الاديب . وجاهر بما تتلقاه في يقظاتك من همسات السر الخفي الذي سموت لادراكه بعبقرية نبوغك العظيم

كن صادق الانشاد والغناء . فانت في طائع الاحياء الذين يبشرون بالهدى والخير . ويلهموننا السلوة والعزاء .

كن صادق الانشاد والغناء والشعر . فانت انسان من لحم ودم . من الناس . ولكن في قلبك الكبير تتلقى اصداء شكاياتهم ، وصرخات اوجاعهم . وندبات حزنهم . ورنات سرورهم ونبرات ضحكهم الداوي العريض .

كن صادق الانشاد والغناء والشعر . ففي شعرك الطروب جديد الاشواق . وحلو الاماني ونشوة الاحلام العذاب . في شعرك الطروب مطامح الروح وذكريات المجد الخالد . واذن فعلى الاديب

شهادة الاهلية

تؤجل من الخدمة العسكرية من تاريخ وجوب الخدمة

لا من تاريخ الاحراز عليها

نشرنا في العدد الماضي مقالة حول شهادة (الاهلية) لاحظنا فيها انه قد وقع خلل من طرف الادارة الحربية في تطبيق قرار وزير الحرب القاضي بتاجيل المحرز عليها من تلامذة الجامع الاعظم من الخدمة العسكرية اربعة اعوام افضى الى سوء تفاهم بين بعض طلبة الجامع والادارة المذكورة ، والفتنا في ءاخر ذلك الفصل نظر مدير الادارة الحربية الى الحل الذي يقع به ازالة سوء التفاهم وارضاء طلبة الجامع طبق ما يقتضيه قرار وزير الحرب

وبعد بروز ذلك الفصل ارسل الينا مدير الادارة الحربية احد كتاب ادارته وهو الفاضل الماجد السيد زين العابدين بن الخوجة يطلب منا الاجتماع به للتفاهم في وجوه الحل التي يزول بها الاشكال وتنفصل بها المسالة على احسن حال

وتلبية لهذا الاستدعاء ورغبة في ارجاع الاطمئنان الى نفوس ابنائنا الاعزاء من تلامذة الجامع الاعظم ادام الله عمرانه ذهبنا على الساعة العاشرة ونصف من يوم الثلاثاء ٢٠ محرم و٢٢ مارس الجاريين للادارة الحربية وتقابلنا مع مديرها ، ودار بيننا حديث طويل حول الموضوع الذي اجتمعنا من اجله فتحدثنا اولا عن التاريخ الذي يقع منه التاجيل من الخدمة العسكرية هل يكون من تاريخ احراز الطالب على الشهادة ام من تاريخ وجوب الخدمة العسكرية عليه . فذكرت لجناب المدير ان كلمة (التاجيل) معناها اعفاء من وجبت عليه الخدمة بالفعل ، وعليه فلا ينطبق معنى التاجيل الا على التلامذة الذين وجبت عليهم الخدمة . وما دام التلميذ لم تجب عليه الخدمة العسكرية فلا يقال فيه انه متمتع بمنحة شهادة (الاهلية) بل هو في تلك الحالة متمتع بحقه الطبيعي . فاذا وصل الى ابان

المطبوع ان يكون صادقا . فيما يظهر به على الناس من فيض قريحته الحارة المتوهجة . وان ساء حظه ولم يجد في قومه من يحركهم تطريبه . او يرضيهم انشاده فتلك سيئة الغفلة والطبع الجامد . وما كان الناس على غرار واحد في خلق الغفلة وجمود الطبع .

واذا جاز ان يهجر الاديب في جيله الحاضر ومن معاصريه . فليس يلزم ان يهجر في الاجيال المقبلة . فلينتظر نصفة التاريخ ان لم يجد سبيلا للظفر بنصفة قومه ومعاصريه

(للبحث بقية) احمد المختار الوزير

وجوب الخدمة عليه كان من حقه ان يتمتع عند ذلك بما اقتضته شهادة (الاهلية) من التاجيل اربعة اعوام ، فاقتنع المدير بهاته الملاحظات ، واتفقت معه على ان اذيع بصفة رسمية على صفحات هاته المجلة ما اتفقنا عليه وهو : ان التلميذ المحرز على شهادة الاهلية يؤجل من الخدمة العسكرية اربعة اعوام اعتبارا من تاريخ وجوب الخدمة عليه لا من تاريخ احرازه على الشهادة ، وعليه فاذا فرضنا ان تلميذا احرز على شهادة (الاهلية) وعمره ستة عشر عاما ثم استدعي للخدمة العسكرية عند ما بلغ سنه العشرين ، فانه يدلي عند ذلك بشهادته ويقع تاجيله اربعة اعوام من ذلك التاريخ وعليه فلا يستدعى للخدمة العسكرية الا اذا صار سنه خمسة وعشرين عاما

ثم الفت نظره الى مسالة اخرى وهي اعفاء التلامذة المحرزين على شهادة الاهلية من الرجوع الى بلدانهم ايام وقوع (القرعة) بان يقع الاكتفاء منهم بالادلاء بتلك الشهادة لدى الادارة المركزية بتونس حتى لا ينقطعوا عن مباشرة دروسهم اسبوعا على الاقل ، وقد وافق حضرته على هذا الاقتراح ولكن بشرط ان يذهب كل تلميذ يريد الانتفاع بهاته المنحة قبل مجيئه عند افتتاح العام المدرسي الى عامل بلاده ويعلمه بانه محرز على شهادة الاهلية ، حتى اذا جاءت الاعلامات الرسمية من طرف العمال للادارة الحربية باسماء من وجبت عليهم الخدمة العسكرية في تلك السنة يكون اولئك التلامذة ملاحظا امام اسمائهم بانهم حاملون لشهادة الاهلية

وعليه فما على التلامذة الذين يريدون الانتفاع بالمنحة المذكورة الا ان يذهبوا قبل مجيئهم للحاضرة عند افتتاح العام الدراسي الى ادارة العمل ويعلموا عامل مركزهم بانهم حاملون لشهادة (الاهلية) فاذا وقع استدعاءهم اثناء العام للحضور بالقرعة ذهبوا للادارة الحربية فتمكنهم بغاية السهولة من رخصة عدم الحضور ، ويكفون مشقة السفر ، ومضرة الانقطاع عن الدروس

وبعد ما وقع الاتفاق على حل المسئلة بما بيناه ابدينا لحضرة المدير شكرنا له على لسان عموم الزيتونيين لما توفق اليه من الاصغاء لصوت الحق والعمل بمقتضاه ، ثم ودعناه

محمد المختار بن محمود

تنبيه

نعلم السادة القراء الافاضل ان جميع التعاليق التي تكون تابعة للمقالات التي تنشر بالمجلة انما هي تابعة لصاحب التحرير وما يكون من الادارة يختم بكلمة (المجلة)

(الادارة)

نـــداء (*)

الى تلامذة الكلية الزيتونية والى تلامذة بقية المعاهد العلمية

ايها الابناء الاعزاء

اعلموا وفقكم الله ، وهداكم الى سبل الرشاد ، انكم عمدتنا في المستقبل ، ومحط آمالنا ، ومعقد رجائنا ، وانتم المعول عليكم في النهوض بوطنكم العزيز ، والسير به الى ارقى ما سار به الابناء المخلصون لصالح اوطانهم

ولا يخفى عليكم ان اهم الوسائل لرقي الامم ، وترفيع شانها ، واعلاء مكانتها ، وتاهيلها لاخذ حقوقها كاملة غير منقوصة ، انما يكون بالعلم . فبالعلم تترقى الامم ، وبالعلم يرتفع شانها ، وبالعلم يعلو مقامها ، وبالعلم تتمكن من الاحراز على ما لها من حقوق مضاعة ، وتسترجع ما لها من حق مغصوب

وانتم ايها الكارعون من مناهل العلم الصافية ، قد اهلكم الله لخدمة اوطانكم ، وشرفكم بالقيام باعباء اهم وسيلة من وسائل رقي بلادكم : الا وهي العلم

فاذا اردتم خدمة بلادكم خدمة صادقة ، وتعلق غرضكم بنجاحها النجاح الباهر الذي تسترجع به عزها ومكانتها بين الامم فاجعلوا هممكم العالية ، منصرفة الى تحصيل العلوم والمعارف على اختلاف انواعها وفنونها . فقد سبقتنا امم الغرب بمراحل شاسعة في العلوم النظرية والعلوم العملية ، ونحن لا نزال حيث كنا من منذ عشرات السنين ، فاذا اردتم الرقي الحقيقي ، والعمل المنتج ، فاقبلوا على العلم من جميع نواحيه ، حتى لا تكون هناك امة تفضلنا فيه

اما النزعات السياسية ، والتعصبات الحزبية ، فلا يزال امامكم متسع من الوقت للاشتغال بها والتبرز فيها ، اما الآن فلها رجالها العاملون ، وابناءها المخلصون ، الذين مهما طوحت بهم اسباب

(*) وقعت في خلال الشهر الجاري عدة حوادث مكدرة بين طلبة المعاهد العلمية ، بدئت من المدرسة الصادقية حيث وقع ابعاد احد المعلمين بها وهو صديقنا الاديب الفاضل السيد علي البلهوان ، فاحتج تلامذة المدرسة على رفته لما له عندهم من المنزلة العالية ، وتطور الاحتجاج الى تشويش افضى الى صدور قرار من جناب المقيم العام بغلق المدرسة الصادقية لاجل غير مسمى ، ثم تبع ذلك تشويش عظيم وقع بين تلامذة جامع الزيتونة افضى الى وقوع منازعات شديدة ءالت الى تضارب التلامذة فيما بينهم وتداخل رجال السلطة ، وكان السبب الاصلي في ذلك كله اختلاف النزعة السياسية بين الطلبة حيث ان منهم فريقا ينتمي لحزب الدستور القديم (اللجنة التنفيذية) وفريقا ينتمي لحزب الدستور الجديد (الديوان السياسي) فطغى عليهم جانب الاحساس ، وبالغوا في التعبير عن عواطفهم بصورة افضت الى استياء عموم السكان ، وتذمرهم من وصول الشقاق الى هذه الدرجة المزعجة ، فوجهنا هذا النداء لعموم الطلبة ملفتين انظارهم الى ان الواجب يقضي عليهم بترك هذه التحزبات والانصراف الى جانب العلم ، كما اننا نستلفت انظار الحكومة ونضم صوتنا الى صوت اساتذة المدرسة الصادقية لاعادة الاستاذ البلهوان الى منصبه سيما وهو من المشهود لهم بقيامه بواجبه التعليمي احسن قيام

الحجاج التونسيون

بلاغ الحكومة في بيان حالة الحجاج عند السفر
احصائية في بيان عدد الحجاج من مختلف الاقطار الاسلامية

عاد الحجاج التونسيون على ظهر الباخرة (بروطانيا) في يوم الاثنين الخامس من محرم الجاري (الموافق ليوم ٧ مارس) ومعهم حجاج الجزائر والمغرب الاقصى وقد وصلوا الى ثغر بنزرت بعد زوال اليوم المذكور . فتلقاهم على الرصيف اقاربهم واحبابهم وابتهج بقدومهم جميع السكان وتوافدوا على تهنئتهم باتمام فريضة الحج والتشرف بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يقف شقي على قبره الشريف

وقد كانت المدة التي قضوها ما بين سفر واقامة واحدا واربعين يوما . واذا طرحنا منها اربعة عشر يوما وهي مدة السفر ذهابا وايابا . تكون المدة التي قضوها في البقاع المقدسة سبعة وعشرين يوما. وهي مدة قصيرة جدا وان كانت كافية لاداء الفريضة فهي غير وافية بتمكين الانسان من التشبع بالاقامة في تلك الربوع الطاهرة التي يشتاق كل مسلم لاطالة المكث فيها والتزود من بركاتها والتمتع باسرارها وانوارها . فلذلك نعيد ما كنا لاحظناه سابقا من ان سفر الحجاج ينبغي ان يكون ابكر من الوقت الذي سافروا فيه في هذا العام . وعليه فحق السفر في المستقبل ان يكون في غرة ذي القعدة على اقل تقدير . حتى يكون للحجاج متسع من الوقت فيجمعوا بين اداء الفريضة . والتشبع بالاقامة في بيت الله الحرام ومدينة رسوله عليه الصلاة والسلام .

فنهنئ حجاجنا الكرام بعودتهم الى وطنهم سالمين غانمين . ونرجو من الله تعلى ان يجعل حجهم مبرورا . وعملهم مشكورا .

الافتراق ، واستحكمت بينهم اسباب الشقاق ، فلا يزال الرجاء معقودا في امانتهم ونزاهتهم ان يرجع كل فريق لاخيه ، فيلتئم الشمل ، وتحصل الالفة ، وتتوحد الكلمة

على انكم ايها الابناء الاعزاء ، اذا جاز ان تكون لكم ميول طبيعية ، واحساسات نفسانية ، تبعثكم على الميل الى فريق دون فريق ، فلا يجوز بحال ان تكون هذه الميول سببا لايقاد الفتن فيما بينكم ، واضطراب الاحوال فيما حولكم . فتفضي الى اعتداء الاخ على اخيه ، فتشبون والعداوة مستحكمة فيما بينكم حلقاتها ، والمودة مقطوعة فيما بينكم اوصالها ، فالناس احرار في افكارهم ومعتقداتهم ، ويجب على الانسان ان يكون واسع الصدر فلا يضيق ذرعا بمن يكون مخالفا له في الراي ، او مناقضا له في المبدا

ايها الابناء الاعزاء

ان دينكم واحد ، وان لغتكم واحدة ، وان ثقافتكم متماثلة ، وان داءكم الذي تحسون به داء واحد ، فوحدوا صفوفكم ، واجمعوا امركم ، واقطعوا اسباب الخلاف فيما بينكم ، وكونوا عباد الله اخوانا

محمد المختار بن محمود

هذا وقد ابدى لنا كثير من الحجاج استحسانهم لما كتبناه في افتتاحية العدد الاخير من المجلة في الدفاع عنهم والفات نظر الحكومة الى ما وقع لهم .

ومن جهة اخرى فقد اظهرت الحكومة التونسية اهتماما عظيما بما نشرناه في العدد الماضي عن حالة الحجاج ونشره غيرنا في الصحف اليومية والاسبوعية . واجرت بحثا حول ما اشيع من الاساءة في معاملتهم وتكليفهم ببعض اداءات لم تكن في الحسبان . ونشرت اثر ذلك السفارة العامة بلاغا تضمن الجواب عن ذلك ننشره هنا بنصه اتماما للفائدة

بلاغ الحكومة

(نقلت بعض الصحف اليومية صدى تشكيات ارسل بها الحجاج التونسيون اثناء سفرهم الى البلاد الحجازية من المعاملة التي قوبلوا بها من حيث الركوب في الباخرة (بروطانيا) وقد تشكوا بالخصوص من ارغامهم على دفع اداء لاجتياز قنال السويس زيادة عن المعلوم المقرر قدره خمسمائة فرنك (كذا) للشخص الواحد وقد اجري بحث مع ممثلي السلطة الذين صاحبوا الحجاج فكذبوا هذه الاشاعات تكذيبا قاطعا . واذا كان وقع بعض الارتباك في ركوب الحجاج وتنصيبهم في اماكنهم في ابتداء السفر فانهم اتموا سفرهم في احسن الظروف من حيث الراحة والامور الصحية ولم يرغم اي كان ممن دفعوا معلوم الركوب الاعتيادي على دفع اداء آخر) اه

ونحن يسرنا كثيرا ان تهتم الحكومة مثل هذا الاهتمام حتى يكون الحجاج مطمئنين في المستقبل على انفسهم واموالهم . وحتى لايتمكن احد من ان يلحق بهم ادنى اذى

عدد الحجاج في هذا العام

وقد وقفنا على احصائية تشتمل على جملة عدد الحجاج في الموسم الاخير مع تقسيمهم على حسب اوطانهم اردنا اثباتها هنا اتماما للفائدة :

بلغ عدد الحجاج الذين اعتلوا جبل عرفات ١٢٠ الف نسمة، ينقسمون بحسب بلدانهم كما ياتي

من السنقال ١٧ — ومن راس توفن ٦ — ومن الزنجبار ١٣٨ — ومن جاوة ١٦٠٨٩ — ومن الاتراك ١٧١ — ومن العراق ١٩١١ ومن فلسطين ٧٨٦ — ومن سوريا ٣٠٨٠ — ومن الهند ١٥٢٣٨ — ومن الصين ٥٥ — ومن بوقارا (كذا) ٨٩٠ — ومن التكاروه اي بلاد التكرور ٦٠٤٦ — ومن الافغان ٣٧٠٩ — ومن بلاد مسقط ٢٨٠ ومن المصريين ١٠٠٩٦ — ومن السودان ٢٠٥٤ — ومن الصومال الطلياني ٧٧١ — ومن الحبشة ٥٠١ — ومن حضرموت وعدن ٦٠٧ — ومن اليمن ٥٥٧ — ومن ايران ١١ — ومن اليابان ٤ — ومن يوغوسلافيا ٥٦ — ومن الاكراد ٧٢ ومن تونس والجزائر والمغرب الاقصى ٥٢٥٠ — (هكذا وقع جمع سكان الشمال الافريقي في عدد واحد وكان الذي وضع هاته الاحصائية وسعه ان يذكر الحجاج منفردين بالنسبة لكل بلاد حتى الستة الذين قدموا من راس توفن والخمسة والخمسين الذين قدموا من بلاد الصين وضاق عنه ان يفصل بالنسبة لكل قطر من اقطار الشمال الافريقي ولعل في هذا فال حسن بان يتوحد الشمال الافريقي لفظا ومعنى ان شاء الله وقد ذكرنا في العدد السابق ان جملة الحجاج التونسيين ٣٨١) وجملة هؤلاء الحجاج ٦٧٤٢٤ - واذا اضيف اليهم عدد الحجاج من سكان البلاد يصير عددهم ١٢٠ الفا كما قلناه سابقا — ونحن نعيد تهنئتنا لعموم الحجاج بما تيسر لهم من اداء الفريضة على احسن وجوهها والحمد لله

اصلاح خطا في الجزء الخامس

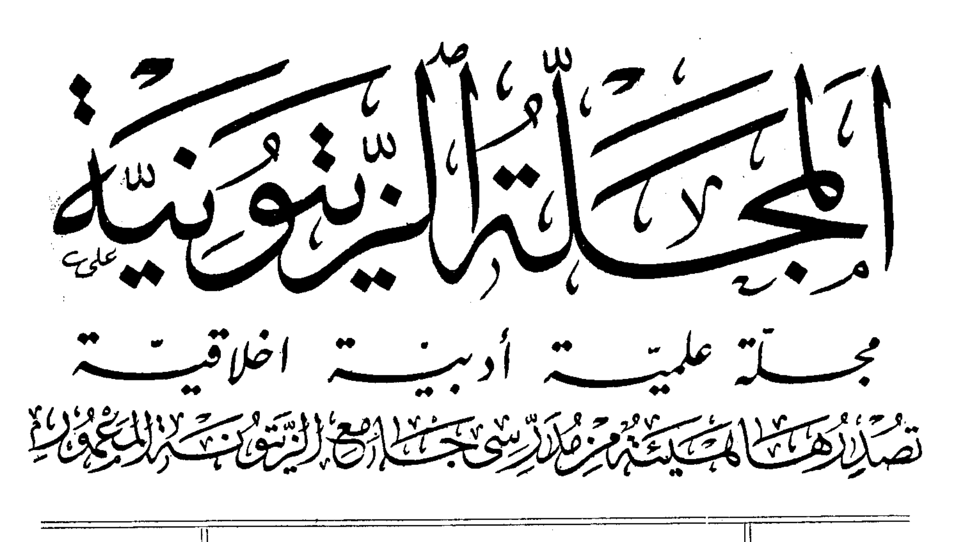
وقع خطأ بصفحة ٢٤ سطر ٦ في القرار المتعلق بشهادة الاهلية حيث نشر هكذا : ويقع العمل بهذا القرار من تاريخ غرة جانفي سنة ١٩٢٨ وصوابه سنة ١٩٣٨

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٠٢	١٩	العارضية	العارضة
٢٠٤	٩	على الباس	على الناس
٢٠٥	١	خالفية	خالقية
٢٠٥	٦	اي يلازم وصف الملك	(اي يلازم وصف المكر
٢٠٥	١٢	راتع	ماتع
٢٠٦	٢	الكنى	التكني
٢٢٥	٥	مسنده الاعلى	مسده (الاعلى
٢٢٥	١٩	التعريب	التعريف
٢٢٥	٢٠	وهم منه »	ولهم منهم »
٢٢٥	٢١	في الاختصاص	في قوله الحمد ووجود لام الاختصاص
٢٢٦	١٦	يشر	يشير
٢٢٦	٣٣	بالحقائق ولقد	بالحقائق بمنزلة الالة ولقد

اصلاح خطا بهذا العدد

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤١	٩	بالسير	باليسر
٢٤٢	٣	مدرس	مدارس
٢٤٥	٤	الاسبات	الاسباب
٢٤٥	٢٥	صفانص	صفاقس
٢٤٥	٢٩	راوه	راته
٢٥٠	٨	تصرفات (الاولى)	التصرفات
٢٥٤	٢٤	متوفقا	متوقفا





المجلد الثاني	تونس في صفر الخير عام ١٣٥٧ وفي مارس ١٩٣٨	الجزء السابع

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

رئيس قلم تحريرها

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

المجلد الثاني — الجزء السابع

فهرس العدد

المقال		صاحبه
٢٨٩	الربا	بقلم رئيس التحرير
٢٩٥	تفسير سورة الفاتحة (٦)	« صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٣٠١	باب ما انزل الله داء الا انزل له شفاء ...	« المنعم الشيخ محمد بن القاضي
٣٠٥	التعاضد المتين بين العلم والعقل والدين (٤)	« العلامة الشيخ محمد الحجوي
٣٠٩	التاريخ واهميته واوليته (٢)	« العلامة الشيخ عبد الرحمان زيدان
٣١٤	العمامة الخضراء	« العلامة المؤرخ امير الامراء السيد محمد ابن الخوجة
٣١٩	اعظم مشروع للاسعاف العام	« رئيس التحرير
٣٢٢	حول تاسيس المدارس القرءانية	« العالم الهمام السيد خير الله بن مصطفى
٣٢٥	سهولة الحج الى البلاد المقدسة	« السيد محمد الطاهر الطيب
٣٢٦	العاطفة في الادب العربي	« الاديب النابغ السيد احمد المختار الوزير
٣٣٠	مجلس اصلاح التعليم بالجامع الاعظم	« ....
٣٣٤	خطاب شيخ الجامع بالجلسة الافتتاحية لمجلس الاصلاح	« ....

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

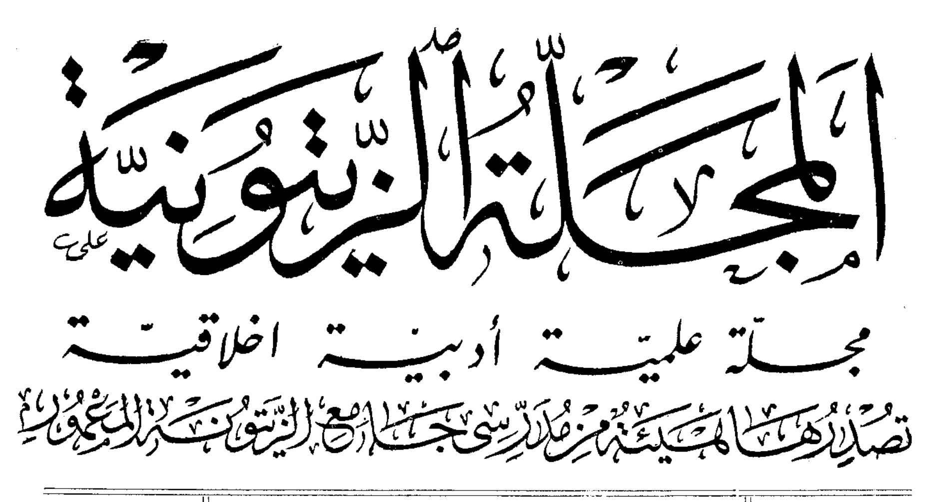
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء السابع	تونس في صفر الخير عام ١٣٥٧ وفي افريل ١٩٣٨	المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الربـــا (*)

بقلم رئيس التحرير

ايها السادة الفضلاء.

سيكون حديثي معكم في هذا المساء عن الربا، وما ادراكم ما الربا، ذلك الداء العضال الذي تفشى استعماله بيننا، وانتشر في سائر اوساطنا، ولم يسلم منه لا الاغنياء ولا الفقراء، ولا الرجال ولا النساء، بحيث لا يكاد يوجد احد غير مصاب بضررة، ومن لم يحترق بنارة فهو ملتهب بشررة

وهو داء قد جلبناه بانفسنا لانفسنا. فالله تعلى قد حرمه علينا، وحذرنا منه اشد تحذير، وقال فيه القرءان ما لم يقله في شيء سواه، وقالت فيه السنة ما لم تقله فيما

(*) هذه محاضرة كنت القيتها في حفلة جمعية الشبان المسلمين بمدينة باجة، ونظرا لاهمية موضوعها، آثرت نشرها هنا تعميما للفائدة، والله الهادي الى سواء السبيل

عدالا ، ورأينا ضررلا بالعيان ، وما بعد العيان بيان ، ومع ذلك فنحن لا نزال عليه مقبلين وفي قذارته منغمسين

جاءتنا النذر فما اتعظنا ، وتليت علينا الآيات البينات فما ارتدعنا ، وتوالت علينا المصائب والجوائح ، ووصلنا الى حالة من الفقر والافلاس جديرة بان تنشد فيها المراثي وتنوح فيها النوائح

واذا البينات لم تغن شيئا   فالتماس الهدى بهن عناء

فهل ءان لنا ان نقلع عن هذا الغي ونرجع الى الصواب ، ثم نترقب بعد ذلك من الله تعلى العفو والمغفرة وحسن المآب

ايها السادة

قارنوا بين الحالة التي نحن عليها الآن ، وبين الحالة التي كنا عليها من منذ اعوام قريبة ، ثم ابحثوا عن العلة في هذا الانقلاب الفظيع ، والاضطراب المريع ، فعند ذلك يظهر لكم صدق ما نقول

الكبار منكم شاهدوا بانفسهم ، والصغار منكم علموا بالنقل عن ءابائهم ، ان حالتنا في الزمن الماضي كانت خيرا بكثير من حالتنا في الزمن الحاضر

كان الرجل الفلاح يخدم ارضه على قدر طاقته ، فيحرثها على ظهور المواشي ، ويحصدها ويجمعها بواسطة الرجال والدواب ، فكانت نتيجته قليلة ولكنها محفوفة بالبركة ، فاذا انتهى موسم الفلاحة وجد عندلا من المال ما يكفي لقضاء حاجته وحاجة اهله في بقية العام ، واذا كان من ذوي اليسار تمكن من اشتراء شيء جديد يضمه الى مكاسبه ، ويدخرلا لابنائه واقاربه ، وهو مع ذلك يعيش في رغد عيش وهناء بال ، معتمدا على الله مترقبا فضله

فكنت ترى الفلاحين من سكان المدن والبوادي ، يعلو وجوههم البشر ، يرتدون احسن الثياب وانظفها ، ويأكلون اشهى الاطعمة والذها ، كل في دائرته التي يقدر عليها والتي اهله الله لها اما اليوم فانك ترى الفلاحين على اسوا حال ، وجولا مقطبة ، وافكار مشردة ، واسمال متسخة بالية ، وجيوب من المال خاوية ، الاراضي تباع بابخس الاثمان ،

٢

والديار الكبرى خالية من السكان ، والاغنياء و قفون على ابـواب الفـقر ، والفـقراء واقفون على ابواب الموت ، لا تجد الا مشتكيا باكيا ولا ترى الا معدما عانيا

فما هو السبب في ذلك ؟

هل بدلت الارض غير الارض ، هل شحت السماء بالمطر ، هل قعدنا عن العمل ، كلا ، لم يقع شيء من ذلك ، وانما هي البركة رفعها الله عنا وحرمنا من خيرها بسبب التعامل بالربا

كان الفلاح فيما مضى لا يخرج في فلاحته عن طاقته ، فاذا كانت له ارض شاسعة وكان غير قادر على زرعها كلها زرع منها ما يقدر عليه ، فان جـاءته صابة حسنـة كانت اعماله ناجحة ، وان كانت صابته رديئة كانت خسارته غير فادحة ، فهو مستريح في كلتا الحالتين • اما اليوم فالفلاح قد صار لا يقنع بالقليل .وليس عنده الا القليل ـ فاذا كانت له ارض وكان لا يقدر الا على زرع ربعها توسوس له نفسه بان يقترض المال ليزرع الباقي، فيذهب الى البنوك والى ديار المرابين ، فيقترض منهم المائه ـ على اقل تقدير ـ بعشرين ثم يمني نفسه بالربح الوافر الذي يظن انه يقدر به على تخليص الـديون التي ترتبت عليه وعلى استبقاء مال كثير بعد الخلاص

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فانه لا يقنع بادوات الفلاحة القديمة التي لا تكلفه من المصروف الا شيئا قليلا ، فيتعلق غرضه باشتراء (الماكينات) الكبيـرة ، والادوات الفلاحية التي يتبجح بتسميتها عصرية ترغيبا لنفسه في اشترائها ، فيذهب الى الديار التي تباع فيها هاته الآلات ويتعاقد معها عقودا مختلفة ، ويتظاهر له النواب في هاته الـديار بالتساهل في الدفع ، والحسن في المعاملة . والضحك في الوجه ، حتى يظهر له ان كل صعب قد سهل عليه ، وان كل خير قد انقاد اليه ، فيسرع باتمام تلك العـقود ، وهـي عقود ربوية محضة ، حيث يدفع فيها بعض الثمن بالحاضر ويؤجل له البـاقي على اقساط شهرية او سنوية مع تحميل فائض باهض عليها ، وذلك هو عين الربا ، فيرجع المسكين بتلك الآلات فرحا مسرورا ، ظانا ان السعادة قد حفت به من كل جانب ، وانه سيصبح من الاغنياء المترفين ؛ ولكنه ويا للاسف فرح قليل ؛ يعقبه حزن طويل ؛ وبكاء وعويل

ذلك ان تلك الآلات تستدعي مصاريف كثيرة : واعمالا شاقة عليه وعسيرة ؛ فهي تسير بالقاز وبالليسانس ؛ وهما يحرقان المال كما تحرق النار الحطب ؛ ثم ان العمال في تلك الآلات يتطلبون اجورا وافرة يتعذر عليه القيام بها ؛ ثم ان تلك الآلات كثيرا ما يطرأ عليها الخلل والفساد ؛ واصلاحها يستدعي المال الغزير

والفلاح المسكين لا قدرة له على التحمل بهاته التكاليف المتعددة لانه لا مال عنده ؛ فيلزمه حينئذ الاقتراض ؛ فيتردد على البنوك وعلى ديار المرابين من جديد : ويكون بسبب اضطراره وضيق باله حريصا على المال مهما كانت التكاليف ؛ فلا يناقش في الفائض الذي يفرضونه عليه ؛ ويرضى به ولو ارتفع مقداره الى حد غير معقول ؛ فتتراكم عليه عند ذلك الديون ؛ ويرجع بصفقة المغبون ؛ ويزداد همه ؛ ويشتد كربه وغمه. ثم اذا اراد ان يزرع ارضه لم يبق قانعا بان يزرع ما تيسر ؛ حيث ينظر الى ما عنده من الآلات والى ما تهيأ له من الاسباب في الظاهر ؛ فتوسوس له نفسه بان يقترض من جديد ليشتري ما يكفيه لزرع ارضه كلها ؛ فيتردد مرة ثالثة على المرابين ليقرضوه ؛ فيقرضونه على الصفة السابقة من تحميله بفائض فاحش ؛ وتقييده بشروط مرهقة ؛ وتكاليف مهلكة

فيشرع في العمل بعد ما تراكمت عليه الديون ؛ وحفت به الاخطار ؛ ونصبت له الشراك من كل جانب : فيكون عمله مضطربا مشوشا ؛ لان عقله ينصرف الى التفكير في تلك الديون التي غرقت فيها ذمته ؛ وكيف يعمل للخلاص منها ؛ والدين ـ عافاكم الله منه ـ هم بالليل ومذلة بالنهار

ثم بينما هو كذلك واذا بمطالب الخلاص تتوالى عليه ؛ وتنزل اوراق اللوسيات على راسه كاوراق الخريف . فالبانكة تطلب قسطها من الدين الذي حل اجله . والمرابي يتردد عليه صباحا مساء لاستخلاص دينه او يطالبه بالزيادة في الفائض ؛ ونائب الدار التي باعت له الات الفلاحة يطلب منه الدفع او يهدده ببيع ما اشتراه ؛ وينقلب ضحكه عند التعاقد الى شراسة ؛ وتنقلب مجاملته الى لؤم وحماقة ، فيزداد بذلك اضطراب الفلاح المسكين . ويقضي ليله في التفكير . ونهاره في سماع البذاءة والتعزير

ثم اذا تم نضج الصابـة ، وتفتحت الامال في وجه الفلاح ، واستعـد لنيل وافر الارباح ، يعود له عند ذلك رشاده ، فيبوء بالخيبة والخسران ، وتصير اماله هباء تذروه الرياح ، لانه لا يخلو حاله . فان كانت صابته حسنة دفعها كلها في تسديد بعض الديون التى وقر بها ظهره ، وان كانت ردية اصبح واقعا بين مصيبتين ، مصيبة الخسارة في نفسها ومصيبة ارباب الديون الذين ينظرون اليه كما ينظر الاسد الى فريسته ، فتقـام عليه الدعاوي من كل جانب ، ويصير اسمه ملوثا في جميع المحاكم وما هي الا ايام معدودات واذا بالاحكام تصدر عليه ، وتنزل على راسه كالصـواعق ثم يشرع حـالا في تنفيذهـا فتباع اولا ادوات الفلاحة ، ثم المواشي ، ثم الارض ، فان وفى ذلك كله بالدين فبها ، والا فتباع دار سكناه ، فيلقى بالاثاث على قارعة الطريق ، وتشتت نسائه وبناته في كل ناحية ، ويصير عاجزا حتى عن قوت يومه ، فينقلب الى سائل في الطرقات ، يبيـع ماء وجهه بفواضل الصدقـات ، وبعد ما كان يرفل في الدمقس والحرير ، يصير راغبا فيمـا تجريه الحكومة لامثاله من اوقية من الزيت ومائتي قرام من الشعير

هذه هي حالة الفلاحين ايها السادة ، ولا اراني قد قلت في وصفها الا ما هو مشاهد لجميعكم فما الذي اوصلنا لى هاته الحالة السيئة ؟ وما الذي افضى بنا الى هذه التعاسة الكبرى ؟ وما الذي اوقعنا في هاته الضائقة التي لم نشاهد مثلها من منذ ازمان ؟

لا شك ان السبب في ذلك كله هو الربا

فقد نهانا الله عنه فما انتهينا . وانذرنا سوء عاقبته فما ارتدعنا . وشاهدنا فتكـه بنا فما تجنبنا فهل نحن الآن عنه منتهون ، والى طريق الهداية راجعون

ايها السادة

كيف يمكن للفلاح ان يترقب النجاة ويرجو الفلاح ، مع انه يخون شريكـه ، ويعصي خالقه ومليكه

ايها السادة

ان الفلاحة كعقد شركة يقع بين العبد وخالقه ، يكون العمل فيها من جانب العبد ، والنجاح فيها بيد الله . فكيف يمكن للفلاح ان ينجح في عمله وهو مخالف في

٥

جميع حركاته لما امره به الله فارضه التي يزرعها حرام . والحب الـذي يـزرعه حـرام . وآلات فلاحته من حرام وماله الذي يتصرف فيه انجر اليه بوجه حرام

فكيف يترقب من الله ان ينجح اعماله . ويبلغه آماله

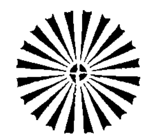
ايها السادة

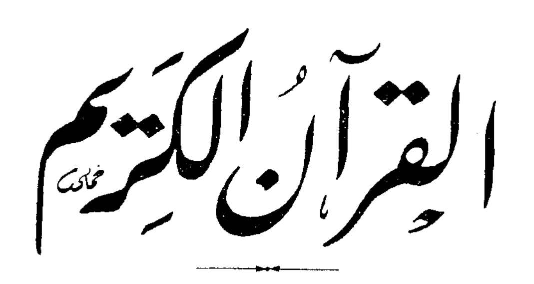
ان ما حدثتكم به في جانب الفلاحة . يقال بعينه في بقية ما يقع بيننا من المعاملات والتجارات • وفيما نقوم به من الحركات • فحالة الجميع متساويـة • وكلنـا نسير الى طريق الهاوية • ما دمنا نتعامل بالربا ولا نراعي حرمة الديـن • ولا نقرأ حسابا لكتاب الله جل جلاله • فالتاجر يستصغر بضاعته فيتعامل بالربا لتوسيع نطاقها • ومن يريد ان يزوج ابنته يتعامل بالربا ليفاخر بجهازها • ومن يريد ان يختن ولده يتعامـل بالـربا ليقيم الاحتفالات • ويتظاهر بالبذخ حتى يعد من الوجهاء الاعيان • ومن يسكن بدار لا ترضيه يتعامل بالربا لتشييد قصر فخيم واقامة بناء شاهق عظيم

وهكذا بقية الاصناف . ممن لا يدفعهم الى التعامل بالربا الا حب الترف والمبالغة في الاسراف • فمن اجل ذلك ذهبت ثرواتنا . وبيعت اراضينا . واخرجنا من ديارنا . واصبحنا فقراء اذلاء عالة نتكفف في الطرقات . نمثل الذل والهوان . ونشيج فلا يرثي لنا انسان وما ذلك الا من الربـا الـذي هو داء مهلك . ومرض قـاتل دخل بيتا الا واخربها ودمرها ، نعوذ بالله من دائه العضال . وجرثومته الفتاكة

(يتبع)

محمد المختار بن محمود





تفسير الفاتحة

للعلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

٦

(واياك نستعين) جملة معطوفة على جملة اياك نعبد وانما لم تفصل للاشارة الى حظور الفعلين جميعا في ارادة المتكلمين بهذا التخصيص اي نخصك بالاستعانة ايضا مع تخصيصك بالعبادة ، والاستعانة طلب العون ، والعون والاعانة تسهيل فعل شيء يشق باعداد طريق تحصيله كاعارة ءالة او مشاركة فعل البدن كالحمل والقود او بقول كالارشاد والتعليم او بمال كدفع المغرم ، والمقصود هنا الاستعانة على الافعال المهمة كلها التى اعلاها تلقي الدين وكل ما يعسر على المرء تذليله من توجهات النفوس الى الخير وما يستتبع ذلك من تحصيل الفضائل . وقرينة هذا المقصود افتتاح كتاب الشريعة ووقوع التخصيص بالاعانة عقب التخصيص بالعبادة فلذلك حذف متعلق نستعين الذي حقه ان يذكر مجرورا بعلى وقد افاد هذا الحذف ايهام عموم الاستعانة المقصورة على الطلب من الله تادبا معه تعلى فالحصر المستفاد من تقديم المعمول في قوله واياك نستعين حصر ادعاءي لعدم الاعتداد بالاستعانات غير المهمة ويفيد هذا القصر تعريضا بالمشركين وبراءة من صنيعهم فقد كانوا يستعينون بئالهتهم ومن ذلك الاستقسام بالازلام الموضوعة عند الاصنام ، ووجه الاتيان بضمير المتكلم المشارك في نعبد ونستعين الدلالة على ان هذه المحامد صادرة من جماعات ففيه اغاضة للمشركين اذ يذكرون ان المسلمين صاروا في عزة ومنعة ولانه ابلغ في الثناء من اعبد واستعين لئلا تخلو المناجاة عن ثناء ايضا بان المحمود المعبود المستعان قد شهد له الجماعات وعرفوا فضله وقريب من هذا قول النابغة في رثاء النعمان ابن الحارث الغساني

قعودا لـه غسان يرجون اوبـة   وترك ورهط الاعجمين وكابـل

فكان الحامد لما انتقل من الحمد الى المناجاة لم يغادر فرصة يقتنص منها الثناء الا انتهزها ، واعيد لفظ اياك في الاستعانة من دون ان يعطف فعل نستعين على نعبد مع انهما مقصودان جميعا كما انبأ عنه عطف الجملة لئلا يتوهم عدم قصد الحصر فيهما وان كان بين الحصرين فرق فالحصر في اياك نعبد حقيقي والحصر في اياك نستعين ادعاءي

(اهدنا الصراط المستقيم) تهيأ لاصحاب هذه المناجاة ان يسعوا لتحصيل حظوظهم الشريفة من طلب الهداية فانهم لما حمدوا الله ووصفوه بصفات الجلال ثم اتبعوا ذلك بقولهم اياك نعبد واياك نستعين الذي ظاهره خبر وفيه تعريض بالطلب لان الحمد لا حظ فيه للحامد بخلاف قولهم اياك نعبد الخ ففيه ثناء على الله تعلى بانه المخصوص بالعبادة والاستعانة وفيه حظ العبد بانه عابد ومستعين وانه قاصر ذلك على الله تعلى فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب انتقلوا به من ثناء الى واسطة حتى اذا راوا الاقبال متوفرا افضوا الى سؤلهم فلذلك قالوا اهدنا الصراط المستقيم وهذا الوجه هو المناسب لكون الفاتحة ديباجة القرءان وهو انما جاء ليهدي الطالبين للهدي والرحمة فقوله اهدنا الصراط المستقيم هو حظ للطالب خاصة وشروع في طلب ما ينفعه عاجلا وءاجلا

والهداية الدلالة بتلطف ولذلك خصت بالدلالة لما فيه خير المدلول لان التلطف يناسب من اريد به الخير والفعل هدى واختلف فيه هل هو معتد للمفعول الثاني وهو المهدي اليه بالحرف او بنفسه والاستعمالان واردان وقد جمعهما في الاساس فقيل ان لغة الحجاز تعديه بنفسه ولغة غيرهم تعديه بالحرف . وقيل اصله التعدية بالحرف باللام او الى واما تعديته بنفسه فعلى التوسع المعبر عنه بالحذف والايصال والى هذا ذهب صاحب الكشاف . وقيل الفرق بين المعتدي وغيره ان المعتدي يستعمل في الهداية لمن كان في الطريق ونحوه ليزداد هدى ومصدره حينئذ الهداية واما هداه الى كذا اولكذا فيستعمل لمن لم يكن سائرا في الطريق ومصدره هدى والذي اراه ان التعدية والقصور ليسا من الاشياء التي تصنع باليد او يصطلح عليها احد بل هي جارية على معنى الحدث المدلول للفعل فان كان الحدث لا يتقوم معناه الا بتصور من قام به فهو الفعل القاصر وان كان لا يتقوم الا بتصور من قام به ومن وقع عليه معا وهو المعتدي الى واحد او اكثر فان اشكلت افعال فانما اشكالها لعدم اتضاح تشخص الحدث المراد منها لان معناها يحوم حول معان متعددة ، وهدى متعد الى واحد لا محالة وانما الكلام في تعديته الى ثان فالحق انه ان اعتبر فيه معنى الاراءة والابانة تعدى بنفسه كما هنا وان اعتبر فيه مطلق الارشاد والاشارة فهو متعد بالحرف كما في قوله تعلى فاهدوهم الى صراط الجحيم فحالة تعديته هي المؤذنة بالفعل المتضمن له ، والهداية انواع تندرج كثرتها تحت اربعة اجناس مترتبة الاول اعطاء القوى المحركة والمدركة التي بها يكون الاهتداء الى انتظام وجود الذات ويندرج تحتها انواع تبتدي من الهام الصبي التقام الثدي والبكاء عند الالم الى غاية الوجدانيات التي بها يدفع عن نفسه كادراك هول المهلكات وبشاعة المنافرات ويجلب مصالحه الوجودية كطلب الطعام والماء وذود الحشرات عنه وصك الجلد واختلاج العين عند مرور ما يؤذي عليها ونهايتها احوال الفكر وهو حركة النفس في المعقولات اعني ملاحظة المعقول لتصحيل المجهول في البديهيات وهي القوة الناطقة التي انفرد بها الانسان المنتزعة من العلوم المحسوسة . الثاني نصب الادلة الفارقة بين الحق والباطل والصواب والخطا وهي هداية العلوم النظرية .

الثالث الهداية الى ما قد تقصر عنه الادلة و يفضي اعمالها في مثله الى مشقة و ذلك بارسال الرسل وانزال الكتب وموازين القسط واليها الاشارة بقوله تعلى في شان الرسل وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا. الرابع اقصى اجناس الهداية وهي كشف الحقائق العليا واظهار اسرار المعاني التي حارت فيها الباب العقلاء اما بواسطة الوحي او الالهام الصحيح او التجليات وقد سمىَّ الله تعلى هذا هدى حين اضافه للانبياء فقال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ولا شك ان المطلوب بقوله اهدنا الملقن للمؤمنين هو ما يناسب حال الداعي بهذا سوآء دعا به داع خاص او طائفة خاصة عند ما يقولون اهدنا او هو انواع الهداية على الجملة باعتبار توزيعها على من تاهل لها بحسب اهليته ان كان دعاء على لسان المؤمنين كلهم المخاطبين بالقرءان وعلى كلا التقديرين فبعض انواع الهداية مطلوب حصوله لمن لم يبلغ اليه و بعضها مطلوب دوامه لمن كان حاصلا له خاصة

والصراط الطريق وهو بالصاد و بالسين وقد قرئ بهما في المشهور وكذلك نطقت به بالسين جمهور العرب الا اهل الحجاز نطقوا به بالصاد مبدلة عن السين لقصد التخفيف في الانتقال من السين الى الراء ثم الى الطاء قال في لطائف الاشارات عن الجعبري انهم يفعلون ذلك في كل سين بعدها غين او خاء او قاف او طاء وانما قلبوها هنا صادا لتطابق الطاء في الاطباق والاستعلاء والتفخيم مع الراء استثقالا للانتقال من سفل الى علو اه اي بخلاف العكس نحو طست لان الأول عمل والثاني ترك. وبعض العرب قلبت السين بين الصاد والزاي وهي لغة قيس. ومن العرب من قلب السين زايا خالصة قال القرطبي وهي لغة عذرة وكلب و بني القين وهي مرجوحة وقد قرأ باللغة الفصحى جمهور القراء وقرأ بالسين ابن كثير في رواية قنبل وكذلك قرأ رويس عن يعقوب وابن محيصن حيثما وقع في القرءان وقرأ خلف عن حمزة باشمام الصاد زايا في كل القرءان وقرأ خلاد باشمام الصاد في خصوص قوله تعلى اهدنا الصراط المستقيم دون بقية ما وقع في القرءان وقيل في خصوص الصراط المستقيم صراط الذين وقيل كل صراط وقع معرفا دون المنكر والمشهور عنه هو اول الاقوال والقراءة بالصاد هي الراجحة لموافقتها رسم المصحف وكونها اللغة الفصحى . ولم يقرا احد بلغة عذرة سوى ما نقله ابن عطية عن الاصمعي انه روي عن ابي عمرو قراءته بالزاي الخالصة . فان قيل كيف كتبت في المصحف بالصاد وقرأها بعض القراء بالسين قلت اجيب عنه بعد كون القراءة بالسين مرجوحة بان الصحابة كتبوها بالصاد تنبيها على الافصح فيها لانهم يكتبون بلغة قريش واعتمدوا على علم العرب فالذين قرأوا بالسين تاولوا ان الصحابة لم يتركوا لغة السين لانهم يعلمون ان لغة السين هي الاصل فاعتمدوا على اهتداء الناس الى ذلك ولو كتبوها بالسين مع انها الاصل لتوهم الناس عدم جواز العدول عنه لانه الاصل والمرسوم كما كتبوا المصيطر بالصاد مع العلم بان اصله السين ، والمستقيم المستوي مطاوع قومته فاستقام ومعنى المستقيم الذي لا اعوجاج فيه والمراد بالصراط المستقيم الدين الحق التام وهو

هنا دين الاسلام فانه قد امتاز بهاته الصفات من بقية الاديان قال تعلى وما جعل عليكم في الدين حرج وقال يريد الله ليبين لكم وقال ان الدين عند الله الاسلام اي هو الموصل للغاية ولا يكون المطلوب في اول سورة من كتاب الاسلام الا الاهتداء للدين الاقوم الاوضح وليس غير الاسلام وقيل الصراط المستقيم اريد به خصوص دين الاسلام او بعض الاديان المتقدمة قبل نسخها

(صراط الذين انعمت عليهم) بدل من الصراط المستقيم بدلا مطابقا وانما سلك طريق البدل دون ان يجعل صراط الذين انعمت هو المفعول ثم يوصف بالمستقيم على الاصل في كون الصفة تابعة للموصوف لفائدتين الاولى ان المقصود من الطلب ابتداء هو كون المهدي اليه وسيلة للنجاة وسيلة واضحة سمحة سهلة واما كونها سبيل الذين انعم الله عليهم فامر عارض . الفائدة الثانية ما في طريقة الابدال من التقرير للصراط وتحقيق مفهومه عند السامع لانه يكون قد عبر عنه بعبارتين فحصل مفهومه مرتين في الذهن فهو شبيه بالتوكيد اللفظي والمعنوي ولو قدم صراط الذين انعمت عليهم واردف بقوله المستقيم لتعين عدم اعادة لفظ الصراط لان الصفة مغنية عن اعادته بخلاف هذا الاسلوب. ثم ان في اختيار وصف الصراط المستقيم بانه صراط الذين انعمت عليهم دون بقية اوصافه ما في ذلك من تمهيد بساط الاجابة فان الكريم اذا قلت له اعطني كما اعطيت فلانا كان ذلك انشط لكرمه كما قرره الشيخ الجد قدس سره فيما ورد اللهم صل على محمد وعلى ءال محمد كما صليت على ابراهيم فيقول السائلون اهدنا الصراط المستقيم الصراط الذي هدي اليه عبيد نعمك مع ما في ذلك من التعريض بطلب ان يكونوا لاحقين في مرتبة الهدى باولئك المنعم عليهم وتوطئة لما سياتي بعد من التبري من احوال المغضوب عليهم والضالين فتضمن ذلك تفاؤلا وتعوذا. وانعمت عليهم اي اعطيتهم النعمة بالكسر مشتقة من النعيم بمعنى راحة العيش وملائم الانسان والترفه لان بناء الفعلة بالكسر للهيئات ومتعلق النعمة اللذات الحسية ثم استعملت في اللذات المعنوية العائدة بالنفع ولو لم يحسها صاحبها قال النابغة .

فسكنت نفسي بعد ما طار روحها والبستني نعمى ولست بشاهد (٢)

فالمراد من النعمة في الآية التي لم يشبها ما يكدرها ولا تكون عاقبتها سوءا من خيرات الدنيا الخالصة من العواقب السيئة وخيرات الآخرة وهي الاهم فيشمل النعم الدنيوية كسبيها وموهوبها ويشمل النعم الاخروية . والنعمة بهذا المعنى يرجع معظمها الى الهداية لانها الهداية الى الكسبي من الدنيوي والى الاخري كله ظاهرة ولان الموهوبي من الدنيوي وان كان حاصلا بلا كسب الا ان الهداية معلن بحسن استعماله فيما وهب لاجله فالمراد من المنعم عليم الذين افيضت عليهم النعم

---

(٢) يخاطب النعمان بن جبلة الجلاحي من رؤساء جيش النعمان بن الحرث الغساني حين سبي سبيا من مرة رهط النابغة وفيهم عقرب ابنة النابغة فلما علم بها اطلقها واطلق سبي مرة كلهم لاجل النابغة وكان النابغة غائبا حينئذ .

١٠

الكاملة ولا يخفى تمام المناسبة بين المنعم عليهم وبين المهديين حينئذ فيكون في ابدال صراط الذين من الصراط المستقيم معنى بديع وهو ان الهداية نعمة وان المنعم عليهم بالنعمة الكاملة قد هدوا الى الصراط المستقيم فالموصول والصلة لاظهار ان النعمة حصلت حيث كانت الصلة فعلا ماضيا وللتعريض بالثناء والذكر الجميل لمن سبقونا بالايمان وباتباع فضائل الاديان .

فان قلت كيف يلتئم كون المسئول طريق المنعم عليهم فيما مضى وكونه هو دين الاسلام الذي جاء بعدهم ؟قلت انما امرنا ان ندعو الى حصول دين قويم يكون في استقامته كصراط المنعم عليهم فاجبنا بدين الاسلام وقد جمع استقامة الاديان الماضية وزاد عليها فالمقصود الهداية الى صراط كامل ويكون هذا الدعاء محمولا في كل زمان على ما يناسب طرق الهداية التي سبقت زمانه والتي لم يبلغ الى نهايتها والقول في المطلوب من اهدنا على هذه التقادير كلها كالقول فيما تقدم من كون اهدنا لطلب الحصول او الزيادة او الدوام والجواب عن استعمال الامر في حقيقته ومجازه الجواب

(غير المغضوب عليهم ولا الضالين) يجوز جر غير ونصبه وقد قرىء بهما فالجر على الصفة للذين والنصب على اعتبار غير واقعا موقع المستثنى بالا

وفائدة الوصف بغير المغضوب عليهم التعوذ من سوء العواقب التي عرضت لبعض المنعم عليهم بالهداية فما رعوها حق رعايتها والتبرؤ من ان يكونوا مثلهم في بطر النعمة وسوء الامتثال وفساد التاويل وتغلب الشهوات الدنيوية على اقامة الدين حتى حق عليهم غضب الله تعالى وكذا التبرؤ من حال الذين هدوا الى صراط مستقيم فما صرفوا عنايتهم للحفاظ على السير فيه باستقامة فاصبحوا من الضالين بعد الهداية اذ اساءوا صفة العلم بالنعمة فانقلبت هدايتهم ضلالا . والغضب هنا غضب الله تعالى وهو عكس الرضى وفسر الغضب فينا بانه كيفية تعرض للنفس تتبعها حركة الروح الى الخارج وثورانها فتطلب الانتقام فهو سبب لطلب الانتقام فطلب الانتقام سبب لحصول الانتقام ولذلك فسر جمهور المفسرين غضب الله بارادة الانتقام من المغضوب عليه والذي يظهر لي ان ارادة الانتقام ليست من لوازم الغضب الملازمة لماهيته ولكنها قد تكون من ءاثاره وان الغضب هو كيفية للنفس تعرض من حصول ما لا يلائمها فتترتبت عليه كراهية المغضوب منه وكراهية فاعله وتلازمه امور اشهرها الاعراض عن المغضوب عليه ومنع الاحسان اليه وقد يفضي ذلك الى طلب الانتقام منه فلذلك يختلف الحد الذي يحصل عنده الغضب باختلاف احتمال النفوس للمنافرات وباختلاف العادات وابابة الضيم وضيق الراي واكبار الجريمة . فيكون غضب الله كناية عن ابعاد المغضوب عليه عن العناية والاحسان الناشىء عن العناية . والمراد من المغضوب عليهم والضالين جنسا فرق الكفر والفسوق فالمغضوب عليهم جنس للفرق التي تعمدت ذلك واستخفت بالديانة عن عمد او عن تاويل بعيد جدا والضالون جنس للفرق التي اخطات الدين عن سوء فهم وقلة اصغاء وكلا الفريقين مذموم معاقب لاننا مامورون باتباع سبيل الحق

وصرف الجهد الى اصابته ولعل اليهود من جملة الفريق الاول والنصارى من جملة الفريق الثاني كما يعلم من الاطلاع على تاريخ ظهور الدينين فيهم وليس يلزم اختصاص اول الوصفين باليهود والثاني بالنصارى واما ما ورد في الاثر مما ظاهره تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى فهو من قبيل التمثيل باقصى الفرق التي حق عليها هذان الوصفان

واعلم ان الغضب في اصطلاح حكماء الاخلاق مبدا من مجموع الاخلاق الثلاثة الاصلية التي يعبر عن جميعها بالعدالة وهي الحكمة والعفة والشجاعة فالغضب مبدا الشجاعة الا ان الغضب يعبر به عن مبدا نفساني لاخلاق كثيرة متطرفة ومعتدلة فيلقبون بالقوة العصبية ما في الانسان من صفات السبعية وهي حب الغلبة ومن فوائدها دفع ما يضره ولها حد اعتدال وحد انحراف فاعتدالها الشجاعة وكبر الهمة وثبات القلب في المخاوف وانحرافها اما بالزيادة فهي التهور وشدة الغضب من شيء قليل والكبر والعجب والشراسة والحقد والحسد والقساوة او بالنقصان فالجبن وخور النفس وصغر الهمة فاذا اطلق الغضب لغة انصرف الى بعض انحراف الغضبية

وقوله ولا الضالين معطوف على المغضوب عليهم كما هو متبادر فكانت لا غير محتاج لزيادتها في المعطوف اذ لا يتوهم عطفه على غير ما قبله فما نقله ابن عطية عن مكي ان دخول لا لدفع توهم عطف الضالين على الذين انعم الله عليهم توجيه بعيد فالحق ان لا مزيدة لتاكيد النفي المستفاد من غير على طريقة العرب في المعطوف على ما في حيز النفي نحو ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير قال السيد في حواشي الكشاف لئلا يتوهم ان المنفي هو المجموع فيجوز السماح بثبوت احدهما ولما كانت غير في معنى النفي اجريت عادة المعطوف على المنفي في المعطوف عليها وليست زيادة لا هنا كزيادتها في نحو ما منعك الا تسجد اذ امرتك كما توهمه بعض المفسرين لان تلك زيادة لفظا ومعنى اذ المعنى على الاثبات والتي هنا زيادة لفظا فقط والمعنى على المنفي. والضلال المشي في غير الطريق المراد عن خطا سواء علم بذلك فهو يتطلب الطريق ام لم يعلم ومنه ضالة الابل وهو مقابل الهدى واطلاقه على الخطا في الدين والعلم استعارة كما هنا والضلال في لسان الشرع مقابل الاهتداء والاهتداء هو الايمان الكامل والضلال ما دون ذلك وله عرض عريض ادناه ترك السنن واقصاه الكفر وقد فسرنا الهداية فيما تقدم انها الدلالة بلطف فالضلال عدم ذلك ويطلق على اقصى انواعه الختم والطبع والاكنة

وقد التفت عن الخطاب الذي في قوله انعمت عليهم الى الغيبة في غير المغضوب عليهم لان الفعل المبني للمجهول يقدر له فاعل غير معين فهو في حكم الغائب إذ تقديره الذين غضب غاضب عليهم وهو من قبيل الغائب كما هو ظاهر وفائدة الالتفات هنا تجنب اسناد الغضب الى الله تعالى اكبارا لامر غضبه تعالى حتى لا يجري لفظه على اللسان وهذه نكتة خاصة لهذا الالتفات على ان الالتفات حسن الموقع في الكلام مطلقا كما تقدم في قوله تعالى اياك نعبد لا سيما اذا اشتمل على لطيفة وانما قدرنا المتلفت اليه اسما ظاهرا في الفعل المبني للنائب بناء على ما قدمناه من عدم تخصيص الالتفات بالضمائر بل الاسم الظاهر مثل ضمير الغائب يلتفت منه واليه لانه طريق من طريقي الغيبة .



باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (*)

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال : « ما انزل الله داء الا انزل له شفاء »

قد تقرر وان الطب نوعان طب جسد وهو المراد هنا وطب قلب ومعالجته خاصة بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ان طب الجسد منه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم (٢) ومنه ما جاء عن غيره وغالبه راجع للتجربة

التداوي وتركه قال حجة الاسلام الغزالي ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فقد روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال اني علهما مشغول وقيل لابي الدرداء ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امرضني وقد ظهر من هذه المرويات وامثالها ان من السلف من ترك التداوي وراءه ومنهم من كرهه وربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان ترك التداوي كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله بل هو سيد المتوكلين

الصوارف عن التداوي قال حجة الاسلام ولا يتضح الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعالهم إلا بحصر الصوارف عن التداوي ثم اخذ في حصرها وبيان اسباب ترك بعض السلف للتداوي بما لا يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشية الاطالة نذكر هنا من الاسباب ما به الحاجة. السبب الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب لانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة ام المومنين رضي الله عنها في امر الميراث انما هما اخواك واختاك وانما كان لها اخت واحدة وهي اسماء ولكن كانت امراته حاملا فولدت له ام كلثوم فعلم انه قد كان كوشف بذلك فلا يبعد ان

(*) ملخص من درس الحديث الذي القاه العلامة الشيخ محمد بن القاضي المدرس من الطبقة الاولى الحنفية ونائب الدولة لدى النظارة العلمية سابقا وذلك في رمضان عام ١٣٣٨ بجامع حمودة باشا حسب عادته السنوية

(٢) لابن خلدون ها هنا كلمات لا أتعرض اليها وارجو الله ان يسامحه فيها

يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله او ان الدواء لا ينفعه والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى وامر به . السبب الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعلى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تالم قلبه من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف الذي يحمل لملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جائع فيقول اني مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الاكل نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل .

مذاهب الايمة في التداوي - مذهب الامام الاعظم قال النسفي : المروي عن ابي حنيفة ان التداوي مؤكد حتى يداني به الوجوب وفي الملتقى ان من ترك الاكل والشرب حتى هلك فقد عصى لان فيه القاء النفس الى التهلكة وانه منهي عنه في حكم التنزيل بخلاف من امتنع عن التداوي حتى مات اذ لا يتيقن بانه يشفيه وفي رد المحتار انما لم يكن التداوي فرضا لانه ظني في حصول الشفاء

ومذهب امام دار الهجرة رضي الله تعالى عنه اشار له الشيخ ابو محمد بن ابي زيد في الرسالة فقال : ولا باس بالتعالج وشرب الدواء وعادته ان ياتي بلا باس في موضع ويستحب غالبا قال النووي في شرح مسلم ان فعل التداوي افضل من تركه وذلك مذهب الشافعي وجمهور السلف وعامة الخلف وفي شرح منظومة الآداب جزم في الاقناع والمنتهى بان مذهب احمد ان ترك التداوي افضل وانه لا يجب ولو ظن نفعه والعلاج رخصة وتركه اعلا درجة منه لما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون قال في الافصاح الذي ذهب اليه اكثر فقهاء الحنابلة ترجيح افضلية التداوي واجيب عن الحديث بانهم كانوا في الجاهلية يسترقي الرجل بالكلمات الخبيثة فيوهمه الراقي في ذلك وفي الكي انهما يمنعانه من المرض ابدا فذلك الذي منع منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ادلة افضلية التداوي - قال في الافصاح الحجامة سنة وهي اقوى دليل على فعل التداوي واورد احاديث كثيرة تدل على ان فعل التداوي اولى من تركه فقد قال صلى الله عليه وسلم عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الى وضع له شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا يارسول الله وما هو قال الهرم رواه ابو داود والترمذي وصححه وفي مسند الامام احمد عن عروة ابن الزبير عن خالته عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرت اسقامه فكان يقدم عليه اطباء العرب والعجم فيصفون له فنعالجه وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عله وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفثه

عليه وامسحه بيد نفسه لانها اعظم بركة من يدي ومن الادلة ايضا ما اخرجه امام دار الهجرة في الموطا عن زيد بن اسلم مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجلين ايكما اطب قالا يا رسول الله وفي الطب خير قال انزل الداء الذي انزل الدواء ومنها حديث الباب وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الا انزل له شفاء

شرح حديث الباب قال العلامة العيني وهو رد على الصوفيه في قولهم ان الولاية لا تتم الا اذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء ولا يجوز له مداواته قال في الكواكب شرحا للحديث اي ما اصاب الله احدا بداء الا قدر له دواء او المراد بانزاله انزال الملائكة الموكلين بمباشرة مخلوقات الارض من الدواء والداء قال الشهاب القسطلاني فعلى الاول المراد بالانزال التقدير وعلى الثاني انزال ذلك على لسان الملك للنبي مثلا او الهام لغيره وقال ابو يحيى زكريا الانصاري المراد بالانزال التقدير وبالشفاء الدواء لانه سببه فهو من اطلاق المسبب على السبب وبه عبر في خبر مسلم

وقد اجمع الكاتبون على ان الحديث ليس على عمومه فقد استثني منه الموت والهرم واختلف الاصوليون في العام بعد التخصيص هل هو حقيقة في الباقي او مجاز فذهب جمهور الحنفية والحنابلة الى انه حقيقة مطلقا وهو الذي جنح اليه ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات وذهب الجمهور من الاصوليين الى انه مجاز واختاره ابن الحاجب في الاصول .

العام المخصوص حجة قال ابن السبكي في شرح المنهاج من يقول ان العام المخصوص حقيقة احتج به لا محالة واما الخلاف في الاحتجاج به فهو مبني على القول بانه مجاز ومثل هذا نقله عنه الجلال المحلي قال العلامة في الآيات وفيه نظر لان المعنى الذي تمسك به من نفي الحجية مطلقا من انه يشك فيما يراد منه لاحتمال ان يكون قد خص بغير ما ظهر موجود بتقدير كونه حقيقة ايضا ولا يخفى ان ظاهر كلامهم ان الخلاف جار على القول بانه حقيقة وبانه مجاز

ومجمل هذا الخلاف ان الشافعي يقول ان العام المخصوص حجة ظنية وهو ما اختاره صدر الشريعة في التوضيح وقيل حجة قطعية كما كان قبل التخصيص وقيل لا يبقى حجة وتفصيله في الاصول

اشكال الشاطبي قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات يلزم على هذا الاختلاف خطر عظيم لان غالب ادلة الشريعة وعمدها العمومات فاذا عدت مسألة كون العام حجة بعد التخصيص من المسائل المختلف فيها صار معظم الشريعة مختلفا فيه هل هو حجة اولا ومثل ذلك لا يليق

مذهب الشاطبي في العام ثم اختار في العام مذهبا مخترعا وبناه على اعتبار الوضع الاستعمالي في العام ويحتاج الى تمهيد مقدمة وهي ان الشارع لما كان قصده ضبط الخلق بالقواعد العامة وكانت العوائد اكثرية لا عامة وكانت الشريعة موضوعة على ذلك الوضع كان من الامر الملتفت اليه اجراء

القواعد على العموم العادي لا على العموم الكلي التام الذي لا يتخلف عنه جزءي ما ولا كلام في ان للعموم صيغا والنظر فيها مخصوص بعلماء العربية وانما النظر في الاصول الى امر آخر وهو ان نقول ان للعموم الذي تدل عليه الصيغ نظرين احدهما ما تدل عليه الصيغة في اصل وضعها على الاطلاق والى هذا جنح الاصوليون ولهذا يقع التخصيص عندهم بالعقل والحس والثاني بحسب المقاصد الاستعمالية التي تقضي العوائد بالقصد اليها وان كان اصل الوضع على خلافها وهذا الاعتبار مقدم على اعتبار اهل الاصول لما تقرر في العربية من ان الاصل الاستعمالي اذا عارضه الاصل القياسي كان الحكم للاستعمالي

اطلاقات العرب للعام وبيان ذلك ان العرب تطلق الفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميمه مما يدل عليه معنى الكلام دون ما تدل عيه تلك الالفاظ بحسب الوضع الافرادي كما انها قد تطلقها وتقصد بها تعميم ما تدل عليه بحسب اصل الوضع وكل ذلك مما يدل عليه مقتضى الحال

وذلك لان المتكلم قد ياتي بلفظ عموم مما يشمل بحسب الوضع نفسه وغيره وهو لا يريد نفسه ولا يقصد انه داخل في مقتضى العموم كما في قوله من دخل داري اكرمته فليس المتكلم بمراد وقد يقصد صنفا مما يصلح اللفظ له في اصل الوضع دون غيره من بقية الاصناف كما في قولنا اكرمت الناس او قاتلت الكفار والمقصود له من لقي منهم وقد يقصد ذكر البعض في لفظ العموم ومراده من ذكر البعض الجميع كما في قولنا فلان يملك المشرق والمغرب والمقصود له جميع الارض ومنه قوله سبحانه وتعلى رب المشرقين ورب المغربين وقوله جل اسمه (وهو الذي في السماء الاه وفي الارض الاه)

وعلى هذا لا يدخل شيء من صفات الباري تعلى تحت الاخبار في نحو قوله جل وعلا خالق كل شيء لان العرب لا تقصد ذلك ولا تنويه وكذلك قوله سبحانه وتعالى والله بكل شيء عليم لا يدخل عليه بنفسه وصفاته وان كان عالما بهما لان الاخبار انما وضع عن جميع المحدثات وعلمه بنفسه وصفاته شيء آخر والدليل على صحة هذا المعنى هو انه لا يصح الاستثناء في هذه المقامات فلا يقال من دخل داري اكرمته الا نفسي ولا قاتلت الكفار الا من لم القه منهم وانما يصح استثناء غير المتكلم ممن دخل الدار وممن لقيت من الكفار وهو الذي يتوهم دخوله لو لم يستثن وهذا هو كلام العرب في التعميم وهو بنفسه جار في عمومات الشريعة

ملخص مخترع الشاطبي والحاصل ان العموم انما يعتبر بالاستعمال ووجوه الاستعمال كثيرة ولكن ضابطها مقتضيات الاحوال التي هي ملاك البيان فان قوله سبحانه وتعالى تدمر كل شيء بامر ربها لم يقصد به انها تدمر السماوات والارض ولا الجبال ولا المياه ولا غيرها مما هو في معناها وانما انها تدمر كل شيء مرت عليه مما من شانها ان تؤثر فيه على الجملة

معنى الحديث على ما تقدم قلت وبناء على ما قررناه يمكن ان يقال ان المراد من الداء في حديث الباب الداء الذي من شانه ان يوثر فيه الدواء عادة فلا يعم الموت والهرم وما قضت العادة بان لا دواء له ثم رايت الحافظ ابن حجر قرر هذا المعنى الا انه اثبته من غير هذا الطريق فانه قال في جواب سؤال حاصله ان عموم الحديث يشمل الداء القاتل الذي اعترف حذاق الاطباء بانه لادواء له واقروا بالعجز عن مداواته يمكن ان يكون في الخبر حذف تقديره ما انزل الله داء يقبل الدواء الا انزل له شفاء . يتبع

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

٦

٣٥ ـ علم التفسير

نص الامام الفخر الرازي على ان تفسير الآية اذا كان غير مطابق للمعقول فانه مردود على صاحبه وكيف لا والقرءان إنما أقام الادلة على خصومه والجمهم بالعقل (١) وقد تكرر فيه ـ افلا تعقلون ـ بضع عشرة مرة وقال وما يذكر الا اولوا الالباب وقال كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون فكيف يمكن ان يخالف المعقول . هذا كلامه وقد علمت ان المراد بالمعقول ما قامت عليه ادلة قاطعة مسلمة لا إمكان للطعن فيها وليس المراد بالمعقول ما ترجح في عقل فرد او جماعة لما اعتقدوه دليلا ربما لا يسلمه لهم غيرهم ولا تنهض به حجة قاطعة او تتغير الفكرة بتغير الازمان فذلك من قبيل المظنون وان تيقنه فرد او جماعة

٣٦ ـ الفروع الفقهية

إنني قد استقرأت كثيرا من الفروع المتفق عليها ومن فروع المالكية وغيرهم فلم أجد فرعا واحدا يناقض العقل ويصادمه بل اما أن تجد العقل يدل عليه كما دل عليه الشرع ايجابا او تحريما كطاعة اولى الامر في المعروف وبرور الوالدين وتحريم قتل النفس بغير حق .أو تجده غير معارض فيه كالصلاة فإن الدين يوجبها والعقل لا يعارض في ذلك بل مهما علم انها في كل ركعه تذكر في اليوم الاخير الذي ينشا عن الايمان به كل فضيلة ندب اليها واستحسنها ، وكالزكاة فان الشرع اوجبها والعقل ندب اليها لما فيها من الرفق بالانسان والرحمة به وتسكين ثورات الفقراء ضد الاغنياء وتقليل ذوي البؤس والبطالة وهكذا كل ما اوجبه الشرع من صوم وحج او ندب اليه كالنكاح الذي هو تكوين العائلة النزيهة والوقف على الوجوه الخيرية وغير ذلك الا وتجد العقل بعد اطلاعه على الحكمة التي قصدها الشارع استحسن ذلك ولم يعارض فيه كما ان كل ما منعه الشرع كالزنا وشرب الخمر وأكل الخنزير والربا والسرقة والغصب والخيانة والحرابة والبغي كل ذلك يمنعه العقل اذا اطلع

---

(١) وقد نبهنا الله في القرءان الى التمسك بالعقل الصحيح تسعة واربعين مرة بقوله وما يعقلها الا العالمون . لو كنا نسمع او نعقل .وامثالها هذا بلفظ العقل او ما اشتق منه ونبهنا في ءايات اخر الى معناه بنحو قوله (افلا يتدبرون القرءان ام على قلوب اقفالها) . (افلم يدبروا القول) . (ليدبروا ءاياته وليتذكر اولوا الالباب) وغيرها كثير

على حكمته ؛ وتتبع ذلك محله كتب الفروع فاذا تتبعت ذلك وجدته كله جاريا على هذا الاصل فاما ان يحكم العقل بنفس الحكم الذي يحكم به الشرع أو بما يقاربه ولا يعارضه ولا يضاده ؛ وليس هذا من التحسين والتقبيح في شيء اما القسم الثالث وهو ما يوجبه الشرع ويحرمه العقل القاطع أو العلم الصحيح او يعارضه فيه فهذا ما لا يوجد بحال بل المعاضدة تامة والشريعة ملئى من احكام فيها خير كثير للمجتمع لا توجد في شرائع اخرى كالنظافة التي في الطهارتين والسواك وستر العورة وابعاد مجتمعات النساء عن مجتمعات الرجال وغير ذلك

دفع ما يوهم المعارضة لهذا الدليل

ا — حرمة الربا ـ زعموا انه لا غنى لامة عنه وانه من اسباب التقدم والرقي وان الامم المتمدنة ما توصلت للاعمال الكبيرة الا بالبنوك . ونحن نقول قد تبين بالكاشف أن مضاره أربت على منافعه كالخمر الضار بالمال والعقل والتناسل والاخلاق والبدن مع منافعه ، وقد خربت ديار وأفلس كثير من الاغنياء في العالم بسبب الربا ولولاه لكانوا في حالة متوسطة وغنى ليس بالمفرط ولا فائدة في تقدم سريع ثم هبوط سريع والاسلام اختار قاعدة الاعتدال في جل الشئون وهل اوجب الازمة السوداء الحالة بالعالم الا ان الانتاج فوق الاستهلاك بسبب كثرة رؤوس الاموال بالبنوك والربا والاوراق المالية وفي امكان المسلمين ان يتوصلوا الى كل الاعمال النافعة كيفما كانت مع تجنب الربا ولو اتفق العالم كله على تركه ما وقع في مشاكله المظلمة الحالية

ب — حرمة الخنزير ـ قالوا الخنزير حيوان كالنعم لكن تبين طبيا ان تحريمه من نعم الله على المسلمين والاسرائليين لذلك لا توجد بينهم امراض لا انفكاك عنها لمن ياكله

ج — الختان ـ تبين طبيا ان فيه مصلحة كبرى نظافة وصحة يتمتع بها المسلمون والاسرائليون لا توجد عند من لا يفعله على انه عند اكثر المسلمين سنة للذكور مستحب في البنات ويفعلونه في سن الطفولية مع التسهيلات الطبية العصرية فلا يوجد فيه اي ضرر أو تمثيل او خطر غالبا فلو فرضنا ان طبيبا اشار على من به مرض بتجنبه ما الزمته به قواعد الشرع لانه تكميل ولم يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم امر سلمان الفارسي بالختان ولا فيروز ولا غيرهما من أبناء فارس أو النصارى الذين أسلموا على عهده صلى الله عليه وسلم وهم كبار السن لكونه سنة فقط واما اعتراضهم بانه مثلة فهو مما يوجب عدم الالتفات

د — تعدد الزوجات ـ قد تبين ان منافعه اكثر من مضاره بكثير حتى ان كثيرا من الامم تريد إدخاله في تشريعها وانما يمنعهم الخروج عن المالوف اذ به يقل الزنا والموبقات الناشئة عنه ويكثر النسل ويقل الايامى والعوانس . ثم الاسلام ما ألزم احدا بالتعدد نعم اباحه بشرط العدل وقد قال

في العدل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فهو وان أباحه فقد حذر مما ينشأ عنه وما اباحه الا لما عسى ان تدعوا اليه الضرورة كعقم الزوجة او مرضها او كراهيتها لكثرة الوقاع مع قوة الزوج او كبر سنها وصغر الزوج. ثم البوادي هم في اضطرار اليه لتتعاون الازواج على شئون البادية من حلب الماشية والطحن والخبز وغير ذلك لعدم توفر المرافق الحضرية فتجد الزوجة تتمنى ان تكون لها ضرات تعاونها وقد كاد تعدد الزوجات ان يضمحل من مدن الاسلام وانما هو منتشر بالبوادي حيث انعدمت الغيرة من نسائهم لجريان العادة به تقريبا . فالذين اعترضوه ليس اعتراضهم من جهة أمر عقلي اتفقت الامم والعقول على استهجانه وانما اعترضوا بما اعتادوا . وكثيرا ما ياتي الغلط من جهة العادة يعتادها الانسان حتى يظن أن أحدا لا يخالفه فيها وان العقل يحكم بها وليس الا العادة فليذهبوا للبادية ليعلموا . وعلى كل حال الشريعة فتحت باب الجواز لما عسى أن تدعو اليه الضرورة ولا سبيل لنا الى تغيير الشرع وسد الباب في وجه محتاج

هـ – الطلاق ـ كذلك تبين أن مصالحه اكثر من مضاره ولا سيما اذا لم تتوافق اخلاق الزوجين وهو ايضا انما ابيح للضرورة لاراحة احد الزوجين او هما وقال فيه عليه السلام ابغض الحلال الى الله الطلاق

و – الحجاب ـ ليس من مبتكرات الاسلام بل كان عند امم قبلنا فتناساه احفادها الرومان واليونان بمثل ما عندنا الآن أو اكثر قبل الاسلام بنحو الف سنة وقد شاهدنا ما فيه من مصالح اربت على مضاره ونساؤنا والحمد لله راضية به متمسكة بشريعته على ما وقع فيه من التطرف وزيادة التضييق في المدن باحتجاب المراة عند الخروج كلها الا قليلا منهن لاعتيادهن ذلك ولو كانت من القواعد اللاتي رخص الله لهن في تركه(١) ولما فيه من الصون والعفاف وراحة الضمير عند الرجال والنساء معا مع سدل حجاب الهيبة والحرمة وقلة الجرائم المتسببة عن السفور لان النساء محل الشهوة وابداء زينتهن مثارها ومهيج لها ورفع حجابهن موجب لكل مشكلة وقع فيها من رفعوه وان كان الوجه والكفان قد اتفق من يعتد به على انهما ليسا بعورة ولا يجب سترهما الا من امراة يخشى عليها الفتنة عند من ياخذ بسد الذرائع كمالك وقد تركه البوادي لعدم الفتنة غالبا لبعد ما بين الديار وعدم التزاحم الذي في المدن وليس الحجاب بمانع للمراة من العلم والتهذيب ولا هو السبب في وصول المراة المسلمة الى هذه الدرجة التي هي فيها من الانحطاط الفكري وانما هي العوائد . ولم تكن هكذا في صدر الاسلام . وكان الحجاب مسدولا باعتدال وكانت المراة تضاهي الرجل في المعارف وتشاركه في السياسة

(١) قال تعالى والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن (الآية)

والغزو والاقتصاد وكفى بسيرة ازواجه صلى الله عليه وسلم الطاهرات اذ كن مرجع العلم والراي . والاجماع على ان المراة في اخذ العلم مع الرجل سواء والمسألة لها بسط في كتابي – تعليم الفتاة لاسفور المراة – وقد نشر مرة بعد اخرى ثم ان خروجها لطلب حقوقها والتصرف في شؤونها وطلبها للعيش ولتجارتها كل ذلك لا يمنعها منه احد وانما الواجب حفظ الكرامة وعدم التبرج مع الصون والعفاف .

وبالجملة لا ينازع العاقل في كون الحجاب اصون للنسل وارقى حالا في شرف العائلة لاكنا نعترف بان التطرف فيه الى حد منع المراة من العلم والتهذيب مضر وليس من الشرع في شيء ونعلم ان جل التطرف وقع من النساء انفسهن اوجبته العادة وحب المحمدة والتحري لدينهن والورع وجزاهن الله خيرا ليتنا تركناهن وشانهن . وها هم دعاة الاباحة والفسق والسفور يتطرفون في رفعه لا نامت اعينهم . ونقول ايضا الاسلام لم يعامل المراة معاملة المجرم بالسجن كلا بل في البخاري ومسلم مرفوعا ان الله اذن لكن ان تخرجن لحاجتكن وفيه ـ لاتمنعوا إماء الله مساجد الله ـ فهي غير مسجونة وانما في الاسلام حجز لها عن الفاحشة وصون الاخلاق ان تسقط فيما يفسد النسل او يدخل الريب او يفسد السمعة ويشين الاعراض وان يرث الاب من ليس ابنا له بل المراة المسلمة في امورها المالية اكثر حرية من المراة الاروبية يعلم ذلك طلبة الحقوق ولو نفذت وصايا الشرع واحكامه في المراة على وجهها لكانت اسعد من نسوة جميع الامم فكثير مما يشاهد من التضييق على المراة نشأ من العوائد الخارجة عن نطاق الشريعة او من آراء مذهبية مستندة الى افكار خاصة ولا مسئولية على القرءان كما ان طلب تحرير المراة وقع من الرجال المحبين للاباحة اما نساؤنا فهن راضيات عن الحالة الحاضرة ولقد ندم المتدينون من دعاة السفور في مصر والشام وغيرهما وعلا الصراخ بالتضايق من المنكرات وان المراة اعطيت سلاح السفور لتتقدم نحو الفضيلة فتاخرت نحو العهر والاباحة وانحلال الرابطة العائلية التي هي امتن من روابط جميع الامم وندم الدعاة ولات حين مندم وارجو ان لا يقع المغرب في زلة المشرق المقلد لاروبا المتضايقة من جور نسائها

ز – اعطاء نصف الميراث لغالب النسوة هذا شيء لايعارض فيه العقل لانا رأينا كل امة تدين بالعقل تختار في تشريعها ما يوافق عقليتها فالاسلام جعل المرأة ربة البيت وحاكمته والقيمة على الاولاد ومحل النسل الطيب لتتكون امة طيبة راقية واوجب على الرجل شيئا كثيرا من الانفاق والتكاليف فجعل له في الميراث ما يكون في مقابلة ما كلف به من ذلك ومن الدفاع في الحرب والقيام بالامور العسكرية ونحو ذلك فليس هناك ظلم على المرأة اصلا والله يقول ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن يتبع



التاريخ واهميته واوليته (٢)

من تحريرات العلامة المؤرخ فرع الدوحة النبوية
الشريفة سيدي عبد الرحمان زيدان نقيب السادة
الاشراف بالمغرب الاقصى وكبير العائلة المالكة

لولا التاريخ لم تنكشف هذه الحقائق ، ولولاه لم يبلغنا ما كانت عليه الامة العربية التي نمت اليها بصلة الوصل من الشفوف وبعد النظر واصالة الراي ، ولولاه ما ادركنا شيئا من نعوتها وكمالاتها الجمة . ولولاه لم نطلع من اخبارها على نظير ما حكاه الحافظ الكلاعي في اكتفائه والحافظ ابو الفرج ابن الجوزي في كتاب الاذكياء والقاضي ابو الحسن الماوردي في كتاب اعلام النبوءة من ان جد العرب اليمنية وهو نزار بن معد بن عدنان كان له اولاد اربعة : مضر وربيعة واياد وانمار . فلما حضرته الوفاة اوصاهم وعين لهم ما يحوزه كل واحد مما يخلفه من المال حيث قال لهم : يا بني هذه القبة الحمراء وما يشبهها من مالي هي لمضر ، وهذا الخباء الاسود وما يشبهه لربيعة ، وهذه الخادمة وما يشبهها لاياد ، وهذه البدرة والمجلس وما اشبههما لانمار ، فان اختلفتم في شيء من ذلك فعليكم بملك نجران وهو الافعى الجرهمي . ثم لما مات اختلفوا في ذلك فتوجهوا الى ملك نجران ليفصل بينهم ، فبينما هم يسيرون اذ راى مضر كلأ قد رعي فقال ان البعير الذي رعى هذا الكلاء لاعور . وقال ربيعة هو أزور . وقال اياد هو ابتر . وقال انمار هو شرود . فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل فسألهم هل رأوا بعيرا له فقال مضر هو اعور ؟ فقال الرجل نعم ، وقال ربيعة هو ازور ؟ فقال الرجل نعم ، وقال اياد هو ابتر ؟ فقال الرجل نعم ، وقال انمار هو شرود ؟ فقال الرجل نعم هذه والله صفات بعيري فدلوني على محله ، فقالوا والله ما رايناه ، فقال قد وصفتموه بصفاته ، فكيف تقولون انكم لم تروه ، فارتفع معهم الى ملك نجران ليفصل بينهم وبينه في بعيره الذي وصفوه وانكروا رؤيته . فلما نزلوا على الملك ناداه صاحب البعير وقال هؤلاء اصحاب بعيري وصفوه لي بصفاته وقالوا لم نره ، فقال لهم الملك : كيف لم تروه وانتم قد وصفتموه ؟ فقال مضر رايته يرعى جانبا ويترك آخر فعرفت انه اعور ، وقال ربيعة رايت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى فاسدة الاثر فعرفت انه افسدها بشدة وطئه لازوراره ، وقال اياد رايت بعيره مجتمعا فعرفت انه ابتر اذ لو كان ذيالا لمصع به ، وقال انمار رايته يرعى المكان الملتف ثم يتخطاه لغيره فعرفت انه شرود .

فلما سمع الملك اجوبتهم هـذه قال للرجل انهم ليسوا باصحاب بعيرك فاطلبه في غيرهم ، ثم سألهم عنهم فاخبروه انهم بنـو نزار ، فقال اتحتاجون الي وانتم كما ارى ؟ ثم دعى لهم بطعام وشراب فاكلوا وشربوا ثم قال مضر : لم ار كاليوم خمرا اجود لولا انهـا نبتت على قبر . وقال ربيعة : لم ار كاليوم لحما اطيب الا انه ربى بلبن كلبة ، وقال انمار : لم ار كاليوم خبزا لولا ان التي عجنته حائض ، وقال اياد لم ار كاليوم رجلا اسرى لولا انه يدعى لغير ابيه . وكان الملك قد وكل بهم من يسمع كلامهم فاخبره بما سمع ، فدعا الملك صاحب شرابه وقال له الخمـرة التي جئت بها ما قصتها ؟ قال من كرمة غرستها على قبر ابيك لم يكن عندنا شراب اطيب من شرابها . ثم دعى الراعي فسأله عن الشاة التي اكل لحمها ما قصتها ؟ قال هي شاة ماتت امها فارضعناها من لبن كلبة ولم تكن عندنا شاة اسمن منها . ثم دعا عاجنة الخبز فاخبرته انها حائض . ثم سأل امه عن ابيه فاخبرته انها كانت تحت ابيه الذي يدعى اليه وهو ملك لا ولد لـه فكرهت ان يذهب الملك من دارها بموته فامكنت رجلا من نفسها كان نزل به فحملت منه فهو ابوه . فعجب الملك اذ ذاك مما اهتدى اليه ضيوفه ابناء نزار فدس اليهم من سالهم عن علمهم بما قالوا ، فقال مضر علمت انها خمر قبر من كون شان شرب الخمر ذهاب الغم وهذه ادخلته علينا بشربها . وقال ربيعة علمت انها شاة رضعت لبن كلبة لان شان لحوم الانعام ان يكون الشحم فوق اللحم والكلب بخلاف ذلك . وهذا اللحم وافق الكلب في ذلك فعلمت انه اكتسب ذلك من اللبن وقال انمار علمت انه عجين حائض من عدم انتفاشه حين فت وشان الخبـز الذي لـم يعجنه حائض الانتفاش حين يفت ، وقال اياد علمت ان الرجل يدعى لغير ابيه لاني رايته صنع لنا طعاما ولم ياكل معنا فعرفت ذلك من طباعه لان اباه لم يكن كذلك فرفعت اجوبتهم الى الملك فازداد عجبه ثم دعاهم وقضى بينهم فيما اختلفوا فيه وانصرفوا .

فلهاذا وشبهه مما استفيض من قوة ذكاء العرب ورجحان عقولهم قضى لهم على غيرهم غير واحد من غير اهل جلدتهم كباقعة الفرس الاسلاميين ابن المقفع المشهور بكمال المعارف والاقتدار اذ قال : ان امة العرب اعقل الامم لانها حكمت على غير مثال مثل لها اذ هم مـع كونهم اصحاب ابل وغـنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسورها ومعسورها ، ويصف شيء يعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة . ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح مـا شاء فيقبح ، ادبتهم نفوسهم ، ورفعتهم هممتهم . واعلتهم قلوبهم والسنتهـم . فمن وضع حقهم خسر ومن انكـر فضلهم خصم

ولنقتصر الآن على هذا القدر من فضل العرب التاريخي لئلا يقال مادح نفسه يقريك السلام . على ان ذلك لا يقال . فيما هو كالتاريخ مجرد انقال . فالتاريخ مادة كبرى تمد المعتنين بقـوة النقد والادراك وتهديهم الى الاتيان بالمستدركات الادبية والفوائد الخاصة التي ترقي حواشي الانسان وتهبـه

معرفة اخبار الماضين وتلقنه دروس الذكاء والعبرة المزدوجة بحوادث من تقدمه فيضيف بذلك كما قيل – واومانا اليه – اعماراً الى عمره فتراه يشارك في المعرفة من تقدمه بآلاف السنين كانه حاضر معهم في كل حين .

اذا عرف الانسان اخبار من مضى توهمه قد عاش من اول الدهر
وتحسبه قد عاش ءاخر دهره الى الحشر إن ابقى الجميل من الذكر

كان كتبة التاريخ ومدونوا اسفاره القديمة يقسمون التاريخ تقسيما يرجعون اصوله الى نشاة امم قديمة كالعرب والفرس والروم والقبط . ولكن نهضة العلوم الاجتماعية وتوفر البحث في اصول الامم ودرس مسائلها وتطوراتها اسدل ذيلا وارفا من كثرة الاطلاع وفيوض المعرفة على علم التاريخ ، فامست التقاسيم وهي اكثر ما تكون اتساعا وضبطا وترتيبا ، وبات التاريخ البشري وهو فن متحد ترجع اليه الامم كلها على اختلاف مللها ونحلها في الاستضاءة بانواره ، كل على قدر حظه من العلم ونسبته من التاريخ نفسه ومن شئونه المتفرعة عنه وحوادثه التي تكثر وتقل بحسب الادوار التي لعبتها الامة تقدما وتقهقرا .

هذا التاريخ عند العرب - واليه يساق الحديث - قد استمد نظامه الاول من القرءان مادة كل شيء وأصل كل فن وعلم . ففيه : ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض . وهي المعروفة باسمائها العربية التي اولها المحرم وءاخرها ذو الحجة ، وعلى ترتيبها وعدم الزيادة والنقص فيها استمر الحال الى ان رسم سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام الحج في عاشر ذي الحجة فصارت العرب بعده تقف في حجها عند حد ما رسمه ابوهم ابراهيم فيه ، وكان الحج لاجل ذلك ياتي في الفصول كلها فيجد اهل مكة على ما هم عليه من الخصاصة وضيق المعيشة حرجا ، فكانوا لاجل ذلك يتضررون باتيان الحج في غير ابان الغلال والمياه فنشا من ذلك ان قامت العرب بشورى فيما بينهم اشار عليهم فيها رئيسهم وخطيبهم اذ ذاك بتخصيص وقت الحج بفصل وجود الغلال والمياه من كل سنة .

وكان اول من انسأ الشهور من مضر مالك بن كنانة ، وكان ءاخر ناسيء منهم ابو تمامة جنادة ابن عوف بن امية بن عبد كما للازرقي نقلا عن الكلبي ، وكان ذلك من جملة تعاليم املتها رعونات الجاهلية فاقدموا عليها وزحلقوا الشهور عن محالها فاخروا المحرم الى صفر وصيروا صفرا الى اول الربيعين وهكذا . فهذا اصل نسيئهم الى تاخيرهم بعض الشهور او زيادتهم في عددها المنبه على نعيه عليهم وذم صدورها منهم في قول الله تعالى : انما النسيء زيادة في الكفر الآية . واستمر حالهم على هذا مدة من مائتين اثنتين وعشر سنين او عشرين سنة الى سنة حجة الوداع وهي العاشرة من الهجرة النبوية فاتفق فيها رجوع الحج الى ما كان رسمه فيه الخليل عليه السلام وهو عاشر ذي الحجة فقام

فيها نبينا صلى الله عليه وسلم خطيبا منبها على رجوع الحج لاصله وعلى تغييره بعد بقوله : الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض .

هذا وغني عن القول ان تاريخنا تبتدىء مادته العامرة من هجرة النبيء صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقد كانت العرب تؤرخ ايامها ووقائعها كالامم القديمة بالحوادث والحروب . واذا عرض لنا بحث ايها السادة المستمعون في اول من ارخ فاولاد آدم عليه السلام لصلبه كما نقله ابن عساكر في تاريخه عن الشعبي وذلك انه لما هبط آدم من الجنة وانتشر بنوه في الارض ارخوا من هبوطه فكان ذلك هو التاريخ حتى بعث الله نوحا فارخوا من بعثته الى ان كان الطوفان وغرق من غرق ونجا نوح ومن معه فارخوا من حادثة الطوفان . ثم لما كثر بنو اسماعيل وافترقوا ارخ بنو اسحاق من نار ابراهيم الى مبعث يوسف ومن مبعثه الى ملك سليمان ومن ملكه الى مبعث عيسى ابن مريم ومن مبعثه الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وارخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم الى بناء الكعبة المشرفة الى ان تفرقت معد فكان كلما خرج قوم من تهامة جعلوا التاريخ من خروجهم . ومن بقي بتهامة يؤرخ من خروج سعد ونهد وجهينة بني زيد من تهامة . ثم ارخوا من موت كعب بن لؤي الى عام الفيل ومضى التاريخ على ذلك الى ان ارخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة او ثمان عشرة من الهجرة . وعن ابن عباس قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وليس لهم تاريخ ومضت ايام ابي بكر واربع سنين من خلافة عمر على هذا ثم وضع التاريخ . وروى الحاكم في الاكليل من طريق ابن جريج عن ابي سلمة عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة امر بالتاريخ فكتب في ربيع الاول . وهذا معضل والمشهور خلافه كما في الفتح . ونحوه للابياري نقلا عن المحب الطبري واختلفوا في سببه قال ميمون بن مهران وقع الى عمر صك في شعبان يعني غير معين فقال عمر : اي شعبان ؟ اهذا الذي مضى او الذي هو ءات او الذي نحن فيه ! ؟ ثم جمع الصحابة من المهاجرين والانصار وقال لهم ضعوا للناس شيئا يعرفون به سنيهم وبعد تبادل ءاراء وافكار وانظار اتفقت كلمتهم على ان يكون من الهجرة . وفي رواية عن سعيد بن المسيب ان الذي اشار على عمر بالتاريخ بالهجرة هو علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ، كما اجمعوا على ان يكون فاتحة العام المحرم لكونه منصرف الناس من حجهم ، ولان ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم اذ البيعة وقعت اثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة ، ولانه اول الاشهر الحرم . واختاره ايضا علي كرم الله وجهه وقال : لانه اول السنة . وفي الفتح انه يستفاد من الآثار ان الذي اشار بالمحرم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وكان ذلك لسنتين ونصف من خلافة سيدنا عمر وكان وقوع اختيار الصحابة رضوان الله عنهم على التاريخ بالهجرة لانها وقت استعلاء الاسلام ومبدا توالي فتوحه للانام والتفرقة بين الحق والباطل . وقد اهتدوا باشارة القرءان في قوله تعالى : لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق

ان تقوم فيه ، وهو يوم قدومه صلى الله عليه وسلم مهاجرا المدينة . فلنقتصر الآن عليه طبق ما شرطناه

ومما سبق تعلمون ان اهمية التاريخ عظيمة لها المحل الاقعس من بين العلوم العمرانية التي بها حياة البشر حياة منظمة ، واحر بالاشياء اذا لحقها نظام ان يكون حليفها الاسعاد والتمام .

واوجه كلمتي الخالدة الى عموم شعبنا العزيز وعلى الاخص الشباب : الشباب الذي هو عماد المستقبل ومحور دائرة النهوض . الشباب المتوقد حماسة واشرئبابا الى العلا والامام . الشباب المتحمل لاعباء الاجتهاد والدؤوب ، الشباب العربي المغربي الذي ورث العزة والشرف عن اجداده الاكرمين . الى هؤلاء اوجه كلمتي حاثا لهم على درس التاريخ المجيد ليضيفوا اعمارا عزيزة الى اعمارهم وليكرعوا من حياض السمو ما يكفل لهم النجاح حتى اذا علوا ونهلوا من هذا المنهل الزلال رفعوا عقيرتهم وتاهوا فوق عرش الخلود !

فلو تدبر النشء المغربي ورجع بصره الى قرون سلفت لالفى الفحول الافذاذ من المحدثين والفقهاء والادباء وغيرهم من طبقات العلماء ، علاوة على ما حصلوا عليه من مختلف الفنون لايستغنون عن التاريخ ، اذ كيف يكون محدثا وهو غير مؤرخ غير عالم بسيرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم وبحياة الخلفاء وعظماء الرجال وطبقات الرواة والمحدثين ؟ وكيف يكون فقيها وهو غير مؤرخ ، غير متقن لسبقية هذا على ذاك مما يؤهله لان يكون في مصاف المفتيين ؟ والاديب ، لايكون اديبا بحق لا يكتب له اسم بين اسماء الادباء ما لم يتشبع بالتاريخ وجزئياته وما لم يركض ركض المجلي الخبير ، — ايها السادة — بدرسنا للتاريخ تتجلى لنا فضائح فظائع صدرت من اجلاء انتجت لهم عن تأخرهم في درس التاريخ .

ولكن الشيء الذي يجب التنبه له : انكم تعلمون ان التاريخ مادة كجميع المواد لعبت فيها الايدي ما شاء لها الغرض ، فهناك مترجم هضم حقه وزحزح عن مرتبته بسبب جرة قلم قضت عليه بالموت التاريخي والسقوط المبين ، وهناك مؤرخ لم يراع الا ولا ذمة فسود صحائف كما سولت له نفسه فورثها عنه الخلف بدون ترو ولا امعان . فالاغراض الشخصية لعبت دورها الواسع الرحب في هذا ، ومن هنا اخترع علم النقد الذي يميز الزائف من الجيد . فينبغي للشباب ان يقيس بقسطاس مستقيم وان لا يندفع اندفاعا يورده اقبح الموارد ، ولا ينبئك مثل خبير .

ثم على الشباب الناهض ان يعكف على مآثر الاباء من العلوم والفنون الاسلامية النافعة التي تقدمه شوطا بعيدا وترفعه عاليا ، وعليه ان يدع جانبا زائف القول وبهرجة الحديث مثل اشتغاله بما يقهقره حالا ومئالا كالسياسة ومااليها مما تكون عاقبته وخيمة ، وليجعل نصب عينيه وهجيراه في هذا قول الشيخ الامام الاستاذ محمد عبدة رحمه الله : ما دخلت السياسة في شيء الا افسدته . هكذا قال هذا النقادة البصير الذي خبر الامور وعجم الزمان حتى لفظ بهذه الكلمة الخالدة وتركها عبرة للمتبصرين ! !

واخيرا لعل الظروف تساعد على القاء سلسلة محاضرات عن نهضة العلم في عصر العلويين الى العصر المحمدي الكريم والى العودة ان شاء الله والعود احمد . والسلام عليكم ورحمة الله .

القيت بتحوير بالمذياع المغربي في العاصمة الرباطية سنة ١٣٥٥

صفحة من تاريخ تونس

العمامة الخضراء

بقلم امير الامراء العلامة المؤرخ سيـدي محمد
ابن الخـوجة مستشار الحكومة التونسيـة

ظهر في عالم الطبع لمدة قريبة رحلة بالقلم الفرنساوي قام بها لنحو مائة سنة فارطة رجل عسكري من ضباط بلاد سويسرة وفد على تونس في صدر دولة المشير احمد باي الاول تضمنت شتى الاخبار المفيدة من احوال المملكة التونسية التي شاهدها ذلك السائح الاروباوي اثناء زيارته لهذه الديار ومن الامور التي استلفتت نظر المؤلف في جملة ماشاهده يومئذ من العوائد والازياء التونسية انتشار العمامة الخضراء المتوجة لرؤوس الكثيرين من الشيوخ كناية على التحاقهم بالنسب الزكي وعنوانا على ثبـوت شرفهم في نظر العامة لذلك احببنا في هذه المرة تخصيص نبذتنا التاريخية الشهرية بحديث هذه العمامة وهو حكمها في الشريعة ومتى كان ظهورها في الاسلام لاسيما وان اللون الاخضر مما تنشرح له الصدور وهو في عرف اهل اروبا يرمز للرجاء وءامال الخير وعندنا معشر المسلمين انه من لـبوس اهل الجنان قال تعلى « عليهم ثياب سندس خضر » ولنشرع في المقصود فنقول :

ليس للعمامة الخضراء اصل في الشرع الاسلامي ولم تكن معروفة بين المسلمين في القرون الاولى واول ظهورها كان بمصر على عهد الملك الاشرف ابي المعالي زين الدين شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وكانت في البداية عبارة عن مجرد علامة خضراء تضاف لعمائم الاشراف قال في بدائع الزهور للمؤرخ محمد بن اياس : ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وفيها رسم السلطان (شعبان بن حسين بان السادة الاشراف قاطبة يجعلون في عمائمهم شطفات (١) خضر حتى يمتازوا عن غيرهم وتعظيما لقدرهم فنودي لهم في القاهرة بذلك فامتثلوا امره المتدارك اه وفي ذلك يقول الشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم بن المزين الدمشقي

اطراف تيجـان اتت من سندس	خضر كاعلام على الاشـراف
والاشرف السلطان خصصهـم بها	شـرفـا لنعرفهم من الاطراف

وقال الشيخ بدر الدين بن حبيب

عمائـم الاشراف قـد تميزت	بخضـرة رقت وراقت منظـرا
وهـذه اشـارة ان لهـم	في جنة الخلـد لباسا اخضـرا

---

(١) قال في المنجد الشطفة من الشيء : القطعة

وممن لم يستحسن مشروعية هذه البدعة عند ظهورها الشيخ شهاب الدين بن جابر الاندلسي وفي ذلك يقول

جعلوا لابناء النبي علامة ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الاخضر

ويلوح ان الداعي لتمييز الاشراف بشطفة خضراء في عمائمهم انما اقتضته الظروف في هاتيك الازمان لان مدة الملك الاشرف شعبان بن حسين الذي تولى السلطنة في الثانية عشرة من عمره تخللها هرج عظيم بين ولاة الاتراك بجهات المملكة وكان زعيم تلك الحركة الاتابكي يلبغا القابض على رقبة ذلك السلطان الفتى فلعله فعل ذلك سياسة منه لتنفيذ مقاصده باستمالة الاشراف لجانبه فيلتف الناس حوله لمناصرته على اعدائه ولذلك ميزهم باسم السلطان بالعلامة الخضراء المتحدث عنها كي لا يمسهم احد بسوء — وبالتالي تطورت تلك العلامة واستوعبت كامل العمامة واستمر على اختصاصها بآل البيت وانتشرت بين اشراف الافاق في الشرق والغرب واذا تدبرنا ما كان للسادة الاشراف من الحظوة والاعتبار (١) في انظار عامة المسلمين سهل علينا فهم السر الجليل الذي كان مخبوءا في طيات العمائم الخضر المتوجة بها رؤوس حامليها من الاشراف ثابتي النسب

هذا وقد اختلفت انظار اهل الشريعة في حكم هذه العمامة الخضراء فبعض الفقهاء لم يرها بدعة مباحة ولم يمنع من ارادها من شريف وغيره بناء على ان الناس مضبوطون بانسابهم الثابتة وبعضهم استروح استحسانها من كلام شيخ الاسلام ابي السعود العمادي لانه يراها تمييزا للشريف عن غيره خوف الانتقاص وعدم الاحترام بين العامة لان الشريف قد يجهل ولان الانساب لا يلزم ان تكون مشهورة بين الناس كما سياتي بيانه بالفتوى الصادرة منه في ذلك

اما ظهور العمامة الخضراء بالديار التونسية فيلوح ان ذلك كان حوالي المائة العاشرة ولا سيما بعد استقرار حكم الترك وترتيب الدواوين بها في القرن الحادي عشر اذ الترك كانوا اصحاب عقيدة صميمة وحب رسيخ في آل البيت فقد كانوا يغدقون عليهم بالاحسان والمنح والاقطاعات وجعلوا لنقيب الاشراف حق الحضور مع اهل المجلس الشرعي عند اجتماع الفقهاء للنظر في النوازل بحضرة الباي ومما لا خلاف فيه ان العمامة الخضراء كانت كثيرة الانتشار بتونس واعمالها في القرن الثاني عشر ولا سيما بالمدن المعروفة بكثرة الاشراف كبلد مساكن وعلى قياسها بلد صفاقس التي لم يزل لها تعلق وثيق بالعمامة الخضراء لهذا الزمان — اما في اواسط القرن الثالث عشر فقد حكى لنا السائح السويسري المشار اليه في طليعة هذه النبذة ان العمامة الخضراء كانت بتونس من الاشياء المستلفتة للانظار

(١) انظر عبارة التوقيع بولاية نقيب الاشراف في صحيفة ١٦٣ بالجزء الحادي عشر من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي

بكثرة انتشارها بين الناس وبالتالي اخذ امرها في التقاصر والتراجع الى ان صارت من اللبوس النادرة حتى في الاوساط المعروفة بصحة النسب الزكي بحيث ان حامليها بتونس كانوا يعدون على الاصابع في مبادي هذا القرن الرابع عشر وممن ادركنا من الشيوخ المتوجة رؤوسهم بالزمالة الخضراء (١) الشيخ الشاذلي بن صالح الجبالي كبير اهل الشورى المالكية المتوفى سنة ١٣٠٨ فانه كان شريفا من جهة امه بنت الشيخ الحاج علي دمدم المشهور الشرف بتونس وكان الحافظ الشيخ احمد بن عبد الكريم يؤم المصلين بجامع محمد باي المرادي وعلى راسه زمالة خضراء تسر الناظرين وهذا الفاضل من قرابة الشريف الشيخ محمد بن عبد الكريم الذي كان في جملة المحمدين الاربعين من آل البيت الذين انتخبهم المشير احمد باي الاول باشارة القاضي الشيخ مصطفى بيرم للاجتماع بجامع الزيتونة والدعاء بتفريج الكرب عند اشتداد الطاعون بتونس في سنة ١٢٦٦ وقد تضمن تاريخ الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف اسماء هؤلاء السادة الاربعين وكلهم ممن اشتهروا في تونس بلشرف المطهر وكان اكثرهم يحمل العمامة الخضراء وكان نقيب الاشراف يومئذ الشيخ محمد بيرم الرابع ولكن لم يتخذها شعارا له فيما نعلم ولقد تأصل تعاق بعض الاشراف بالعمامة الخضراء لحد تتويج ضريحه بعد موته بمشهد تعلوه زمالة موشاة بالطلاء الاخضر كما لم تزل من ذلك بقية لهذا الزمان بمقبرة الجلاز التي ضمت تربتها الوانا كثيرة من آل البيت رحم الله الجميع

واعلم ان اشهر بيوت الشرف لهذا الزمان بهذه الديار هم آل بيتي الشريف ومحسن ايمة جامع الزيتونة وكان سلفهم ممن يعتم بالعمامة الخضراء وكلهم من ذرية الشريف الشيخ حسن الهندي الذي كان نقيبا للاشراف بتونس في سنة ١٠٢٣ كما استفيد ذلك من بعض الرسوم القديمة وفيهم يقول القاضي الشيخ احمد بن الخوجة الاول وفيه اشارة لاصلهم الهندي

الا ان نور الله بعد محمد   بنو بنته الاطهار من وصمة الحقد
وكلهم سيف فرنده لامع   ولكنما الاسياف اشرفها الهندي

وانت تعلم ما لسيوف الهند من الحد القاطع ناهيك بما وصفها به كعب بن زهير بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس حافل بالمهاجرين والانصار في قصيدته الخالدة

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول ـ الى ان قال

---

(١) الزمالة عبارة عن عمامة ذات لف وتركيب منتظم يدوم زمنا طويلا وهي في زماننا هذا من خصوصيات الايمة واهل العلم وهي من اوضاع البلاد الشرقية وكانت معروفة بالفرس في الزمن البعيد فقد رايت بمتحف مدينة بوردو رسما بالدهن يمثل مجلسا فارسيا يرجع للمائة الاولى من التاريخ المسيحي اشتمل على مشيخة من الفرس معتمة رؤوسهم بزمالات كزمالات فقهاء تونس نصاتسوا

ان الرسول لسيف يستضاء به (١) مهند من سيوف الهند مسلول

قال بعض شراحها ان النبي صلى الله عليه وسلم قاطعه عند ذلك بقوله « بل من سيوف الله » فاعاد كعب قراءتها قائلا « مهند من سيوف الله مسلول » وبهذا التعديل النبوي تناقلتها الالسن والاقلام في القرون السابقة واللاحقة

ولنرجع بك لبيت القصيد يعني العمامة الخضراء موضوع الحديث فقد قدمنا لك ان الامام ابا السعود العمادي ممن استحسن ابتداعها ولقد سئل في ذلك فاجاب بما يعتمد في الموضوع مع الفتوى بصحة الشرف من جهة الام واليك نص السؤال والجواب

السؤال – هل ثبوت الشرف من جهة الام صحيح ام لا وهل هو بمنزلة الشرف من جهة الاب ام لا وهل لمن شرفه من جهة الام ان يضع العلامة (العمامة الخضراء) التي يتميز بها عن العامة ام لا وما دليله وما تعليله افتونا ماجورين

الجواب – نعم ثبوت الشرف من جهة الام صحيح معتد به شرعا واجب قبوله شرعا وعرفا فان ثبت لامراة انها شريفة صحيحة النسب كان اولادها لبطنها ذكورا او اناثا اشرافا ثابتا شرفهم من قبلها مع قطع النظر عن آبائهم وان كانوا ارقاء او عتقاء لا يضرهم ولا يمنعهم من ثبوت سيادتهم من جهة والدتهم ويثبت لهم من السيادة ما ثبت لها وتعين تمييزهم على غيرهم ممن لا شرف لهم بوضع العلامة خوفا من انتقاصهم وعدم احترامهم بين العامة فمن كان امه شريفة ثبت الشرف له ولاولاده ونسله وعقبه وانتظم في سلك الاشراف والادلة على ذلك كثيرة يضيق عنها المقام ويكفي الاشارة الى بعضها وهو ان جميع الاشراف الموجودين الآن (المائة العاشرة) في مشارق الارض ومغاربها انما ثبت لهم الشرف من جهة والدتهم فاطمة الزهراء من جهة السيدين الجليلين الحسن والحسين وهما انما ثبت لهما الشرف من جهة والدتهما رضي الله عنها لا من جهة سيدنا علي والا كان اولاده من غيرها كابن الحنفية اشرافا فليس خفيا ان علماءنا جعلوا في ذلك قياسا منطقيا من الضرب الاول من الشكل الاول مركبا من صغرى وكبرى وبيان صغراه من عشرة اوجه وأما كبراه فلم تحتج الى بيان وتحرير نظمه ان الولد بضعة من الام والام بضعة من ابيها فكيف لا يثبت له ما ثبت لها ولهذا حكمنا بشرف الحسن والحسين وقد افردت هذه المسالة بالتصنيف وحظيتها بالتاليف وفيه كفاية اهـ

(١) قال الشيخ الباجوري لما وصل كعب في قراءةقصيدته الى قوله « ان الرسول لسيف الخ » رمى صلى الله عليه وسلم بردته الشريفة عليه وبذل له فيها معاوية عشرةءالاف درهم فقال كعب ماكنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته عشرين الفا واخذها منهم اهـ وبالتالي انتقلت هذه البردة الشريفة من يد لاخرى الى ان آلت الى الشريف بركات فلما استولى السلطان سليم خان الاول على مصر ودخلت بلاد الحجاز في طاعته طلب من الشريف بركات ان يوافيه بالآثار النبوية وفي جملتها البردة المتحدث عنها فارسلها اليه مع ابنه الشريف ابي تمي فامر بحفظها بسراية طوب قبو عدا البردة الشريفة فقد وضعها بمكان قرب جامع السلطان محمد الفاتح ومازالت هنالك الى انقراض الخلافة من ءال عثمان في سنة ١٣٤٢ ويقال انها لم تزل محفوظة حيث هي هكذا افادنيه المرحوم صاحبنا الوزير السيد الطاهر خير الدين

ولقد وقفت بكناش بعض الافاضل على نادرة لطيفة مضمونها ان الشيخ ابراهيم الرياحي قال له ابنه « يا ابت لماذا لم تشهر نسبك الشريف بين الناس كما فعل فلان وفلان فاجابه يابني لان فاطمة البتول ستعرف وحدها ابناءها يوم القيامة قلت هذا كلام صحيح لا غبار عليه ولكنه لا ينافي كون سيدتنا فاطمة ستعرف ايضا في جملة ابنائها من يتحدث بنعمة الله عليه بانتسابه للعترة النبوية المطهرة. ولذلك نثبت هنا عبارة وثيقة تاريخية في ثبوت شرف اهل البيت الخوجي منة من الله وفضلا منقولة من خط نقيب الاشراف الشيخ محمد بيرم الثالث ومختتمة بطابعه ونصها بحروفها

الحمد لله ثبت شرف الشيخ العلامة السيد محمد بن الخوجة القاضي الحنفي بتونس وعملها في التاريخ واعلم بذلك العبد الفقير الى ربه محمد بيرم الثالث نقيب الاشراف بتونس في التاريخ الواضح ختمه بالمحول في ٢٧ حجة الحرام متمم شهور عام سبعة وخمسين ومائتين والف اهـ

بقي علينا البحث في مسالة العمائم الخضر التي ليس لها من آثار الشرف غير اللون الاخضر وهذه ربما كانت كثيرة في الزمن الماضي وانما قضت عليها الظروف بالاحتجاب تبعا لناموس التطور الذي تناول العمائم من كل لون ورجع بها القهقرى وقد كان المتطفلون عليها يتخذونها ذريعة اما للتمشيخ الفارغ وانما للنصب والاحتيال فقد اتفق ان رجلا من اللفيف افضى به الحال للتقدم بصفة عكاشة (١) في صف احدى الجماعات العيساوية وعندها اتخذ له عمامة خضراء فخيمة جسيمة ليست من الشرف في شيء وكنت سمعت من المرحوم السيد العربي بسيس وهو ممن طاف البلاد الشرقية في الطول والعرض ان سائقي العيس لما يكتري الحاج منهم راحلة لقطع الدرب الفاصل بين مكة المشرفة والمدينة المنورة يخفض صاحب الدابة كتفه للحاج ليسهل عليه مهمة الصعود لذروة الجمل فلما يضع الحاج قدمه على كتف الجمال يرفع هذا صوته قائلا : رفقا بآل البيت يا اخي فقد اوجعت عنقي — وبذلك يصبح الحاج في حيرة لاعتقاده ان صاحبه من آل البيت الاطهار ويسترضيه بالزيادة في اجرة الركوب وليس هو غير نصاب محتال من قطاع الطريق لا يملك من الشرف مقدار حبة من خردل بدمه . هذا ما كتبه القلم المحتار وربك يخلق ما يشاء ويختار

محمد بن الخوجة

(١) لقب عكاشة المعروف بين اهل الطريقة العيساوية مقتبس من الصحابي سيدنا عكاشة ابن محصن فانه لما بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة رقص لذلك واهتز فرحا قالو ان اهتزازه في تلك الآونة هو الذي تشبه به اهل الطريقة العيساوية واطلقوه على زعيم اهل الحضرة وسموه عكاشة هكذا سمعت من بعض الشيوخ الماضين والعهدة عليه والشيء الصحيح الوارد في كتب تراجم الاصحاب ككتاب الاستيعاب هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لاصحابه « سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بدون حساب » وهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون قال له عكاشة بن محصن يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ودعا له فقام رجل آخر — وكان من المنافقين — وقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال له « سبقك بها عكاشة » ولولا نفاقه لدعا له لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يكاد يمنع شيئا يساله اذا قدر عليه ومن هذه الحكاية الواقعية ترى وان عبارة « سبقك بها عكاشة » التى جرت مجرى الامثال الخالدة هي من مبتكرات النبوة فما احسن وقعها عند وضعها بمحلها

اعظم مشروع للاسعاف العام

الجمعية الخيرية الاسلامية بتونس

فهل هي آخذة حظها من عناية التونسيين؟

الجمعية الخيرية بتونس مؤسسة عظيمة اقيمت لغرض من اشرف الاغراض وانفعها ، وهو مد يد الاعانة للمحتاجين المنكوبين ، خصوصا اصحاب العائلات الذين مدت عليهم الفاقة اجنحتها وانـاخت عليهم بكلكلها فاصبحوا عاجزين عن القيام باود حياتهم وحياة من تحت كفالتهم من نساء عاجزات واطفال صغار وكان الحياء يمنعهم من ان يتكففوا الناس ويمدوا ايديهم للعطاء جهارا ، فتاسست الجمعية الخيرية لاسعاف مثل هذا النوع بالخصوص ، حتى تجمع لهم بين سد الضرورة وصون ماء الحياة . واي شيء يجب صونه مثل ماء الحياة ؟

وكان من جملة الاغراض التي اسست لها الجمعية الخيرية تكوين ملجإ للاطفال الصغار تحفظهم فيه وتقوم بتربيتهم وتعليمهم واطعامهم واكسائهم ، ثم يبيتون فيه تحت اشرافها ، ثم تبقى محافظة عليهم حتى يقوى ساعدهم ويشتد كاهلهم فعند ذلك يخرجون للمجتمع وهم رجال مثقفون اصحاء العقول والاجسام .

ومن اجل ذلك لم تقتصر الجمعية الخيرية على مد يد الاعانة للفقراء ، بل اسست مدرسة ابتدائية على نمط المدارس القرآنية - التي تحدثنا عنها وعن فوائدها في افتتاحية العدد الماضي - ليتعلم فيها الاطفال الموضوعون تحت كفالتها ، ثم وسعت في نطاق هاته المدرسة فقبلت فيها عدة تلامذة احرار اقبلوا على التعلم فيها لحسن نظامها ، وظهور انتاجها ، وكانت نعم المنقذ لعدة تلامذة وقع رفتهم من المدارس الدولية لتجاوزهم للسن القانوني المفروض على من يريد الدخول في سلك المتعلمين بها ، وبذلك حفظ مستقبل عدة شبان اذكياء ، اولاها لخاب فيهم الامل ، وحشروا مع الهمل

وقد ظهرت نتائج الجمعية الخيرية ظهورا واضحا لا يمتري فيه احد سواء من ناحية الاسعاف ، ام من ناحية كفالة الاطفال ، ام من ناحية التعليم ، ولولا النهي عن اتباع الصدقة بالاذى لذكرنا عدة افراد انتشلتهم الجمعية الخيرية من الهلاك ، ومدت لهم يد المساعدة حتى صاروا من الافراد الذين يزينون المجتمع التونسي في هذا اليوم ، والذين لا نشك في ان الواجب يفرض عليهم ان يمدوا لها بدورهم يد المساعدة ، وان يكونوا لها اعوانا صادقين ، ودعاة امناء

ان الملوك اذا ما استيسروا ذكروا   من كان يالفهم في المنزل الخشن

ولم تكتف الجمعية الخيرية بهذا العمل الجليل بل ارادت ان تشارك في الاسعاف بصورة اعم

واشمل ، فـاسست من منذ خمسة اعوام مطعما شعبيا يتناول منه الفقـراء الطعام بثمن بخس - وهو نصف فرنك - وقد انتفع من ذلك على الخصوص الفقراء من تلامذة الجامع الاعظم

هذه هي الجمعية الخيرية ، وتلك ءاثارها الباهرة ، ونتائجها الظـاهرة ، فما هو حظها في نظر التونسيين ؟ وهل هم قائمون بالواجب عليهم نحوها ؟ حتى يمكن لها الاستمرار على القيام بما تاسست لاجله من ناحية ، وحتى يمكن لها ان تتوسع في طرق الاسعاف من ناحية اخرى

وسنتـرك الجواب عن هذا السؤال لحضرة رئيسها الماجد الهمام الشيخ السيد البشير معاوية ، الذي قام باعبائها - والحق يقال - قيام الرجل الحكيم ، وحنى عليها حنو المرضعـات على الفطيم ، ولم يشغله عنها واجبه القضائي الشديد المراس

فقد سمعنا من هذا الرئيس الفاضل خطابا اذاعه في الراديو عشية يوم الجمعة ٧ صفر و٨ افريل المنصرمين ، ندد فيه على التونسيين الذين لم يقوموا بالواجب نحو مشروع يجب على جميـع الناس ان يلتفوا حوله ويمدوا له يد المساعدة كل على حسب طاقته . وقد ذكر ان عدد الاطفال الذين هم الآن في كفالة الجمعية الخيرية مائة وخمسون ، وهي توشك ان تصير عاجزة عن القيام بشؤونهم وعن الاستمرار على مشاريعها الاسعافية التي فصلناها طالعة هذا الفصل بسبب ضعف حالتها المالية ، ثم تعرض لمـوارد الجمعية وذكر انها تتكون من الاعانة الدولية ومن بعض الاحباس ومن امـوال الزكاة ومن صدقات بعض المحسنين ومن الاشتراكات ، ولما ذكر (الاشتراكات) اطنب فيها القول ، فذكر ان الاشتراك في الجمعية الخيرية مقداره زهيد جدا وهو فرنكان في الشهر ، وقـد عين بهذا المقـدار الطفيف حتى يكون جميع الناس قادرين على التحمل به من غير ادنى كلفة ، لان فرنكـين في الشهر لا يثقلان حتى على فقراء الناس فضلا عن اصحاب اليسار منهم ، واذا فرضنا ان يكون عدد المشتركين في الحـاضرة فقط مائة الف : فيكون مدخول الجمعية من الاشتراكات في الشهر مائتي الف فرنـك - اي مليونين واربعمائة الف فرنك في العام - ولكن اتعلمون ما هو مدخول الجمعية من الاشتراكات فعلا ؟ ان مدخولهـا من ذلك عشرون الف فرنك لا في الشهر بل في العام ، اليس هذا امرا موجبـا للخجل والاسف في وقت واحد ؟ اليس في هذا دليل على ان التونسيين لم يعاملوا هذا المشروع بما يجب له من الاهتمام والاعانة؟ ثم استمر في هذا العتاب المر بعبارات كلها صدق واخلاص نحو المشروع الذي خصص حياته لاجله ، والذي يشعر اكثر من كل احد بان الخطر اخذ يهدده : وبان اختلال الميزان يكاد يقضي عليه

ولقد حصل لنا تأثر شديد من هذا الخطاب ، واشفاق على هذا المشروع الذي ان لم يقع تداركه بسرعة فانه ءايل لا محالة للاضمحلال ، لاسيما في هذه الايام التي ارتفعت فيها الاثمان بصورة فاحشة فاذا لم يقف التونسيون وقفة رجل واحد لانقاذه فانه سيضمحل في امد قريب لا قدر الله

لذلك فاننا نتوجه الى ابناء وطننا الكرام ، راجين منهم ان يهتموا بهذا المشروع اهتماما عظيما وان يسارعوا بالاشتراك فيه ، وان يقوم كل منهم بدعاية لانقاذ هذا المشروع بين اقاربه واصدقائه حتى يتوفر في وقت قريب مقدار عظيم من المال تنتعش به الجمعية الخيرية ويشتد به ساعدها في هذا العام العصيب ، فافضل عمل يقدمه الانسان بين يديه هو الصدقة ، التي جعلها الله تعلى كقرض يقدمه الانسان اليه ، ووعد عليها بمضاعفة الجزاء في ءايات كثيرة من كتابه العزيز منها قوله تعلى (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الخلق عيال الله ، واحبهم الى الله اشفقهم بعياله)

هذا وان لنا اقتراحين نتقدم بهما الى مجلس الجمعية الخيرية مدفوعين في تقديمهما بوازع الاخلاص لهذا المشروع العظيم ولعله ينتج عن العمل بهما خير كثير

الاقتراح الاول — ان تستاذن الجمعية من الحكومة في القيام باكتتاب عام بعنوان (انقاذ الجمعية الخيرية) ثم تقع له الدعاية الكافية في الصحف وبالمسامرات وبجميع طرق الاشهار ، من غير ان يكون على طريق اليانصيب او غيره من الوجوه غير المشروعة ، ثم يعين رجال يجمعون بين الحزم والامانة فيقومون بجمع المال من الناس ، فيحصل بذلك ـ ان شاء الله ـ خير كثير ، ولعل احسن صورة لتنفيذ هذا الاكتتاب هي ان يعين يوم بعنوان (يوم الخيرية) ويعين المقدار الذي يؤخذ من كل فرد ـ وهو فرنك او فرنكان مثلا ـ ثم يقع جمع المال بهذه الصورة من عموم الناس

الاقتراح الثاني — هو تنظيم امر الاشتراكات بكيفية مضبوطة ومدققة من حيث التعميم ومن حيث قبض مقدار الاشتراكات ، حيث قد ظهر لي بعد التتبع ان كثيرا من الناس لم تطلب منهم الجمعية الاشتراك فيها ، مع انهم مستعدون غاية الاستعداد للاشتراك ، بحيث لو خوطبوا في ذلك لما بخلوا ، كما ان كثيرا من المشتركين لا يذهب اليهم الخلاص عدة اشهر فاذا تجمع عليهم مقدار كثير ثقل عليهم الوفاء . وهناك حقيقة واقعية لا سبيل لانكارها وهي ان غالب الناس لا يعطون ـ حتى المقدار القليل ـ الا بعد الطلب والالحاح فيه ،

لذلك فانا اقترح على مجلس الجمعية ان يكون اولا تجارد بها اسماء جميع السكان مع عناوينهم ثم ينتخب عدة افراد ويكلفهم بقبض المال بانتظام تام ، بحيث يتكلف كل واحد بخمسمائة مشترك مثلا يوزعهم على الشهر توزيعا منظما ، وتنتخب الجمعية افرادا يقومون بوظيفة الرقابة على هؤلاء الخلاصة وتعين لهم على ذلك اجورا وافرة ، لان الانسان لا يعمل بدون اجر كما هو الواقع ، وتخصص كاتبا للقيام بمحاسبة هؤلاء الخلاصة في كل يوم ، وبمجرد ما يظهر التقاعس من فرد منهم فانها تبعده وتعوضه بغيره ، واعتقد انه اذا انتظم امر الاشتراكات بهذا الاسلوب فانه يتكون منها دخل وافر للجمعية ولا تخشى الفاقة بعد ذلك ابدا بحول الله

واني رغما عما عرفته في رجال مجلس الجمعية الخيرية وخصوصا رئيسهم الفاضل من الصدق والحزم والخبرة فاني لم ار مانعا من تقديم هذين الاقتراحين بصفة تذكير لا بصفة ارشاد ، وان كانت اعمالهم ومقرراتهم لا تخرج دائما عن دائرة السداد .

واعيد قبل الانتهاء توجيه النداء لعموم التونسيين بان يقدروا مشروع الجمعية الخيرية حق قدره ، ويقتصدوا ـ ولا سيما اصحاب اليسار منهم ـ في بعض ملذاتهم ويعطوا ما يقتصدونه للجمعية الخيرية حتى يعود لها ازدهارها ونضارتها ، وحتى تستمر على اغاثة فقرائنا ، وكفالة ايتامنا في اوسع نطاق ، والله الموفق لما فيه الرشاد ، والهادي الى طرق السداد .

محمد المختار بن محمود

حول تاسيس المدارس القرءانية

نشرنا في افتتاحية العدد السابق مقالة عن المدارس القرءانية وتاريخ تاسيسها . ألممنا فيه بتاريخ التاسيس باختصار واشرنا الى ما لحضرة الشيخ الوقور السيد خير الله بن مصطفى من ألاعمال القيمة لانجاز ذلك المشروع وابرازه للوجود . وقد وافتنا اثر نشر ذلك رسالة لطيفة من حضرة المؤسس المذكور تعرض فيها لبسط بعض تفصيلات حول فكرة التاسيس وبسط ما وقع اجماله مما لم نطلع عليه

ونحن اتماما للفائدة ننشر هاته الرسالة شاكرين فضل مرسلها الهمام على اعتنائه بهذا المشروع اولا وءاخرا . ونرجو منه ان يجعل هذا التحقيق الذي ارسله كعربون لفصول ننشرها له من بعد يكشف فيها اللثام عن بعض الحقائق التي لا يعرفها الا هو وامثاله ممن مارسوا العمل في هاته البلاد من فجر هذا القرن واليك نص الرسالة المشار اليها

ابني الاعز الشيخ سيدي محمد المختار بن محمود دامت عافيته وسعادته ، اما بعد اتم التحية فاني اطلعت بالعدد الاخير للمجلة الزيتونية على مقالتكم الافتتاحية في المدارس القرءانية فلاح لي وجوب مراجعتكم فيما يخص تاريخ التاسيس احتراما وحفظا للحقيقة التاريخية

ان فكرة اصلاح التعليم الابتدائي العربي خامرت عقلي منذ كنت معلما بفرع المدرسة العلوية فحاولت تطبيق المبادي البداقجية على تعليم القراءة والكتابة في كتيب سميته « معين الصبي على تعلم القراءة والكتابة باللسان العربي » - وسلمته الى مدير المعارف في التاريخ الماسوف عليه لويز ماشويل فاستحسنه وابقاه عنده ولما سافر لقضاء الراحة الصيفية بفرانسا طبعه بالمطبعة الحجرية بخط يده ثم وزعه على المدارس الدولية فظهر فضله على الاسلوب العتيق

فاخذت اتحدث في المجالس على وجوب اصلاح التعليم الابتدائي بالكتاتيب ولكن سرعان ما حصل لي اليقين بانه يصعب بل يستحيل ادخال اي تحسين بها لاسباب مختلفة منها ما يتعلق باستعداد جل المؤدبين ومنها ما هو خاص بهيئة الكتاب واختلاف درجات المتعلمين

فعزمت على تاسيس مدرسة خاصه يتبع فيها برامج واساليب ابتكرتها باعانة صديقي سيدي العزيز الحيوني ذي الثقافة المتسعة والآراء السديدة

فتوجهت الى جناب الكاتب العام في التاريخ الماسوف عليه (روى) وقررت له فكرتي والتمست منه الاعانة فكان يصغي ولا يبدي استحسانا ولا انكارا وغاية ما حصلت عليه الوعد بالنظر

وبعد قليل وجه لي بطاقة بخط يده يستدعيني لمقابلة البرون دانتوار المعتمد بالسفارة فاجبت الدعوة وقررت فكرتي باطناب مع بيان ما اخاله ينتج من الفائدة لمواطني وللدولة الحامية فكان جوابه ان سألني : هل انت من رجال العمل ام من المفكرين فقط ؟ فقلت لـه : « لا يليق باحد ان يحتقر

نفسه » فاشار علي بالمفاهمة مع رئيس جمعية الاوقاف في شان اعانة مالية لابراز الفكرة في اقرب وقت من حيز النظر الى حيز العمل .

فتوجهت الى الجمعية ووجدت رئيسها سيدي البشير صفر تغمده الله برحماته - على علم من المسالة وهو يرعد ويبرق خوفا على اموال الاوقاف من الضياع ويهددني بسوء العاقبة في الدارين اذا تماديت على فكري هذا وقد كنت ملازما للسكوت لما كان بيني وبينه من الاخوة الصادقة المبنية على الاحترام والاخلاص من طرفي وعلى الود من طرفه ولعلمي متانة وطنيته وتيقنى انه لم يتصور مرمى المشروع وانه متى تصوره لا يلبث ان يمد اليه يد المساعدة قلبا وقالبا .

خرجت من الجمعية بخفي حنين غير غضبان وغير آيس من رجوع الرئيس الى الصواب طال الزمان او قصر .

وما كان غير بعيد حتى ارسل الي من اعلمني باستعداده لدفع كراء المحل عدد ٥٨ من نهج سيدي ابن عروس وثمن تاثيثه ومرتب معلم اللغة الفرنسية

فانتدبت لادارة المدرسة السيد محمد صفر من حذاق متخرجي المدرسة التاديبية الذي عمل بنشاط وانقطاع لنجاح المؤسسة وله الفضل وحده في بث الفكرة بواسطة من تمرن بمدرسته على تطبيق الطريقة الجديدة وايضا بواسطة ما الفه من الكتب الابتدائية المفيدة

فتحت المدرسة يوم ١٤ شوال عام ١٣٢٤ فاقبلت التلاميذ من سائر الطبقات ووقع توزيعهم على الاقسام بالاختبار وشرعت في القاء الدروس بنفسي لتدريب المعلمين على تنفيذ البرنامج واستعمال الاسلوب المبتكر

هذا وقد سافر سيدي البشير صفر الى مصر ويوم رجوعه كنت في مقدمة من وفد لتهنئته بسلامة القدوم وبمجرد نزوله من الباخرة اقبل علي وجذبني اليه وقبلني يمينا وشمالا وقال لي باعلى صوته : « سر في طريقك فاني من اليوم في اعانتك بجميع ما في وسعي لاني رايت الكتاتيب بالقاهرة واقسم انها دون مشروعك بمراحل »

فبادرت الى استثمار هذه العاطفة الجديدة وعرضت عليه تاسيس مجلس يتولى البحث عن وسائل التحسين فاستصوب الفكرة وقبل برئاسة المجلس الذي تركب ممن ارتضاه من بعض الاعيان

فاجتمع المجلس مرة اولى للاطلاع على ماموريته ثم اجتمع ثانيا لتبادل الافكار فى شانها فما راعنا الا ان راينا احد الاعضاء وكان من اهل العلم قدم لنا تقريرا ضافيا سطر فيه برنامجا جديدا للمدرسة احتوى على جميع مبادي العلوم من دينية وعصرية والفنون وبعض الصنائع وعند فراغ الشيخ رحمه الله من سرد تقريره اقتصر الرئيس على وعده بالنظر ولم يجتمع المجلس بعد

هذا ما رايت من واجبي عرضه عليكم لاعلامكم وقراء المجلة بحقيقة تاريخ تاسيس المدرسة القرءانية العصرية

والسلام من ودودكم معظمكم خير الله بن مصطفى لطف الله بـه في ١١ صفر ١٣٥٧

سهولة الحج الى البلاد المقدسة

ان فريضة الحج المقدسة لا يحتاج الكاتب في تقريرها الى بيان مفصل يسدد فيه الادلة والبراهين ولكنه امر مفروغ منه ـ انما الذي يحتاج الكاتب الى بحثه هو ناحية هامة من نواحي البحث في وسائل هذه الفريضة واركانها هذه الناحية هي مسئلة الامن واستتبابه وما يتعلق بهذا من الصحة والرفاهية وسهولة طلبات الحاج في مدة اقامته بالحجاز ـ فالمفروض ذهنيا نظرا لخلو بقاع الحج من وسائل الحضارة الحديثة ان الحاج لا بد ان يلقى المشاكل والعراقيل في سبيل اداء مهمته الدينية المقدسة وهذا الفرض ككل فرض جدلي لا يصعب علينا تفنيده لانه لا يستند على حقيقة من واقع او من منطق ـ فاتهام هذه البلاد بانها تخلو من وسائل الحضارة الحديثة اتهام لهذه الحضارة نفسها بانها بطيئة السير او عاجزة عن ولوج بلاد يكتنفها بحران البحر الاحمر من غربها والمحيط الهندي من شرقها وهي قبل هذا وبعده بلاد مطروقة سنويا ولا بد ان يستمر طروقها الى مدى الدهر وهذه الفكرة وحدها كفيلة بحمل ولاة امورها على ايجاد ما يجب وجوده فيها من ناحية رفاهية القادمين

اضف الى كل هذا جهود هذه الافئدة من الناس التي تهوي اليها من شتى اقطار الارض المكتظة بالحضارات ـ فلهذا كله يكتفي المرء البعيد عن هذه البلاد بالحكم لاول وهلة انها آهلة بوسائل الراحة والرفاهية

نحن سكان هذه البلاد المقدسة نشعر قبل كل احد بتحول حالة بلادنا العمرانية في مدى عشر سنوات او اقل تحولا ملموسا في شتى المرافق والنواحي ـ اذ ترى السيارات على اختلاف انواعها الجيدة تشق قفار الحجاز قبل مدنه ـ وفيضان مياه العيون والآبار في كل بقعة من بقاعه ـ وتعداد نشاط دور الاستشفاء المجهزة بآلات العلاج وعقاقيره وكل لوازمه على طول الطرق من جدة الى مكة فعرفات وهكذا في طول طريق المدينة علاوة على الفنادق المجهزة بكل وسائل الراحة لاراحة الحجاج في مختلف الطرقات

هذه لمحة موجزة ألممت فيها ببعض ما يهم المسلمين الوقوف عليه في الحرمين الشريفين ـ وأما حالة الامن واستقراره فليسأل عنه كل من زار الحجاز من الوافدين فانهم شهود صادقون وسيحدثونك ايها القارىء عن كل ما لمسوه من كل ما ذكرناه آنفا

مكة المكرمة الفقير الى ربه تعالى : محمد طاهر الطيب

العاطفة في الأدب العربي

هي المحاضرة التي القاها الاديب النابغ السيد احمد بن المختار الوزير في قاعة المحاضرات بقصر الجمعيات تحت اشراف هيئة التعليم العربي العمومي

« ٤ »

تنوع العاطفة

واود ان أتبع ما سبق لنا من قول في تعريف العاطفة الادبية وبيان صدقها. وقوة تاثيرها بهذا التفصل. وقد خصصته لدرس ناحية اخرى للعاطفة. خصصت هذه المرحلة لدرس تنوع العاطفة وتفاوت مراتبها في الرفعة والانحطاط. والنقاد المحدثون لا يختلفون في تنوع العاطفة وترتيبها حسب درجاتها المتفاوتة. فمنها السامي النبيل. ومنها الداني الحقير. منها الخير. ومنها الشرير. منها العابد الناسك. ومنها الفاجر الفاتك. ومن الطبيعي ان يتفق النقاد وان يجتمع رايهم على صحة هذا التقسيم والترتيب. والا فهل يجوز ان تتحد عاطفة نبيلة تثير الخير وتدعو ملحة الى الاخاء والتعاون والسلم بعاطفة اخرى تقدح زناد الشر وتحرص على القطيعة الصارمةوالتناكر البغيظ ؟ وهل يمكن ان نساوي بين عاطفة الكرم السخي في تامة صوره وبين عاطفة البخل الضنين في اضيق صوره

والادب في هذا يساير علم النفس الى حد بعيد. وعلماء النفس يضعون عاطفة الدين في اسمى درجات الرقي. ويضعون بعدها عاطفة الخلق الفاضل النبيل. وبعد هذه وتلك تاتي عاطفة محبة الجمال ثم ما شئت من العواطف الاجتماعية والقومية

وفي درس النقد الادبي تتلقاك كل هذه الانواع على ما بينها من تفاوت في الترتيب. وعلى ما هي عليه من التصاعد العالي في مدارج الرفعة. ومراقي الكمال. وخليق بنا ها هنا ان نبادر بذكر امثلة منوعة نوضح بها ما نقول. فمن غرر القصائد الدينية واصدقها هذا القصيد من شعر حسان بن ثابت يفاخر وفد تميم بقوم النبي صلى الله عليه وسلم. اذ يقول :

ان الذوائب من فهر واخوتهم	قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته	تقوى الاله. وبالامر الذي شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم	او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة	ان الخلائق. فاعلم شرها البدع
ان كان في الناس سباقون بعدهم	فكل سبق. لادنى سبقهم تبع

اعفــة ذكرت في الوحي عفتهــم … لا يطمعون . ولا يزري بهم طمع
لا يفخرونـــ اذا نالوا عــدوهم … وان اصيبوا فلا خور . ولا جزع

وحسان معروف ببريق عاطفته الدينية ، معروف باخلاصه الشديد لعقيدته الجديدة . ولولا ذلك ما كان يستطيـع مقاومة الشعراء في مكة . ولقد علم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منـه . وعلم ما للشعر من الاثر العظيم في نفوس قريش . فحين تصدى شعراء مكة لهجوه وابطال ما جاءهم به من دعوات الحق والهـدى والخـير . قـال النبي عليه السلام ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهـم ان ينـاصروه بالسنتهم . فقال له حسان وقد احس بعاصفة ثـائرة طاغية متمردة . تعتلج في قـرارة نفسه . وتنثنى متراوحة في جنبات صدره . انالها . واخذ بطرف لسانه قائلا : والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء . ومن كلام النبوة في تحريضه وتاييده . شن الغارة على بني عبد مناف . فوالله لشعرك اشد عليهم من وقع الحسام في غـلس الظلام . وقد كان حقا ما قالته النبوة . فشعر حسان الصادح بمفـاخر النبي وصحابته . المـادح لدينه . المؤيد لدعوته . اذاق المشركين في مكة وخاصة تلك الفئة الهـاجية للرسول . المهجنـة لدعوته . مرارة آلام ظلوا يتقلبون من ضرها على النار المتضرمة . اللاذعة . وما كانوا على احتمالها من الصابرين .

وحسبي ما تحدثت به اليكم عن العاطفة الدينية في هذا القصيد . ويسيـر جدا ان يجد الباحث امثلة اخرى تصور مكنون المشاعر الدينية . وتتحدث عن خفاياها الغامضة . على اننا جميعا ما زلنا ننتظر بشوق النتائج القيمة التي سينتهي اليها الباحثون الذين خصصوا كل ما في وسعهم من المجهـود المدخر لدرس العاطفة الدينية التي لعبت ادوارا خطيرة جدا في تاريخ البشرية . من عهود غابرة وازمنة داثرة واغلب الظن ان الادب هو الذي سيكون موضع عنايتهم وهو ما سيكون مادة درسهم وبحوثهم ومنه يستنبطون ما يعن لهم استنباطه من النتائج والاراء الصحيحة الثابتة

ومن امثلة العاطفة الخلقية اللامعة الاشراق الخاطفة الضيـاء الملهمة الفضائل . هذه الابيات من شعر « معن بن اوس » التي قالها مترفقا بالمسيء . ملاطفا من ثقلت عليه وطأة ذنوبه وآثـامه . مغتفرا اوزار لئيم كاشح . وماكر قادح . اذ يقول :

وذي رحـم قلمت اظفـار ضغنـه … بحلمي عنـه وهو ليس لـه حلـم
يحاول رغمي لا يحاول غيـره … وكالموت عندي . ان يحل به الرغم
فان اعف عنه . اغض عينا على قذى … وليس له بالصفح عن ذنبه علم
وان انتصر منه اكن مثـل رائش … سهـام عدو يستهـاض به العظـم
صبرت على ما كانـ بيني . وبينه … وما تستوي حرب الاقارب والسلم
ويشتم عرضي . في المغيب جاهدا … وليس له عندي هوانـ ولا شتم

اذا سمته وصل القرابة سامني قطيعتها . تلك السفاهة والاثم
ويسعى اذا ابنى ليهدم صالحي وليس الذي يبنى . كمن شانه الهدم
يود لو انى معدم ذو خصاصة واكره جهدي ان يخالطه العدم
ويعتد غنما في الحوادث نكبتى وما ان له فيها سناء ولا غنم
فما زلت في ليني له وتعطفى . عليه . كما تحنو على الولد الام
وخفضي له منى الجناح تألفا لتدنيه منى القرابة . والرحم

من لنا بشاعر كمعن بن اوس . يسمو بارواحنا ويحلق بها في آفاق بعيدة عن دنايا الرذائل وشرور الآثام . بعيدة عن سفاهة الفساد وظلمات المكر والخداع . بعيدة عن شراهة الطمع وجوعات الشهوة النافرة . وعن ضلال الاحقاد والفتن الطاحنة الباغية .

من لنا بشاعر كمعن بن اوس نفاح بالخيرات ينعش الارواح باعطار الفضيلة . والطهر والعفاف . وينير غاشية القلوب . وغاشية الابصار .

من لنا بشاعر كمعن بن اوس . تهذبت نفسه الشاعرة بالوحي الحكيم . وتكاملت فضائل روحه العبقري بالدين . فنشأت في اعماق قلبه هذه العاطفة الخلقية في اقدس مثلها العالية السامية . عاطفة محبة الانسان لانه انسان . فاصبح لا يود له الا الخير . ولا يريد له الا السلام وبعد فليس لنا من سبيل ونحن ندرس العاطفة في الادب العربي . وندرس بوجه خاص هذه العاطفة الخلقية التي اظهرت امامكم من تقديسها واجلالها وتمجيدها ما كاد يخرج بي الي مقام الوعظ والارشاد ويبعد بي عن النقد وعن حديث النقاد . كانى قد نسيت تلك القضية التي اشتد فيها النزاع الى ابعد حد . واشتدت فيها الخصومة الى ابعد حد كانى قد نسيت تلك القضية التي كانت تشغل العقول من عهد بعيد وما زالت تشغل العقول الي هذا اليوم الاخير . كانى قد نسيت ما بين النقاد من الاختلاف العظيم في تحديد الصلة بين الفضيلة والادب . وفي الحق انكم ايها السادة تعلمون من تفصيل ذلكم الاختلاف وادلة المتخالفين مثل ما اعلم . ومع ذلك فقد يضطرني الوفاء للموضوع ويطالبني ملحا بذكر جملة المذاهب في شيء من الاجمال تسمحون به .

ومهما يكن من شيء فقد انقسم النقاد القدماء والمحدثون امام هذه القضية الادبية الاخلاقية القديمة الجديدة الى طائفتين وان شئت الى طوائف ثلاث . طائفة تجل الفضيلة وتجعلها مقياسا لرقي الادب وانحطاطه فالادب الذي يناصر الفضائل ويمجدها ويكبرها اكبارا ويثير عواطف الخير في الانسان هو الادب السامي النبيل . والادب الذي لا يحرص على الفضيلة ولا يقيم لها وزنا وانما يثير مشاعر الشر والفجور ويتهافت على دنايا الرذائل تهافتا صريحا هو الادب الساقط النازل .

وطائفة اخرى تمنح الادب الحرية الكاملة المطلقة فى التعبير والتصوير . لانه فن . والفن لا تظهر ميزاته الا اذا اتسعت حدود آفاقه وامتدت طروح مراميه . فالاديب له ان يتحدث بما شاء وكيف شاء عن الخير وعن الشر . عن الفضيلة وعن الرذيلة . وليس عليه في نظر هؤلاء ان يراعي حقوق الاخلاق والتقاليد الصالحة المرضية . كما ان الفن ليس عليه ان يحافظ على المبادي الاخلاقية مهما كانت .معظمة . محترمة . مقدسة .

وهنالك طائفة اخرى ثالثة . تحرص على الفضيلة . وتحرص على حرية الادب والفن . تجل الفضيلة وتحترم الاخلاق . وتجل حرية الادب . وتحترم حرية الفن في ابعد حدودها . واقصى مراميها . وهذه الطائفة المتوسطة بحسب الظاهر . المتطرفة على التحقيق . انما تطالب الاديب بشيء واحد تطالبه بصدق التعبير والتصوير . وهي تقول . يكفى ان يصور لنا الشاعر او الناثر تصويرا قويا حادا الرذيلة وما قد جناه من اضرارها وما قد لحقه من آلام ويلاتها المنكرة وكوارثها الفادحة الجارحة . ففي هذا التصوير مانع اي مانع للنفوس من التعلق بالرذائل بل في هذا التصوير اخماد للنزعات الشريرة المركبة في طبع الانسان ومـا في هذا الراي من الاعتدال الظاهر وحسن التعليل قد يجعله مقبولا الى حد ما مؤيدا الى حد ما .

ولست ادري كيف اصف لحضراتكم هذه الحيرة التي اجدها في نفسي وانا انظر الى هذه القضية من بعيد ومن قريب ، انظر اليها وانا اردد اسئلة مملوءة بالحيرة والريب المريب

وهكذا مازلت اقول هل عجزت الحياة عن مناصرة الخير ؟ هل تخاذلت فلم تقو بعد على تأييد الفضيلة ؟ ثم هل ضعفت الانسانية فتعاظم خوفها من اشباح الشر ، ومن الفن ان يهدم بمعول حريته ركن الاخلاق الفاضلة ، وقد شيدت دعائمه على اسس الاديان والتقاليد الصالحة المحترمة ؟ مازلت أردد هذه الاسئلة وكلما حاولت تكوين راي صريح اعتد به واطمئن اليه شعرت بالحيرة تساورني من جديد وتعاظم الشك في نفسي من جديد وهكذا سينتهي حديثي بينكم ولا اكاد اصارحكم بشيء اثق به او اطمئن اليه وما دام الخلاف في هذه القضية وليد القرن الثالث او الرابع قبل الميلاد فمن الخير ان يعنى به المولعون بالبحث في القضايا الانسانية التي سيطول الزمن ويبعد العهد ويمتد ، وهي مازالت جديدة الحدوث والخصومة ، كما كانت من قبل جديدة الحدوث والخصومة

وأما عاطفة محبة الجمال والتغنى بملاحة الجميل ، فكثيرة جدا مظاهر ذلك في الشعر العربي كثرة مطلقة لايدركها التحصيل ، ولايحيط بها الحصر ، ولست مبالغا في شيء اذا ما قلت ان هذه العاطفة كانت تلتهب التهابا في قلوب عامة ادباء العرب ، فمعظمهم حام حول الجمال ، وتهافت عليه وأحبه حبا صريحا عنيفا حادا وتغنى به ، وقد اعتذر بينكم ان لم اذكر لهذه العاطفة غير مثال واحد لشاعر سحره جمال نجد ، فقال يصفه وصفا جامعا لكل مظهر من مظاهره المملوءة بفتنة البادية ،

وسحرها المحبوب ، لعلى اعذر بينكم ، ولولا ضيق الزمن الذي اخشاه وانوقعه ، لما اكتفيت بهذه الابيات القلائل ،

تمتع من شميم عرار نجد	فما بعد العشية من عرار
الا يا حبذا نفحات نجد	وريا روضه غب القطار
وعيشك ، اذ يحل القوم نجدا	وانت على زمانك غير زاري
شهور ينقضين وما شعرنا	بانصاف لهن ولا سرار
فاما ليلهن فخير ليل	وأقصر ما يكون من النهار

وسأترك الشعر يتحدث اليكم بما فيه من عاطفة الاعجاب والدهشة والحب الصحيح لكل شيء في نجد وسأنتقل بكم بعد هذا الى ذكر آخر مثال لهذه الالوان العاطفية . وهو مثال العاطفة القومية وساختار هذا المثال من النابغة الذبياني . والنقاد المحدثون يعنون عناية فائقة تامة بشعر النابغة الدال على شدة اخلاصه ووفرة حبه لقومه ، اذا كان النابغة لا يشغله المدح والهجاء ، عن شؤون البادية ، وما كانت تشتمل عليه حياة القوم يومذاك من حركات الحرب ، وسكنات الصلح ، وعقد عهود التحالف ، ومد رايات الاحتماء ، كان النابغة اذن يلاحظ بكل دقة تقلبات الحياة الجاهلية وكان يخشى او قل يشفق ان صح هذا التعبير ان تنال الاحداث الكارثة قبيلة ذبيان بشيء من مكروه الاذى والضر فاستمعوا له يبدي خالص نصحه لقومه ويحذرهم من حرب النعمان وشره اذ قد ابوا الاحتماء بحمايته في وادي ذي اقر فذكرهم بهذا القصيد بما قد تتأذى منه الحرائر من ارهاق الاسر وصغار الغلبة وظلم الجائرين .

لقد نهيت بني ذبيان عن « اقر »	وعن تربعهم في كل اصفار
فقلت يا قوم ان الليث منقبض	على براثنه للعدوة الضاري
لا اعرفن ربربا حورا مدامعها	مردفات على اعقاب اكوار
خلف العضاريط لا يوقين فاحشة	مستمسكات باقتاب واكدار
يذرين دمعا على الاشفار منحدرا	يأملن رحلة حصن وابن سيار
وعيرتني بنو ذبيان خشيته	وهل علي بان اخشاك من عار

الى هنا ينتهي حديثي عن العاطفة في الادب العربي ، ولعلي في غناء عن التماس المعاذير من حضراتكم ايها السادة ، اذ ربما اجملت حيث يحمد البسط واختصرت حيث يحمد الاطناب ، وربما اكتفيت بوحي الاشارة والتلميح ، اعتمادا على حسن تصرفكم في التاويل والتفسير ، وربما فاتني التعرض لشيء كان يحسن بي التعرض له ، واخيرا ربما قصرت عن بلوغ الغاية التي حاولت جهدي بلوغها فاذا

كان شيء من ذلك فلعلي اعذر بينكم . ثم لعلي اجد من اخلاص خاصة الادباء الحضور ما يتفضلون به علي من النصح والارشاد الى مواضع النقص ومواطىء الضعف

واذنوا لي يا سادتي الفضلاء . ان اجعل خاتمة حديثي بينكم هذه الكلمة التي املتها علي صراحة شعوري بعاطفة طاغية . تعتلج في سحيق من قرارة نفسي وتهتز ثائرة في باطن من صميم قلبي . اسمحوا لي ان اجاهر بينكم بهذه الاصداء الهاتفة . والكلمات الصارخة . فخليق بمن توفر لدرس العاطفة في الادب العربي . ان يجعل نهاية حديثه بعث عاصفة راغية لا قرار لها الا في رجفات القلوب مهما كانت القلوب لاهية عابثة

اني - والله يعلم - من اخاص الداعين لتاييد هذه النهضة القومية المباركة . وليس يفتر عزمي . ولا اتخاذل في جهارتي بالدعوات الصادقة الى تاييدها . تاييدا مؤيدا بما شئت من قوة الاخلاص وقوة الايمان . مؤيدا بما شئت من قول وعمل . وبما شئت من روح فتية متوثبة ونفس طامحة راغبة . ولكنني اخشى كل الخشيه واحذر كل الحذر . ان تكون نهضتنا هذه نهضة عرجاء قاصرة . وفي ذلك الضلال والويل . اخشى ان تكون نهضتنا عرجاء قاصرة ان لم تتقدمها نهضة ادبية زاهرة عاطرة نفاحة منعشة فيها هزات الشعور . وفورات العاطفة . فيها نزعات الرغائب . وطموح الآمال . فيها الحداد العنيف الذي يشجينا ترديد انشاده وتسحرنا ارجاع نغماته . فيها قوة الحياة الكاملة . تلك القوة التي تستحثنا بتحريضها وتسوقنا بهدايتها . وتنتهج بنا نهج الفلاح والخير

الا ان للادب سحرا سرمديا خطيرا في تاثيره على مزاج النفوس والعقول . وما كانت نهضات الامم والشعوب في الدنيا الا وليدة الادب الفياض

أليس الادباء هم عشاق الطبيعة . وعشاق الحياة . وعشاق الخلود . وعشاق الكمال . وعشاق الحرية المعاميد ؟ اليس الادباء هم الذين احسنوا كل الاحسان لبني الانسان ففكوا الانسانية بسحر خيالاتهم وخواطرهم وافكارهم ومشاعرهم من قيود الغباوة والجهل . وهم الذين حجبوا عن الابصار والاسماع كل ما في الحياة العابسة من غضاضة وهوان وهضيمة ومضض كربه ؟ أليس الادباء هم الذين آمنوا وصدقوا . ثم آمنوا وصدقوا بالترقي والكمال . وهم الذين اسكرتهم نشوة الطموح فتراموا على قدسية المثل العالية . وفتحوا للناظرين ابواب النعيم . فتهافت الرجاء . وشاع في القلوب بارق التاميل ؟

واذا ما تمت رسالة الادب القيم . واجتازت الابصار والاسماع . وبلغت الصميم من القلوب الخامدة . فايقظتها من غمرات سكونها . ونبهتها من غفلات فتورها . واسمعتها صوت الطبيعة الناطقة دائما بصادق الوحي . وصادق الالهام . فهنالك ستظهر في سعينا الجديد عزيمة عظمى . وارادة صارمة لا تعرف التخاذل . والتردد . ولا تعرف التواني والتقصير . وامانة هذا الجيل للاجيال المقبلة هي رسالة الادب الخالد لانها رسالة . من القلب الى القلب

احمد المختار الوزير

مجلس اصلاح التعليم بالجامع الاعظم

يجتمع لاول مرة بانضمام عدة افراد لاعضائه الرسميين للنظر في المطالب الزيتونية

ان قانون التعليم بجامع الزيتونة ادام الله عمرانه – المؤرخ بيوم ٤ من ذي الحجة سنة ١٣٥١ الموافق ليوم ٣ مارس سنة ١٩٣٣ – احدث مجلسا جديدا بعنوان (مجلس الاصلاح) . وقد اقتضى الفصل ٦ من القانون المذكور ان هذا المجلس يتركب من وزير القلم والاستشارة بصفته رئيسا ومن شيخ الجامع الاعظم بصفته كاهية ومن شيخي الاسلام الحنفي والمالكي (وصدر امر علي فيما بعد ابطل عضوية شيخي الاسلام وعوضهما بمفتيين حنفي ومالكي من المجلس الشرعي الاعلى بالحاضرة) ومن القاضيين الحنفي والمالكي . ومن مدير جمعية الاوقاف . ومن مدرسين من الرتبة الاولى احدهما حنفي والآخر مالكي يعينان لمدة ثلاثة اعوام مع امكان تجديد انتخابهما ومن متوظف مسلم من طرف الادارة العامة للداخلية (التي صارت الكتابة العامة حيث أبطلت الادارة الداخلية بالمرة) وهؤلاء بصفة اعضاء وقد حدد الفصلان ٧ و ٨ مهمة هذا المجلس وترتيب عمله . حيث ذكرا ان مهمة المجلس المذكور البحث عن الوسائل الصالحة لتنمية وتحسين التعليم بالجامع الاعظم وفروعه . وانه لانجاز الغرض المذكور يعرض على الحكومة جميع الوسائل التي يراها مناسبة وينظر في المسائل التي تحيلها عليه الحكومة ويبدي رأيه فيها ، كما اوجب الفصل ٩ انعقاد المجلس مرتين على الاقل اثناء كل سنة دراسية باستدعاء من رئيسه واعتبر الفصل ١٢ ان مقررات المجلس لها صبغة رسمية وانما يتوقف تنفيذها على موافقة المولى الوزير الاكبر ، ومن العجيب ان هذا المجلس لم يقع عقده من يوم تأسيسه اي من منذ ستة اعوام ، رغما عن الاسباب الكثيرة التي كانت توجب انعقاده . حتى كدنا نظن ان الحكومة قد عدلت عنه .

ثم من منذ عامين اخذت المطالب والاقتراحات تتوالى على الدولة من طرف جميع الهيئات بجامع الزيتونة . فالمشيخة تطالب بتنقيح عدة فصول اظهرت التجربة عدم صلاحيتها . والمدرسون يطالبون باحداث قانون كافل بحفظ حقوقهم التي اهمل القانون المشار اليه امرها رغما عن كونه تعرض لجميع الواجبات المفروضة عليهم . والمتطوعون والمحصلون يطالبون بالالتفات اليهم نظرا لاهمية مايقومون به من الاعمال . والتلامذة يطالبون بحفظ مستقبلهم وتقرير مميزات ذات قيمة لشهادات الجامع . وقد وقعت عدة مقابلات من طرف الهيئات المذكورة مع رجال الدولة سيما مع جناب المولى الوزير الاكبر او جناب المقيم العام او جناب الكاتب العام . وكانت دائما تقابل بالمواعيد المطمنة التي لاينقصها الا الانجاز ، وتلقاء تلك المطالب المتوالية والمقابلات المتعددة قررت الدولة تكوين مجلس للنظر في تلك المطالب والبت فيها ليقع انجازها في وقت قريب بحول الله

وقد تكون هذا المجلس من اعضاء مجلس الاصلاح الرسميين وهي اول مرة ينعقد فيها منذ تأسيسه مع انضمام افراد آخرين اليهم روعي في انتخابهم تمثيل كافة الهيئات التي يهمها امر التعليم بالجامع فانتخبت الدولة اثنين من كل طبقة من طبقات التدريس الاربعة بالجامع الاعظم احدهما حنفي والآخر مالكي ، واثنين من المتطوعين المباشرين للاقراء بالجامع كذلك ، واثنين من اعضاء المجلس الكبير ومستشار الحكومة التونسية وشيخ المدينة واحد المحامين . واسندت رئاسة المجلس لجناب وزير القلم والاستشارة الذي هو رئيس مجلس الاصلاح

ورغبة من الحكومة في اظهار اهتمامها بهذا المجلس ومقرراته فقد وقع افتتاحه بمحضر جناب المولى الوزير الاكبر وجناب المقيم العام وجناب الكاتب العام وجناب مدير الادار العامة والجهوية مع اتباعهم واعوانهم وقد انعقدت الجلسة الاولى لهذا المجلس على الساعة الثالثة من مساء يوم الاثنين في ٣ صفر وفي ٤ افريل بالقاعة الكبرى المعدة للاجتماعات الرسمية بدار الباي وقد جلس افرادها على الصورة الآتية

جلس في الوسط جناب المولى الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة وجناب المقيم العام م. ارمان فيون ممثل الحكومة الفرنسية ، وعن يمينهما فضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي بصفته استاذا مالكيا بالجامع الاعظم ، والسيد محمد قاسم رئيس القسم الاول بصفته احد لاعضاء الرسميين لمجلس الاصلاح ، والسيد البشير البكري بصفته عضوا بالمجلس الكبير والشيخ محمد الزغواني المدرس المالكي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح ، والشيخ الشاذلي بن القاضي المدرس الحنفي من الطبقة الثانية بالجامع الاعظم بصفته مدرسا وجلس عن يسارهما جناب وزير القلم والاستشارة الشيخ سيدي احمد بن الرايس بصفته رئيس مجلس الاصلاح وفضيلة الشيخ سيدي احمد بن مراد المفتي الحنفي بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح وفضيلة الشيخ سيدي بلحسن النجار المفتي المالكي مثله وجناب شيخ المدينة السيد مصطفى صفر والسيد مصطفى الكعاك احد نبغاء المحامين بتونس ، والشيخ محمد المختار بن محمود المدرس الحنفي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم والشيخ التهامي الزهار المدرس المالكي من الطبقة الثالثة بالجامع الاعظم

وجلس مقابلا لجناب المقيم العام جناب م. كارترون الوزير المفوض المعتمد بالسفارة الفرنسية والكاتب العام للدولة التونسية وجلس عن يمينه فضيلة شيخ الجامع الاعظم الشيخ سيدي صالح المالقي بصفته نائب رئيس مجلس الاصلاح ، وم. سوماني مدير الادارة العامة والجهوية والشيخ سيدي الطيب سياله القاضي المالكي بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح والسيد محمد سعد الله مدير جمعية الاوقاف مثله والشيخ الصادق المحرزي الاستاذ الحنفي بالجامع الاعظم مثله ـ والشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس المالكي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم ، والشيخ احمد شلبي المدرس الحنفي من

الطبقة الثالثة بالجامع الاعظم . وجلس عن يساره فضيلة الشيخ سيدي محمد دامرجي القاضي الحنفي بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح . وجناب السيد محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية والسيد الصادق التلاتلي بصفته عضوا بالمجلس الكبير . والشيخ محمد الصالح بن مراد الاستاذ الحنفي بالجامع الاعظم . والشيخ معاوية التميمي المدرس المالكي من الطبقة الثانية بالجامع الاعظم. والشيخ الصادق ابو السرور المتطوع المالكي بالجامع الاعظم

وجلس في طرف المنضدة من اليسار الشيخ عبد العزيز بن شعبان المكلف بامور التعليم بالجامع الاعظم بالوزارة الكبرى بصفته كاتبا للجلسة . وعن يساره السيد محمود بن عثمان المترجم بالوزارة الكبرى بصفته معاونا له

وتخلف عن الحضور الشيخ محمد النقاش المتطوع الحنفي بالجامع الاعظم الذي طلب اعفاءه من الحضور بهذا المجلس فوقع تعويضه فيما بعد بزميله الشيخ علي التريكي

وقد وقع افتتاح الجلسة على الساعة الثالثة بالتدقيق بخطاب القاه جناب المقيم العام م. ارمان قيون باللغة الفرنسية . وبعد ما انتهى منه تقدم الشيخ محمود المسعودي احد اعيان المتطوعين بالجامع الاعظم والخليفة الملحق بالوزارة الكبرى فالقى ترجمة ذلك الخطاب باللغة العربية وكان خطابا رفيعا من نوع الخطب العلمية الادبية تعرض فيه للثناء على الجامع الاعظم ومتخرجيه وما تسديه هاته الكلية العلمية الكبرى للمملكة التونسية من بث الثقافة الاسلامية وعلوم اللسان العربي . وذكر ان الحكومة مهتمة بامر هاته الكلية غاية الاهتمام وانها لا تزال تسعى لارضاء متخرجي هذا المعهد العظيم . واطنب بالخصوص عند الكلام على مطالب المدرسين المتعلقة باقرار حالتهم بصفة رسمية وضمان حقوقهم فذكر ان على المدرسين ان يقايسوا بين الحالة التي كانوا عليها سابقا والحالة التي هم عليها اليوم فعند ذلك يظهر لهم شدة اعتناء الدولة بهم وحرصها على ارضائهم . وانهم لو نظروا الى حالتهم قبل عام ١٩١٤ وحالتهم الآن . والى حالة بقية المتوظفين قبل ذلك العام وبعده لظهر لهم ان حالتهم احسن نسبيا من حالة بقية المتوظفين . الخ

وبعد الانتهاء من ترجمة الخطاب المذكور القى فضيلة شيخ الجامع الاعظم كلمات شكر بها جناب المقيم العام على ما صرح به في خطابه من اهتمام الدولة بالجامع الاعظم ومتخرجيه وطلب الاستمرار على هذا الاعتناء حتى يترقى التعليم بالجامع الى اقصى الغايات . ويتحقق لمتخرجيه جميع ما لهم من التمنيات . وقد ترجم كلامه الى اللغة الفرنسية جناب شيخ المدينة

ثم طلب الكلمة الشيخ محمد المختار بن محمود فذكر لجناب المقيم العام ان المدرسين بالجامع الاعظم وان كانوا يعترفون بمزيد السرور بما اسدته الحكومة اليهم من اصناف الاكرام والتبجيل وبالخطوات التي خطوها الى الامام لا سيما في الاعوام الاخيرة . لكنهم عند المقايسة بين حالتهم وحالة غيرهم من

المتوظفين يجدون ان حالة غيرهم احسن من حالتهم بكثير . ويكفي تدليلا على ذلك ان نذكر ان المدرسين محرومون من جميع المنح التي ياخذها سائر المتوظفين على ان الدولة عند ما تقايس بين ما يكلفها التعليم بالمدارس الدولية من المصاريف وما يكلفها التعليم بالجامع الاعظم تجد ان مصاريف الجامع قليلة جدا بالنظر لغيره من معاهد التعليم لا سيما اذا نظرت الى فوائد الجامع سواء في بث العلوم والاخلاق العالية او في تكوين المتخرجين الذين يقومون بسائر الوظائف في الادارات العامة

وقد اجاب جناب المقيم العام عن هاته الملاحظات بجواب محكم حيث قال (لو كانت الامور قد تمت بالجامع على غاية المراد وتم انجاز جميع المطالب والرغبات لما احتاجت الدولة لعقد هذا المجلس)

وبالانتهاء من هاته الكلمات بارح الجلسة كل من جناب المولى الوزير الاكبر وجناب المقيم العام والكاتب العام ومدير الادارة العامة والجهوية وبقي افراد المجلس المعينين رسميا للنظر في المطالب وعند ذلك القى فضيلة شيخ الجامع الاعظم خطابا بليغا تعرض فيه الى تحقيق مهمة الجامع واوما فيه الى المبادي العامة التي ينبغي ان يسير عليها المجلس عند النظر في تلك المطالب وبالانتهاء منه وقع الخوض في كيفية العمل وترتيبه ثم تلى كاتب الجلسة جملة المطالب المقدمة للدولة من مختلف الهيئات بجامع الزيتونة

وانتهت الجلسة على الساعة السادسة على نية عقد الجلسة الثانية في يوم السبت ١٥ صفر و١٦ افريل الجاريين على الساعة الثالثة ونصف ، ولكن لاسباب ادارية تاخر عقدها عن ذلك الموعد

وانا لنرجو من اعمال هاته اللجنة خيرا كثيرا بحول الله لا سيما وهي متكونة من علماء الجامع ومتوظفي الدولة ممن نرجو ان يتحقق على ايديهم الرقي بالتعليم الى المستوى اللائق وانجاز المطالب المفيدة التي يتحتم انجازها

وقد طلبنا من فضيلة شيخ الجامع خطابه فسلمه الينا في اقرب وقت ونحن ننشره شاكرين له فضله وعنايته بالمجلة امد الله في عمره

خطاب فضيلة شيخ الجامع الاعظم

قبل الخوض في الموضوع والنظر في المطالب الموما اليها يلزم اللجنة ان تتحقق مهمة المعهد الزيتوني وفروعه وما هي وظيفته التي يلزم ان يقوم بها نحو الامة التي تعتبره كعبة الشمال الافريقي والحافظ لدينها وللغتها وبقيامه بهاته المهمة والمحافظة عليها حل منها بالمنزلة التي هو عليها اليوم

كما تتحقق اللجنة ما هي وظيفة المتخرج منه وما يحتاج اليه من متخرجيه في المجتمع

المعهد الزيتوني مؤسسة جامعة لحفظ علوم الشرع ووسائلها بتوسع ولعلوم اللغة العربية والآداب بتوسع ايضا فهو كلية علوم الدين واللغة مع تثقيف تلامذته بصفة لزومية بما تتاكد معرفته من العلوم الرياضية ونحوها بقدر ما تدعو الحاجة اليه من غير اخلال بعلومه الاصلية كما افصح به الفصل ٢٠ من قانون الاصلاح الحالي

ومتخرج المعهد عـالم شرعي او اديب لغوي مع معرفته بما يحتـاج اليه من العلوم الرياضية ونحوها محرز على شهادات تخوله تسنم المراتب العالية وتبوأ الخطـط الشرعية والادبيـة على اختلاف انواعها من عدالة خاصة وعامة وتدريس واستاذية وقضاء وفتيا وكتابة وانشاء بدواوين الحكومة وتعليم بمدارسها وسائر الخطط بدوائر المحاكم العدلية التونسية وبالجملة وظائف القلم العربي من كل ما لا يتوقف على القلم الفرنساوي

فهاته مهمة المعهد ونتائجه المحتاج اليها في المجتمع مما لا يستغنى عنه ولا حاجة بنا اليوم الى تعداد ما اخرجه هذا المعهد من اساطين الفقهاء والعلماء ومن يشار اليهم ممن ملات سمعتهم الآفـاق وافعمت بهم بطون التواريخ ووجهتنا اليوم المحافظـة على ما له من مجد تالد وذكر خالد

ولقد كان لاول اجتماع انعقد لتحرير لائحة القانون الحالي وكان العبد من جملة اعضائه ان صرح جناب مدير الداخلية لذلك العهد الذي حضر الجلسة الاولى بقوله اننا اجتمعنا اليوم للنظر في اصلاح قانون الجامع الاعظم الزيتوني ولكن يلزمنا قبل كل شيء المحافظة على صبغته الدينيـة وسمعته القديمة، يشير بذلك الى عدم الخروج به عما اسس له وعما يراد منه مما بيناه انفا وهو ماتعلق عليه الامه امالها، اذا تمحضت لدينا مهمة المعهد ومايراد منه فننقل النظر الى العلوم التي تدرس به اليوم مما جاء به قانون الاصلاح حتى نعلم هل من الممكن مضايقتها او الاجحاف بهـا باعطاء العلوم التكميلية به من الوقت ما للعلـوم الاصلية وهو ما يحاوله اليوم بعض طالبي الاصلاح

جاء في الفصل ٢٣ من قانون الاصلاح ان العلوم التي تدرس بالمعهد الزيتوني من شرعي ولغوي ورياضي وما يتبعه تبلغ زهاء اربعين علما وجاء في الفصل ٢٤ منه ان ساعات التعليم توزع على الدروس بحسب اهميتها ويكون اكثر الوقت للعلوم الشرعية

واليكم بيان العلوم المذكوره موزعة على الاقسام الثلاثة

العلوم الشرعية

القراءات رواية — القراءات دراية — الرسم التوقيفي — التفسير — التوحيد (علم الكلام) — الحديث الشريف — المصطلح — أصول الفقه — الاصول القريبة — الفقه عبادات ومعاملات (اي علم الحقوق) — مقاصد الشريعة (اي حكمة التشريع وفلسفة الاحكام) — تاريخ التشريع الاسلامي — الفرائض علمـا وعملا — التوثيق — الاقضية والشهادات (منه القضاء) — الاجراءات الشرعية (ومنه اصول المرافعة) — علم الاخلاق — السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التسليم

العلوم العربية وآداب اللغة

النحو — الصرف — البلاغة — العروض — اللغة (متن اللغة) — نقد الشعر — الانشاء — الخطابه الرسم القياسي — الخط

العلوم الرياضية وما الحق بها

الحساب والجبر — الهندسة والمساحة — الهياة والميقات — الجغرافيا — التاريخ — المنطق — آداب البحث — مبادي الكيميا والطبيعة — مبادي حفظ الصحة — فن التعليم

التعليم بالمعهد ينقسم الى ابتدائي وثانوي وعال حسب صريح الفصل ٢١ من قانون الاصلاح فالاول مقدر له اربع سنوات زيادة عما يتقدمه من مباديه وهو التعليم المكتبي لتعلم القراءة والكتابة وحفظ جانب من القرءان العظيم قدر باحزاب ١٥ حسبما جاء بالفصل ١٥٧ وينتهي التعليم الابتدائي بشهادة الاهلية

والتعليم الثانوي مقدر له ثلاث سنوات بعد الحصول على شهادة الاهلية وينتهي بالاحراز على شهادة التحصيل

والتعليم العالي مقدر له ايضا ثلاث سنوات ومنه يبتديء التخصص بالنوع الشرعي او الادبي فيباشره المحرز على شهادة التحصيل وينتهي بالاحراز على شهادة العالمية في احد القسمين المذكورين ونتائجها ما اسلفناه وهي ما يحصل عليه متخرجوا المعهد الزيتوني

ولفن القراءات ترتيب خاص كما له شهادة التحصيل وشهادة العالمية في الفن المذكور

وقد سادت اخيرا فكرة في بعض التلامذة الزيتونيين ضمنوها في جملة مطالب اصلاح التعليم لا تتفق مع اصول وضعية المعهد وهي طلب مساواة العلوم التكميلية به للعلوم الاصلية واعطؤها نصف ساعات التدريس الامر المجحف بعلوم المعهد الاصلية والمخالف لما اقتضاه الفصل ٤٢ من قانون الاصلاح على خط مستقيم يعللون ذلك بان شهادة التحصيل التي هي نتيجة التعليم الثانوي تساوي شهادة البكالوريا المدرسية وحيث ان هاته الاخيرة تؤهل لتعاطي التعليم العالي المدرسي باحدى الكليات الاروبية للاحراز على شهادة محام او طبيب او مهندس فاذا وفر حظ العلوم الرياضية في شهادة التحصيل واعطيت نصف زمن الدراسة واتقن التلميذ لغة اجنبية خارج المعهد يمكنه بذلك مزاولة التعليم العالي المدرسي ويمكن لمتخرج الجامع الاعظم الاحراز على شهاداته المومأ اليها

ولا شك ان مجاراة هاته الفكرة مما يقضي على علوم المعهد التي اسلفناها وينشأ عنها تشتيت فكرة التلميذ ويخسر معها كلتا الصفقتين

ولقد نشأ عن هاته الفكرة لبعض التلامذة زهدهم في علوم المعهد الاصلية واستخفافهم بها واحتقارهم نتائجها حيث لم تؤهلهم لنتائج التعليم المدرسي الذي يرومون ان يلجوا اليه من طريق تعليم المعهد،

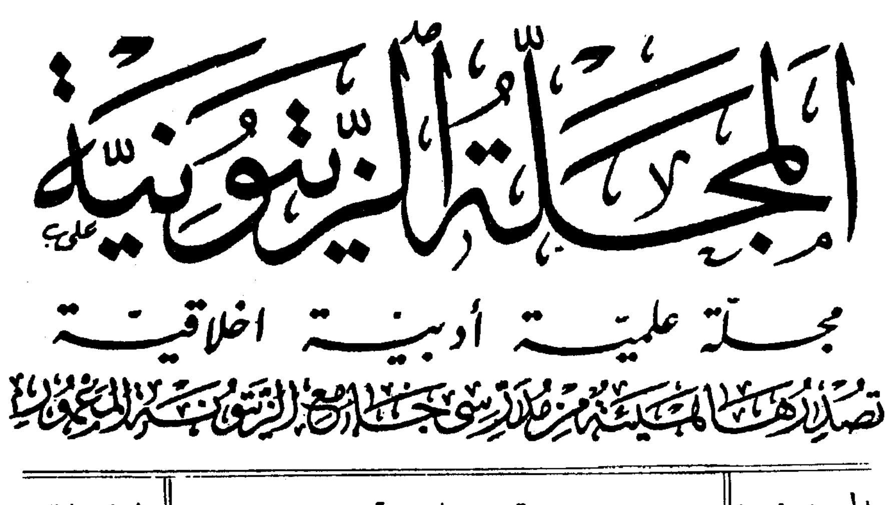
ونحن نسلم أن شهادة التحصيل تساوي شهادة البكالوريا المدرسية في الاعتبار ولكن لا نسلم انها هي هي فشهادة التحصيل بكالوريا لعلوم المعهد تؤهل للتعليم العالي بـه والبكالوريا المدرسية تؤهل للتعليم العالي المدرسي ووظيفة كل لا تقوم بها الاخرى فهما غايتان مختلفتان مقصدا ووسائل ومحاولة ولوج احدهما من طريق الآخر من الغلط البين والله الهادي الى سواء السبيل سبحانه (انتهى)

اصلاح اخطاء مطبعية في الجزء السادس من المجلة

صواب	خطا	سطر	ص
فان	فاذا	٩	٢٤٩
لان الربوبية ابلاغ	لانها ابلاغ	١٠	»
وطوقه	وطرقه	١٢	»
كليهما	عليها	١	٢٥٠
تلك التصرفات	تلك تصرفات	٨	»
غائلة	غايل	١٣	»
وبمكن ذلك	بعكس ذلك	٢٠	»
انها في فعل الملايم له	انه في فعل الملايم لا	٢٧	»
تمثيل	تمثل	٢٠	٢٥١
لعين	لعير	١٠	٢٥٢
في الخدر	في الخدد	٢٩	»
للتقوي وهل	للتقوه وهذا وهل	١٣	٢٥٤
يحفظهما	يخفظها	٩	٢٥٥
يحتمل ان	يحتمل اي	١٢	»
هو	هي	١	٢٦١
اعوان	اعوانه	١٥	»
حين	حيث	٣	»
بضروريه	بضرورة	٩	٢٦٢
وبنظريه	وبنظرية	١٥	»
المديني	المدنى	١٥	٢٦٤
اخيرهما	ءاخرهما	٥	٢٦٥







الجزء ٨-٩-١٠ | شهرية وسنتها عشرة اشهر | المجلد الثاني

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

رئيس قلم تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

الادارة :

نهج باشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

تونس عام ١٣٥٧ ـ ١٩٣٨

ثمن الجزء خمسة فرنكات

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

الى قراء المجلة الافاضل

ان المجلة تختم عامها الثاني بهذا السفر الذي احتوى ثلاثة اجزائها الاخيرة وقد لاقت في سبيل انجاز ما قامت به في هذا العام الشدائد وذللت مصاعب لم تكن متوقعة الامر الذي قضى بتاخير بروز بعض الاعداد متأخرا عن موعده الشهري والسبب في ذلك يرجع الى ثقل تكاليف الطبع ووفرة نفقاته مع اهمال قسم عظيم من السادة المشتركين لدفع اشتراكاتهم حتى ادى ذلك الى صرف ما خصص لها من الاعتمادات المالية التى دفعها مؤسسوها في عامي المجلة وتهاون الباعة في خلاص ما بذمتهم حتى تخلد بذمة بعضهم جانب عظيم من المال بل ان قسما منهم لم يحاسب من العدد الاول .

فالرجاء من السادة المشتركين والباعة ان يسددوا ما تخلد بذمتهم من مال المجلة حتى تتعاون على المحافظة على هذا المشروع الجليل الذي طالما حملنا اوزارا في عدم القيام به من قبل وحتى تتمكن من السير بالمجلة على نحو ما يتمنى لها كل من يقدر قيمة هذا المشروع العلمي العظيم

وهيئة المجلة تعد قراءها الافاضل انها نحو الكمال دائبة في سيرها بمجلتهم والرقي بها الى حد المستطاع وان ما حدث في هذا العام نرجو الا يتكرر وفقنا الله تعالى وامدنا باعانته على ما فيه صالح المسلمين

(الادارة)

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



الجزءان ٨ و ٩ | في الربيعين الاول و الثاني ١٣٥٧ و في ماي و جوان ١٩٣٨ | المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المولد النبوي

بمناسبة حلول يوم ولادة اشرف الكائنات ، وافضل المخلوقات ، ومنبع السعادات والكمالات ، ومطلع التجليات و الفتوحات سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم نتقدم الى عموم المسلمين بالتهنئة ، ونرجو من الله تبارك وتعلى ان يجعله يوما يسترجع فيه الاسلام قوته ، ويستعيد فيه المسلمون عزتهم وسطوتهم ، ونخوتهم وسلطانهم ، فقد طال الامد ، وعيل الصبر ، والى الله المرجع والمآب ، نعم المولى ونعم النصير

ونهني بطلعة هذا اليوم السعيد على الخصوص صاحب الجلالة سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني صاحب المملكة التونسية ، اطال الله بقاءه ، واجرى الخير على يديه وبلغه في امته ما يرجوه كل ملك صالح لرعيته

الربـــــا (*)

بقلم رئيس التحرير

ايها السادة

سيقول بعض الناس : اننا نشاهد افراد يتعاملون بالربا وهم في حالـة حسنة ، ولم يصابوا بما ذكرتـه من المصائب ، بل قـد نمت ثرواتهم ، وتوفرت املاكهم ، وهم في بحبوحة من العيش ، فما هي العلة في ذلك ؟ وما هو السر فيه ؟

وهذه شبهة جديرة بان نعطيها حظها من البيان والكشف ، حتى لا يبقى بعد ذلك ريب لمريب ، وتقطع جهينة قول كل خطيب ، ويتميز طريق السلامـة عن طريق الردى ، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ، فنقول :

قد جرت سنة الله في خلقه بان الحاق العقاب بالمذنبين منهم يكون على انواع نوع يلحقه العقاب في الدنيا من غير امهال ، فيجازى عن ذنبه اثر عمله

ونوع يمهله الله تعلى زمنا طويلا ، ثم يصيبه بجزاء ذنبه في الدنيا ، فيكون مصابه عظيما ، وخطبه جسيما

ونوع لا يجازيه الله تعلى بذنبه في الدنيا ، وانما يؤخر جـزاءه الى يوم الحساب . (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا) وهذا النوع هو اشد الانواع عقابا ، وافظعهم عذابا ، وقد تعرض القرءان للتحذير من الاغترار بهذا النوع ، لانه مظنة ان يشتبه امره على كثير من الناس ، فيقدموا على المعصية اقدام الآمن من عقابها ، فيكون جرمهم عند الله عظيما ، فقال الله تعلى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) (١)

(*) تتمة المحاضرة التي كنت القيتها في حفلة جمعية الشبان المسلمين بمدينة باجة

(١) المراد بالاملاء لهم تخليتهم وشانهم وهو مستعار من قولهم املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء . وفسر الامـلاء بوجه ءاخر وهو الامهال واطالـة العمر . والمعنى ولا يحسبن الذين كفروا ان الامـلاء خير لهم من منعهم او من قطع ءاجالهم اذ انما وقع الاملاء لهم ليزدادوا انما يوم القيامة

وقال الله تعلى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ❀ مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء ❀ وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل او لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ❀ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال ❀ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ❀ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام) (١)

وقال الله تعلى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ❀ متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد) (٢)

---

(١) قوله (ولا تحسبن) خطاب لكل من يصلح ان يكون مخاطبا على عادة القرءان في مثل هاته المقامات . وقوله (اليوم تشخص فيه الإبصار) اليوم هو يوم القيامة وشخوص الابصار عدم استقرارها في اماكنها لشدة هول ما ترى . وقوله (مهطعين) اي مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع معناه ان تقبل ببصرك على الشيء وتديم النظر اليه . وقوله (مقنعي رءوسهم) اي رافعين رءوسهم وقوله (لا يرتد اليهم طرفهم) اي لا يرجع اليهم طرفهم بحيث تبقى عيونهم مفتوحة محدودة من غير تحريك للاجفان . وقوله (وافئدتهم هواء) اصل معنى الهواء هو الخلاء الذي لم تشغله الاجرام ثم صار يوصف به فيقال قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة . ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء . وعليه قول زهير من الظلمان جؤجؤه هواء . لان النعام يضرب به المثل في الجبن والحمق . والمعنى في الآية كما قال ابن جرير ان افئدتهم صفر من الخير خاوية منه وقوله (وقد مكروا مكرهم) اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو الكفر بالله وعصيانه بفعل ما نهى عنه. وترك ما امر به وقوله (وعند الله مكرهم) فيه وجهان لانه اما ان يكون من اضافة المصدر الى فاعله أي المكر الصادر منهم وعليه فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو يجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه . او من اضافة المصدر الى مفعوله اي المكر الذي سيقع عليهم بالمعنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وقوله (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) اي وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة حتى ضرب له المثل بزوال الجبال منه وذلك لتفاقمه وشدته . وفسر بوجه اخر وهو جعل إن نافية واللام مؤكدة لها والمعنى عليه ومحال ان تزول الجبال بمكرهم . على ان الجبل مثل لايات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا . ويؤيد هذا الوجه قراءة ابن مسعود (وما كان مكرهم) وقوله (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) اي ما وعدهم به من انه ينصرهم ويغلبهم على اعدائهم في قوله (انا لننصر رسلنا) وقوله (كتب الله لاغلبن انا ورسلي)

(٢) قوله (لا يغرنك) خطاب لكل من يصلح للخطاب كما تقدم اي لا تنظر الى ما عليها الكفار من سعة الرزق واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد وقوله (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد. وقد اراد به

فقد ظهر لكم من هذه الآيات ان من يعصي الله ويكون على حالـة حسنة في الظاهر يجب على العاقل ان لا يغتر به ، وان لا يجعل من حسن حالته الآن دليلا على حسن عاقبته فانه سيجازى بما قدمت يداه ، وسيحاسب حسابا عسيرا على كل مـا فعل في دنياه ، ولعذاب الاخرة اشد وابقى

وحيث قد كشفنا لكم عن هذه الشبهة التي ربمـا تساور بعض النفـوس ، والتي نرى من الواجب ان نكشف عنها ، فلنرجع الى اتمام موضوعنا فنقول :

هذه آثار الربا ، وهذه نتيجة الاقدام على التعامل بالربا ، فهل من سبيل الى اصلاح حالتنا ، وعلاج هذا الداء العضال المحيط بنا ؟

نعم اصلاح الحـالة سهل ، وعلاج الداء ممكن ، وامر ذلك موكول الينا ، لكن بشرط وجود العزائم الصادقة ، والتصميم الصحيـح ، فاذا توفر هذا الشرط امكننا ان نعالج انفسنا بانفسنا في اقرب وقت

واني لاتعجب من كـثير من الناس يستنجدون بالحكومة لتقاوم الربـا ، فهل الحكومة دعتهم الى التعامل بالربا حتى يطلبوا منها مقاومته ، ام هم الذين اوقعوا انفسهم فيه ، جريـا مع الشهوات ، واذا كانوا هم الذين اوقعوا انفسهم في خطر الربـا فلماذا الاستنجاد بالحكومة ، وهلا كان الاولى بهم ان يستنجدوا بانفسهم على انفسهم ، فيصروا على ترك التعامل بالربا مهما كانت حاجتهم واضطرارهم ، وفي المثل : من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ، اذ ليس من المعقول ان يوقع الانسان نفسه في الخطر ثم يلوم الناس على عدم انجادهم له عند وقوعه فيه

اذا فلتكن لنا عزيمة صادقة نتقي بها هذا الشر وندفع بها هذا البلاء العظيم ، الذي كان سببا في ضياع ثروتنا ، وبيع اراضينا ، والذي صيرنا فقراء اذلاء ممتهنين ونحن في

قلته بالنظر لما فاتهم من نعيم الاخرة . او بالنظر لما اعد الله للمؤمنين من الثواب . او انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل فهو قليل . والآية نزلت في فريق من المؤمنين كانوا يـرون ماكان عليه الكفـار من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجـوع والجهد . فرد الله بان ذلك متاع قليل ثم يكون مآلهم جهنم وبئس المهاد

عقر ديارنا ، اذ ليس هنا داء يضعف الامم ويظهرها بمظهر الذل والاحتقار مثل الفقر ، فعلينا جميعا ان نقاوم الربا بتجنبه والتحذير منه

فالفلاح الذي يملك ارضا تبلغ مساحتها مائة ماشيّة وليس له من المال الا ما يقدر به على زرع ماشية واحدة فليقتصر عليها

والتاجر الذي يريد ان يزاحم ديار التجارة الكبرى وليس له من المال الا ما يكفي لتعمير حانوت عطار فليقتصر على ذلك

والرجل الذي يريد ان يجهز ابنته كبنات الامراء والاغنياء وليس له من المال الا ما يقدر به على شراء كسوة واحدة تدخل بها يوم الزفاف فليقتصر على ذلك

والرجل الذي يريد ان يختن ابنه ويريد ان يقلد الاغنياء في البذخ والاسراف مع انه لا يملك الا اجرة الخاتن يجب عليه ان لا يقترض لاجل ذلك

وهكذا بقية اصناف الناس على اختلاف رغباتهم وتباين مقاصدهم ، يجب على كل واحد منهم ان يصمم على ان لا يفعل الا ما يقدر عليه ، ولا يتعامل بالربـا حتى في مائة فرنك واحدة

فاذا صحت هذه العزيمة ، ووقع السير على هذا المنوال ، خرجنـا من هذا الداء سالمين ، وتحققت الآمال بحول الله

ولما كان رأس المال الفردي مهما كان واسعا لا يمكن أن تقام عليه حياة اقتصادية متسعة النطاق فينبغي لنا ان نفكر في تكوين رؤس اموال وافرة نتمكن بها من القيام بالمشاريع الاقتصادية الكبرى التي ترفع من قدر الامة وتعلي شانها ، ونتمكن بها من انشاء المعامل والمصانع وديار التجارة الكبرى التي نضاهي بها اكبر الامم الاروبيـة ، ألتي ابتزتنا بمصنوعاتها لوافرة ، ومنتجاتهـا العجيبة فصرنا عالة عليها في كل شيء حتى من الابرة نخيط بها ما يتمزق من ثيابنا ، اذ ليس من الحكمـة ولا من سداد الراي ان يكون منتهى غرض الامة ان ياكل افرادها أكلا لذيذا ويشربوا شربا سائغا وينـاموا نوما هنيا ، بل لا بد لها من اعمال تظهر بها امام غيرها من الامم ، ولا بد لها من تكوين المشاريع التي تفاخر بها غيرها ، ولا بد لها من ايجاد الابتكارات التي ترفع بها راسها عاليا

الى عنان السماء ، ولا شك ان ذلك كله يتوقف على المال الغزير ، فهل نحن في حاجة الى التعامل بالربا لتكوين هذا المال الغزير ؟ وهل الشارع عندما حرم على الناس ان يتماملوا بالربا شرع لهم ما يغنيهم عنه ؟ وبذلك يحصل الجمع بين الرقي الاقتصادي الذي لا بد منه ، وبين اتباع الشرع الذي هو امر واجب لا محيد عنه

ايها السادة

ان الشارع سبحانه وتعلى حكيم . وهو بعباده رؤف رحيم ، لم يحرم علينـا الا ما لا مصلحة لنا فيه ويمكن لنا الاستغناء عنه ، ومن جملة ذلك الرباء فقد حرمه الله علينا لاننا في استغناء عنه بما شرعه لنا مما يغني عنه ، وليس فيه ضرر ، ففي الشريعة الاسلامية التي هي شريعة جامعة بين الرقـي الدنيوي والاخروي عدة مشاريع لتكوين الاموال لوافرة وتنميتها ، ولسنا الان بصدد ان نتعرض لكل ما جاء في الشريعـة من هذا القبيل وانما يهمنا ان نتعـرض لمشروعين فقـط يعتبران من اهم الاسباب لتكوين الاموال وتحسين الحالة الاقتصادية للامة وهما الشركة والقراض

فالشركة فهي عبارة عن ان يتفق اثنان او اكثر على وضع مال معين يدفعه كل واحد منهما بعد ما يقع الاتفاق على القرض الذي يستعمـل فيه وعلى كيفية صرفه وعلى الربح الذي يقرر لكل واحد

وبذلك نتمكن من تكوين رؤس اموال كبرى تقدر بالملايين ، ونقدر بها على تكوين المصانع والمعامل التي تفي بحاجتنا شيئا فشيئا حتى يمكننا الاستغناء عن الغير

ولم تترق الحياة الاقتصادية في روبا ، ولم تتسع فيها الحياة المالية ، ولم تات بهاته العجائب التي نشاهدها كل يوم في نمو الا بفضل الشركات اذ الرجل وحده لا يقـدر على القيام بالاعمال الكبرى ، ولا على النهوض بالمشاريع الهائلة ، فاذا اتحدت الهمم ، واجتمعت العزائم ، وتوزعت الثقة في الافراد ، واطمأن النـاس بعضهم لبعض امكنهم ان ياتوا بالعجب المعجاب

واما القراض فهو عبارة عن ان يتفق رجلان مثلا ، احدهما له مـال ولا يقدر على العمل ، والآخر فقير وله خبرة بفنون التجـارة وطرق الاكتساب ، فيكون على الغني

المال وعلى الفقير العمل على النسبة التي يتفقان عليها في الربح وعلى الوجه الذي يتفقان عليه في الاتجار بذلك المال ، وبذلك ينتفع الغني بفائدة ماله الذي لولاذلك العامل لبقي ماله مخزونا عنده ينقص ولا يزيد ، وينتفع الفقير بفائدة خبرته ومهارته في فنون التجارة ولولا ذلك الغني لبقي عاطلا لا يجد قوت يومه

فاذا نظمنا هذين الشروعين العظيمين ، وهيأنا انفسنا للانتفاع بهما ، بسلوك مسالك الجد في العمل ، والتشبع بالامانة والثقة ، والوقوف في حدود العقود التي وقع التزامها امكننا ان نحصل على سعادة الدارين ، ونفوز بكلتا الحسنيين

ايها السادة

قد اشرت فيما سبق الى مسألة الثقة وانها الشرط الاصلي لنجاح جميع المشاريع واريد الآن ان عود للخوض فيها فاصرح بغاية الجلاء بان اهم الاسباب في انحطاط الحياة الاقتصادية عند المسلمين هي انعدام الثقة ، وهذه حقيقة ولكنها مرة ، اذ قد اينا الكثير منا عند ما تناط بهم بعض المشاريع الاقتصادية يعبثون بها ، ويسيئون التصرف فيها ويستبيحون اموالها فنشا عن ذلك احجام الناس عن تقديم اموالهم لتكوين الشركات وتاسيس المشاريع النافعة ، خوفا على اموالهم من ان تعبث بها ايدي السفهاء ولذلك لا تكاد تجد اليوم شركة اهلية يديرها التونسيون ويتكون راس مالها من جيوب التونسيين لان الشركات التي كانت تاسست من قبل ءال امرها الى ما قلناه وضاعت فيها اموال اليتامى والارامل والعاجزين من الرجال

لذلك يجب علينا قبل الشروع في تكوين هذه المشاريع الاقتصادية ان نقضي على هذا الخلق السافل الذي تخلق به الكثير منا ، بان نتعود على الامانة واحترام حقوق الناس ، وبذلك تصير هناك ثقة متبادلة بين جميع الناس ، حتى اذا قام بعدذلك رجل مصلح يدعو الى تكوين الشركات وتاسيس المشاريع الاقتصادية النافعة وجد النفوس على استعداد لاجابته ومد يد المساعدة اليه ، فيحصل لنا عند ذلك رقي اقتصادي باهر تنهض به الامة من كبوتها ، وتسترجع شيئا من عزتها ، وما نجحت المشاريع الاقتصادية في اروبا على اختلافها الا بفضل امانة القائمين عليها وحسن ادارتهم وانتظام اعمالهم

اما بقاءنا على ما نحن عليه من الفوضى والاضطراب ، واختلال طرق الاكتساب والعبث بالمشاريع العامة، واكل اموال الناس ظلما ، والاقدام على المحرمات مع الاصرار عليها ، وانعدام الوازع الديني ووازع المروءة ، فذلك امر سيفضي - لا قدر الله - الى سوء العاقبة والسير السريع في طريق الانحطاط

هذا وانا بصفتنا مسلمين كان من الواجب علينا ان تكون الثقة من ابرز الصفات التي نتحلى بها ، لان القرءان اوصى كثيرا بالمحافظة على الثقة ومراعاة الامانة واحترام حقوق الناس ، ومن اهم الاسباب التي نجح بها المسلمون في فجر الاسلام ما كانـوا عليه من الثقة والامانة والجد في العمل .

فاذا اردنا اليوم ان نسترجع تلك المنزلة السامية التي كانت من حقوقنـا فعلينا بالتخلق بالثقة والامانة . فعلى الاب ان يجتهد في تكوين الثقة في ولده من حين نشأته وعلى المعلم ان يحرص على ايجاد الثقة في تلميذه من وقت صغـره وعلى الصاحب ان يعود صاحبه على ذلك ومهما وجدنا رجلا عديم الثقة مختل الامانـة وجب علينا ان نقاطعه وان نهجر معاملته حتى يتكون بيننا جو كله ثقـة وامانة وعند ذلك تكون الاسباب قد تهيأت لنعمل عملا جديا صالحا في ميدان الرقي الاقتصادي الذي هو الميدان الحقيقي لرقي الامم .

محمد المختار بن محمود



القرآن الكريم

(سورة البقرة)

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

آلمٓ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ

هذه تسميتها بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عصر السلف فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الآيتين من ءاخر سورة البقرة كفتاه اخرجه البخاري ، وفيه عن عائشة لما نزلت الآيات من ءاخر البقرة في الربا الخ . نزلت سورة البقرة بالمدينة بالاتفاق ثم قيل هي اول ما نزل في المدينة وحكى في فتح الباري الاتفاق عليه وقيل نزلت سورة المطففين قبلها ولاشك ان سورة البقرة فيها فرض الصيام والصيام فرض في السنة الاولى من الهجرة لان النبي صلى الله عليه وسلم صام تسعة رمضانات اولها رمضان من العام الثاني من الهجرة فتكون سورة البقرة نزلت في اواخر السنة الاولى من الهجرة او اوائل الثانية

(آلم) لقد تحير المفسرون في محمل هاته الحروف المقطعة الواقعة فواتح لبعض سور القرآن واخلق بها ان تكون مثار حيرة ومصدر اقوال متعددة وابحاث كثيرة والذي يستخلص من اقوال العلماء فيها بعد حذف متداخله وتوحيد متشاكله يؤول الى عشرين قولا تضبطها ثلاث تنويعات التنويع الاول يرجع الى انها رموز اقتضبت من كلم او جمل فكانت اسرارا يفتح غلقها مفاتيح اهل المعرفة ويبطل اقوال هذا التنويع كلها ان القرءان انما نزل للافهام عامة فلا يجوز ورود ما لا يشترك البيان في فهم ظاهره ولا ما يراد منه معنى لادليل عليه فما ظنك بورود ما لا تتفق الافهام على تاويله ولا تجمعه الضوابط ويوشك لو كان هذا هو المقصد من هاته الحروف ان يقول كل احد فيها بما يحب وكيف يزعم زاعم انها واردة في معان غير معروفة مع ثبوت تلقي السامعين لها بالتسليم من مؤمن ومعاند ولو انهم فهموا منها معروفا دلت عليه القرائن لسأل السائلون وابتهج المعاندون قال القاضي ابو بكر بن العربي « لولا ان العرب كانوا يعرفون لها مدلولا متداولا بينهم لكانوا اول من انكر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بل تلى عليهم حمٓ فصلت وصٓ وغيرهما فلم ينكروا ذلك مع تشوفهم الى

عثرة وحرصهم على زلة » قلت وقد سالوا عن اوضح من هذا فقالوا وما الرحمن . التنويع الثاني يجمع الاقوال الراجعة الى ان هاته الحروف وضعت بتلك الهيئات اسماء او افعالا قال جماعة من فحول العلماء والمتكلمين هي اسماء للسور التي وقعت فيها قاله يزيد بن اسلم ونسب للخليل وسيبويه ونسبه صاحب الكشاف للاكثر وهو قول وجيه ويعضده وقوع هاته الحروف في اوائل السور فتكون هاته الحروف قد جعلت علامات على تلك السور وسميت بها كما تقول الكراس ب وكما وقع في تسمية رسوم المدونة بكلمات وقعت فيها نحو رسم الكبش ورسم الصبرة ورسم طلق ابن حبيب قال القفال قد سمت العرب بالحروف اسماء كثيرة كما سموا لاما الطائي ابا حارثة وسموا الذهب عينا والسحاب غينا والحوت نونا والجبل قافا وعلى هذا الاعتبار قال شريح بن اوفى العنسي أو العبسي :

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم (١)

يريد بحاميم سورة الشورى

وقال جماعة انها اسماء للقرءان اصطلح عليها قاله الكلبي والسدي وقتادة ويبطله انه قد وقع بعد بعضها ما لا يناسب لو كانت اسماء للقرءان نحو آلم غلبت الروم وآلم احسب الناس .

التنويع الثالث تندرج فيه الاقوال الراجعة الى ان هاته الحروف حروف هجاء مقصودة باسمائها لاغراض داعية لذلك فقيل ان هاته الحروف اقسم الله تعالى بها كما اقسم بالقلم تنويها به لانها عنصر الكتب المنزلة واسماء الله تعالى واصول التخاطب والعلوم قاله الاخفش وهو لطيف وقد وهن هذا القول بانها لو كانت مقسما بها لذكر حرف القسم اذ لا يحذف الا مع اسم الجلالة وبانها قد ورد بعدها في بعض المواضع قسم نحو نٓ والقلم وحم والكتاب المبين قال صاحب الكشاف وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم واحد حتى قال الخليل في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى ان الواو الثانية هي التي تضم الاسماء للاسماء اي واو العطف لا واو القسم وانما اجيب عن هذا بان اختصاص الحذف باسم الجلالة مختلف فيه بين النحاة وان كراهية جمع قسمين تندفع بجعل الواو التالية لهاته الفواتح واو العطف على انهم قد جمعوا بين قسمين قال النابغة

والله والله لنعم الفتى حارث لا النكس ولا الخامل

وقيل هي للتهجي تبكيتا للمشركين من العرب وتعجيزا لهم وانحاء عليهم بان هذا الكتاب الذي اعجزتهم معارضته مؤلف من حروف كلامهم كانه يغريهم بمحاولة المعارضة ويستأنس لانفسهم بالشروع في ذلك بتهجي الحروف ومعالجة النطق تعريضا بهم بان حالهم كحال من لا يعرف تقاطيع اللغة فلذلك

---

(١) الضمير في يذكرني راجع لمحمد بن طلحة السجاد بن عبيد الله القرشي من بني مرة بن كعب واراد بحم سورة الشورى لان فيها قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى فكانت دالة على قرابة النبي صلى الله عليه وسلم لقريش الذين منهم محمد السجاد

يجب ان يلقنها ويتهجاها وقد ذهب الي هذا القول المبرد وقطرب والفراء ورجحه صاحب الكشاف وجمهور المحققين وهو الذي أختاره للتعليل الذي ذكرته وتظهر مناسبة وقوعها في فواتح السور بان كل سورة مقصودة بالاعجاز لان الله تعلى يقول فاتوا بسورة من مثله فناسب افتتاح ما بـه الاعجاز بمثل التانيس لمحاولته ابلاغا في التحدي ويؤيد هذا القول إن التهجي ظاهر في هـذا المقصد فلذلك لم يسألوا عنه لظهور امره وان التهجي معروف عندهم للتعليم فاذا ذكرت حروف الهجاء على تلـك الكيفية المعهودة في التعليم في مقام غير صالح للتعليم عرف السامعون انهم عوملوا معاملة المتعلم لان حالهم كحاله في العجز عن الاتيـان بكلام بليغ بقرينـة الخطاب بالتهجي لمن ليس من شـانه ان يكون مرادا تعليمه الكتابة حينئذ يتعين ان المقصود من ذلك الاتيان التعريض به كما يقول المتكلم لمن لم يفهم مراده «ألست أتكلم بالعربية» وربما عضد هذا الوجه تعقيب هاته الحروف في غالب المواقع بذكر القرءان الا في كهيعص وآلم احسب وآلم غلبت الروم وقيل انها علامة لاهل الكتاب وعدوا بها ليعلموا صفة القرءان وهو انه يفتتح بحروف مقطعة

وحكم النطق بها ان ينطق بها موقوفة على حكم الاسماء المسرودة اذ لم تكن معمولة لعوامل ولكن الناس قد يجعلون فاتحة احدى السور كالاسم لها فيقولون قرات حاميم السجدة كما يقولون قرات قفانبك وبانت سعاد فحينئذ قد يعامل جملة الحروف الواقعة في تلك الفاتحـة معاملة كلمة واحدة فيجري عليها من الاعراب ما هو لنظائر تلك السورة من الاسماء فلا يعرف حاميم كما قـال الكميت

قرأنا لكم في ءال حاميم ءاية تـأولها مـنا فقيـه ومعـرب

ولا يعرب كهيعص اذ لانظير له في الاسماء افرادا ولا تركيبا واما طسم فيعرب اعراب المركب المزجي نحو حضرموت وذلك مختار صاحب الكشاف وان كان خلاف قول سيبويه في طسم وقد قال سيبويه انك اذا جعلت هود اسم السورة لم تصرفها فتقول قرأت هود للعلمية والتانيث قال لانها تصير بمنزلة امراة سميتها بعمرو ! ولك في الجميع ان تاتي به في الاعراب على حاله من الحكاية . واما اعراب هاته الفواتح مع ما يليها فاذا جعلتها حروفا للتهجي تعريضا بالمشركين وتبكيتا لهم فظاهر انها حينـئذ محكية لاتقبل اعرابا فلا إعراب لها مع ما يليها ولا معنى للتقدير بالمؤلف من هذه الحروف اذ ليـس ذلك الاعلام بمقصود لظهوره وانما المقصود ما يحصل عند تعدادها من التعريض وان قدرتها اسماء للسور او للقرءان او لله تعلى او مقسما بها أخذت احكاما مع ما يليها من الاعراب بعضها يحتاج للتقدير الكثير . فلندع الاطالة بها فان الزمان قصير . وهاته الفواتح ليست بئايات على المختار من مذاهب جمهور القراء وروي عن قراء الكوفة ان بعضها ءايات وبعضها ليست بئايات ولم يظهر وجـه التفصيل حتى قال صاحب الكشاف ان هذا لا دخل للقياس فيه وقيل جميعها ءايات وهو اللائق باصحـاب هذا القول اذ التفصيل تحكم والدليل مفقود، والصحيح انها ليست بئايات اذ لا يتعلق بها الاعجاز ولا تتصور

فيها المطابقة لمقتضى الحال ولا يعجز المتحدون عن الاتيان بكثير من امثالها فان قلت لو اتى احد بما يماثل ءايتين بالغتين حد الاعجاز وضم اليها حروفا مثل فواتح السور هل يكون ذلك معارضة نافعة قلت لا لان التحدي وقع بسورة من مثله لا بثلاث ءايات فاما ان ياتي المعارض بقدر اقصر سورة وهو ثلاث ءايات ليس فيها من هاته الفواتح شيء لان اقصر سور القرءان لم يقع فيها هذا النوع واما ان ياتي بمثل سورة اطول فان اتى فيها بمثل هذه الفواتح لم يضره لان الاعجاز حصل بالباقي

« ذلك الكتاب » اذا كان آلم تهجية حروف لتسجيل عجز المشركين عن المعارضة فالاشارة الى المعنى الحاصل من التهجي اي تلك الحروف بجنسها هي الكتاب فما اعجزكم عن معارضته فاسم الاشارة مبتدا والكتاب خبر وان كان آلم غير تهجية فالاشارة الى القرءان المعروف لديهم يومئذ واسم الاشارة مبتدا والكتاب بدل وخبره لا ريب فيه والمراد الكتاب المعروف وهو السور المتقدمة على سورة البقرة لان كل ما نزل من القرءان فهو المعبر عنه بانه القرءان وينظم اليه ما ألحق به فيكون الكتاب على هذا الوجه اطلق حقيقة على ما كتب بالفعل وهو غائب واتى باسم الاشارة للبعيد لان مثل هذا المقال يجوز فيه الاتيان باسم البعيد وباسم القريب قال الشيخ الرضي « وضع اسم الاشارة للحضور والقرب لانه للمشار اليه حسا ثم يصح ان يشار به الى الغائب فيصح الاتيان بلفظ البعد لان المحكي عنه غائب ويقل ان يذكر بلفظ الحاضر القريب فتقول جاءني رجل فقلت لذلك الرجل فقلت لهذا الرجل وكذا يجوز ذلك في الكلام المسموع عن قريب ان تشير اليه بلفظ الغيبة والبعد كما تقول والله وذلك قسم عظيم لان اللفظ زال سماعه فصار كالغائب ولكن الاغلب في مثل هذا الاشارة بلفظ الحضور فتقول وهذا قسم عظيم اه والشيخ ابن مالك في التسهيل سوى بين الاتيان بالقريب والبعيد في الاشارة لكلام متقدم اذ قال « وقد يتعاقبان (اي اسم البعيد والقريب) مشارا بهما الى ما ولياه » ومثله في الشرح بقوله تعلى بعد قصة عيسى ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم

ثم قال ان هذا لهو القصص الحق ، فاشار مرة بالبعيد ومرة بالقريب وكلامه اوفق بالاستعمال اذ لا يكاد يحصر ما ورد من النوعين فدعوى اكثرية احدهما دعوى عريضة واذا كان كذلك كان حكم الاشارة الى الغائب غير الكلام مثل الاشارة الى الكلام في جواز الوجهين لكثرة كليهما ايضا كثرة تربو عن دعوى التوازن فاذا كان الوجهان سواء كان ذلك الاستعمال مجالا لتسابق البلغاء ومراعاة مقتضيات الاحوال ونحن قد رايناهم يتخيرون في مواقع الاتيان باسم الاشارة ما هو اشد مناسبة لذلك المقام فدلنا على انهم يرمون الى اغراض لا قبل لتعرف المخاطبين اياها الا اذا

كان الاستعمالان سواء في اصل اللغة ليكون الترجيح لاحد الاستعمالين دالا على معنى قال خفاف بن ندبة (١)

اقول لـه والـرمح يأطر متـنه تأمل خفافا انني انا ذلك (٢)

فانه اشار بذلك الى لفظ خفاف المشهور لدى الاقران والذائع الصيت بين الشجعان يقول لـه انا ذلك المسمى فجاء باسم البعيد للتعظيم ولولا ذلك لكان الاتيان باسم القريب اجدر لانه حاضر

فالاشارة في الآية بلفظ البعيد مقصود منها الاهتمام بالكتاب وانه لعظم شانه كانـه مما لا تتناوله الانظار بسهولة وقد شاع في العرف عند العرب ضرب المثـل للامـر العسير المنـال بالشيء البعيد يقولون هو بمناط الثريا واين الثريا من الثرى فالكتاب هنا لما ذكر في مقـام تسجيل عجزهم عن معارضته على احد الوجهين المتقدمين كان حاله بالنسبة لتناولهم معارضته كحال الشيء البعيد عن الانظار او هو في مقام نفي الريب عنه على ثاني الوجهين المتقدمين بمحل البعد الاعتباري وهو الرفعة وعظم الشان فهو بعيد عمن يتناوله بهجر القول وهذا بخلاف مقام قوله تعلى وهذا كتاب انزلناه مبارك ونحوه فهو للاشارة الى الكتاب باعتبار كونه بين يدي اهله وحملته لترغيبهم في العكوف عليه والاتعاظ باوامره ونواهيه ، وكان صاحب الكشاف قد بنى على مثل ما بنى عليه الرضي فلم يعد في قوله تعالى ذلك الكتاب تنبيها على التعظيم فالله در صاحب المفتاح اذ لم يغفل ذلك فقال في تعريف المسند اليه بالاشارة (وأن يقصد ببعده تعظيمه كما تقول في مقـام التعظيم ذلك الفاضل واولئك الفحول وكقوله عـز وجل آلم ذلك الكتاب ذهابا الا بعده درجة اهـ)

فاقتصر على احد وجهين في نكتة الاتيان باسم الاشارة البعيد . ثم انه على تقدير كون اسم الاشارة خبرا لحروف آلم او كونه مبتدأ والكتاب بدل فليس في التركيب حصر لانـه على تقدير كون ذلك خبرا فهو خبر عن جنس الحروف فلا قصد للحصر وان صح اعتباره اذ الكتاب لا يتجاوز كونه مؤلفا من جنس الحروف ، والكتاب فعال بمعنى المكتوب كاللباس والعماد

واشتقاقه من كتب بمعنى جمع وضم لان الكتاب تجمع اوراقـه او حروفه ومنـه سميت الكتيبة

---

(١) خفاف بضم الخاء وتخفيف الفاء هو خفاف ابن عمر وامه ندبة بفتح النون وسكون الدال امة سوداء وخفاف احد فرسان العرب وشعرائهم ممن لقب بالغراب واغربة العـرب سودانهم وهم خمسة جاهليون وثمانية مسلمون فامـا الجاهليون فهم عنتره . وخفاف . وابو عمير بن الحباب . وسليك بن السلكه . وهشام بن عقبة بن ابي معيط . وخفاف وهشام ادركا الاسلام وعدا في الصحابة وشهد خفاف فتح مكة وابلى البلاء الحسن . واما الاغربة المسلمون فهم تأبط شـرا والشنفرى عمر ابن فراقة . وعبد الله بن حازم . وعمير بن ابي عمير وهمـام بن مطرف ومنتشر بن وهب ومطر ابن ابي اوفى وحاجز بحاء ثم جيم ثم زاي معجمة غير منسوب

(٢) يأطر مضارع أطر كنصر وطرب بمعنى أحنى وكسر

كتيبة وتسمية القرءان بالكتاب مشيرة الى وجوب كتابته لحفظه فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم كتابة كل ما ينزل من الوحي وجعل للوحي كتابا

(لا ريب فيه هدى للمتقين) حال من الكتاب على الوجه الاول في موضع جملة ذلك الكتاب او خبر على الوجه الثاني فالريب هنا الشك ، واصل الريب القلق واضطراب النفس وفي الحديث انه راى ظبيا في الحمى فقال لايربه احد بشيء وريب الزمان وريب المنون نوائبهما ولما كان الشك يلزمه اضطراب النفس وقلقها اطلق عليه الريب فصار حقيقة عرفية يقال رابه الشيء اذا شككه فهو متعد ويقال ارابه كذلك اذ الهمزة لم تكسبه تعدية زائدة فهو مثل بان وابان وقد قيل ان اراب اضعف من راب لان ارابه بمعنى قربه من ان يشك قاله ابو زيد وعلى التفرقة بينهما قال بشار

اخوك الذي ان ربته قال انما اراب وان عاتبته لان جانبه (١)

وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك اي دع ما يقربك من الشك في الحرمة الى ارتكاب الامر الذي لا يتطرق اليه احتمال الشك . وقد نفى الريب بلا النافية للجنس وقرئى بفتح ريب وضمه وكلاهما نفي للجنس الا ان الفتح نفي له على سبيل التنصيص والرفع نفي له بلا تنصيص فان كانت الاشارة في قوله ذلك الكتاب الى التهجي المستفاد من حروف آلم على طريقة التعريض بالمتحدين وكان قوله الكتاب خبرا لاسم الاشارة فقوله لا ريب نفي لريب خاص وهو الريب الذي يعرض في كون هذا الكتاب مؤلفا من حروف كلامهم فكيف عجزوا عن معارضته فنفي الجنس فيه حقيقة وليس بادعاء فيكون قوله لا ريب منزلا منزلة التاكيد لمفاد الاشارة في قوله ذلك الكتاب وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون المجرور وهو قوله فيه متعلقا بريب على انه ظرف لغو والظرفية المستفادة من في ظرفية مجازية اي لا ريب يحف به فيكون الوقف على قوله فيه ويجوز ان يكون قوله فيه خبرا للمبتدا الواقع بعده وهو هدى للمتقين فيكون الظرف ظرفا مستقرا والظرفية ظرفية عرفية قريبة من الحقيقية ويكون خبر لا محذوفا لظهوره اي لا ريب موجود كما هو مستعمل كثيرا في امثاله نحو قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وقول سعد بن مالك

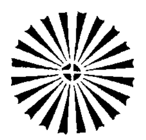
من صد عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح

اي لا خفاء في ذلك وهو استعمال حجازي فصيح فيكون الوقف على قوله لا ريب ، وقد ذكر في الكشاف ان نافعا وعاصما وقفا على قوله ريب وان كانت الاشارة الى الكتاب المعهود وكان قوله الكتاب بدلا من اسم الاشارة فالمجرور في قوله فيه ظرف لغو متعلق بريب والظرفية ايضا مجازية وخبره محذوف على الطريقة الكثيرة في مثله والوقف على قوله فيه . ومعنى نفي وقوع الريب في

---

(١) اي ان فعلت معه ما يوجب شكه في مودتك راجع نفسه وقال انما قربني من الشك ولم اشك فيه اي التمس لك العذر

الكتاب على هذا الوجه نفي الريب في انه كتاب منزل من الله تعالى لان المقصود خطاب المرتابين في صدق نسبته الى الله تعلى وذلك بتنزيل ارتيابهم منزلة العدم لان في دلائل الاحوال ما لو تأملوه لزال ارتيابهم فنزل ذلك الارتياب مع دلائل بطلانه منزلة العدم قال صاحب المفتاح « ويقلبون القضية مع المنكر اذا كان معه ما اذا تأمله ارتدع فيقولون لمنكر الاسلام الاسلام حق وقوله عز وجل في حق القرآن لا ريب فيه وكم من شقي مرتاب فيه وارد على هذا » يعني فيكون المركب الدال على النفي المذكور للريب مستعملا في معنى عدم الاعتداد بالريب لمشابهة حال المرتاب في وهن ريبه بحال من ليس بمرتاب أصلا على طريقة التمثيل ومن المفسرين من فسر قوله تعالى لا ريب فيه على تقدير كون المجرور ظرفا مستقرا وجعل الظرفية المستفادة من حرف في ظرفية عرفية قريبة من الحقيقة بمعنى انه ليس فيه ما يوجب ارتيابا في صحته اي ليس فيه اضطراب ولا اختلاف فيكون الريب هنا مجازا في سببه ويكون المجرور ظرفا مستقرا خبر لا فينظر الى قوله تعلى افلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . وهو تفسير بعيد لان اطلاق الريب على ما يوجب الريب غير معروف عندهم وبهذا البيان يظهر وجه العدول عن تقديم المجرور بان يقال لا فيه ريب اي بخلاف غير القرءان من كتب أهل الكتاب ومخالفة طريقة قوله تعلى لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون اي بخلاف خمور الدنيا إذ ليس الحصر في قوله لا ريب فيه بمقصود لان المقام خطاب للعرب المتحدين بالقرءان لا لاهل الكتاب على ان مئآل المفاد من الحصر حاصل هنا بطريق ءاخر غير طريق الحصر لان قوله آلم رد على العرب المنكرين كونه من عند الله بما يناسب حالهم وهو العجز عن معارضته مع انهم اهل الفصاحة والبلاغة وقوله ذلك الكتاب لا ريب فيه مؤذن بكماله وبلوغه الدرجة القصوى من بين نظائره فيكون تعريضا باهل الكتاب المكذبين كونه من عند الله وقوله لا ريب فيه تعريض بما يلهجون به من كتبهم المحرفة على وجه يستنزل طائر مكابرتهم للنظر في تتبع ءاياته هل يجدون فيها ما يدعو الى الارتياب ويستطير جائم اعجابهم بما بين ايديهم من كتبهم حتى يتأملوها على بصيرة فيعلموا تناقضها واضطرابها فان الشك في الحقائق رائد ظهورها والفجر الكاذب بين يدي طلوع الشمس بشير سفورها .





ما أنزل الله داء الا انزل له شفاء

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه قال :

ما انزل الله داء الا انزل له شفاء (رواه بخاري)



الدواء من الاسباب

قال في الفتح وحصول الشفاء بالدواء انما هو كدفع الجوع بالاكل والعطش بالشرب والتداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش مع اعتقاد ان ذلك باذن الله وبتقديره وانها لا تنجع بذواتها بل بما قدره الله سبحانه فيها قلت وهذا صريح في ان الاسباب مؤثرة بقوة اودعها الله فيها وذلك مذهب بعض السلف قال في روح المعاني مذهب السلف ان الاسباب مؤثرة بقوة اودعها الله فيها ولكن باذنه واذا لم يأذن وحال بينها وبين التأثير لم تؤثر كما يرشد لذلك قوله تعلى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ولو لم يكن في هذه الاسباب قوى اودعها العزيز الحكيم لما قال سبحانه وتعلى يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اذ ما الفائدة في القول وهي ليس فيها قوة الاحراق وانما الاحراق منه تعلى بلا واسطة

مذهب الاشاعرة

اما الاشاعرة فالمشهور عنهم انها اسباب عادية في امثال هذا الموضع فلا تاثير للماء عندهم في الري اصلا وانما المؤثر هو الله تعلى عند الاسباب لا بها قالوا ومن اعتقد ان الله تعلى اودع قوة الري فيها مثلا فهو كمن اعتقد ان السبب مؤثر بنفسه فالواجب ان يعتقد المكلف ان الري جاء من جانب المبدا الفياض بلا واسطة وصادف مجيئه شرب الماء من غير ان يكون للماء دخل في ذلك بوجه من الوجوه سوى الموافقة الصورية

الاسباب مع التوكل

قال الشهاب القرافي في الفرق السابع والخمسين بعد المايتين المحققون على ان الاحسن ملابسة الاسباب مع التوكل للمنقول والمعقول اما المنقول فقوله تعلى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط

الحيل فامر بالاستعداد مع الامر بالتوكل في قوله جل اسمه وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين وكان يطوف على القبائل ويقول من يعصمني حتى ابلغ رسالة ربي وكان له جماعة يحرسونه من العدو حتى نزل عليه قوله جل وعلا والله يعصمك من الناس واما المعقول فان الله تعلى رتب ملكه على عوائد ارادها واسباب قدرها وربط بها ءاثار قدرته ولو شاء لم يربطها فجعل الشبع بالاكل والري بالشرب والاحراق بالنار والحياة بالتنفس فمن طلب من الله تعلى حصول هذه الاثار بدون اسبابها فقد اساء الادب مع الله تعلى بل يلتمس فضله في عوائده

الخلق ثلاثة اقسام

ثم قال الشهاب وقد انقسمت الخلائق في هذا المقام ثلاثة اقسام قسم عاملوا الله تعلى باعتماد قلوبهم على قدرته مع اهمال الاسباب والعوائد فهولاء حصل لهم التوكل وفاتهم الادب مع الله تعلى وهم جماعة من العباد احوالهم مسطورة وقسم لاحظوا الاسباب وأعرضوا عن التوكل وهم عامة الخلق وشر الاقسام وربما وصلوا بملاحظة الأسباب والاعراض عن المسبب الى الكفر والعياذ بالله تعلى والقسم الثالث اعتمدت قلوبهم على قدرة الله تعلى وطلبوا فضله في عوائده ملاحظين في تلك الاسباب مسببها وميسرها فجمعوا بين التوكل والادب وهؤلاء النبيون والصديقون وخاصة عباد الله تعلى والعارفون بمعاملته جعلنا الله منهم فهؤلاء خير الاقسام والادب التماس فضل الله تعلى في عوائده ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالدواء والحمية

اشكال وجوابه

قلت يرد على هذا ان كثيرا من السلف الصالح المقطوع بكماله وفرط ادبه مع الله تعلى اعرض عن الاسباب تصحيحا للتوكل فقد روي عن الامام احمد بن حنبل انه يكون به علل ولا يخبر بها الطبيب ويقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وحكى القاضي عياض عن الحسن بن نصر السوسي من فقهاء المالكية ان ابنه قال له في سنة غلا فيها السعر يا ابت اشتر طعاما فاني ارى السعر قد غلا فامر ببيع ما كان بداره من الطعام ثم قال لابنه لست من المتوكلين على الله وانت قليل اليقين كان القمح اذا كان عند ابيك ينجيك من قضاء الله تعلى عليك من توكل على الله كفاه

والجواب من وجهين اولهما يوخذ مما قرره شيخ الاسلام في كتاب مدارج السالكين من ان العبد يعرض عن الاشتغال بالسبب لتصحيح التوكل بامتحان النفس لان المتعاطي للسبب قد يظن انه حصل التوكل ولم يحصله لثقته بمعلومه فاذا أعرض عن السبب صح له التوكل وكانما يشير لهذا الامام احمد

بقوله احب لمن اعتقد التوكل ترك التداوي من شرب الدواء وغيره . نعم هاته الطريقة صارت فتنة لطائفتين طائفة ظنتها طريقا ومقاما فعملوا عليها فمنهم من انقطع ومنهم من رجع ولم يمكنه الاستمرار عليها بل انقلب على عقبيه وطائفة قدحوا في اربابها وجعلوهم مخالفين للشرع والعقل ومدعين لانفسهم حالا اكمل من حال رسول الله صلى عليه وسلم واصحابه اذ لم يكن منهم احد قط جعل ذلك ولا اخل بشيء من الاسباب والجواب الثاني يؤخذ مما قرره الشيخ ابواسحاق الشاطبي حيث قال الدخول في الاسباب والالتفات الى المسببات له ثلاث مراتب احداها ان يدخل فيها على ان السبب فاعل للمسبب ومولد له فهذا شرك او مضاه له والعياذ بالله تعلى الثانية ان يدخل في السبب على ان المسبب يكون عنده عادة ومحصوله طلب المسبب عن السبب لا باعتقاد الاستقلال بل من كونه موضوعا على انه سبب لمسبب فالسبب لابد ان يكون لمسبب لانه معقوله والالم يكن سببا فالالتفات للسبب من هذا الوجه ليس بخارج عن مقتضى عادة الله تعلى في خلقه ولا مناف لكون السبب واقعا بقدرة الله تعلى الثالثة ان يدخل في السبب على ان المسبب من الله تعلى لانه المسبب فيكون الغالب على صاحب هذه المرتبة اعتقاد انه مسبب عن قدرة الله تعلى وارادته من غير تحكيم لكونه سببا وحاصله يرجع الى عدم اعتبار السبب في المسبب من جهة نفسه واعتباره فيه من جهة انه مسبب وذلك صحيح

حكم الدخول في الاسباب

ثم الدخول في الاسباب لا يخلو اما ان يكون منهيا عنه اولا فان كان منهيا عنه فلا اشكال في طلب رفع التسبب وان كان غير منهي عنه فلا يطلب رفع التسبب في المراتب الثلاث اما الاولى فاذا فرضنا ان نفس التسبب مباح او مطلوب على الجملة فاعتقاد المعتقد لكون السبب هو الفاعل معصية قارنت ما هو مباح او مطلوب فلا يبطله واما الثانية فظاهر ان التسبب صحيح لان العامل فيها اذا اعتمد على جريان العادات وكان الغالب فيها وقوع الاسباب غن مسبباتها وغلب على الظن ذلك كان ترك التسبب كالقاء بيد الى التهلكة او هو هو وكذلك اذا بلغ مبلغ القطع العادي فواجب عليه ان يتسبب ولاجل هذا قالوا ان المضطر اذا خاف الهلكة وجب عليه السؤال والاستقراض او اكل الميته ونحوها ولا يجوز ان يترك نفسه حتى يموت ولذلك قال مسروق رضي الله تعلى عنه من اضطر الى شيء مما حرم الله عليه فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واما الثالثة فالتسبب فيها ايضا ظاهر لا غبار عليه

نظر الشاطبي

قال الشاطبي رحمه الله تعلى بعد هذا التقرير وبسطه والذي يظهرلي في المسألة نظر اخر وهو ان الواجب على كل مؤمن ان يعتقد ان الاسباب غير فاعلة بنفسها وانما الفاعل مسببها سبحانه

وتعلى لكن عادته في خلقه جارية بمقتضى العوائد المطردة وقد يخرقها اذا شاء لمن شاء فمن حيث كانت عادة اقتضت الدخول في الاسباب ومن حيث كانت الاسباب فيها بيد خالق المسببات اقتصت ان للفاعل ان يفعل بها وبدونها وقد يغلب على المكلف احد الطرفين فان غلب الطرف الاول وهو العادي فهو ما تقدم وان غلب الثاني فصاحبه مع السبب او بدونه على حالة واحدة وكل واحد فقيه نفسه ، قلت فمن ءانس من نفسه انه من اهل المرتبة الثانية فهو من التطبب والتداوي في حل ومن كان من اهل المرتبة الاولى فعليه بالتداوي والطب لا محالة وكل احد في المقام الذي اقامه الله فيه ففي حكم ابن عطاء الله « ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية »

الطب نوعان

والطب نوعان نوع لا يحتاج الى فكر وتطويل فطر الله على معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن حد الاعتدال ومداره على ثلاثة اشياء حفظ الصحة والاحتماء عن الموذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد اشير الى الثلاثة في القرءان فالاول من قوله تعلى فمن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر وذلك ان السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر ابقاء على الجسد وكذا القول في المرض والثاني وهو الحمية من قوله سبحانه وتعلى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه سيدنا عمرو بن العاص جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد عليه واقره صلى الله عليه وسلم والثالث وهو استفراغ المادة الفاسدة من قوله تعلى او به اذى من راسه ففدية فانه أشير بذلك الي جواز حلق الراس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن في الرأس، وفي العجائب للكرماني قال طبيب نصراني لعلي بن الحسين بن واقد العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان وليس في كتابكم من علم الطب شيء فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف ءاية قال وما هي قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله صلى الله عليه وسلم المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ، وما نسبه للنبي صلى الله عليه وسلم لم يصح رفعه اليه بل هو من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب ، وفي الاحياء مرفوعا البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل جسد ما اعتاد وتعقبه العراقي قائلا لم اجد له اصلا وفي روح المعاني اخرج في الدر المنثور عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي تشتكي فقال لها ياعائشة الازم دواء والمعدة بيت الادواء

وعودوا البدن ما اعتاد ولم يتعقبه احد وعلى كل حال فالاحاديث الصحيحة متضافرة في ذم الشبع وكثرة الاكل وذلك الطب كله

الطب علم وعمل

قال العلامة العيني الطب علم وعمل فالعلم معرفة المرض المقصود وهو موضوع في الفكر الذي به التدبير والعمل هو خروج ذلك الموضوع في الفكر الى المباشرة بالحس والعمل باليد . قلت وهو مشروط بان لا يكون منهيا عنه فلابي داود من حديث ابي الدرداء ان الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام . وقد اختلف علماؤنا الحنيفة في التداوي بالمحرم وظاهر المذهب المنع كما في كتاب الرضاع من البحر وفي الحاوي قيل يرخص اذا علم فيه الشفاء ولم يعلم دواء ءاخر كما رخص الخمر للعطشان وعليه الفتوى وهو الذي انفصل عليه في الخانية واختاره صاحب الهداية في التجنيس قال سيد المحققين المولى ابن عابدين قد اشترطوا في التداوي بالمحرم العلم بكونه شفاء ولم يعلم دواء ءاخر وصرحوا بان قول الاطباء لا يحصل به العلم والظاهر ان التجربة يحصل بها غلبة الظن خاصة دون اليقين ولعلهم أرادوا من العلم غلبة الظن وهو شائع في كلامهم ومما يؤيدان الحاصل انما هو غلبة الظن ان المريض يتداوى من داء فيبرأ ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فلا ينجع فرب مرضين تشابها ويكون احدهما مركبا فلا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس بمركب فيقع الخطأ من هنا وقد يكون متحدا ولكن يريد الله ان لا ينجع فلا ينجع ومن هنا تخضع رقاب الاطباء والحاصل ان حصول الشفاء بالدواء انما هو كدفع الجوع بالاكل والعطش بالشرب وهو ينجع في ذلك في الغالب وقد يتخلف لمانع نعم الاسباب تختلف بقدرة الله تعلى قوة وضعفا

كلام الله شفاء

ومن اقوى الاسباب كلام الله تعلى قال جل شانه وننزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فقد ذهب بعض اهل التفسير الى ان من للتبعيض واختير في توجيهه انه باعتبار الشفاء الجسماني وهو من خواص بعض الآيات دون بعض كالفاتحة وءايات الشفاء والآثار في ذلك كثيرة وقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرءان فلا شفاه الله

وفي التذكرة ان من الامور والرقى ما يشفي بخاصية روحانية وهو ما نص عليه الاندلسي في مفرداته وقال ان من ينكر ذلك لا يعبأ به فقد اعترف به حذاق الاطباء

لا باس بالرقى

وروي عن امام دار الهجرة رضي الله عنه انه لا باس بتعليق الكتب التي فيها اسماء الله تعلى على اعناق المرضى على وجه التبرك قال في شرح منظومة الادب وعنى بذلك انه لا بأس بالتعليق

رجاء الفرج كالرقى التي وردت السنة بها من العين التي هي من أعظم الامراض فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انها تدخل الرجل القبر والجمل القدر قال العلامة الالوسي ومما يدفع ضررها قراءة قول الله تعلى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين) واضافة الضرر للعين باعتبار ان النفس تؤثر بواسطتها غالبا وقد يكون التاثير بلا واسطتها بان يوصف للعائن شيء فتتوجه اليه نفسه فتفسده قال المناوي وقد يصيب الانسان عين نفسه ومن هنا يعلم فساد ما قاله بعض اصحاب الطبائع من انه ينبعث من العين قوة سمية تؤثر فيما نظره لانه لا يتم فيما لم يره ولا يقتل الصل سمه

التنويم المغناطيسي

نعم لا ننكر ان في النفوس قوة تشبه في تاثيراتها القوة المعروفة اليوم بالقوة الكهربائية فقد صح ان بعض الناس يكرر النظر الى بعض الاشخاص من رأسه الى قدمه فيصرعه كالمغشي عليه وربما يقف وراءه جاعلا اصابعه حذاء نقرة رأسه ويوجه نفسه اليه حتى تضعف قواه فيغشاه نحو النوم ويتكلم اذ ذاك بما لا يتكلم به في وقت ءاخر بل ربما اخبر بما هو غائب عنه وقد شاهدنا شيئا من ذلك ولله في خلقه اسرار تتحير فيها العقول

الصدقة والدعاء

ومن الاسباب القوية ايضا الصدقة والدعاء فانهما الترياق المجرب للشفاء ورفع البلاء واني شاهد صدق نجعهما وأثر من ءاثار بركتهما الا ان الاجدر بذي الهمة الرفيعة ان يتحرى بهما محالهما ويقوم بهما كما وصف في الشريعة واجدر محل بالصدقة الفقير الضعيف كما ان ارجى محل لاجابة الدعاء بيت الله ومجلس الحديث الشريف فلنهرع للدعاء راجين من الله تعلى الاجابة ولنقل بصدق واخلاص وانابة

الدعــاء

يا الله يا من لا الاه لنا سواه انا نحمدك ونشكرك على نعمك الضافيه . ونخص من بينها نعمتي الاسلام والعافية . ونستهديك افضل الصلاة وازكى التسليم . على عين الرحمة وصاحب الخلق العظيم . وعلى آله واصحابه اجمعين . وكل من تبعهم الى يوم الدين . اللهم ابدل عسرنا باليسر . وانشر على الاسلام اعلام العز والنصر . فقد ضاقت بنا الارض وليس لنا عدة . فاذقنا بمحض فضلك حلاوة الفرج بعد الشدة . اللهم انــا بسطنا اليك اكف الضراعة خاشعين . فارحم ءاباءنا وسلفنا ومشائخنا وجميع المسلمين . اللهم اختم لنا بالسعادة . وبلغنا فيما يرضيك ءامالنا وزيادة . بجاه نبيك الكريم المقدس لك بقوله سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

دفع اشكال

في حديث نبوي

سألني احد ابناءي الافاضل من شيوخ العلم بجامع الزيتونة عن تأويـل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (سألت ربي ان لا يسلط على امتي عدوا من سوى انفسهم) هل هو حديث صحيح او لا وكيف اذا ظهر صحيحا يستقيم معناه فانا نرى ونسمع ان المسلمين قد تسلط عليهم غير مرة اعداء من غيرهم مثل ما حل بالمسلمين في بلاد الاندلس وهل يستقيم ان نؤوله بان العدو ما سلط على الامة في كل مرة الا بمعونة خيانة من المسلمين انفسهم وخـذلان بعضهم بعضا فيكون ذلك التسليط في المعنى من انفس المسلمين

فأجبته حين السؤال بما حضرني بما يدفع الاشكال ، وذلك بعض ما يشتمل عليه هذا المقال ، ثم بدالي ان ازيده بيانا وتحقيقا ، ليكون فهم هذا الحديث فهما وثيقا ،

سند هذا الحديث هو حديث صحيح رواه مسلم وغيره واللفظ الصحيح هو ما في مسلم عن ثوبان مولى رسول الله قال قال رسول الله « ان الله زوي لي الارض فرايت مشارقها ومغاربهـا وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها واعطيت (وفي رواية واعطـاني) الكنزين الاحمر والابيض (يعني الذهب والفضة وقيل اراد الشام والعراق) واني سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانـه لا يرد واني اعطيتك لامتك ان لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عـدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها او قال من بين اقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا) ورواه ابو داود والترمذي واحمد بن حنبل وابن ماجة وابن حبان عن ثوبان بأطول من هذا يزيد بعضهم على بعض . وهذا الحديث مع اشكاله لم يتناوله شراح الحـديث عياض والنووي والابي من شراح مسلم وابن العربي في شرح الترمذي والخطابي في شـرح كتاب ابي داود بمـا يستحقه من البيان بل تراهم اعرضوا عن بيان المراد منه وموافقته لمـا ظهر من الحوادث وقصدنـا الاقتصار على محل الاشكال من رواية مسلم

معناه الذي أرى ان هذا الحديث مسوق للبشارة والتحذير معا وانه جاء على نسق سنن البلاغـة النبوية بايجاز بديع وانه يدل على ان رسول الله دعا ربه دعوة استجيبت له فاراد ادخال السرور بها على امته ليعلموا كرامتهم على الله ويزدادوا معرفة بقدر رسولهم وقد دل على ان الدعوة مستجابة قوله

في ءاخر الحديث فيما يرويه عن ربه واني اعطيت لامتك ان لا اسلط عليهم عدوا الخ وفيه تحذير مما يخشى وقوعه بين المسلمين من التقاتل وله نظائر في التحذير كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض والتسليط في كلام العرب هو الغلب قال الله تعلى ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم واشتقاقه من السلاطة وهي الشدة يقال فلان سليط اللسان اي خبيث القول ومنه اشتقت السلطة والسلطان وقد اريد بالتسليط هنا الشدة وهو تسليط الاهلاك والاستئصال بدليل مجيء فاء التسبب الجعلي عقبه في قوله فيستبيح بيضتهم فيعود الكلام الى معنى وان لا يستبيح عدوهم بيضتهم والنكتة في ابتداء الدعاء بنفي التسليط ثم تعقيبه بنفي الاستباحة هي التأدب باسناد الفعل المطلوب الى الله تعلى وان العدو اذا لم يسلطه الله لا يستطيع استباحة بيضة المسلمين والسين والتاء في الاستباحة للصيرورة مثل قولهم استقام الامر اي صار قيما فالمعنى فتصير بيضة المسلمين مباحة لهذا العدو المسلط والاباحة في الاصل المكنة قال الشاعر

ابحنا حيهم قتلا واسرا   خلا الشمطاء والطفل الصغير

وضدها الحرمة وهي المنع ومنه وصف البلد بالحرام ومعنى صيرورة البيضة مباحة ان لا يبقى لها من القوة والعزة ما يمنع العدو من تناولها والتمكن منها والبيضة هنا الجامعة واصل البيضة لامة الحرب التي تلبس على الرأس لتقيه ضرب السيوف مثل المغفر ثم اطلقت على العزة مجازا مرسلا لانها سبب العزة في الحرب للابسها ان يكون ءامنا من تلاف نفسه ثم اطلقت على الامر الذي تجتمع عليه الامة وبه قوامها وبقاؤها ومن ذلك قول العلماء من شرط الخليفة ان يكون قادرا على حماية البيضة والجامعة في اعتبار الاسلام هي جامعة الدين فلا التفات الى القبائل والاحياء ولا الى الاوطان والامم لكن الجامعة الاسلامية لما كانت حاصلة في جماعة المسلمين وكانت جماعة المسلمين لا غنى لها عن الاستقرار في مكان فوطن الاسلام وبلاد الاسلام هو الارض التي يقطنها طوائف من المسلمين فالتأم من معنى الكلام ان الرسول سأل الله ان لا يسلط العدو على الامة تسليطا يتمزق به اهابة الجامعة الاسلامية فليس المراد ان لا يسلط العدو على بعض المسلمين في بعض الاقطار او في بعض الايام لان سنة الله في هذا الكون ان الدنيا دول والحرب سجال وان الامور موكولة الى اسبابها وعوارضها فقد هزم المسلمون في زمن الرسول في بعض الوقائع كما قال تعلى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وانما المراد ان لا يسلط عدوا على جميع الامة فيستاصلها بقرينة قوله قبله ان لا يهلكهم بسنة عامة اي بقحط يعم جميع بلاد الاسلام حتى يستاصلهم فلا يمنع ذلك من حصول قحط في بعض الجهات يهلك طوائف من الناس فقد كان قحط عام الرمادة في خلافة عمر رضي الله عنه وكان غيره بعده ونظير هذا ان رسول الله سأل ربه غير مرة دعوات مرجعها الى حماية هذه الامة من اسباب الاستيصال فقد امن الله امة محمد من الخسف ومن الهلاك بالريح ونحو ذلك مما اهلكت به الامم البائدة ومن حديث

البخاري ان رسول الله قال سألت ربي ان لا يهلك امتي بعذاب من فوقهم او من تحت ارجلهم فاستجاب لي وسألته ان لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض فاستجاب لي .

وفي الصحيح انه لما نزل قوله تعلى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم - قال رسول الله أعوذ بسبحات وجهك الكريم - او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم لباس بعض. قال رسول الله هذه اخف فالرسول عليه السلام حريص على ان لا يصيب الامة شيء يستاصلها لان ذلك يقطع اعظم شيء عند الرسول وهو توحيد الله وعبادته الا ترى قوله يوم بدر وهو في العريش اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض . وذلك ان الامم الماضية اصابهم الاستيصال بانواع المهلكات من نحو الغرق لقوم نوح والريح لعاد والخسف لاهل سدوم والصاعقة لثمود وسيل العرم لسبا والصيحة لمدين فباد جمهم وهلكوا والاستئصال بالسيف لبني اسرائيل على ايدي السريان في مدة بختنصر ثم على ايدي الرومان في زمن طيطس حتى استبيحت بيضتهم وزالت جامعتهم الى اليوم والمراد بالعدو المعادي اي المخالف الحنق وهو هنا عدو الدين بقرينة مقابلته بمجموع الامة الاسلامية وقوله من سوى انفسهم اي من غير قومهم لان الانفس في مثل هذا المقام يراد به الصميم والقوم والمراد هنا القومية الدينية لا القبيلية فيجوز ان يكون هذا الوصف لقوله عدوا وصفا كاشفا اذ العدو لا يكون الا من غير القوم اي عدوا من غير المسلمين وحينئذ فليس فيه ما يقتضي ان يسلط على لمسلمين عدو منهم يستاصلهم ويجوز ان يكون وصفا مقيدا لقوله عدوا معاديا لهم من انفسهم فيكون المعنى على تاويل عدو لبقيتهم اي فريق من المسلمين يكون عدوا لبقيتهم فيكون رسول الله دعا الله دعوة لاحظ فيها حق الادب مع الله لان سنة الله في خلقه ان لا تسلم امة من عدو يناويها فسال الله ان يسلمها من عدو شديد المداوة يستاصلها ويهينها لان غلبة العدو التام العداوة غلبة مشتملة على اهانة بخلاف غلبة العدو الذي له بالمغلوب صلة واقتراب فانها لا تخلو من رحمة وتجنب للاهانة كما قال البحتري

وفرسان هيجاء تجيش صدورها ... باحقادها حتى تضيق دروعها

تقتل من وترأ عن نفوسها ... عليها بأيد ما تكاد تطيعها

اذا احتربت يوما ففاضت رماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

وكما قال الحماسي لما اراد القود من اخيه حين قتل ابنه ثم القى السيف من يده وقال

اقول للنفس تأساء وتعزية ... احدى يدي اصابتني ولم ترد

كلاهما خلف عن فقد صاحبه ... هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

وعليه فليس المراد من تسليط العدو الذي هو من انفس الامة تسليط الاستيصال لان ذلك غير متوهم في العرف ان يصدر من متسلط من انفس القوم ويدل لذلك قوله في اخر الحديث حتى

يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا والحديث على هذا البيان لا ينافيه شيء مما حدث من احوال المسلمين في التاريخ فقد تسلط العدو على طوائف من المسلمين غير مرة بعضها كان تسلطا معتادا كالحروب الصليبية وبعضها كان فوق المعتاد كتسلط التتار والمغول على المسلمين في المشرق سنين طويلة أهلكت الحرث والنسل الى ان اعتنقوا الاسلام وصاروا اخوة لمن كانوا اعداءهم وكتسلط القرامطة على بلاد العرب وتسلط النصارى على المسلمين في مصر والشام في اواخر القرن السادس واوايل السابع وكتسلط الجلالقة على المسلمين في المغرب ببلاد الاندلس حتى انجلى عنها المسلمون وأصبحت أرض كفر ولكن المسلمين الذين كانوا بها حلوا في ديار أخرى وانضموا الى جامعتهم فلم يكن ذلك استيصالا لهم بل ان يكون استيصالا لسائر الامة وتمزيق جامعتها وسلطانها وقد اقتتلت فرق المسلمين غير مرة قتالا معتادا او اشد من المعتاد وحسبك منه قتال الخوارج الذي دام سنين طويلة ولم يفض الى تفانيهم واستيصال بعضهم بعضا وعلى هذا فقوله في حكاية جواب الله تعلى « حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا » غاية لانتفاء تسليط بعضهم على بعض ليست من جنس تسليط العدو عليهم وشرط المعطوف بحتى ان يكون بعضا من المعطوف عليه فتعين ان يكون في الكلام ايجاز حذف دل على عظم فضل الله تعلى على رسوله اذ استجاب له بأكثر مما نسأله فانه ساله أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم يستبيح بيضتهم فاستجاب لـه بذلك وبان لا يسلط عليهم من أنفسهم أيضا مسلطا في كون من الاكوان وحال من الاحوال الى الغاية التي يكون بعضهم فيها يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا وهذا الاسلوب يشبه أن يكون من تاكيد الشيء بما يشبه ضده اذ يوهم بظاهره ان تلك الغاية نهاية لقوله وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم وهي في الحقيقة ليست غاية لذلك فان ذلك منتف ابدا الى غير غاية وانما هو غاية لمحذوف وهو ما اشرت اليه انفا .

ويجوز أن يكون المراد من قوله حتى يكون بعضهم يهلك بعضا الخ غاية لنفي تسليط العدو من غير تقييد بكون العدو من غير أنفسهم اي تسليط بعض المسلمين على بعض تسليطا يستبيح بيضتهم ويفني جماعتهم فيكون ذلك اخبارا عن غاية من الزمان تحصل فيه فتن عظيمة فيرتد فريق من المسلمين عن الاسلام ويكون مساويا للفريق الباقين على الاسلام في العدم او تزول منهم حرمة احكامه فيقتل بعضهم بعضا قتل استيصال حتى لا يبقى من يقول الله الله كما ورد في الحديث "لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق وذلك بان يسلط بعض المسلمين على بعض ويسلب الغالبين رشدهم فيهلكوا البقية نظير ما سلب الله (نيرون) سلطان الرومان من العقل حتى صار يلذ له ازهاق نفوس قومه واحراق عاصمة سلطانه فيكون هؤلاء قد بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار وهي غاية بعيدة المدى . ما بقيت في المسلمين مسكة من هدى . نسال الله ان يعيذ الامة من هذه الحالة ببركة رسولها عليه السلام .

قاله محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

الفتاوى والاحكام

حكم وضع الاسنان المصنوعة في الفم

بقلم العلم الهمام شيخ الاسلام الحنفي

السؤال

ما قولكم في وضع الاسنان المصنوعة في الفم عوض الاسنان الساقطة بالصفة التي شاع استعمالها في هذا العصر هل هو جايز او ممنوع ؟ وهل تطهير السن المجوف من اثر السوس وملؤه بالفضة ثم تغليفه بالذهب حتى لا ينقرض كما هو الشايع الآن يمنع صحة الاغتسال بناء على ما ذكر في الكتب الفقهية من ان الاصح عدم صحة الغسل اذا كان السن المجوف ممتلئا بشيء صلب لا ينفذ الماء الى تحته ؟

الجواب

ان وضع الاسنان المذكورة بالصفة الشايعة الآن جائز بلا خلاف لان تلك الاسنان المصنوعة وما هي مشدودة به كلاهما طاهر ان احدهما مما يسمى بالكاوتشو والآخر نوع من الطين كما اخبرنا بذلك بعض أهل هذه الصناعة من المسلمين ولاشك أن وضع الطاهر غير المضر في الفم مباح خصوصا اذا كان لحاجة كالانسان التي بها المضغ الذي هو اول مراتب الهضم فهو حينئذ كوضع سن الشاة المذكاة عوض السن الساقطة المنصوص على جوازه في المذهب قال الكرخي اذا سقطت ثنية رجل فان أبى حنيفة يقول لا يعيدها ويشدها بذهب او فضة لانها كسن ميتة بل يأخذ سن شاة ذكية يشدها مكانها وخالفه ابو يوسف وقال لا باس باعادتها ولا يشبه سنه سن ميتة وفي التترخانية قال بشر قال ابو يوسف سألت أبو حنيفة عن ذلك في مجلس اخر فلم ير باعادتها بأسا اه وذلك يدل على انه لا خلاف بين ابي حنيفة وابي يوسف في جواز وضع سن من الشاة المذكاة عوض السن الساقطة وانما الخلاف بينهما على رواية الكرخي في اعادة السن الساقطة وبذلك يتبين جليا ان وضع الاسنان المصنوعة بالصورة المعروفة الان جائز باتفاق ابى حنيفة وابي يوسف ولم نعثر على النقل عن محمد في سن الشاة المذكاة والظاهر انه لا يخالف الامامين في الجواز لطهارة السن وبذلك يتهيأ لنا القول بان تعويض الاسنان الساقطة بالاسنان

المصنوعة بالصفة المذكورة ممالا خلاف في جوازه بين أيمتنا الثلاثة هذا كله في تعويض الساقط من الاسنان اما شد السن المتحرك بالفضة فجايز بالاتفاق وبالذهب منعه ابو حنيفة وجوزه محمد وابو يوسف قيل مع ابي حنيفة وقيل مع محمد قال في الدر المختار ولا يشد سنه المتحرك بذهب بل بفضة وجوزهما محمد اي جوز الشد بهما اه ولا يخفى ان الخلاف في الذهب انما هو بالنسبة للرجال دون النساء فيجوز لهن الشد بالذهب عند الجميع لجواز التحلي بالذهب لهن فضلا عن الحاجة الداعية لذلك وفي الصحيح ان النبي صلى عليه وسلم خرج وباحدى يديه حرير وبالاخرى ذهب وقال هذان محرمان على ذكور أمتي حلال لاناثهم واما تطهير السن المجوف من اثر السوس وحشوه بالفضة ثم تغليفه بالذهب لئلا ينقرض فان كان ذلك لضرورة دفع الالم الحاصل اوالمتوقع حصوله بدخول الهواء او الطعام في جوف السن فذلك لايمنع صحة الاغتسال وان لم يصل الماء تحت الحشو والغلاف لضرورة التداوي كشد السن المتحرك لضرورة دفع الالم الحاصل بالتحرك فكما لايمنع الشد لا يمنع السد للضرورة والحرج المرفوع بالنص وفي شرح المنية ما يشعر بذلك كما ياتي وقصاراه ان يتنزل الحشو منزله الجزء الذي ذهب من السن والغلاف منزلة ظاهر السن فيكفي وصول الماء الى ظاهر الغلاف كظاهر المشدودة به السن المتحرك اوكأثر الحناء والصبغ وما اشبه ذلك مما هو معلل بالضرورة وان اختلفت جهتها واذا اردت زيادة الايضاح فاستمع لما نقصه عليك قال في الدر المختار ولا يمنع ما على ظفر صباغ ولا طعام بين اسنانه او في سنه المجوف به يفتى وقيل ان صلبا منع وهو الاصح اه وكتب المولى ابن عابدين على قوله به يفتى ما نصه صرح به في الخلاصة وقال لان الماء شيء لطيف يصل تحته غالبا ومفاده عدم الجواز اذا علم انه لم يصل الماء تحته اه وكتب على قوله وهو الاصح ما نصه صرح به في شرح المنية وقال لامتناع الماء مع عدم الضرورة والحرج اه اي لامتناع وصول الماء تحت الطعام الصلب مع عدم الضرورة ابقائه وعدم الحرج في ازالته وفيه اشعار بان ما كان للضرورة والحرج لايمنع صحة الاغتسال كما اشرنا اليه سابقا ثم قال ابن عابدين وهذا التصحيح لاينافي ما قبله فافهم اه يعني لان مفاد كلام الخلاصة على القول الاول عدم الجواز اذا علم ان الماء لم يصل تحت الطعام واذا تصلب الطعام للزوجة بشدة المضغ حتى صار كالعلك لايصل الماء تحته فالقولان حينئذ متحدان ولا اثر للخلاف في المعنى وبما نقلناه وقررناه يتجلى لك ايها السايل ان مسالة الطعام الصلب المذكورة في الكتب الفقهية غير حادثة السؤال لان الطعام لاضرورة لبقائه ولا حرج في زواله بخلاف الشيء الصلب الموضوع للتداوي لمكان الضرورة والحرج كما اسلفناه

محمد بن يوسف

الاخوة في الاسلام

ان الكلام على الاخوة في الاسلام او الاخوة الاسلامية يستدعي القاء نظرة بعيدة على منشىء هاته الاخوة وما لا سيما في عصور الاسلام الاولى وما طرأ عليها في العصور المظلمة الحديثة لنصل الى حقائق ذات شان عظيم في تكوين أمتنا المحمدية وما كانت عليها من القوة والعز وما داخلها من انحلال وتشتت

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتصل نسبه الشريف بأخ وعاش مع والدته التي لم تتزوج بعد بعلها عبد الله والد الرسول الاكرم . وبعث صلى الله عليه وسلم بالرسالة الاسلامية ودعا الى توحيد الله سرا وجهرا ولم يشد عضده أخ ولم يؤازره في دعوته أخ واشتغل عنه اقاربه بوظائفهم القرشية خوفا أن ينفض العرب من حولهم ولم يوقنوا برسالته ولا آمنوا بما جاءهم به من توحيد الرب العظيم خالق السماوات باسط الارض مجري الانهار مصور الانسان على أحسن تقويم ممده بروح الحياة كسائر المخلوقات مميزه بجوهرة العقل الذي استكمل به وامتاز عن سائر الحيوان . وما أشد وقع هذا الاعراض على الانفس البشرية سيما اذا كان من العشيرة والآل والحال أن لا أخا يشتكي له من هذا الصنيع الممقوت بيدأنها النفس الطاهرة الزكية المرتاضة بالخلق الملكية المتأنسة بالروح الامين المتحلية بوانك لعلى خلق عظيم - فلم يفتقر صلى الله عليه وسلم الى اخ يشد عضده او يؤنسه في وحدته عند ما كان الدين غريبا وكذلك بدأ هذا الدين غريبا . فشد الله عضده بمن آمن به وصدق رسالته وآنسه باخلاصهم له صلى الله عليه وسلم لا كالاخلاص المتعارف بين الاخوة في الرحم وما ذاك الانور حل في نفوس المهتدين من نور الرسالة المحمدية فآثروه عليه الصلاة والسلام على نفوسهم وآثروا دين الحق على كل ما سواه فصغرت في نفوسهم الاوطان والمال والولدان وهاجروا الى ارض الامان وفارقوا أرض الكفر والضلال .

ولما استقر بهم النوى واستقبل أهل يثرب الرسول وأصحابه استقبال البررة الاوفياء هنالك كانت المظاهر الاسلامية العظمى وتأسست الاخوة الاسلامية ونادى داعي البشارة بالحبور اليكم يامعشر المهاجرين يامن فارقتم الاوطن فى سبيل الاسلام . يا من فارقتم ابناءكم وبناتكم في سبيل الاسلام . يا من فارقتم اخوانكم واقاربكم واصحابكم وأهل مودتكم في سبيل الاسلام . يامن تركتم أرزاقكم لعدوكم في سبيل الاسلام . يا من فارقتم جواركم البيت الحرام في سبيل الاسلام . يا من تتأهبون للقتال فتفارقون الحياة الدنيا في سبيل الاسلام . ابشروا بأن لكم من ربكم في الآخرة الجنة ولنعم دار المتقين ولكم من مولاكم في هاته الدار اخوة اسلامية لا تعادلها صلة النسب بالابناء ولا بالاباء ففوزوا ببيعكم الذي بايعتم به ربكم .

وقام رسول الله صلى الله عليه ينفذ تعاليم الرحمن فآخا بين المهاجرين والانصار ووصف

القرءان المجيد هذا الخلق في الانصار حيث يقول : (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم، يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) هذه هي الاخوة الاسلامية وذلك منشؤها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما الف بين قلوب أصحابه وأزال الوحشة التي ربما تلابس نفوس بعض المهاجرين بهذا التأخي مع الانصار أهل يثرب الاعلام، رتب على هاته الاخوة الاسلامية ما يترتب على الاخوة النسبية من التوارث فأصبح بنعمة أخوة الاسلام المهاجر يرث الانصاري أخاه في الدين، فقسم صلى الله عليه وسلم من هاجر معه على الانصار وتسابق اهل يثرب لكفالة اخوانهم وانزلوهم المقام اللائق بهم فطاب للمهاجرين المقام ولم يحسوا بالم الفرقة ووحشة الغربة وأمنهم الله في هذا البلد الطيب

ولما اعز الله المسلمين وانتصروا في غزواتهم واجتمع الشمل وزالت عن المهاجرين تلك الوحشة أبطل الله ذلك التوارث الذي هو أثر من آثار الاخوة الاسلامية في مبدئها . ونزل قوله تعالى وهو اصدق القائلين واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) وزواله لزوال موجبه وابقي ماسواه من الآثار وقدذكره ذلك عليه الصلاة والسلام في قوله (ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) فمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الصفات الثلاثة التي هي التوادد والتعاطف والتراحم بالجسد الذي يشعر كلما اصاب منه عضوا ضرر أحس بالمه الجسد . وسعى في دفعه عنه كلما وجد لذلك سبيلا وكذلك شأن المؤمنين اذا ناب قسما منهم نائبة أحس بألمها باقي المسلمين وسعوا بما ارتكز في نفوسهم من عاطفة الاخوة الاسلامية لدفع الضر عن اخوانهم ونظروا اليهم بعين الرحمة ومدوهم بنفوسهم واموالهم . فيكون (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)

وشرح عليه الصلاة والسلام الاخوة الاسلامية في قوله : (المسلم اخ المسلم لايظلمه، ولايسلمه . ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عليه كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) فكما ان الاخ شأنه ان لا يظلم أخاه ، كذلك الاخوة الاسلامية تمنع المسلم أن يصدر منه ظلم المسلمين في اموالهم ونفوسهم واعراضهم ، وبذلك يسود الامن وتنتشر الفضيلة لان الظلم مصدر كل شر ، جالب للنقم . قال عليه الصلاة والسلام : الظلم ظلمات يوم القيامة ،

والاخ لا يسلم أخاه ويخذله ، ويتركه لعدوه ينكل به ويعبث بمصالحه وحقوقه كما شاء واراد . بل يحم اخاه المسلم وينصره ظالما او مظلوما ، ينصره ظالما بمنعه من الظلم . وينصره مظلومابكشف الضر عنه

والاخ شأنه ان يكون في حاجة أخيه يعين اخاه المسلم على ما استصعب عليه ان يناله ويسهل عليه

مرافق الحياة سواء أكانت مالية او اجتماعية او علمية وبذلك ينـال مرضات الله والله لا يضيع عمل عامل. وقد تكفل من له مفاتيح السماوات والارض لمن يسعى في قضاء حاجيات المسلمين أن يكون له في حاجته. والاخ شانه ان يكون باذلا ما في طاقته لكشف الكروب عن اخوانه يفرج عن المسلم ما يصيبه من مسغبة فيعمل في سبيل ذلك ببذل ماله . وحث اخوانه المسلمين على المعونـة . والبحث على اسباب الارتزاق لاخوانه البطالين . ومعالجة المرضى بنفسه ان كان يحسن ذلك . او يجلب لهم من توفرت فيه شروط اللياقة . واعانة المشاريع التي بها تتكون المصالح العامة العائدة بالفائـدة على الفرد والجماعات . والاخ شأنه ان يستر زلات اخيه ولا يعمد الى نشر عورات المسلمين فتنشأ عن هذا الكشف المذموم الضغائن والاحقاد ويصبح الناس كل واحد يبحث عن عورات أخيه ليظهرها للناس كما فعل هو به وفي ذلك من الفساد شيء عظيم ووعد الله ذلك الساتر بالستر عليه يوم القيامة كما وعد من فرج عن أخيه كربة انه يفرج عنه كربة من كرب يوم القيامة . وكذلك بين الشارع الاخـوة الاسلامية وآثرها وما ترتكز عليه من الصفات

وما فتيء صلى الله عليه وسلم ينمي في نفوس أصحابه معنى الاخوة الاسلامية ويذكرهم في مجالسه ما ارتضى لهم الله في هذا الدين القويم من صفات الانسانية الكاملة . ويحذرهم مما يفكك عرى تلك الاخوة ويصبحها عداوة وبغضاء. قال عليه الصلاة والسلام : (اياكم والظن . فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا. ولا تنافسوا . ولا تحاسدوا . ولا تباغضوا ولا تدابروا . وكونوا عباد الله اخوانـا كما أمركم . المسلم اخ المسلم لا يظلمه . ولا يخذله . ولا يحقره . التقوى ههنا . « ويشير الى صدره » بحسب امريء من الشر ان يحقر اخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله) فكل هاته الصفات نفر منها الشارع الحكيم لعلمه أن الاخوة لا تتفق معها ولا تثمر ثمرها المطلوب فحذر المسلم أن يظن بأخيه المسلم السوء وذلك مدعاة الى تكـوين العداوة وما ينجر عنها من الفساد كما حذره من التجسس وأنه خلق لا يليق بالمسلم أن يكون عليه سيما اذا كان التجسس لفائدة العدو لما فيه من الوقيعة بالمسلمين والاخ لا يسلم أخاه كيفما كانت الحالة ولا يعطيه فريسة لغيره في مقابلة منفعة يرتجيـها لنفسه ولا ينافسه المنافسة التي تنشأ عنها العداوة والبغضاء وتنقطع بها صلة الاخـوة التي كـونها لهما الاسـلام ولا يحسده على ما انعم الله به عليه قال تعالى (ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله) بل يرتجي ممن انعم عليه أن يمده هو بانعامه ويسعى في سبيل ذلك كما سعى أخوه من قبل ولا يضمر له البغض في نفسه حتى اذا صدرت منه زلة عفا وأصفح عنه ومن عفـا وأصفح فاجره على الله ويعمل لازالة الاسباب الداعية لذلك ولا يعرض عنه اذا لاقاه لحقد يجده عليه في نفسه ولا يحتقره بما فضله به الله عليه فان الشر كل الشر في هذا الاحتقار المشين الذي يقسم المسلمين الى فرق لاتهتم كل فرقة بشان أختها وتنظر

كل واحدة منها الى الاخرى بعين ملؤها التنكيل وفي ذلك من الفوضى ما لايخفى فتستباح دماء واعراض واموال حرمها الله وأصى برعايتها بموجب تلك الاخوة

وابلغ ما يرشدنا الى مقاومة داء الاحتقار ما شرعه الله من فريضة الزكاة التي فيها حق للفقير من مال الغني فيعطي الاخ الغني اخاه الفقير المسلم مما اعطاه الله فتنمو مودة الاخوة الاسلامية بينهما كما ينمي الله للمعطي رزقه الذي جعل فيه حقا لاخيه السائل والمحروم وما مشروعية الزكاة الا ظاهرة أخرى من ظواهر الاخوة الاسلامية وأثر من آثارها تؤخذ من اغنياء المسلمين بقدر معلوم في وقت معلوم وتعطى لفقراء المسلمين من غير تعد ولا ظلم وهذا الاثر اعتبره الاسلام وحكمته ظاهرة لكل من ازال الله عن قلبه غشاوة المكابرة. وهداه الحجة البالغة. وهو نظام ضمن السعادة لكافة طبقات الامة كل يستفيد من ثروتها . الغني يستفيد مما انعم الله عليه . والفقير يستفيد من فواضل كسب الغني الذي يزكوا به ماله. زيادة عما ينجر للجميع من المنافع فكم من مصلحة نالها الغني بسبب ذلك الانعام وكم من مهمات يسدها الفقير لمن إحسن اليه وهو لا يشعر

كذلك كون الرسول الاعظم ، والمربي الاقوم ، والمرشد الافخم ، المسلمين على هاته المبادي السامية ، وروض نفوسهم على الاخوة الصادقة ، فسهل عليهم اقتحام المشاق وما يعجز عنه الفرد تتحمله طائفة من المسلمين فجهزوا الجيوش ونشروا الاسلام بين الانام. وفتحوا الامصار ودوخوا الجبابرة وملكوا عرش الاكاسرة وبلغوا في نشر تعاليم الاسلام أقصى بلاد الصين شرقا وجبال البرينى بل والاطلانطيك غربا واصبح خليفة المسلمين يخاطب السحاب ويقول له سر حيثما شئت فخراجك راجع الينا. وحكموا على الكافة بالشريعة المحمدية التي لا تفرق في أحكامها بين الراعي والرعية والمفضول والفاضل الكل امام العدل سواء. الناس كلهم عباد الرحمن . لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى . وتلك يعلمها الله وجزاؤها يوفي به الله يوم الجزاء الاكبر وما المساواة في الحقوق الا ظاهرة اخرى من ظواهر الاخوة الاسلامية . (له بقية)

محمد الشاذلي ابن القاضي

اوصاف العلماء

العلماء ورثة الانبياء ، العلماء اعلام الاسلام ، العلماء في الارض كالنجوم في السماء ، العلماء غرباء لكثرة الجهال ، زلة العالم كانكسار سفينة تغرق ويغرق معها خلق كثير الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك . الجاهل صغير وان كان كبيرا والعالم كبيرا وان كان صغيرا . مثل علم لاينفع ككنز لاينفق منه . ازهد الناس في عالم جيرانه ، لو سكت من لايعلم لسقط الخلاف ، مات خزنة الاموال وهم احياء وعاش خزان العلم وهم اموات ، المتواضع في طلب العلم اكثرهم علما كما ان المكان المتحفظ اكثر البقاع ماء ، من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا ، ما صين العلم بمثل بذله لاهله

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريف



ح — وجوب دية القتل على العاقلة ـ استنكر هذا الحكم كثير من المتفرنجين قائلين كيف يغرم من لم يذنب ؟ وجوابه ان هذا الحكم وجده الاسلام عند العرب وأن من قتل قتيلا خطئا ادى الدية عنه قبيلته وتلك اعانة عائلية ليس فيها ما يستنكر بل هي اصل الاكتتابات عند الاروبيين وفي الحقيقة ليس هناك ذنب حتى نقول كيف يغرم من لم يذنب وانما هي نفس ضاعت بفعل القاتل خطئا ولم يقصد القتل فرأى العرب ان يحقنوا دماء بعضهم بعضا بهذا التعويض الذي اصطلحوا على تسميته دية وجعلوه على اغنياء القبيلة يتعاونون بجمعه لئلا يكون مثقلا لهذا القاتل وربما كان سبب افلاسه وفقره وربما كان مفلسا قبل القتل فتضيع الدية ويقع العدوان فرأى أن حقن الدماء والهدؤ تتمتع به القبيلة كلها لذلك اوجب الدية عليها وجعل لها نظاما محكما فلا ظلم عليها . وعلى كل حال ان مصلحة هذا الحكم ظاهرة يسلمها العقل ولا سيما ان القاتل نفسه ملزوم بدفع واجب في دية اخرى وجبت على غيره من افراد قبيله فهي كسلف معاونة : وكما هو جار الآن في هدايا الاعراس ونحوها فان القبيلة تقدم هدايا للعروس كاعانة وسلف ثم يردها لكل من جعل عرسا منهم فهل في هذا شيء ينكره العقل والعلم

ط — تضييق الشريعة ابواب المعاملات — هذه الشبهة يوردها بعض المتفرنجين ايضا وقد اجبت عنها في ذيل الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي بان التضييق انما نشأ من بعض الاراء المذهبية واكثرها من المتأخرين واما أصل الشريعة فلا تجد فيها تضييقا ولا حرجا كتابا ولا سنة قال تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) وانما هو الاغراق في القياس والاستحسان وسد الذرائع ونظر الشرع في المعاملات هو حفظ مصالح المتعاملين والمصالح يختلف كثير منها وتتغير حسب الزمان والمكان والاحوال ولهذا قال الاصوليون ان اصل المنافع بعد ورود الشرع الاباحة واصل المضار التحريم . وبالجملة من شاء التوسع في هذا الباب فليرجع الى كتابنا المشار اليه في مبحث القياس واسرار التشريع وترجمة ابي حنيفة والجزء الرابع منه ولا سيما الذيل من العدد ٣٠٥ / ٣١٧ ولا بد من الرجوع الى المطولات من كتب الفقه والخلافيات

ي — رجم المحصن وقطع يد السارق — ان هذين الحدين طالما تشدق المتفرنجون بانهما

مخالفان للعقل ومثلهما لم يات في شرع لما فيهما من تعذيب انسان تعذيبا فظيعا اكثر من جرمه، وكل تهويلهم مبني على تهاونهم بامر الزنا وميلهم الى الاباحة وتهوينهم للسرقة ولو انهم نظروا بالعين التي ينظر بها الشرع الاسلامي للزنا وفظاعته وافساد النسل بل افساد الامة جمعاء وما يتولد عن ذلك من السفك والفساد ما استعظموا الرجم ولو انهم نظروا في الشروط التي جعلت لهذا الحد لما انتقدوه لانه حد لا يجب الا بعد شهادة اربعة يقولون رأيناه كالمرود في المكحلة لا اختلاف بينهم ولو وقع بينهم اقل اختلاف لسقط حد المتهم ووجب حد القذف على الاربعة الشهداء اما اذا أقر المتهم فهو الذي ورط نفسه ثم له ان يرجع فيسقط الحد كل هذا يبين لنا انه سياسة شرعية مقصود بها حسم مادة الزنا ارهابا والستر على من زل .

وأزيدكم بيانا ان مبدا الشرع الاسلامي ان الزنى زلة عظيمة وافساد للنسل الذي هو اساس العائلة التي تتكون منها الامة النبيلة ذات الاخلاق الفاضلة لتنشأ امة الفضيلة ذات مروءة وصلة نسب شديد اللحمة وله حرمة في نظر الشعب فالزنى في نظر الشرع افساد للمجتمع لذلك تجد احكامه مبنية على شدة التوقي منه لما ينشأ عنه من الجرائم قتل وغيره فلذلك احتاط الشرع منه بايجاب الحد منه وايجاب الحد على من رمى به غيره دون حجة وأوجب الحجاب صونا للاعراض وابداح تعدد الزوجات لان ضررهن أخف من ضررها كما اباح الطلاق أيضا اذ فساد العشرة قد يكون سببا فيه وفيما هو افظع منه فلو ان المنتقدين أمعنوا النظر في حكمة احكام القرءان ما انتقدوا بل لو استقصوا التشريع البشري الذي عليه الامم المتمدنة لوجدوا فيه من النقد ما هو أعظم فلذلك تجدهم كثيرا ما يغيرون أحكامهم . وما من أمة الا ولها شريعة توافق ذوقها وعقليتها وتخالف غيرها وليس من الانصاف أن يعترض على شريعة هذا مبدؤها القويم بمبدإ بني على التهتك واستهوان الفسق والاباحة والتعشق للخلاعة ولا يبالي بضياع النسل وافساد العائلة . وكفى عبرة أنه ما من امة اسلامية الا ونسلها في الازدياد على قلة اعتنائهم بمحاربة الامراض . ومجموع الامم غيرهم لا يلحقهم في ذلك مع إطباق الامم على وصفهم بالحشمة والنزاهة والطهر والعفاف سوى أمم منهم خلعت رسوم الشريعة حديثا فندمت على ما فعلت .

ان الانتقادات على الشرع الاسلامي ناشئة عن الجهل به كما ان قولهم لم يكن حد الزنى في شرع ءاخر جهل بشريعة اليهود .

اما قطع يد السارق فكذالك ايضا له شروط ربما تتعذر فيدرأ الحد بأدنى شبهة، على أن قطعها سببه مهانتها ونذالة السارق وأن تطهير المجتمع من هذه الموبقات ليس بالامر الهين ولا بد فيه من صرامة شرعية وقد رأينا ان المجتمع الاسلامي كان طاهرا زكيا لما كانت الحدود تقام فيه على وجهها وفي الحقيقة لما كان الجناة مهددين باقامتها عليهم فكانوا منزجرين رغما عن صعوبة توفر الشروط

الموجبة لقدرة اقامتها . وحيث وقع التهاون بها وايقنوا بسد الباب دون اقامتها فسد حال المجتمع واستهتر الجناة ، كم راينا عند الاروبيين نظاما محكما وضبطا وزيادة رقابة ومع ذلك تكثر الجرائم والفضيحات المالية البالغة حد الشناعة في نفس رجال الدول المتمدنة ولم يقم ذلك مقام الحدود الاسلامية . ولما رجع الامام ابن السعود في الحجاز الى اقامتها صلحت الاحوال وأمن السواد الاعظم العربي من أهل نجد والحجاز والحجاج شر طائفة النهابين الذين كانت السرقة والنهب مورد قوتهم الوحيد على عهد الدولة قبله التي كانت لا تقيم الحود ولم يحتج لكثير رقابة وحرس وصار أمن الحجاز مضرب أمثال في اوربا واميركا التي اصبحت مركز اللصوصية في نيويورك وفي واشنطون وغيرهما

وان التظاهر برحمة الجناة غلطة كبرى في التشريع الاروبي عادت برزايا يشكو منها سوادهم ولذا قال الله تعلى في اقامة الحدود ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين . ومن العجب اني سمعت محكمة زعموا انها حكمت على رجل مسلم دخل دارا ليلا بنية السرقة بسجن ثلاثين سنة والغالب انه سجن أطول من عمرها فعجبت للمتمدنين يجعلون هذا العقاب الذي هو اعدام بل شر منه على نية السرقة ويستبشعون قطع اليد على فعلها

التعبدي ومعقول المعنى

يقول الاصوليون والفقهاء ان احكام الشرع منها تعبدي ومنها معقول المعنى وهو الأكثر والثاني ما ظهرت حكمة الامر به كالزكاة لسد خلة الفقراء والنهي عنه كالخمر صونا للمال والعقل والعرض والاول ما خفيت حكمته ككون عدة المطلقة ثلاثة قروء والمتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا ورمي الجمار في الحج وغير ذلك .

والاصح ان هذا موجود بجعل جمهور أهل العلم التعبدي ما خفيت حكمته مع وجودها دون أن يقولوا ما لا حكمة فيه كما يقول داود الظاهري واصحابه ذلك دليل ان جانب العقل مراعى في الاحكام الشرعية اذ الاحكام لها علل وكل علة لها حكمة ظهرت وخفيت كتحريم الخمر لعلة الاسكار وحكمتها حفظ العقل والمال والعرض فتبين ان الاحكام مراعى فيها موافقة المعقول وانها لا تكون ضده بحال لان تلك الاحكام راجعة منفعتها الينا ومصلحتها عائدة علينا والحق سبحانه متعال عن ان يصله نفع او ضرر من أعمالنا كما أنه منزه عن العلة والغرض وانما الاحكام ربطت بأوصاف سميت عللا شرعية لا عقلية موجبة بذاتها وتلك العلل بحثنا فوجدنا لها حكما ومصالح راجعة الينا ظهرت او خفيت وبالجملة فالشريعة معقولة المعنى لا تنافي المعقول أصلا .

الدين الاسلامي جاء لخير الناس ورقيهم الذي هو ابدال حالهم بافضل منها فالدين مكمل ومحسن للمجتمع العام لذلك كان ابديا ولا ينسخ لانه متمش مع المصالح المتجددة حافظ لها لا يكون

ضدها واذا كان كذلك فلا يكون ضد العقل ولا ضد العلم الا خير المجتمع ومصالحه لا يكون مخالفا للمعقول ولا لما تقتضيه معارف البشر الصحيحة القطعية والا كان ضد النفع العام وليس من المعقول ان يرسل الله نبيئا يهدي (١) الناس ويرشدهم لما هو ضد العقل والعالم كله له ناموس خاضع لمقتضى العقل ولا يعتبر ما خرج عن مهيعه بل يسمى غير المتمسك به معتوها .

ثم اني انما خصصت الدين الاسلامي بالموافقة للمعقول مسايرة لنصوصه وللادلة السابقة أما بقية الاديان كالمسيحية فان علماءها نصو على مخالفتها للمعقول وجعلوا الدين فوق العقل كما سبق واظن أن العقلاء من سائر الاديان يصعب عليهم أن يسلموا بان الله يرسل رسولا للبشر الذي ركب فيه العقل والهمه الاهتداء بنوره . بما هو ضد العقل أو العلم وانما هو قلب أو ابدال أو غلط .

الدين الاسلامي منذ نشأ تمشى مع الحضارة والرقي سواء التي هي من نصوص الدين وواجباته وقد سبقت جملة منها أو مما وجده عند الامم قبله ، فقد أخذ من حضارة اليونان وعلومهم والرومان والفرس والمصريين وغيرهم ولم يجمد ولا أنكر علماؤه شيئا من الحضارات النافعة التي تفيده ولا رد الا ما لا ينطبق على أصوله وكل ما رده لا تتوقف عليه حضارتنا ولا حاجة بنا اليه . وقد جمع الاسلام تلك الحضارات الى حضارته التي جاء بها الاخلاقية الادبية والدينية والاعتقادية والعملية فتكون من الجميع حضارة ارقى الحضارات التي عرفها التاريخ واخذتها عنه الامم الاخرى فلو كان ضد العقل او العلم ما أمكنه ذلك والتاريخ شاهد عدل بما بلغه الاسلام في بغداد ودمشق وقرطبة ومصر والقيروان وفاس وسمرقند والهند وفارس وغيرها من الممالك الواسعة وكلها تمشت مع الحضارة وأخذ كل بلد بقسطه لم تجمد واحدة منها ولا أحجمت عن السير الى الامام الا ألامم التي نزل بها سن الهرم . فالعقل والعلم رفيقان للدين وهو ماش بينهما مستعينا بهما وهما عضداه ونصيراه والحكمة صاحبة الشريعة واختها الرضيعة تجاذبتا بالطبع حتى اتحدتا بالعقل والسمع .

٤٠ – علماء المسلمين الكبار المشار اليهم بالتدين التام عقدا وعملا والمتفوقون في علومه ورئاسة امامته تجد نخبتهم فلاسفة متبحرين في العلوم العقلية مطبقين لها على نصوص الدين غير رافضين لها الا الجامدون وهم قل من كثر أما غير الجامدين المعادين للعقل وعلومه فانهم مهما زادوا تمكنا واطلاعا على العلوم العقلية الا وزادوا تمكنا في دينهم كالكندي والاشعري وابن سينا والغزالي والرازي وابن رشد ومن لايحصى كثرة قال بعض المستشرقين : في الاسلام وحده تجد اتحاد الدين والعلم فهو الدين الوحيد الذي يوحد بينهما فتجد فيه الدين ماثلا متمكنا في دائرته وترى وجهة الفيلسوف ووجهة الفقيه متعانقتين فهما واحدة لا اثنتان ولا تجد في الاسلام سدا يمنع الثقافة الغربية عنه بل ترى ان له استعدادا غير محدود لقبول كل ثقافة

٤١ – كان المسلمون عموما موصوفين بالتمسك بالدين المتين وكانوا متمسكين بالعلوم العقلية

يترجمونها عن الغير ويبتكرون ما لم يكن لمن قبلهم وينمون ويمهدون ويهذبون على عهد الدولة العباسية ببغداد والاموية في الاندلس والفاطمية في مصر وحين تأخروا وقع التأخر في الامرين معا فبقينا في خلف مذبذب الدين من حيث العمل بأوامره ونواهيه جاهل بالعلوم زاعم أنه تباعد منها تدينا والحالة أن ذلك عجز وجهل فقط . فهذا مما يدلنا على ان العقل والعلم والدين متعاضدون ففي زمان زهرة العلوم العقلية في بغداد ودمشق ومصر وقرطبة وغيرها وكونها معاقل العلم والعقل كانت معاقل الدين ايضا وكانوا أسمح أهل الاديان مع العلم لان دينهم أسمح الاديان وكانوا حماة العلم والدين معا في ءان واحد من لدن كان العلم جنينا وصبيا مرضعا وهم يحنون عليه حتى شب وترعرع في حضنهم . وكان من اضطهد من أهل العلم لجأ الى الحصن الاسلامي متواريا عن الكنيسة خوف ان يحرق ولولا احتضان الاسلام للعلم لقضت الكنيسة على علوم الاوائل ولما حصل هذا التقدم الموجود الان الى هذه الدرجة المشاهدة التي لولاهم لا تكون الا بعد المئين من السنين

٤٢ — من ادلة بناء الدين على اصول العقل اعتباره للاسرة وبناؤه أصوله وفروعه عليها فالدين يكون عائلة طاهرة زكية فأوجب في النكاح أركانا وشروطا ليكون في نظره صحيحا ليكون عائلة متينة من شهود وصداق ووكيل للزوجة من أقرب الرجال اليها ليختار من يكافئها وقرر النفقات والحقوق المترتبة على ذلك ثم لحوق الولد او انتفاءه بانعدام الاصول التي بنى عليها النكاح . ورتب على اللحوق الارث ثم قسمه قسمة عادلة تناسب الاصول التي بنى عليها التشريع فان الذكر حامل اعباء الدفع بالسلاح وتحمل بالنفقات . ولرغبته في حسن العشرة وعدم التأذي رخص في الطلاق وهكذا لا تجد فروع الدين الا وهي مبنية على مراعاة هذه الاصول مراعاة دقيقة منضبطة منتظمة سالكة سبل الامر المعقول ولذلك حرم الزنى وأوجب الحد عليه وجعل سدا دونه بسدل الحجاب ومنع التبرج والاختلاط بالنساء .

ومن أدلة بنائه على أصول العقل اعتباره للملكية الشخصية فاثبت لكل مالك حقوق ملكيته وأسسها على اعتبارات معقولة معتدلة ولكن جعل هناك شركة للفقراء مع الاغنياء بالزكوات والكفارات وذلك اصل الاشتراكية المعتدلة والديموقراطية الحرة الحقيقية وبالجملة لا تجد اصلا من اصول الشريعة أو فرعا الا وهو ملائم لما تقتضيه غرائز العقول السليمة لا يناقضها بحال وذلك كاف في اثبات ما أصلناه من كون العقل والعلم أصلا من أصول الشرع الاسلامي غير ملغى

غلط بعض المستشرقين

ان بعض المستشرقين غلط فنسب للدين الاسلامي ما هو براء منه من كونه ضد العلم والعقل ومن هؤلاء صاحب كتاب مصطفى كمال المتقدم صدر هذا التحرير .

اسباب الغلط

أ – الجهل بالدين الاسلامي جهلا فادحا كما وقع لصاحب الكتاب المذكور .

ب – الغرض الذي يعمي ويصم كما وقع لبعض المبشرين بالاناجيل ولصاحب الكتاب المذكور أيضا

ج – القياس على الاديان الاخرى التي هي ضد العقل والعلم

د – الحكم بحال المسلمين المعاصرين على الاسلام الحقيقي وهو من نوع القياس أيضا فتجدهم يقولون ما تأخر المسلمون وهم يناهزون الاربعمائة مليون في اقطار الارض تأخرا بينا وضاع مجدهم وفشلت ريحهم الا بتمسكهم بدينهم ولو لا أن دينهم ينهاهم عن العلوم العقلية ما تركوها حتى كان تركها سبب تاخرهم وهذا من القياس الفاسد المبني على مقدمات عنكبوتية جهلوا الدين وجهلوا حال المسلمين حيث ظنوا أنهم تابعون لاوامر دينهم والحال أنهم عصاة ثائرون على الدين الحقيقي غير تابعين له ولو تبعـوه لاخذوا بكل ما يفيدهم في الحياتين معا ويصلح أمرهم ويحمي بيضتهم ويصون مجدهم ولو لم يكن فيه الا اية « ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض » لكان كافيا في تفنيد المفترين لكن نبذوا أوامره فخسروا وحين يرجعون لاوامره ويعملون بها تقبل ريحهم وتزدهر أيامهم كما كان سلفهم

وليس معنى هذا أن من لم يتمسك بهذا الدين لا يكون لـه تقدم ولا مجد في الدنيا حتى يعترض علي باوربا واميركا والجابون كلا . فاولئك لهم اصول دناوية عملـوا بها ونبذوا دينهم أو أخذوا ببعضه فتقدموا ونحن لا ننكر المحسوسات والمسلمون لهم دين يامرهم بالتقدم فخالفوه وتأخروا وحين كانوا ممتثلين له كانوا متقدمين ، وماضي الاسلام الماجد شاهد عدل لما قلناه . ولسنا نبالغ ونقول انه لا يمكن التقدم لاي دولة الا بالتمسك به ، بل مقصودنا ان نثبت ان التمسك بهذا الدين من اسباب التقدم في الدنيا والاخرة معا تقدما أمجد من اي تقدم كان وليس سببا للتاخر أصلا فأهلـه فرطوا في الامرين معا فضاعوا وخسروا الصفقتين ، نعم الاسلام أخره اهله حتى اصبحت الامم تسيء الظن به وتنسب له التأخر وليس الاسلام بمؤخر لاهله بل لو تمسكوا به لتقدموا كل التقدم وحفظوا مجدهم فالتمسك به لا يكون سببا الا في التقـدم والمجد الحقيقي ولا يتصور أن يكون سببا للتاخر بحال فالاسلام ربى المسلمين تربية صحيحة بأخلاق عالية اوصلتهم لاعلى قمة المجد التي لم تصلها أمة قبلهم ولن تصلهـا واعطاهم حرية تامة في تفكيرهم وأخذ العلوم التي تنفعهم ولم يمنعهم قط من شيء نافع ومفيد ومنعهم مما هو بضد ذلك والمسلمون لما فرطوا في تلك التربية وتلك الاخلاق العالية وتمسـكوا بالاوهام والاباطيل وتركوا الحقائق ونبذوا العلوم والعقل وغلب عليهم الخيـال والامل بدون عمل وأخلدوا للراحة اضاعوا كل شيء واصبحت الهوة عميقة سحيقة بينهـم وبين الحقائق وكل معقول فهم تائهون عن الطريق ويزعمون انهم متمسكون بالدين وان الدين يمنعهم من غير ما هم عليـه وهم مفترون على الدين بل الدين والحقائق في واد وهم مع خيالهم في واد « ولو ان اهل الدين صانوه صانهم » وكل من اخذ بالحقائق وصل للجادة وكان أهلا للنجاح ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

كيف انتشر الشرف بافريقية

ومتى ظهرت خطة نقيب الاشراف بتونس

بقلم العلامـة المورخ سيدي محمد بن
الخوجة مستشار الحكومـة التونسية

اعلم ان الكلام على انتشار الشرف بافريقية وهي البلاد التونسية يدعو باديء بدء للتعريف كيف ظهر الشرف بين الناس من ذرية الحسن والحسين ابني علي وفاطمة بنت رسول الله صلى عليه وسلم. ذلك ان الخليفة الرابع عليا ابن ابي طالب كرم الله وجهه خرج بعد ان بويع له بالمدينـة المنـورة الى الكوفة واتخذها دار خلافته وبها استشهد في سنة ٤٠ للهجرة ثم كان ما كان من تنازل ابنه سيدنا الحسن عن الخلافة ورجوعه لسكنى المدينة وظهور نسله هنالك بالحجاز وكان تنازله مثيرا لسخط شيعته لانه قطع به املهم وسود وجوههم على ما حكاه اهل التاريخ واما اخوه سيدنا الحسين فقد خرج ايضا بعد بيعة يزيد الى العراق واستشهد هناك بكربـلا وبمشهده عظم الخـلاف واشتدت الاحن والبغضاء بين العلويين او الامويين فكان عمال الامويين ينقضون ءاثار العلويين ويكيدون لهم حذرا من ثائرتهم وكان العلويون لايجد احد عفلة الا انقلب ملتحقا بالبلاد التي بها اشياع ابويهم وكان حينئذ ما يلي العراق بل بلاد العجم فجمع شيعة العلويين لاسباب محلهـا غير هذا الموضع واهمها اسباب سياسية تنوسي الغرض منها بانقراض الاجيال وابهام المصطلحات والاقوال فهنالك تكاثر ظهور العلويين ونموهم في اوائل القرن الثاني ومن الجهات التي تكاثروا بها سجستان وطبرستان وجرجان والبلخ والري والديلم كما كان بعضهم ياوي الى مصر اذ لايعدم هنالك طائفة من شيعتهم وفي خلال ذلك كثر ما ظهرت منه دعاة للمطالبة بحق الخلافة مطالبة عقيمة الى ان قامت الدولة العباسية فبعثت روحا جديدة في نفوس العلويين لان الدولة العباسية بنيت على الامامة للرضا من ءال البيت والعلويين اعرق في النسب فاطلع بعضهم قرنه وكشر عن نابه وشق عصا الطاعة في وجه الدولة العباسية وكانت في بدايـة امرها مضطرة لمقاومة المنازعين فحدث من سفك دماء العلويين في صـدر الدولة العباسية ما حفظـه

التاريخ وتلقاء اضطهادهم اخذوا ينزحون للبلاد البعيدة فاما بنو سيدنا الحسين فانكمشوا ببلاد العجم حول شيعة ابيهم وكان العباسيون يغضون عنهم بعض ذلك ويصانعونهم تقربا لشيعتهم واما بنو سيدنا الحسن فلم تكن شيعتهم قوية بين الاعاجم لغضبهم على جدهم سيدنا الحسن من اجل تنازله عن الخلافة فكانوا ينزحون الى المغرب وبذلك تكاثروا به كتكاثر ابناء سيدنا الحسين بالمشرق وكان مقصدهم المغرب الاقصى اذ كان سكانه من محض البربر غالبة عليهم السذاجة وليس فيهم متعصب لدولة فكان من رأي ادريس بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن السبط اختيار الاستيطان بينهم في حدود سنة سنة ١٧٢ كما تكاثر فريق منهم بالاندلس شيئا فشيئا مظهرين العداوة لبني العباس فكانت سياسة الامويين اعدائهم الاقدمين قاضية بالتساهل معهم لاساءة سمعة العباسيين كأن لسان حالهم يقول وكل غريب للغريب نسيب — واما البلاد المعبر عنها يومئذ بافريقية فلم يعرف نزول العلويين بها قبل ظهور الدولة العبيدية والسبب واضح وهو ان قاعدتها ومم بلدانها لم تكن تخلو من امراء تابعين لبلاد الخلافة الاموية فالعباسية فلم يكن هنالك مطمع للعلويين في ذينك العصرين بالظهور بافريقية الى قيام دولة العبيديين وكانوا ينتسبون للعلويين فنزل يحيى بن ادريس من ملوك المغرب بعد ان زال ملكه ببلد المهدية مختفيا في سنة ٣١٠ الى ان توفى سنة ٣٣٢ وقدم للقيروان القاسم بن محمد بن الحسن الحجام الفقيه المشهور في سنة ٣٥٠ ولم يعرف غيرهما من العلويين بافريقيا وهل تركا عقبا ام لا ويلوح ان انتشارهم بها كان في خلال الدولة الصنهاجيه وما بعدهم واكثرهم ممن يفد اليها من المغرب الاقصى والاندلس وليس في تاريخ القيروان وتونس ما يدل على وجود عائلات معروفة بالشرف فيما قبل اوائل القرن السابع ومما يذكر على الالسن ولم نقف عليه بالتواريخ مع توفر الدواعي على نقله وجود بيوت تونسية قديمة منتسبة للشرف منها بيت العواني اشراف القيروان سمعت من بعض من اثق بهم ان بيدهم وسما عتيقا في ثبوت شرفهم ممن شهد فيه من علماء القيروان الشيخ ابو محمد عبد الله بن ابي زيد رحمه الله في اواسط القرن الرابع فلعل جدهم وفد لافريقية في زمن العبيديين لانهم من الاشراف الحسينيين والناس مصدقون في انسابهم فحسبنا الاكتفاء بذلك — هذا حديث انتشار الشرف النبوي بطريق البضعة المطهرة في الشرق والغرب باختصار ولو تكلفنا الاطالة باكثر من ذلك لضاق عنه مجال هذه النبذة فلنكتف بما قدمنا. ولننتقل منه للكلام عن نقابة الاشراف وهي من الخطط الاسلامية ذات الشان وصاحبها هو النقيب اي العريف تسند اليه امورهم ويدير مصالحهم وقد بوب لها الامام الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية ونقول لك ان هذا الكتاب الجليل المحتوى على جميع الانظمة الاسلامية التي كانت موجودة في القرن الاول ترجموه لاغلب اللغات الاروباوية وعلى اعتمادهم في مراجعة احوال الاسلام فقد قال حاصله في الموضوع الذي نحن بصدده وهذه النقابة موضوعة على صيانة ذوي الانساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب حتى يكون الوالي عليهم احنى وامره بينهم امضى وولاية

هذه النقابة تكون اما من جهة الخليفة او ممن فوض اليه الخليفة كالامير واما من نقيب عام الولاية يستخلف نقيبا خاصا وقسمها باعتبار متعلقها الى قسمين معممة ومخصصة فالمعممة وهي القليلة الوقوع في تاريخ الاسلام يسند الى صاحبها النظر في جميع شؤون اهل النسب حتى الخصومات واقامة الحدود وولاية امور الايتام فيكون لهم كالقاضي لبقية الناس (١) واما المخصصة وهي الاكثر استعمالا فهي ان لا يجعل له من النظر اكثر من سبعة امور : اولا – حفظ انسابهم من دخول من ليس منهم او خروج من هو منهم – ثانيا – ضبط مواليدهم ووفاياتهم – ثالثا – تاديبهم بما يحملهم على الاستقامة المناسبة لشرف انسابهم لئلا يستخف الناس بهم – رابعا – نهيهم عن خبيث المكاسب – خامسا – منعهم من التسلط على العامة لان ذلك يدعو الى نزع محبتهم من قلوب الناس – سادسا – اعانتهم على استيفاء حقوقهم – سابعا – حفظ اعراضهم والنظر في كفاءة ازواج نسائهم اه قلت ان هذه الامور كلها او جلها طوى الزمان حديثها بالدول الاسلامية لعهدنا الحاضر اللهم الا الفقرة السابعة منها فانها مازالت ملحوظة نوعا ما لدى بعض بيوت الاشراف لاسيما بالمغرب الاقصى واقل منه بالقاهرة وبتونس ففي اوائل هذا القرن قامت ضجة صحافية مصرية ملات الفضاء بلغ صداها لهذه الديار التونسية اثر بناء احد رجال السياسة وهو المرحوم الشيخ علي يوسف باشا صاحب جريدة المؤيد على احدى كرائم لبيت السادات المشهورين بصحة النسب الشريف واما بتونس فقد اتفق لنحو مائة سنة فارطة زواج احد الوزراء من الموالي بسيدة من ءال البيت الاطهار وانكر الناس ذلك وربما كان وقوعه على كره من وليها والله متولي السرائر – هذا ويشترط في صاحب النقابة العامة ما يشترط في القاضي ويشترط في صاحب النقابة المخصصه ان يكون من اهل ذلك النسب وان يكون اكثرهم فضلا واجزلهم رايا حاويا لجميع المآثر والفضائل جامعا لاسباب الشرف سليما من النقائص نجيبا يقظا عالما نبيلا فهيما نقي العرض حافظا للمروءة عارفا بالانساب مميزا لاخلاطها وبما يجب لاهل البيت وهذه الشروط تتضمنها غالبا تقاليد ولايتهم ومن اراد الوقوف على ذلك فعليه بمراجعة كتاب روض البلاغة وكتاب صبح الاعشى ومما لا خلاف فيه ان خطة النقابة لم تكن موجودة في القرون الثلاثة الاولى وانما كان حدوثها اواسط المائة الرابعة في الدولة العباسية للمحافظة على شعائر اهل النسب الزكي كما اشار له في كتاب الاحكام السلطانية ولكن المقصد الخفي الذي دعا الى وضع هاته الخطة هو ارضاء العلويين الذين كانوا يجدون في انفسهم هزازة من استيثار العباسيين بامر الخلافة فلما ضعفت الدولة العباسية وتظاهر الامراء المتوثبون على الخلافة في الجهات مثل بني بويه وبني سامان بالتشيع للعلويين ارضاء لهم وتسكينا لثائر خواطرهم اذ قد تكاثر الخارجون منهم عن الخلافة في حدود سنة ٣٥٠ ليكون هذا النقيب يدا للدولة وعونا

---

(١) ان هذه النقابة المعممة اقتبسوا منها نظام ءال البيت الحسيني بجعلهم جميعا لنظر اكبرهم سنا وهو متولي كرسي الملك وهذه القاعدة هي التي انبنى عليها الفصل الثاني وما بعده من قانون عهد الامان

لها (١) على اضدادها السياسيين كما وقع فعلا في ايام المطيع العباسي المؤيد من الشريف ابي احمد الموسوي نقيب العلويين في سنة ٣٥٩ وتعاظم امر النقابة وتطاولت نحوها الاعناق بدخول السياسة فيها فكثر خطابها من بني هاشم وهو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم ومن عقبه بنو العباس فراوا من المصلحة تجزئة خطة النقابة الى خطتين خطة نقيب النقباء ولنظره احوال بني هاشم المعبر عنهم حينئذ ذاك بالاسرة الشريفة وبالاشراف اذ كان الاصطلاح في القديم شمول لفظ الشرف لكل بني هاشم وهو مسمى الآل عند جمهور الفقهاء ثم وقع الاصطلاح في مصر على تخصيص الشرف بآل سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه من سيدتنا فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه استمر اصطلاح المتأخرين وكانت نقابة النقباء في بيت الشريف الزينبي والخطة الثانية خطة نقيب العلويين ويسمى نقيب الطالبيين وجعلوا لنقيب النقباء النظر العام في تولية نقباء البلدان مثل نقيب البصرة ونقيب الكوفة ومقر نقيب النقباء ببغداد ويختص بالخلعة السلطانية من لدن الخليفة العباسي مع اعطائه لقبا تشريفيا ولنقيب العلويين ببغداد ما لنقيب النقباء لانه يأخذ التقليد من يد السلطان ايضا هذا تاريخ نشأة نقابة الاشراف في الدولة العباسية ومنها انتشرت في الآفاق حتى دخلت الهند والبلاد القصية — واما ظهور هذه الخطة بافريقية يعني تونس فلم نتوصل مع تشديد البحث عنها بمظانه للوقوف على اخبار كثيرة في شانها وغاية ما وقفت عليه من امر الاشراف في الدولة الحفصية انهم كانوا يكرمونهم ويغدقون عليهم بالاحسان ولا سيما في عهد السلطان ابي عمرو عثمان في المائة التاسعة قال في المونس انه كان يكرم اهل البيت النبوي ويحسن اليهم وقال في الفصل الثالث فيما تميزت به الديار التونسية عند كلامه على الاحتفال بالمولد الشريف ان لنقيب الاشراف عادة ياخذها من السلطنة من زيت وشمع وما يحتاج اليه وهذه العادة جارية من زمن بني ابي حفص ودامت هذه الدولة (المرادية) عليها اه يستفاد من هذه العبارة ان خطة نقيب الاشراف كانت موجودة في الدولة الحفصية ولكن سمعتها ورسوخها انما كان في عصر الدولة العثمانية بتونس ابتداء من اواخر المائة العاشرة ناهيك انهم جعلوا لنقيب الاشراف مزية الجلوس مع شيوخ المجلس الشرعي بمجلس الباشا عند حضورهم لفصل النوازل بدار الباشا تبركا بالنسب الشريف هكذا ذكر في المونس قلت وربما كان حضور نقيب الاشراف في زمرة الفقهاء لمقصد اخر ايضا وهو الاحتياط لما عسى ان تتعلق باحدهم نازلة يصدر فيها الحكم عليه لما تقدم من المعنى الذي لاحظه

---

(١) كان اهم المقاصد من تقديم الشريف الزواوي الشيخ العربي البشيري لنقابة الاشراف بتونس في سنة ١٢٨٤ هو الاستعانة بجاهه وبنفوذه في قومه الذين منهم فريق عساكر زواوه للانتفاع بهم في تمهيد السبل وتوطيد الراحة واستخلاص المجابي وكانت خزينة الدولة يومئذ افرغ من فؤاد ام موسى فكان زعيمهم وسيدهم النقيب المشار اليه يرغبهم على الرضا بالاجر القليل في مقابل العمل الجزيل قالوا ان الخزندار كان يعطيهم في تلك الاثناء مرتب نصف شهر بعد مضي خمسة اشهر في الجهود الشاقة ومنه تفهم صحة قولهم ان التاريخ يعيد نفسه الى ما شاء الله

العباسيون في جملة وظائف النقابة العامة وأول من عثر على اسمه مذكورا من نقباء الاشراف في بعض الرسوم هو الشريف الشيخ حسن الهندي في سنة ١٠٢٣ وهو الجد الجامع لآل بيتي الشريف ومحسن الموجودين لهذا الزمان بتونس بارك الله فيهم وفي عقبهم الى قيام الساعة . وممن وقع الوقوف على ذكره ممن تولى النقابة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الشريف الشيخ الحاج ابو القاسم بن محمد القرشي كان نقيبا للاشراف في سنة ١٠٢٧ ثم الشريف الشيخ محمد بن المختار في سنة ١١٠٠ ثم الشريف الشيخ ابو الفضل قاسم في سنة ١١٣٦ واما في القرن الثالث عشر فقد سهل الله جمع اسمائهم بطريقة مطردة من سنة ١٢٠٦ الى هذا اليوم كما تراه من حلقات هذه السلسلة الذهبية

الشيخ عبد الكبير الشريف	توفي سنة ١٢٠٦
الشيخ محمد بيرم الثاني	توفي سنة ١٢٤٧
الشيخ محمد بيرم الثالث	توفي سنة ١٢٥٩
الشيخ محمد بيرم الرابع	توفي سنة ١٢٧٨
الشيخ الطاهر بن عاشور الاول	توفي سنة ١٢٨٤
الشيخ العربي البشيري	توفي سنة ١٣٠٤
الشيخ محمد الشريف	توفي سنة ١٣٠٧
الشيخ احمد الشريف	توفي سنة ١٣٣٧
الشيخ محمد حمده الشريف	بارك الله في انفاسه

وكان لسادسهم في تلك السلسلة حظوة بين اهل الدولة مع عزة وسطوة في قومه اذ كان هو المهيمن على جميع من ضمه التراب التونسي من ابناء بلاد القبائل الكثيرين الوافدين من جبال الاوراس للانخراط في صفوف عسكر زواوة المشهورين بالشجاعة والباس مع القناعة والاكتفاء بشظف العيش سمعت ممن اثق بنقله من شيوخ الجيل الماضي ان هذا النقيب الجليل يعني الشيخ العربي البشيري كان عند خروج ركابه للتنقل من جبل المنار لتونس يخفره طائفة من زواوة ركبانا شاهري السلاح يسيرون مع عربته ذات اليمين وذات الشمال وكان اهل الدولة يغضون الطرف عنه مراعاة لخاطره لان عساكر زواوة الضاربين باطراف العمالة كانوا كلهم يقومون لقيامه ويقعدون لقعوده فكانت الدولة ممنونة له من أجل حمل اولئك العساكر على طاعتها والانقياد لما تامرهم به من الاعمال بجهات المملكة مع الرضى بالنزر اليسير من الارزاق التي تكاد ان لاتكون كافية للقوت كما يشهد بذلك المثل الدارج بين اهل تونس من قولهم «كمثل عساكر زواوة مقدمين في الشقاء موخرين في الراتب» وهذا النقيب هو أول من أجرت له الدولة جراية سنوية زيادة على مخصصات نقابة الاشراف المستمدة من جهات البر ومما خولهم الشرع أخذه من أهل الذمة مما لم تزل منه بقية جارية لهذا الزمان وقد وقع

تقدير تلك الجراية عند تاسيسها بثمانية آلاف ريال قياسا على الجراية الممنوحة لشيخي الاسلام بصفتهما ناظرين للعلوم بجامع الزيتونة ولما جاب ماء زغوان لتونس في اوائل دولة المشير محمد الصادق باي وقع تزويد دار النقيب المشار اليه مجانا بينبوع من ذلك الماء الزلال وفي عهد وزارة خير الدين خصصت الدولة جراية قدرها ١٢٠٠ ريال في العام لكل واحد من بنيه الاربعة قياسا على ما جرى به العمل نحو غيرهم من ابناء الاشراف ولما التحق بالدار الآخرة في سنة ١٣٠٤ وقع التردد عند اسناد خطة النقابة بين تقديم الشيخ الشاذلي بن صالح كبير اهل الشورى المالكية كان وبين تقديم المفتي الشيخ محمد الشريف واختير تسليم ازمتها بيد ثانيهما لما كان له من الحظوة والاعتبار بالبلاط الصادقي ثم البلاط العلوي وبقي بمحفوظي ان الشيخ الوالد رحمه الله أخذني معه لزيارة هذا الشيخ بداره بجبل المنار ولتهنئته بالنقابة المباركة ولما جلسنا حذوه فتح فنيقا (١) كان بين يديه وأخرج منه حكة من الذهب المرصع ثم اخرى ثم اخرى الى نحو عشرة مطرز بعضها بصورة المشير محمد الصادق باي وبعضها مكتوب عليه بالحجارة الكريمة اسم المولى علي باي كانت كلها مملوءة بدخان النشوق ليتناول منها الشيخ الوالد وفيما بين ذلك دخل عليه المرحوم السيد الصادق غيلب مبعوثا من طرف أمير العصر يحمل هدية سنية على وجه الملاطفة والمكارمة فقال له الشيخ « يا صادق قل لسيدنا ان العشرة ءالاف التي اعطانيها لبناء دار الشط قد نفدت فليزدني عشرة أخرى » فقال له يا سيدي ان العطية الاولى ما زالت قريبة عهد فكيف نجسر على طلب عطية ثانية بمقدارها فراجعه الشيخ قائلا انا لم اطلب رأيك وانما طلبت منك تبليغ رسالة فلتقم باتمامها والمعطي هو الله » وكان ذلك ءاخر العهد به غير اني سمعت بعد ذلك ممن اثق بروايته ان سمو الباي بعث للشيخ بالمال المطلوب ثم زاده ما يلزمه لتاثيث الدار المتحدث عنها مما يدل على ما لآل البيت من الود الراسخ في قلوب الملوك الحسينيين أيد الله دولتهم - وهذا السيد الشريف تقدم للخطة الشرعية قبل ولايته خطة النقابة وكتب على ختمه بيتين من نظمه وهما قوله :

ادعوك ربي باسمك اللطيف	ومن اتى بالشرع والتكليف
امنن برشد عبدك الضعيف	محمد بن احمد الشريف

ولما تقدم للنقابة (٢) اصدر له سمو الباي ظهيرا كريما هذه عبارته «الى من يقف على امرنا هذا

---

(١) شبه في القاموس بالغرارة وهذه هي الجولق المعروف

(٢) المدن التونسية التي بها نقابات للاشراف في هذا الزمان هي : تونس والقيروان وسوسة وصفاقس ونابل وتوزر وهذه النقابة الاخيرة في الذكر احدثت في سنة ١٣٤٨ مراعاة لاشراف الشابية واما نقابة نابل فهم اشراف دخلة المعاويين يقال ان جدهم الشريف الشيخ ابو محمد حسن العسكري قدم من مكة المشرفة في حدود سنة ٤٣٠ ونزلوا بالدخلة فنسبت بالتالي لاحد اسلافهم الاولين وهو الشيخ معاوية الشارف رضي الله عنه .

تونس في القرن السابع

كما يصفها ابو عبد الله محمد بن احمد العبدري في رحلته

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيفر



(بيوتات العلم بتونس)

ذكر منها بيت التجاني وناهيك به حيث يقول في ترجمة احد نجومه ما نصه ولقيت بها الشيخ الاديب الحسيب الكاتب البليغ ذا الفضائل المذكورة والمآثر المأثورة شيخ الادباء واوحد البلغاء وزين الناظمين والشعراء ابا الحسن علي بن ابراهيم التجاني التونسي له بيت عريق في العلم والادب قال لي بمسجد اقرائه انا الثاني عشر مدرسا من آباءي على نسق كلهم قد قعدوا هنا للاقراء وبيتهم بالعلم شريف شهير وقل منهم ومن نسائهم من لا يقول الشعر واما ابو الحسن فهو فيه آية الزمان اجادة معنى وتنقيح لفظ وسرعة بديهة وكثيرا ما يمليه ارتجالا فيجود ويتقن وله مشاركة حسنة في العلم ورواية عن الشيوخ ورحلة الى المشرق وحج فيها وهو بالجملة من خواص اهل العلم واحادهم جالسته كثيرا وسمعت كلامه في الادب وغيره . . . (قلت) اتماما للفائدة انقل ما ذكره العلامة الوالد تغمده الله برحمته في شان بيت التجاني الرفيع العماد في المجد والسؤدد من كتابه عنوان الاريب ونصه وكان بيتهم (اي التجانيين) بحاضرة تونس مطلعا لبدور العلماء والكتاب والشعراء تناوبوا

من أهل مجلسنا العلي بالشريعة المحمدية ونوابنا في القضايا الدينية وابنائنا امراء الامراء اعيان الوزراء وامراء الالويه وامراء الالايات وقائمي المقامات وامناء الالايات والبنباشية وكافة الجنود العسكرية وسائر اولي الولايات فيما لنا من الجهات سدد الله تعلى اعمالهم وأصلح بمنه احوالهم . اما بعد فان الهمام النحرير صفوة الخيرة محبنا الشيخ سي محمد الشريف المفتي المالكي والامام الاكبر بالجامع الاعظم عمره الله تعلى جعلناه نقيب السادة الاشراف بحاضرتنا المحروسة فليقم بخطته عالما بمقدارها متصفا بما يحمد من ءاثارها وأوصينا له بمزيد المبرة والاجلال والامر لله الكبير المتعال والسلام من الفقير الى ربه تعلى عبده علي باشا باي صاحب المملكة التونسية وفقه الله وكتب في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٤

هذا وقد رأيت من تمام الفائدة ان نختم هذه النبذة المباركة بسلسلة نسبه الشريف تيمنا بذكر جده صلى الله عليه وسلم : هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الكبير بن احمد بن محمد بن احمد الشريف المشهور بامام مسجد دار الباشا ابن حسن بن علي بن حسن بن احمد بن القاسم بن محمد بن قريش بن عيسى بن عبد الرحمن بن خلف بن علي بن فرج بن علي بن محمد المكتوم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حبذا عقد سؤدد وفخار ... انت فيه اليتيمة العصماء

محمد بن الخوجه

خطط الدولة الحفصية وتقدموا في كتابتها ودسوت رئاستها باستحقاق واضطلاع في العلم والادب وكان الادب والشعر مستفيضا في كبيرهم وصغيرهم رذكورهم واناثهم . فلقد نقل التاريخ ان صبيين من بيتهم خرجا يتفسحان فجلسا يستريحان عند حنايا ماء زغوان فقال احدهما وقد رأى انهدام بعض الحنايا لكرور الايام وتعاقب الاعوام وقيام بعضها على أصوله :

— تمتع من بقايا الحنايا   فقال الآخر — بابدع منظر تصبو اليه —

فقال الاول — تأمل صنع ارسمها البواقي — فقال الآخر — وقد مد الفناء لها يديه —

فقال الاول — كسطر بعض احرفه تمحي — فقال الآخر — وبعض لاح مضروبا عليه —

(حرص شيوخ علماء تونس على بث العلم)

حكى صاحب الرحلة عن علماء تونس في ذلك التاريخ من الحرص على بث العلم حتى من بلغ من الكبر عتيا ما يقضى منه العجب . فمن ذلك ما حكاه عن قاضي الجماعة ابن الغماز ونصه . فممن واظبته مدة الاقامة ولزمته لزوم الطوق للحمامة الشيخ الفقيه الفاضل والحبر النزيه الكامل قاضي القضاة وزين الحملة والرواة ذو التواضع والانصاف والمعروف بوطاءة الاكناف مسند عصره والمرجوع اليه في مصره ابو العباس احمد بن محمد بن حسن بن محمد بن الغماز الخزرجي وصل الله صيانته وأدام على الخيرات اعانته فلقيت منه عالما يأخذ بالاسماع والابصار وفاضلا خلت عن مثله القرى والامصار . . . الى ان يقول يدأب على الاسماع دؤوب من عد العلم أرفع صناعة ورأى الاشتغال به انفع بضاعة لا يشغله عنه الابقاء على اعضائه الواهية ولا يصده عنه ما تتحمله من المشقة نفسه السامية ولم يؤثر في قوة اجتهاده ضعف قواه ولا هوى به الى استيطاء الراحة هواه بل يستعذب في خدمة العلم ما يلاقي ويعده عدة ليوم التلاقي . . . وشبيه بذلك ما حكاه عن الشيخ اللبيدي ونصه : ولقيت بها (اي بتونس) الشيخ الجليل الفاضل العالم العامل المسن المسند بقية السلف وقدوة الخلف ذا الدين المتين والمنهج الواضح المستبين صالح العلماء وعالم الصلحاء ابا القاسم بن احمد بن ابي بكر اللبيدي نفع الله به وهو أوحد وقته علما ودينا واجتهادا ومواظبة وحسن ظن وغزارة دموع معدوم النظير في عصره لا يفتر عن العبادة ولا يتوانى عن شهود الصلاة في الجماعة وحضور مجلس لاسماع العلم مع فادح ضعفه وفرط شاخته وضرارة بصره لا يتخلف عن المسجد ليلا ولا نهارا ولا يقطع اسماع العلم وتعليمه وقراءة القرآن وقد ابلت التسعون بدنه ونهكت قواه وحفظ عليه ذهنه حفظا تاما واما أخلاقه وتواضعه وقوة رجائه فغاية في بابه . . .

شبان علماء تونس وحرصهم على الاستكمال :

لا ريب ان تسنم أعلى ذروة في العلم يتوقف على ما يبذله المرء في ريعان شبابه من الجهود المتوالية في سبيل ذلك مع فرط الاعتناء وشدة المثابرة وهي الحالة التي كان عليها شبان العلماء بتونس في عصر

صاحب الرحلة واليك نموذجا من ذلك : حكى العبدري عن بعض من لقيهم من العلماء بتونس ما نصه : وممن لقيت بها فسرني لقاؤه ، وواليته في ذات الله فنفعني ولاؤه ، وحاضرني فاعجبني ذهنه وذكاؤه ، وصحبته فبهرني حياؤه وفضله وكرمه وسخاؤه وتواضعه ورجاؤه صاحبنا في الله وولينا وصديقنا في طاعته وصفينا ابو العباس احمد بن عمر بن ميمون الاشعري المانعي يعرف بابن السكان رأيته مجريا الى غاية من كمل ، ومبرزا في حلبة العلم والعمل، عذبت اخلاقه وفاقت زلالا، واستقامت احواله كالبان اعتدالا، وفاضت انامله كالمزن انهمالا، ادرك مزايا الشيوخ على فتاء سنه، فما تكلم في علم الا قلت هذا معظم فنه ، قد الف الانقباض فما يبسط الا يده ، وسحب قصر الامل فما يؤمل غده ،

فقل من الآمال اذ لا يضمها ولكنه من كل مأثرة مثري
سري غني النفس ما تستفزه زخاريف دنياه بقل ولا كثر

وله اعتناء بتصحيح الرواية، واعباء في تنقيح الدراية، سمع من الشيوخ واستجازهم واستجيزوا له فاتسعت لذلك روايته وله مجموعات تشوق، ومؤلفات تعجب وتروق، منها كتاب في اكمال التذييل لابي بكر بن فتوح على كتاب الاستيعاب للحافظ ابي عمرو بن عبد البر قد اعتنى به اعتناء تاما وهو الى الان لم يكمل

عدول تونس

لا ريب ان منصب العدالة من المناصب الرفيعة التي كان لها شأن عظيم بتونس حتى أنه في القديم كان القضاة ينتخبون من العدول . ولهذا يروى ان الامير الخطير حمودة باشا الحسيني تغمده الله برحمته كان يقول ما معناه ان موت القاضي لا يهتم له كثيرا اذ انه يعمد لاي عدل من العدول فيوليه منصب القضاء ويكون كفؤا له انما الذي يهمه كثيرا هو موت عدل من العدول اذ يستدعي تعويضه بعدل آخر غاية التحري في اختيار الكفوء الذي يخلفه في منصب العدالة الجليل وهكذا كان من القديم عدول تونس من أهل الفضل والكفاءة العلمية وهذا العبدري يذكر ان ممن لقيهم من علماء تونس الفقيه الافضل أبا عبد الله محمد بن ابي القاسم الازدي ويعرف بالقمي - بضم القاف - قال وهو رجل فاضل وقور ذو سمت ومن عدول البلد رحل الى المشرق فلقي الناس وأخذ عنهم قرات عليه جزءا في فضيلة من اسمه محمد واحمد تخريج الشيخ الحافظ ابي عبد الله الحسين احمد بن عبد الله بن بكير البخاري اي وبهذا يعلم منزلة عدول ذلك العصر بتونس في العلم والفضل .

(مؤدبو تونس)

المؤدب كما يؤذن به اسمه يقوم بوظيفة جليلة وهي تأديب الصبيان وتهذيب اخلاقهم وطبعهم بطابع الخير ان كان من اهله مع تعليمهم كتاب الله العزيز ومبادي العلوم الشرعية من توحيد وفقه

وذلك يستدعي الاتسام بميسم العلم والفضل وهو ما كان عليه مؤدبو السلف رضوان الله عليهم وقد كانوا يقومون بذلك احتسابا لله تعلى ولهذا انتقد ابن خلدون في مقدمة تاريخه زعم من يقول ان الحجاج بن يوسف كان ابوه مؤدب صبيان بالمعنى المتعارف وهو الذي يتقاضى جعلا على تعليمه القرآن بان السلف لم يكونوا يتخذون تعليم القرآن حرفة يتكسبون بها بل كانوا يفعلون ذلك احتسابا . والظاهر ان عرف تونس في القديم جرى على ما كان عليه السلف في ذلك فهذا سيدي محرز بن خلف كان يؤدب الصبيان احتسابا لله تعلى ويعلمهم القرآن ومبادي الفقه والتوحيد وقد سأل ابن خالته سيدي عبد الله بن ابي زيد القيرواني ان يؤلف له كتابا يشتمل على العقائد والفقه لتعليمه للصبيان الذين كان يعلمهم فألف له الرسالة وفي خطبتها اشارة الى ذلك وهذا العبدري يحدثنا ان ممن اجتمع بهم في تونس الشيخ الفقيه الصالح الفاضل ابا العباس احمد ابن موسى بن عيسى بن ابي الفتح البطرني (نسبة الى بطرنة بفتح الطاء واسكان الراء) وهو مؤدب في بعض ارباض تونس ضرير البصر دين صالح معتن بالعلم وروايته مواظب على افعال الخير لقي جماعة من العلماء وسمع من ابي عمر ابن الشقر وقرأ عليه كثيرا وروى عنه وأجازه قال وقد قرأت عليه الاربعين المسلسلات لابي الحسن بن ابي الفضل المقدسي ... ثم يقول وكانت له مسموعات ومرويات لم يتسع الوقت لاخذها عنه والحمد لله على كل حال اه فلله مؤدبو تونس بذلك العصر الزاهر

(تجار تونس)

لا ريب ان انتشار انوار العرفان في الامة حتى ينال حظه منها التاجر والصانع وغيرهما من اللفيف فهو عنوان تقدم الامة ورقيها وتجار تونس في عصر صاحب الرحلة قد اخذوا حظا من العلم غير منزور فقد روي أن ممن لقيهم بتونس الشيخ الفقيه الحاج المبارك الافضل معين الدين ابا محمد جابر بن محمد بن القاسم بن حسان قال وكان من التجار رحل الى المشرق قديما فلقي به الامام علم الدين السخاوي وسمع منه وأجازه وقرأ عليه قصيدتي الشيخ الامام ابي القاسم الشاطبي في القراآت وفي المرسوم وحدثه بهما عنه قال وقد قرأت عليه بعض الاولى وجميع الثانية وحدثني بهما معا عن السخاوي عن ناظمهما المذكور وأجازني أجازة عامة وكتب لي بذلك خط يده وقرأت عليه ارجوزة السخاوي في المتشابه من الفاظ القرآن وحدثني بها عنه قراءة ثم ساق بعضها ثم قال وقرات على الشيخ ابي محمد احاديث من احاديث المعمرين ...

فلله در اهل ذلك العصر ما أفضلهم وأجلهم هؤلاء تجارهم فكيف بغيرهم من خاصة اهل العلم المتصدرين للتدريس والفتوى والقضاء . رحم الله ذلك السلف ووفق لاقتفاء خطاهم والنسج على منوالهم اعقابهم حتى يكونوا لهم نعم الخلف

علي النيفر

صفحة ثانية

باب البحر

بقلم العلامـة المؤرخ سيدي محمد بن
الخوجة مستشار الحكومـة التونسية

بمناسبة شروع المجلس البلدي بتونس في هدم الابنية الملاصقة لهيكل باب البحر بقصد توفير الاسباب العائدة بتسهيل مرور المجتازين طردا وعكسا بهذا الباب من ثلاثة مسالك عوض مسلك واحد رأيت الناس بين متحدث ومتخرص بماضي هذا المعلم الباقي من عهد السلف لذلك ءاثرت في هذه الآونة ان يكون بحثي التاريخي هذا الشهر في موضوع باب البحر والحارة الافرنجية الواقعة حوله وماكانا عليه في العصور المتقدمة على الازمان الحالية لاسيما وانه مبحث لم يطرقه كتاب التاريخ الحاضر فيما نعلم ولذلك نقول

يستفاد من بعض الكتب المخطوطة المحفوظة بخزائن جامع الزيتونة منها كتاب في مناقب بعض الاولياء والصالحين المشهورين بتونس ان باب البحر كان معروفا بهذا الاسم في المائة السادسة نقل الشيخ أبو الحسن علي الهواري مؤلف الكتاب المذكور في جملة ما ذكره من المناقب لمعاصره الشيخ سيدي ابي سعيد الباجي كرامة للشيخ رضي الله عنه تضمنت حديث طائفة من النساء اجلاهن العدو من جزيرة ميورقة فهاجرن لتونس في زمن سيدي ابي سعيد وكان عددهن يربوعن المائتين « فنزلن ببعض فنادق الروم بباب البحر » ونستخلص من هذه العبارة ان باب البحر في المائة السادسة وما قبلها كان به مساكن النصارى نزلاء تونس كما هو حاله في هذا الزمان ويلوح ان وجود باب البحر كان متقدما على ذلك الزمان لان الولي سيدي ابي سعيد الباجي من رجال المائة السادسة ولد في سنة ٥٥١ وتوفي اوائل المائة السابعة في سنة ٦٢٨ ودفن فيما ذكر صاحب كتاب المناقب بمنارة قرطجنة (كذا) وعبارة المؤرخ الزركشي في التعريف بموضع قبره اوضح من عبارة صاحب المناقب فقد قال انه دفن « بجبل المرسى بمقربة من المنار » والمنار هو الناظور المعروف المقام بقمة الجبل لهداية السفن

وفي الناظور اشعار بجود   لان به مقام ابي سعيد

ويستفاد مما تقدم ان ناظور(١) سيدي ابي سعيد ليس في اصله من المستجدات الحادثة بل هو

(١) الناظور الموجود لهذا الزمان وقع بناءه في حدود سنة ١٢٥٥ على عهد المشير احمد باي بمطلب من قناصل الدول بتونس وجعلت له مشكاة تبين بالتالي ضعف نور زجاجها فعوضوها بزجاجة اقوى من السالفة اشتروها من باريس بخمس عشرة الف فرنكا في سنة ١٢٨٩ على عهد المشير محمد الصادق باي وكان مدير الناظور هو المرحوم البنباشي الحطاب الزلفاني من ضباط الجيش بالمحمدية

كان موجودا في اوائل الدولة الحفصية ولا نشك في كونه كان معروفا في العصور المتقدمة على المائة السادسة للهجرة يعني في زمن امراء صنهاجة ومن تقدمهم من بني الاغلب امراء القيروان لان تونس كان لها يومئذ اسطول يمخر خضم البحر فيما بينها وبين جزيرة صقلية التي افتتحها الاغالبة في اوائل المائة الثالثة على يد قاضي القيروان وامير جيوشها اسد بن الفرات ومات اسد اثناء حصار سرقوسة سنة ٢١٣ ودفن هنالك فمن الضروري انه كان لديهم بجبل المنار وهو الاسم التاريخي لهذا الجبل قبل نسبته لسيدي ابي سعيد منارة لهداية سفنهم ومتاجرهم عند غدوها ورواحها في ظلام الليل الحالك ومن المحتمل القريب ان العرب انتفعوا بالمنارة المتحدث عنها اقتداء بمن سبقهم من الامم التي حكمت تونس قبلهم لان جبل المنار كان قبل الفتح الاسلامي موقعا لمقابر اهل قرطجنة في سطوتها وعنفوان شبابها وقرطجنة كانت يومئذ ذات قوة بحرية مزاحمة لاسطول الرومان فلابد وانه كان لهم ناظور بقرن الجبل يهتدون به في الظلمات

ولنرجع بك لحديث باب البحر بالذات فنقول ان هذا الباب كان معروفا بهذا الاسم في زمن الدولة الحفصية لان كتب التاريخ تعرضت لذلك الجامع الذي بناه الدعي احمد بن مرزوق المسيلي في سنة ٦٨١ وانه بناه خارج باب البحر ونجده ايضا باسمه هذا في المائة العاشرة عند كلام المؤرخين على حوادث احتلال الاسبانيول لتونس قال في المونس عند ذكر انتصار عساكر الوزير سنان باشا « ولما اخذ البستيون وجدوا الجامع الذي خارج باب البحر ملآنا بالسلاسل والاغلال » التي جلبها الاسبانيول في جملة ذخائرهم الحربية لجعلها قيودا في اعناق اهل تونس ولكنها باتت حول رقابهم كما قصه علينا التاريخ وسمعت من بعض من اثق بروايتهم ان باب البحر من اثار بني خرسان بناه احمد بن عبد العزيز بن عبد الحق عند استبداده بالحكم في تونس حيث جدد اسوارها لاول المائة السادسة وكان في جملة ذلك البناء الحادث باب البحر واحمد هذا هو الذي بنى ايضا قصور بني خراسان ومنها القصر الاعلى المنسوب له جامع القصر الموجود لهذا الزمان وذكر بعض المؤرخين ان الواقف بصحن الجنايز بجامع الزيتونة كان في المائة العاشرة يرى مياه البحيرة بعينه الباصرة من موقفه مما يدل على فقدان العمارة حول باب البحر في ذلك العهد ولم يزل باب البحر معروفا باسمه هذا بين التونسيين الى هذا الزمان

اما هيكله في القديم فقد كان ضئيلا على قياس بعض ابواب مدينة تونس كباب سيدي عبد السلام وباب سيدي قاسم وباب القرجاني لعهد قريب وكان موقعه لنحو عشرين او ثلاثين خطوة ليسار الباب

دامت ادارة الناظور بيده سنين طويلة لحد اشتهاره باسم الحطاب الناظورجي عوض لقبه الاصلي وكان المكلف باسراج المنارة في ذلك الزمن رجل من قدماء العساكر اسمه زربوط يتقاضى من اجل ذلك عشرة ريالات في الشهر وكانت خدمة هذا الناظور من متعلقات وزارة البحر بحلق الوادي ولا يوجد غيره في القرن الماضي سوى ناظور جزيرة الكلاب وناظور راس ادار

الحالي بالنسبة للخارج قد سمعت ذلك من بعض مشيخة الجيل الفائت ورايت ما يؤيده فيما بعد بخريطة هندسية تقريبية لما كانت عليه الحارة الافرنجية بتونس في اواسط القرن الماضي ولما رجع المشير احمد باي من رحلته بفرنسا حيث شاهد معالم العظمة والثروة الواسعة كقوس النصر بباريس وغيره من الآثار التاريخية الخالدة كما شاهد نظم الدولة الفرنساوية في عزتها وفخامتها تعلقت همته بمجاراة فرنسا في بعض مظاهر عظمتها — ولكن مع وجود الفارق — فزاد توسعة في قصور المحمدية ورتب الخطط الوزيرية وأحدث خطة أمير الامراء بالعسكرية كما أحدث الصنف الاكبر في سلسلة نياشين الافتخار قياسا على نظام (اللجيون دونور) ورتب ترسخانة بغار الملح وبنى مدرعة حربية من طراز فرقاطة وأبطل الرقيق بممالكه الى غير ذلك من المستجدات التي سهل عليه انجازها حب التعالي والتعاظم المحمول عليه بطبعه الذي وصفه لنا التاريخ وكان في جملة مبتكراته ايضا بعد ايابه من فرنسا انشاء باب البحر بعنوان معلم تونسي فخم يحاكي بعض ما شاهده في رحلته من اقواس النصر الكثيرة بفرنسا فامر بتشييد الباب المذكور عوض الباب القديم الضئيل الذي هو من بقايا العصر الحفصي فيما اظن وكان ذلك في سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨ الميلاد) فجاء كما تراه اليوم وكان القائم ببنائه المعلم محمد تيوه وممن شاركه في ذلك تلميذه المرحوم سليمان النيقرو مهندس البناء وقد كتبوا بالقلم الغليظ على واجهتي الباب داخلا وخارجا ابياتا من الشعر تذكارا لبنائه قيل من نظم المدرس الشيخ احمد بيرم المتوفى سنة ١٢٨٠ ورايت من نسبها لابن عمه الشيخ محمد بيرم الرابع فهي على كل حال جواهر بيرمية وعبارة الابيات المكتوبة على الواجهة الداخلية

بسم الله الرحمن الرحيم — ما شاء الله — وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

بابداع هذا الباب قد صدر الامر	من الملك السامي الذرا من له الفخر
فجاء عديم المثل ابرز شكله	على صورة غرا يناسبها القدر
ولا بدع في ابداعه بمشيده	تانق في احكام ءاثاره الدهر
وما هي اولى ما افاد فكم له	بتونس من صنع يشاد به الذكر
ولما اكتسى ثوب التمام واشرقت	محاسنه اللاتي يباهي بها العصر
غدا الدهر يشدو اذ يقول مؤرخا	بنا احمد ذا الباب دام له النصر

١٢٦٤

واما الابيات المنقوشة على واجهة الباب الخارجية فهذه عبارتها

بسم الله الرحمن الرحيم — ما شاء الله — وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

بانشاء هذا الباب قد كمل الفخر	وسار مسير الشمس في الفلك الذكر
به امر المولى المؤيد من له	مراقي علا ينحط عن نيلها البدر

فجاء كما ترضى النفوس مؤسسا على صفة ما حام من عدها فكر
اذا كان ما تبتدي الملوك ازاهر فان الذي يبدي المشير هو العطر
فشكرا لما اولى وحق لمن غدا جميل المساعي مثله الحمد والشكر
ودونك من ذا الباب عنوان فضله ولج لترى الفضل الذي ما له حصر
اديمت له النعما وعوجل بالمنى ودانت له الدنيا وطال له العمر
ولما انتهى تأسيسه وتكاملت محاسنه اللاتي بها افتخر العصر
تسنى لمن قد قال فيه مؤرخا بنى احمد ذا الباب دام له النصر

١ ٢ ٦ ٣

ومصراع التاريخ في الواجهة الداخلية يوافق العام ١٢٦٤ المرسوم بها وهو بنصه لا يوافق العام ١٢٦٣ المرسوم بالواجهة الخارجية وكان في الامكان الجمع بين الاثنين لو قال « بنى احمد ذا الباب مد له النصر » عوض قوله « دام له النصر » اذ بسقوط الف دام ينقص عام من حساب المصراع والقلب والابدال من خصائص لغة العرب ومقتضاه يكون تاسيس واجهة الباب الخارجية متقدمة بعام على بناء واجهته الداخلية وهو الشيء الذي يقبله العقل لان بناء معلم كباب البحر يستدعي لا محالة زمنا يستغرق اكثر من عام واحد ومهما كان الحال فاني اهدي في هذه الاونة عبارات الشكر الجزيل للفرنساوي الصميم مسيو ادمون مدير مغازة المقزان جنرال لانه هو الذي سهل علي نقل الابيات المرقومة على باب البحر بواجهته الخارجية من احدى نوافذ مغازته القريبة من الباب ومدني بنظارة بدعا في التجسيم والتفخيم لحل اشكالها الغامضة وتراكيبها المتداخلة ولولا هذه المساعدة لما تيسر لي نقلها لاستحالة اخذها بطريقة اخرى واما الابيات المرسومة على الواجهة الداخلية فقد كنت نقلتها لنحو ثلاثين سنة ماضية من مطعم (اوتيل) ايمون الواقع ببطحاء البياصة (١) المعروفة في هذا الزمان ببطحاء لافيجري صاحب التمثال الذي اقيم بها في سنة ١٣٤٤

وقد رايت فيما تقدم ان باب البحر ليس له من الاسماء غير ما عرف به منذ القرون الاولى وهو اسمه المعروف به لهذا الزمان بين عامة التونسيين غير انه اشتهرت تسميته بين الاروباويين في بحر هذه الخمسين سنة باسم « باب فرانسا » كما اطلقوا اسم « شارع فرانسا » على النهج الفسيح الواقع خارجه فيما بين الباب وبطحاء السفارة الفرنسوية وما زاد على ذلك هو شارع جول فيري صاحب التمثال الذي سياتي الكلام عليه وكان هذا الشارع لا اسم له في الازمان الغابرة وانما سمي شارع البحيرة في اواخر القرن الماضي بعد تخطيطه وتمهيده بعناية المجلس البلدي بعد انتصابه

(١) لفظ بياصة معرب من piazza في الطليانية ومعناه بطاح وساحة وشبه ذلك

فلما اقيم للوزير جول فيري تمثاله (١) المعروف في سنة ١٣١٦ على عهـد الوزير المقيم مسو ريني ميلي بعد فتح مرسى تونس لسير السفن على عهد سلفه الوزير مسيو روفي (١٣١٠) ابدل المجلس البلدي اسم ذلك الشارع الذي هو اوسع شوارع تونس في ذلك الزمان فجعله شارع جول فيري تخليدا لذكر صاحبه حيث كان هو المبتكر لمشروع الحماية الفرنساوية بتونس ولم يكن لشارع البحيرة وجود قبل بناء قنصلات فرانسا خارج باب البحر بل كانت تلك الجهة ومـا حواليها كلها اراض موات لا تصلح للزرع ولا للضرع لانهـا كانت مغمـورة بالاعشاب والادغـال والحمـاضة وما تلفظه امواج البحيرة بالساحل ولم يكن بشاطئها سوى بناء ضئيل يعبر اليه من سرب على القدم او على البغال خلال تلك الادغال والوحل في الشتاء والغبار في الصيف للوصول لذلك البنـاء المنتصب به مأمور القمرق المكلف باستخلاص المعاليم الموظفة على البضائع الصادرة والواردة على طريق البحيرة ودام هـذا النظام القمرقي بتونس الى احداث الرقابة الاروباوية على ماليـة الدولة التونسية المعروفة بالكمسيون الذي وقع انتصابه في سنة ١٢٨٦ وضبط المال المتحصل من القمرق كان في عهدة شاهد البحيرة وءاخـر من تولى الاشهـاد على ذلك المرحوم الشيخ علي المحرزي ـ وفيما بين باب البحر والبحيرة كان بالجهة التي بها اليوم مقهى الكازينو معامل صنع القطران يسميها العامـة مخازن القطران كانت متنزه الاحداث في وقت الربيع يذهبون للجلوس فوق سطوحها جموعا ووحدانا لاستنشاق . . . الهواء العليل ولاكل بعض المقاثي والبقول الطرية كفصوص الفول الاخضر والفجل والبسباسة والحص مما كان ينتجه بعض البستانيين من فقراء النصارى حول بئر تأوي اليها مياه الخنادق عند جريانها للبحيرة وهذه الخنادق كانت في الجملة سبعة اعظمها خندق ضبيان الوارد من ربض باب السويقة وكانت مكشوفة على طول الخط الى ان تصل لمصبها بالبحيرة وقد وقفت لبعضهم على ابيات لطيفة في وصف مجالس نزهتهم بباب البحر مما يدل على ارتيـاح القلوب والرضـا بالنزر اليسير في ذلك الزمان الذي ليس ببعيد

سقى الله باب البحر وطفـاء ديمة   تروي ثـراه العـاطر النفحـات .

---

(١) صخرة التمثال المتحدث عنه اشتملت على ذوات اخرى حول قاعدة التمثال فالراس الذي بالقرص المستدير يمثل وجه مسيو برتلمي سانتيلار وزير خارجية فرانسا الذي امضي في مدته صك الحماية والذوات الاخرى هي رسم معمر فرنساوي يمثل الكد والجد في احيـاء الارض لاستخراج خيراتها وبركاتها ثم رسم امراة عربية بدوية تقدم سنبلة لجول فيري تحدثا بالنعمة والصبيان الجالسان يمثل احدهما صورة نجل الوزير المقيم مسيو ريني ميلي حالة كونه يعلم التهجئة والقـراءة لصبي اهلي من اللفيف كناية على ان مساعي فرانسا ترمي لنشر آلاء التعليم بين كافة الطبقات

محل التصافي لامحا المحل رسمه ومنزل لهو ءآهل العرصات
لعمرك ما الدنيا ولا عيشها سوى عشيات انس فيه او غدوات
فلله يوم لم تر العين مثله حبانا سرورا والزمان مواتي
لدى حانة حنت اليها صبابة حشاشة نفس روعت بشتات
يدير علينا الراح ضبي مرند رهيف التثني فاتن الحركات
سقاني بعينيه كؤوسا من الهوى تمازج محياي بها ومماتي
غدوت اليها تختشي الاسد صولتي ورحت صريع الراح واللحظات

واول بناء عصري اقيم براس شارع البحيرة قبل تخطيطه وتمهيده هو قنصلات فرنسا وكان ذلك بمساعي القنصل المستعرب ليون روش في عهد المشير محمد باي الذي كان تجمعه بالقنصل المذكور صلة مودة ومخالطة شخصية زيادة على ما كان بينهما من العلائق الرسمية الحسنة فقد كانا يخرجان معا للصيد والقنص بجهة وادي الرمل فيما بين خنقة الحجاج وزغوان ويصيبان الشيء الكثير قالوا ان المشير محمد باي كان لذا رمى طائرا او حيوانا لم يخطه قط وبلغ من امتزاج مسيو ليون روش بسمو الباي مجاراته في بعض اخلاقه وعوائده حتى انه كان يستعمل نفة النشوق في مجلس الباي لان سموه كان يستعمل ذلك وكان الباي يهاديه بملابسه العربية الفاخرة فيتزي بها من ذلك برنس من الوبر اهداه القنصل بدوره فيما حكاه عن نفسه لصاحبه الامير عبد القادر الجزائري فارس العلم والجهاد رايت ذلك في كتاب له عنوانه « اثنان وثلاثون عاما حول الاسلام » وبديهي ان مصاريف بناء القنصلات المشار اليها كانت على نفقة الخزينة التونسية بناء على ان ملوك تونس متكفلون من عهد قديم باسكان قناصل الدول بمحلات مناسبة من املاك الدولة وكان التجار الاروباويون يسكنون من اواسط القرن الحادي عشر بالمحل المعروف بفندق النصارى الموجود لهذا الزمان بنهج القمرق القديم داخل باب البحر وبقربهم قناصلهم بالمكان وكان لهم بالفندق مصلى لاقامة شعائر دينهم وكانت مقابرهم بالبقعة التي بها اليوم الكنيسة المواجهة لدار السفارة العامة وهذه الكنيسة ام الكنائس بتونس تم بناءها في سنة ١٣١٥ هـ. وفي عيد الفصح من مواسم النصارى يوجه الباي على وجه المكارمة للقناصل طبل باشا مع مهتاره للعزف بالفندق وتكون البداية حتما بقنصل فرانسا بناء على ان ملوك فرنسا كانوا هم حماة النصرانية بالبلاد الشرقية والفناء الذي كان موجودا بين باب البحر وموقع القنصلات كانت ترسم به سوق الخضراوات والبقول والفحوم وما اشبه وبالمكان نفسه بقايا حصن الباستيون ولعل من بقيته محلات قمرق الدخان القديم الذي مسح من لوحة الوجود في مبادي هذا القرن وما وراء ذلك كان مصبا للازبال المجتمعة بدور المدينة ومساكنها وشوارعها ولقد بلغ من امر هذه المزابل انها اعتلت حتى كادت ان تكون جبلا في عهد الباي حمودة باشا قال المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف ما معناه

ان تلك المزابل اورثت خوفا في نفس الباي لانها صارت جبلا يمكن ان يتترس به العدو ولاجل ازالة ذلك الخطر حمل الباي اهل المدينة على نقل تلك المزابل للبحيرة فاستغرقوا في ذلك عدة شهور ويلوح انهم كانوا في تلك الازمان ينتفعون في مثل تلك الاعمال الشاقة بمشاركة الاسارى والاسارى كانوا يفدون انفسهم بالمال الناض اما من عطايا المحسنين من بني جنسهم واما بما يتوفر لديهم من الاجور التي يكتنزونها مدة خدمتهم بالمصانع والمعامل الدولية او من خدمتهم بديار الاعيان وكانت فدية الاسير ثلاثمائة محبوب في زمن الباي حمودة باشا وبالجملة فان الحاضرة التونسية كانت لنحو مائة سنة ماضية وسخة قذرة فوق ما يتصوره العقل لذلك كانت الاوبئة تتعاهدها على دور العصور وبذلك وصفها كل من زارها من الاروباويين في ذلك العهد والشواهد على ذلك كثيرة ويكفي الاشارة لما هجاها به لنحو جيلين فارطين المعلم احمد فارس الشدياق في قصيدته التي يقول فيها

يا عيشة مستنكره في بلدة مستقذره
ما ان ترى من روضة فيها ولا من شجره
الا غبارا ثائرا في الصيف بئس الغبره
وفي الشتاء وحل تغوص فيه البقره
وفي الطريق جثث مبثوثة منتشره
من حيوان ميت وبشر للمعذره

وهي طويلة احتوت على ما هو أشنع وأقبح من ذلك ويا ليته عاش لهذا الزمان ليكتب لنا من نظمه كفارة سيآته او ليردد معي هذه الابيات التي نظمتها على روي قصيدته :

يا عيشة مستبشره في بلدة مستحضره
ما ان ترى الا الريا ض الباسقات النضره
وطرقا ممدودة ممشاتها مشجره
ذات ظلال بالشتا في الصيف يا ما اجدره
وفي الشتا منتزه للوافدين البرره
وكل بيت حوله مذياعة كالمخبره
بما يهزه الفضا من موج صوت البشره
تضيئه اشعة من كهربا منتشره
مع تلفون ناطق يشبه بعمل السحره
وبالطريق عجلة اسرع من برق تره
وفي السما طيارة لقمع شر الفجره

والقوم بين ضاحك ومعجب مما يره
صدى لسان حالهم عن السنين الغابره
يقول بئس ما مضى ونعم حال حاضره

ويابى القلم ان يتعرض بسوء للشيخ احمد فارس لان له حسنات كثيرة في مقام الادب والتحرير والحسنات يذهبن السيئات ولانه من جهة اخرى حكى ما شاهدت عيناه تحت تاثيرات الخيبة والاخفاق لانه جاء تونس مؤملا اكتساب حيثية له بالدولة فلم يحظ منها بسوى خطة ضئيلة بحلق الوادي لذلك ترثى لحاله بقصيدته التي مطلعها

مـاذا جنيت وما جنت اجدادي حتى غدا حبسي بحلق الوادي

على ان قصيدته في هجو تونس اجابه عنها الشيخ محمد بيرم الرابع بقصيدة نعرف منها بيتا واحدا وهو قوله

المسلمون صدقوا بجنة منتظره

وهذا البيت يكفينا لفهم ما غاب عنا من باقيها رحم الله قائلها واثابه

وفي النصف الثاني من القرن الماضي اخذ الافرنج نزلاء تونس يتوسعون بالسكنى وبالتجارة داخل باب البحر فكانت ابنيتهم متعالية ومتاجرهم نافقة بحومة سيدي المرجاني وما اليها ووافق ذلك الاعلان بقانون عهد الامان ومن شروطه امناح حرية البيع والشراء لسائر الاجناس الامر الذي سوغ للاروباويين تملك الربع والعقار مع التمتع بجميع الحقوق الممنوحة لابناء البلاد. وحومة سيدي المرجاني كانت يومئذ خاصة بالافرنج واهم انهاجها الزقاق المعروف بنهج الكنيسة في هذا الزمان سموه كذلك في مبادي هذا القرن نسبة لكنيسة سانت كروا (الصليب المقدس) وهذه الكنيسة كانت في القديم مارستانا للنصارى اسمه عندهم « مستشفى اهل الثالوث » كان تاسيسه في اوائل القرن الحادي عشر. وفي عهد المرحوم المولى حسين باي بن محمود باي رخص لهم بجعله كنيسة في سنة ١٢٤٩ وزيد لهم في ساحتها نحو عشرين ذراعا على عهد المشير احمد باي في سنة ١٢٦١ ثم ان المشير محمد الصادق باي تفضل في سنة ١٢٩١ بدار بسوق البراملية قرب تلك الكنيسة على جماعة الرهبان من فرقة (اخوة المكاتب النصرانية) للسكنى بها ولتعليم ابناء النصارى بتونس بحيث ان حومة الافرنج داخل باب البحر كانت في اواخر القرن الماضي تامة النصاب متوفرة المرافق ناهيك انه كان بها تجار لبيع الكتب العربية كالاسرائيلي لياه المليح المتمتع بالحماية الطليانية فقد انتصب في سنة ١٢٩١ لبيع مصاحف القرءان الكريم وموطا امام دار الهجرة مالك بن انس مع رسالة في جواز لبس البرطلة (١)

(١) البرطلة شيء كالمظلة ليست من كلام العرب عند الاصمعي بل هي معربة من النبطية اهـ. من شفاء الغليل

اسمها « اجوبـة الحيارى عن قلنسوة النصارى » للشيخ سليمان الجرايري وفتوى له في اباحة زكاة اهل الكتـاب مما يدلك على الحرية الكاملة التي كان يتمتع بها الاروبـاويون ومن استظل بحمايتهم المنيعة في ذلك الزمان وما لبثت محاسن التمدن العصري ومظاهره الخلابة غير قليل حتى استهوت ابناء تونس وامتلكت بهم فكانوا بين سابق ولاحق للكرع من مناهله وحياضه والتمدن حلو حامض ولك ان تقول من طعمه وكنهـه كالرمان اذا لم تحسن علاج هضمه احدث بجوفك امساكا خطيرا ومن أراد ان ياكل من ثمار التمدن بدون خطر فعليه اكل اللب وطرح اللباب ويلوح ان الكثير من اخواننا التونسيين عكسوا القضية لانهم ملاوا جرابهم بقشور التمدن وتركوا لبه لغيرهم

وفي سنة ١٢٨٨ تم نصب السكة الحديدية بين تونس وحلق الوادي واختير ان تكون محطة الركوب بالفناء الواقع على مقربة من الدباغين لكون تلك البقعة كانت يومئذ مركزا وسطا بين الاحياء العربية والحـارة الافرنجية ونشأت بحكم الضرورة ابنية جديدة حوالي موقف الارتال لم تكن موجودة من قبل ، وفي عهد وزارة خير الدين صرف هذا الوزير المصلح عنايته نحو تهذيب الشارع الواقع خارج باب البحر قياسا على ما انجزه من التنسيق والتهذيب بحديقة القصبة وبطاحها فانشأ حديقة خارج باب البحر بالمكان المجعول موقفا للعربات في هذا العهد حيث بـالاص البكوش (١) الذي هو من اول الابنية المحدثة خارج باب البحر على النمط الاروباوي (٢) في اواخر القرن المـاضي ورتب الوزير المذكور عشرين فـانوسا بلديا منها ثمانية لاسراج بطحاء القصبة وبـاب البحر والبقية وزعها باطراف الحاضرة واول حومة عربية استنارت بضوء الغاز هي سوق البلاط وكان ذلك في سنة ١٢٩١ ولما وقع تنوير واجهة سراية المملكة ليلة المولد الشريف من ذلك العام كتبوا بـاحرف النور فوق بابها عبارة « محمد الصادق باشا باي دام عزه وعلاه » فاعجب الناس بذلك واستغربوه ايما استغـراب حتى ان من لم يره منهم لم يصدق به عند سماعه من غيره ، وكان بالجهة المجاورة لبالاص البكوش محلات خدمة دار الجلد وهو نظام دولي قديم عفت رسومه بشكله المذكور عند ابطـال الكمسيون وانتصاب ادارة المال بتونس وكان ذلك النظام يسمى « دار الجلد والسكين » تتقاضى الدولة منه معـاليم معتبرة على ما يذبح ويباع من الانعام وجلودها وءاخر من تولاهـا المرحوم امير اللواء العربي زروق وكان

(١) لفظ بالاص معرب من Palazzo في اللغة الطليانية ومعناه قصر وصرح وسراية وشبه ذلك والاسم المضاف اليه هو لقب امير الامراء ابي عبد الله محمد البكوش مستشار الوزارة الخارجية على عهد المشير محمد الصادق باي تولى عدة اعمال معتبرة وقام بماموريات هامة على عهد الدور القـديم توفي رحمه الله سنة ١٣١٢

(٢) اول دار بنيت على النمط الاروباوي بالاسلوب الطلياني هي دار الوزير مصطفى صاحب الطابع الواقعة على مقربة من حبل المنار وهي نفسها في هذا الزمن كنيسة سانت مونيك باضافة ما زيد بواجهتها عند صيرورتها معبدا نصرانيا في اوائل هذا القرن

مع ذلك رئيسا للمجلس البلدي ومديرا للمدرسة الصادقية هاجر المدينة المنورة في منسلخ القرن الماضي وتوفي بها سنة ١٣٢٠ رحمه الله

وهذه المنشئات والتحسينات التي تناولت الحارة الافرنجية وغيرها في عهد الدولة الصادقية حدثت كلها بعد هدم السور الداخلي الذي كان فاصلا بين قسم المدينة وبين قسمي الربضين وكان موقع هذا السور هو خط الترامواي المار بباب البحر وباب الجزيرة وباب الجديد وباب منارة والقصبة وباب البنات وباب السويقة وباب قرطجنة الى باب البحر حيث البداية وجميع تلك الابواب كانت تغلق مع غيرها من الابواب الصغيرة التي كانت بغلقها تقطع المواصلة بين الحارة واختها داخل المدينة نفسها وهي عادة قديمة كانت موجودة في الدولة المرادية بزيادة غلق ابواب البلاد (باب الخضراء وباب سيدي عبد السلام وباب سعدون وباب العلوج وباب سيدي عبد الله وباب سيدي قاسم وباب القرجاني وباب الفلة وباب علاوة) في الليل وعند صلاة الجمعة في النهار (١) فلما آلت الدولة للمشير احمد باي ابطل غلق ابواب البلاد في وقت صلاة الجمعة ولما اعلن المشير محمد الصادق باي بقوانين عهد الامان ابطل غلق جميع الابواب الداخلية بالحاضرة في الليل ولم يستثن منها الا ابواب الاسواق وما زالت كذلك الى هذا الزمان وكانت حاضرة تونس تحيط بها اسوار رابطة لابوابها التسعة المتقدم ذكرها وقد اضيف لها باب عاشر فتحه المجلس البلدي في اوائل هذا القرن واسماه باب العسل اقتباسا من درب العسال الواقع به الباب المذكور . والاسوار المذكورة اول ما بنيت في المائة الثالثة على عهد بني الاغلب امراء القيروان ثم زيد فيها اثناء المائة الرابعة باشارة من المؤدب عالم الظاهر والباطن سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه وتناولها التجديد مرارا في عهد الدولة الحفصية وءاخر من جدد عمارتها الملك الصالح الباي حمودة باشا الحسيني شرع في بنائها سنة ١٢١٧ وكللها بالابراج لسكنى عساكره وكتب على ابوابها تاريخها باللغة التركية سياسة منه مع الجند ومحصل الكتابة ان الآمر بالبناء هو السلطان سليم خان الثاني في مدة الباي حمودة باشا « اول كريم اول همام نصره الله الى يوم القيام » وقد رايت في بعض التواريخ ان الذي باشر هندسة تلك الاسوار عن اذن الباي رجل من بلاد الفلمنك اسمه هنبير. ولا غرابة في ذلك فان الباي محمد الرشيد بن المولى حسين بن علي كان طلب من الدولة الفرنسوية ان تمده بمهندس يستعين به على تجديد عمارة اسوار القيروان وحصونها بعد ان دمرها ابن عمه الباشا علي باي الاول فوجهت له المهندس تورينكانو في سنة ١١٧١ قال الراوي « لما انتهت مامورية هذا المهندس احسن له الباي بتسعمائة محبوب مع حصانين وما يحتاجه من لوازم السفر للرجوع الى بلاده واسوار تونس حكم اهل النظر بهدمها في هذه الايام (١٣٥٧)

---

(١) كانوا يغلقون ابواب البلاد عند الاذان لصلاة الجمعة خوفا من هجوم الاعراب على الحاضرة بنية النهب والفساد عند اقامة الصلاة

الادب

مولد الرسول عليه السلام

قد لاح بـدر السعد من حجبـه	فاهتف لـه يا دهر واسعد بـه
وناد في الاكوان ان قـد اتى	محمـد المحمـود من ربـه
طـه مجيـر النـاكبين اذا	ما اشتد روع المرء من ذنبـه
طه الذي قـد جـاء للناس بال	ـفرقان هديا عـز عن مشبـه
فاضحت الالسن خرسـاء وار	تاعت كماة القول من عضبه
وبـاتت الاوثـان مثلولـة	وامست الاحـلام من حزبـه

بداعي التوسعة وتوفير الهواء والضوء الكافي للرباعات والدور المسكونة خلفها وقرروا فيما سمعنا ابقاء جـزء منها بعنوان بناء تاريخي لافادة اهل الاجيال القابلة بما كانت عليه مدينة تونس في عهد الاجيال الماضية والتاريخ كما يثبت بحجارة الجدار يثبت أيضا بما تخطه الاقلام والاقلام هي محاريث العقول لذلك تناولنا هنا حديث ما كانت عليه تونسنا المحبوبة وتربتنا المرغوبة ليكون صلة وصل بين زمن الاجداد وبين زمن الاحفاد ـ ونختم هذه النبذة بالاشارة لعـدد ما كان بتونس من السكان في اواسط القرن الماضي فقد قدر المؤرخ بيليسي عـددهم بسبعين الفـا على وجـه التـقريب وقـدر المـؤرخ كيران عددهم في صدر دولة المشير محمد الصادق باي بتسعين الفا منهم ستون الفا من المسلمين وعشرون الفا من اليهود وعشرة ءالاف من مختلف اجناس الاروباويين ونستبعد صحـة تقديره الخـاص باليهود وعندي ان عددهم كان دون ذلك بكثير لان ابنـاء الطائـفة الاسرائيلية كبقـية التونسيين تكاثرت اعـدادهم في بحر هذه الخمسين سنة بفضل الاسعـافات الصحية المتنوعة التي انجزتها الدولة بتونس فاذا اعتبرنا ان عدد اليهود سكان الحاضرة بلغ حسب احصائية عام ١٩٣٦ الى ٢٧٣٤٥ نفس نجزم بانهم لم يكونوا قبل هذا الزمان بمائة عام اكثر من نصف العدد المذكور على اوسع تقدير واما عدد سكان الحاضرة من المسلمين فقد بلغ في احصائية العـام المذكور الى ٩٣٣٥٦ نسمة وقد رأيت في تاريخ المشرع الملكي ان سكان تونس في مدة المولى حسين بن علي كانوا نحو مائة وخمسين الفا وهو محل نظر اللهـم الا اذا اعتبرنا ما حدث بتونس من الاوبئة الكثيرة والحروب الداخلية الحاصدة للارواح في بحر القرنين الثاني عشر والثالث عشر اما مجموع سكان الحاضرة التونسية في هذا الزمان حسب احصائية عام ١٩٣٦ التي هي ءاخر احصائية رسمية لعموم السكان فعددهم بالحساب المدقق ٢١٩٥٧٨ نسمة منهم المسلمـون واليهود المتقدم بيان عددهم ومنهم ٩٨٨٧٧ اروبويون يوجد ضمنهم من الفرنساويين ٤٢٦٧٨ والبقية من عموم الاجناس الاروباوية وءاخر ما اقول هو قول زهير

واعلم ما في اليوم والامس قبلـه	ولكنني عن علم ما في غد عم

لا الـلات تنيهم ولا هبل عن الهدى والكرع من صوبه
وهل يسود الغي او يعتلي والحق شاكي السمر من قضبه
وحجة الاسلام وضاءة يبصرها الانسان من لبه
قبل اللسان القلب يذكرها وهل يشك القلب في كسبه
لا شك لا طغيان لا ظلم في الـ ـا سلامُ لا تبديل في كتبه
لا خلف لا اشراك لا بغي لا اسـ ـتبداد لا عدوان في صحبه
للنفس فيه منهل تـرع تستمريء الاخلاق من شربه
ءادابه للروح منتزه اريج هذا الكون من تربه
يافخر عام الفيل من ليلة قمراء لم تبق على سحبه
لاحت بها للمصطفى غرة من كنف الغفران من شعبه
عراص بيت الله حيث المنى تحرزها القصاد في رحبه
يا ليلة حف الجلال بها فاشرقت تختال في ثوبه
لانت عيد الدهر ياليلة اعز عند الله ممابه
فيها اتى الشفاء موقضها لتقبل المولود من ربه
لبت ففاض النور من حجرها فامتاز شرق الكون من غربه
وام ذاك البدر محتاطة بالهالة الزهراء من شهبه
يسقي رذاذ الطلق وجنتها مكفية الآلام من كربه
تكللت بالبشر غرتها فامطرت بالعطر من قربه
راته والاملاك تكنفه عظيمة الاخلاص في حبه
ران الى العليا بمقلته ونورها الوضاح في جنبه
يا بهجة الاكوان ياتاجها يا نصرة الانسان في حربه
يا خير خلق الله يا مجتبى يا ناشر الاسلام في حزبه
يا خاتم الرسل ابا القاسم الـ ـمرموق بالاجلال من ربه
يا ناصر الاخلاق يا من به يستشفع الخائف من ذنبه
كن حامي الاسلام من نكبة مطعنها المقصود في لبه
وانقذه من اشرار امته وذد شرور الخلف عن صحبه
فما لنا في الامر من كنف الاك يا فردا بلا مشبه
واغفر قصور القول من شاعر زف اليك الشعر من قلبه
وكن له يوم اللقا شافعا ينشدك خير الشعر في قربه
صلى عليك الله ما سطعت لا ٴلاء بدر الافق او شهبه

الطاهر القصار

سعادة الامة بتعاون افرادها

« وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا »

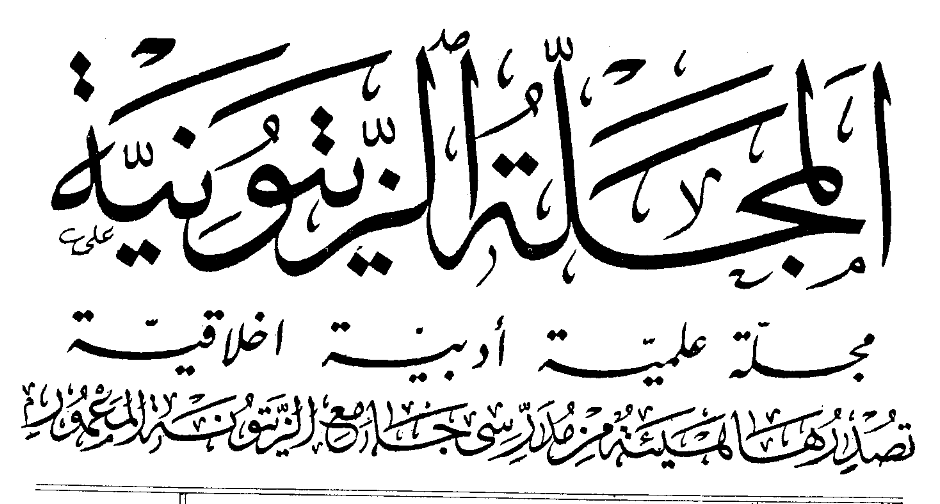
ان اعظم ما تسعى اليه الامم التي عرفت كيف يكون احتلال المقام الاسمى تحت قرص الشمس هو العلم ونشره بين سائر طبقات الامة لا فرق بين ابن الشريف والصعلوك او المالك والمملوك فبمقدار انتشال الامة لابنائها من هوة الجهالة السحيقة يزداد اسعادها وتعم رفاهيتها و عظم صيتها وتحفظ بيضتها وتمنع حوزتها ويعظم شانها بين الامم وليس هنالك معول هدم وتخريب ياتي على سعادة الامم فتصبح اثرا بعد عين كداء الجهل المميت فهو الداء العضال الذي ما تمكن من جسد امة الا خارت معه قواها وتهدمت اركان سعادتها وطمست معالم مجدها وابيحت ديارها وملكت امصارها وتلاعبت بها اهواء الامم واغراضها وفي ذلك استعباد افرادها ونزع ثروتها وهتك ستورها ومحو ميزاتها والابتعاد بها عن تعاليم دينها والقضاء المبرم على لغتها التي لا بقاء للامة مع زوالها

اذاً فبالمعارف تحيا الامم ويحسن مئالها و بفقدانها يمحى اسمها من صحيفة الكون .

وتونس الفخورة بمجدها وتراث اسلافها في ميداني العلم والمدنية قد ادركت هاته الحقائق التي لا مريه فيها بعد ان تصاممت عن سماعها والتفكير فيها ردحا من الزمن كانت تتخبط اثناءه في ديجور الجهالة القاتم فاصبحت بحمد الله تعالى عاملة جهد المستطاع لاحياء ما اندثر من ربوع معارفها الزاهرة وابناؤها البررة يتزاحمون بمدارسها التي ضاقت عن ايواء جميعهم وكليتها الزيتونية تحتظ من ابنائها ما يناهز الثلاثة ءالاف واهل العزائم يتجشمون مشاق السفر والتغرب ويهجرون الاهل والخلان تطلبا للاستكمال بمختلف العلوم المفقودة بربوعنا كل ذلك لتخليص الامة من شقوتها والنهوض بها من كبوتها وسنصل بحول الله تعالى الى الغاية التي نسعى اليها بفضل تعاون ابنائها في كل ما يعود على المجموع بالسعادة والرقي .

فاذا كان شبانك ايتها الامة التونسية الماجدة هاته غايتهم وتلك امنيتهم التي عقدوا الخناصر عليها وعاهدوا الله على تحقيقها فلا اخالك تبخلي عنهم بما يخفف شيئا من عبء ما تحملوا به من اجل اسعادك ان بعض ابناء كليتك الزيتونية قد عضهم الدهر بنابه وعظم عليهم المصاب بسبب هاته السنين المجدبة التي افقدتنا الزرع والضرع فاصبحوا يبيتون على الطوى الليالي ذوات العدد ويكتفي الكثير منهم باكلة واحدة الله اعلم كيف يتوصلون اليها ولربما كان ثمنها اراقة ماء وجوههم الثمين ولا تسأل عن هاتيك الاطمار الباليات التي لاتقيهم البرد القارص ولا تكفيهم شر ما ينجم عنه من امراض خطيرة كثيرا ما قضت على شبابهم الغض وافقدتك رجالا ما اشد حاجتك اليهم في هذا الطور من حياتك طور نهوضك وتشييد ما انهار من معالم مجدك

(البقية على صفحة ٤٠٧)



الجزء العاشر	في جمادى الاولى ١٣٥٧ وفي جويلية ١٩٣٨	المجلد الثاني

الاخوة الاسلامية

— ٢ —

المساواة في الحقوق وما ادراك ما هي ركن من اركان الاسلام اعتبره الله في احكام هذا الدين وابرزه نورا في سماء تلك العصور المظلمة . التي ساد فيها الارهاق والجور. واستحكم عند رؤساء تلك الامم مبدأ الانانية ، وان شئت قلت الاستقراطية البالغة الحد الاقصى حكموا بها الرعية واستبدوا في احكامهم . فسطع نور المساواة في الحقوق ورفرف على رؤوس تلك الجيوش المؤمنة بالاخوة الاسلامية فقطعت الفوارق التي بين الطبقات ونادوا في اهل كلّ بلد يغزونها حبوا الى دين الاسلام ، دين الاخوة والمساواة . وفكوا الاغلال عن نفوسكم وادخلوا في دين الله احرارا، كما خلقكم احرارا ،

واما ما لابسها في العصور الاسلامية الاولى مما بدل شكلها وما احس به من الفوارق اهلها فذلك يرجع الى ما داخل الامة من تعاليم غيرها من ناحية وما بيته لها اولئك الذين غلبوا عن امرهم وتسليم المسلمين من ايديهم راية ملكهم ونفذوا فيهم احكام الشريعة السمحة كما امرهم به ربهم وما زال هؤلاء من الروم والفرس ممن لانت قناتهم بحكم القرءان وظهور المسلمين على بلادهم يعملون جهدهم المستطاع في تقسيم وحدة المسلمين وتفريق كلمتهم وتشتيت آرائهم فتكونت بذلك الخلافات السياسية . ونشا عنها انقسام الخلافة الاسلامية الى دولتين دولة بالمشرق وعلى راسها امراء بني العباس ودولة بالمغرب وعلى راسها امراء بني امية النازح أصلهم من الشرق بعد سقوط الخلافة في يد العباسين وخروجها من يد آل امية

ويحق لنا ان نعد هذا الحادث التاريخي العظيم اول نفرة من نوعها وقعت تسبب عنها تعدد دول الاسلام . وانفصال كل دولة عن الاخرى بصفة رسمية نظامية تنظر كل واحدة الى شؤونها الخاصة غير ملتفتة الى اختها ولا تشتكي بشكواها ولا يهمها من امرها شيء اذا مس الضر بعض اعضائها .

ثم اخذ هذا الانقسام يتكرر ويعقبه انفصال قسم بعد قسم من المسلمين عن جامعتهم العظمى الى ان صار المسلمون دويلات صغيرة بعد ان كانوا تحت راية واحدة ويأتمرون بأمر واحد . ويعملون لغاية واحدة . وتسود في نفوس الجميع قوة واحدة الا وهي الاخوة الاسلامية

واما ما طرأ عليها في العصور الحديثة مما مزق شمل هاته الامة مع وفرة عددها وانتشار افرادها في غالب جهات المعمورة، ولا عبرة بكثرة العدد . ما دام الجميع ليسوا على قلب رجل واحد فذلك يرجع الى امور متعددة لا نتمكن في هذا المقام ان ناتي على جميعها . وانما نقتصر على شيء من المهم منها . فمن ذلك عدم احساس المسلمين بمعنى هاته الاخوة في نفوسهم وذلك منشؤه البعد الشاسع بين تعاليم الملة المحمدية والتربية التي يتكون عليها بنو الاسلام منذ احقاب فينشا المسلم بين اهل الاسلام وهو لا يعلم من هذا الدين الا النزر القليل جاهلا لما اختاره الله له من كمالات لاسلام غير عالم بما شرع له من النظم الاجتماعية العالية . لا يبحث عن مميزات دينه وبماذا امتاز عن سائر الاديان . لا يهمه ان يعلم كيف نشا هذا الدين والى اي حد بلغ المسلمون في سالف الازمان . لا يتطلب معرفة ما فرضه عليه نحو نفسه . وعشيرته . واهل بلاده . وسائر المسلمين في اي مكان . ومن كان هذا حال نشاته ويحيا بقية عمره في هذه الجهالة ظلمات بعضها فوق بعض كيف يتوصل الى ادراك معنى الاخوة الاسلامية التي تاسس عليها ركن هذا الدين . ومن اين لنا ان نلتمسها في افراد الامة بالمعنى الصحيح

فان من مظاهر حياة الامة ما يكون عليه افرادها من الصفات المتأصلة في نفوسهم الشاعر اهلها انها الدعامة التي قام عليها مجدهم وعزهم يحافظون عليها ويلقنها الشيوخ للشباب ويدرسها المعلم لتلاميذه وتعتمد عليها الام في تهذيب اخلاق ابنائها حتى تجري منهم مجرى الدم وترسخ في عقول الناشئة كما ارتكزت في نفوس من قبلهم . وبما ان التعاليم الاسلمية اهمل امرها . ولم تراعى في تكوين الناشئة من ابناء المسلمين منذ امد بعيد في سائر بلدان المسلمين لا بدع اذا اصبح المسلمون لا على نحو ما كان عليه اسلافهم ولم يجدوا في نفوسهم معنى تلك الاخوة التي وصف الله بها المؤمنين حيث يقول انما المؤمنون اخوة . وهل يجتمع الشمل والمسلمون لم يعتمدوا في تكوين نفوسهم وامتهم على الطريقة التي جمع بها الرسول الاعظم امته والف بين قلوبهم فاصبحوا على قلب رجل واحد . وما داموا لم ياتمروا بقوله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . واذكروا نعمة

الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناوكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون

فحري بمن في قلبه حبة خردل من ايمان ان يضع هاته الحقيقة نصب عينه ويطهر نفسه من داء التخاذل وينمي فيها الاخوة الاسلامية باوسع معانيها ويربي عليها ابناءه وعشيرته . ويذكر بها خلانه ويتحدث بها في مجالسه. حتى يتهيأ للعمل الجميع بمقتضى ما توجبه .وهنالك الفلاح المنشود من الجميع

ومما طرأ على هاته الاخوة فخلخل بنيانها وزعزع دعائمها النزعة الطائفية التي تغني بها ابناء هاته العصور وتعوضوا عن الاخوة الاسلامية بالفوارق الجنسية فاصبحت الامة التي كانت تفتخر بنسبتها الى الاسلام ولا ترضى عنه بديلا تنتسب اليوم الى جنسيات مختلفة . هاته تركية طورانية وتلك عربية واخرى فارسية اعجمية وهاتيك مصرية فرعونية وهاته تونسية وهلم جر . وتأصل هذا الداء في النفوس . فصار المسلم القادم من بلاد الهند الى ارض الاسلام ومدينة الرسول يعد اجنبيا عن البلاد واهلها لا يهتم احد منهم بامره ولا يهمه امرهم مثاله في بلاد الحجاز كمثله في بلاد اوروبا يلتجي في شؤونه ومصالحه الى قنصل دولته فارا من احكام المسلمين ويخاطب في شانه قنصل دولته ان صدرت منه مخالفة ليجري عليه ما يقتضيه قانون بلاده بحكم مقررات هاته الدول التي اعتبرت الفوارق الجنسية وهذا اعده اكبر الاخطار والمعول الصلب الذي اتخذ لتهديم الجامعة الاسلامية لا قدر الله . وبقينا نرى ان دعاة الاحلام واصحاب النهضة الحديثة اذا صح لنا ان نسميها نهضة يدعوا كل واحد منهم ابناء وطنه كما يعبرون الى التمسك بحبل الوحدة الوطنية . ويتغنى شبابهم باناشيد الوطنية . ويتحمس زعماؤهم في سبيل قوميتهم ووطنهم يجري ذلك في سائر بلاد المسلمين ويؤلفون احزابهم باسم الوطنية الجنسية .ويكونون جمعياتهم بهاته العقلية . وهنا اقف مستثنيا جمعيات الشبان المسلمين . التي اعتبرت هاته الفوارق حجر عثرة في سبيل النهضة الاسلامية المباركة. وتنبهت الى ان صلاح هاته الامة لن يكون الا بما صلح به اولها. فانتسبت الى الاسلام الذي هو الاخوة الجامعة. واخذت تنشر فضائل هذا الدين لاحياء ذلك المعنى في النفوس واعطت عضوتها لكل من ابلى في سبيل هذا الغرض الاسمى بلاء حسنا . ونتج عن سعيه مظهر من مظاهر الاخوة الاسلامية

فمن ذلك ما تكاتفت عليه جامعة الشبان المسلمين في هاته الديار وفي غيرها من بلاد المسلمين بالمشرق من السعي لفائدة اخواننا المسلمين منكوبي فلسطين وقام جميعها بدعاية طيبة تحقيقا للاخوة الاسلامية ونتج عنها اثر جميل من آثار الاخوة الاسلامية . وبذل المسلمون ما جادت به نفوسهم لاخوانهم في الاسلام ولو ما الاخوة الاسلامية ما جاد واحد منهم بماله الحريص عليه

وبمثل ذلك عملوا في الضائقة العظيمة التي لحقت اهل يثرب سكان مدينة الرسول عام ١٣٥٣ يوم كانت المدينة المنورة في مسغبة تشابهها من بعض الوجوه مسغبة بلادنا في هذا العام العصيب

فمثل هذا العمل لم يكن موجودا منذ زمن طروء فكرة الفوارق الجنسية ونؤمل من انتشار مبادي جمعية الشبان المسلمين بين كافة افراد الامة الاسلامية في سائر الاقطار والدعوة الواسعة النطاق الى نبذ تلك الفوارق وعدم الاعتداد بها واقامة هيكل الامة الاسلامية من جديد على التآخي الاسلامي الذي لا تماثله قوة . ولسنا نقول هذا على معنى هدم القواعد التي اتخذتها الحكومات في حكم رعاياها بل لكل قطر عاداته واوضاعه . وانما ننقم على ما كان منها غير مراعى فيه الاصول الاسلامية فان امام اصول الدين تضعف كل الاوضاع والعادات .

زد على ذلك ما يسنه المسلمون فيما بينهم افرادا وجمعيات واحزابا مما تصادمه قاعدة من قواعد الاسلام فهو ادعى للرفض واقرب الزوال واحسب ان الذي تركهم يسلكون تلك المسالك الوعرة هو عدم تحريهم ولو احتاطوا وطد المسلم نفسه على ان لا يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه ما وقع في محذور لجهالته ولادعى اخوانه المسلمين لما لا يلائم تعاليم دينهم الحنيف وليس هذا هو خاص بما نحن بصدده من شأن الاخوة الاسلامية . بل نقوله في اغلب الامور الاخلاقية والاجتماعية التي تبدل شكلها واصبح المسلمون يتباعدون عن طريقتهم المثلى التي جاءهم بها الاسلام رويدا رويدا وسرت فيهم امراض فتاكة لا كل الخضر على هيكل الامة باسرها . فانك اذا تصفحت المجلات الاسلامية على اختلاف اغراضها واوطانها تجد المصلحين يتذمرون مما حل بالمسلمين ويشتكون الى الله مما صار اليه المسلمون كل ذلك من مفعول هذه العدوى الفتاكة . ويخيل اليك ان الكاتب يصف اليك ما هو جار في بلادك ويشاهده في قومك . فالالم واحد والمرض واحد والامة واحدة . ولا مفعول ولا تاثير لدعوى اختلاف الاجناس .

على ان الامم التي رضخت الى اعتبار الجنسية في نظم حكوماتها وكونت لنفسها ولمن يتجنس بجنسيتها وحدة خاصة بسببها وتتبع بنو الاسلام خطاها ما لبثت حتى تبصرت وان هاته القيود لما احاطت بها من كل نواحيها وتركتها في معزل عن اشد الناس قرابة بها اخذت تحطم تلك القيود مرة تلو اخرى فمرة نسمعها تنادي ان لا جنسية في الاقتصاد لتفتح لابنائها المجال في تجاراتهم ومعاملاتهم مع سائر الاقطار واخرى نسمعها تقول ان لا جنسية في السياسة وعلى الامم التي تريد ان تحيا حياة ملؤها الاطمئنان على مستقبلها ان تزيل تلك الفوارق القديمة . وتكون جبهة واحدة متماسكة الاطراف ونحن اليوم ايجدر بنا ان نجهل مزايا الاخوة الاسلامية ايليق بنا ان نطلب الاتحاد ولا نقيمه على اساس الملة المحمدية

اين النجدة الهاشمية اين الغيرة الدينية اين الايمان الصادق . اين الشهامة والمنعة . اين الارواح الطاهرة . اين العزة . والله يقول . ولله العزة ولرسوله والمؤمنين . تيقظوا انتبهوا فان الله يقول ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . فالى متى ونحن عالة على من سوانا لا نمد يد الاخوة الى بعضنا وننسج على منوال اسلافنا ونحكم كتاب الله بيننا ونتمسك بما ارتضاه الله لنا والله قد ارتضى لنا الاسلام دينا فبذلك تتم لنا السعادة ونفوز برضى الرحمن .

محمد الشاذلي بن القاضي

تفشي استعمال المخدرات

بين شباب الامة

ان امراضنا الاجتماعية كادت تضرب الرقم القياسي العالمي بين امراض غيرنا من الامم فلنا في كل حلبة وميدان من ميادين السقوط الاخلاقي والانحلال الاجتماعي والامراض النفسية والعلل الروحية السبق والقدم المعلى فما جارتنا امة من امم الارض في هذا الميدان الا كنا المجلين عليها والرافعين لراية الاسبقية باليمين،

وان من افضع ما انتشر بين شبيبتنا المسلمة في العصر الحاضر وزاد في الطين بلة وعلى المريض علة داء المخدرات الروحية التي فتكت بالامة فتكا ذريعا حتى قطعت منا الوتين ورمتنا بـاخر سهم قضى على البقية الباقية من هيكلنا البالي ولابلاء العظم الدفين فما اكتفينا بما كان منتشرا بين امتنا في القديم من انواع المخدرات المهلكات حتى اضفنا اليها انواعا جديدة من انواع النشوق الذي اخترع اخيرا مجاراة لبعض الامم الحية التي اتخذت هذه الانواع الجديدة واضافتها لقائمة الكحول تفننا في ابتزاز عقول الناس واموالهم بدعوى التسلية وترويح النفس من عناء الاعمال ودفع الهموم ما امكن عن نفس الحزين والمهموم فقمنا نحن بقسطنا من الانتفاع بهذا المسلي المروح لنفوسنا حيث لا اعمال ولا اشغال وانما الراحة الدائمة والتسلية الدائمة والموت الزؤام

بل بززنا غيرنا من الامم جريا على عادتنا في ذلك فعكفنا عليه ووجهنا جميع قوانا الفكرية والجسمية للتحيل على اقتناصه ولو بتعريض انفسنا الى اشد الاخطار الحكومية من سجن واذلال وغيرهما من البلايا الجسام

وهكذا اخذنا في التقدم في هذا المضمار وعم استعمال هذه السموم البيضاء السهل والجبل واهل المدن والقرى فبتنا معرضين لادواء فتاكة اخرى تنخر عظم هذه الامة المسكينة التي لم يبق لها الا الانين

الا تعلمون يا قوم ان هذه البلايا التي اجتمعت علينا شأنها ان تؤدي بنا الى الفناء والانقراض فكأننا نريد ان نعين على محو هيكلنا من الوجود لتخلو الدار لمن يريدها بدون مزاحم ولا مشارك وهو العالم بطرق استثمارها والانتفاع بخيراتها. الا تعلمون ان هذه السموم زيادة على تأثيرها على قوى متناولها الجسمية والفكرية فهي تسلبه صحته الجيدة وعقله الناضج الذي فضله الله به على سائر انواع الحيوان وتعوضه عنهما جسما عليلا شاحبا منحل الاعصاب لايقدر على شيء وعقلا واهيا وفكرا

جامدا ليس له من العمل الجدي المثمر قليل ولا كثير

فيصبح صاحبه هيكلا فارغا وشبحا واقفا لايرجى منه نفع ولا اي عمل يفيد به نفسه او اهله او قومه فهي الانتحار القريب الذي لاينجو منه صاحبه ولو وضع نفسه في جوف الحوت او كبد السماء

وان من اشد ما يستوقف فكر المؤمل في مثل قضية الحال اننا امة ندعي الاسلام والغيرة عليه والدفاع عنه في وجه كل من يريد استنقاصه او تعييبه

مع ان ديننا من اعظم الاديان حرصا على حفظ بناء الامة من التلاشي والسقوط فقد احاطها بسور منيع بما سطره من القواعد والاصول التي تحفظ عليها هيكلها الاجتماعي وقوتها الجسمية والفكرية . فقد بنى الاساس على قاعدة وجوب حفظ الكليات الخمس وهي — العقل — المال — العرض — النفس — الدين —

ومعنى حفظها وجوب رعايتها وحراستها فرعايتها بالتربية والتنمية والسهر على مصالحها وامدادها بكل ما يقوي ظهورها في الامة وبروز خصائصها والانتفاع بمواهبها فاذا تهذبت ونمت وعرفنا كيف نقدر على استثمار خصائصها . كانت الامة الاسلامية امة علم وعقل غنية بما لديها من اسباب توسعة الثروة شريفة محترمة الجانب وبعبارة شاملة مستجمعة لاسباب الرفاهية والحياة الناعمة القوية النافعة على الحقيقة ومعنى حراستها وضع الحواجز المنيعة في سبيل انتهاك حرماتها والتعدي عليها مباشرة او من وراء ستار فكل ما في الشريعة من الزواجر وقوانين العقوبات والكفارات هو صد لكل معتد يريد انتهاك حرمة كلية من تلك الكليات الخمسة ففي حفظها حفظ الامة وضمان سلامتها وفي انتهاكها فناء الامة وانحلال اسباب رفاهيتها وسعادتها

وهكذا تجد مجموع الاوامر والنواهي خادمة ايضا لهذه الكليات فالاوامر تدخل في باب رعاية هاته الكليات بالتربية والتقوية والتنمية . والنواهي تدخل في باب صيانتها ومنع اليد الاثيمة التي تريد الاعتداء عليها او انتهاكها عن النيل منها

فمما استنه من الشرائع لحفظ العقل الذي هو دعامة الامة ولب قواها الرئيسية السارية في شرايين افرادها تحريم المسكرات والمخدرات وكل ما يمس جوهرة العقل بالتضعيف فضلا عن الازالة فعدت سائر انواع المسكرات والمحدثات في الفكر حالة غير اعتيادية تجعل العقل غير قادر على القيام بعمله العادي بحيث يميل الى التخدر والسكون ويعوقه عن العمل الجدي المثمر عدته محضورا يجب تجنبه والتباعد عنه وبالغت في التحذير منه حتى عدت القليل منه الذي لا يحدث هذا التاثير السيء في العقل مثل الكثير احتياطا لحفظ العقل ومبالغة في حراسته وتنبيها على ماله من المنزلة والمكانة عند الشارع فان القليل قد يجر الى الكثير فيخشى من استعمال القليل ان يكون مدعاة الى الاستزادة

منه حتى نصل الى المقدار المضر فنقع في انتهاك ما يحرص الشارع غاية الحرص على انمائه وحفظه من كل ما من شانه اضعافه فضلا عن الاضرار به

ولقد عد الشارع الخمر مفتاح الشرور (١) وام المهلكات وينبوع الفجور فبالغ في التحذير منها والاغراء بالتباعد عنها صونا للعقل وحفظا له من سمومها فقد حرمت الخمر في القرءان ثلاث مرات كما جاء في مسند احمد واعلن الشارع تحريمها جملة بعد الاستيناس لذلك بتحريمها في حالات خاصة فامر صلى الله عليه وسلم بالخمر فاهريقت بعد تحريمها في اسواق المدينة

وفرض اقامة الحد على شاربها (٢) هذا زيادة عما توعده به من الطرد عن رحمة الله (٣) وحرمانه من شربها في الآخرة (٤) كما توعده العذاب الاكبر (٥) كل ذلك تنفيرا منها وايذانا بعظيم خطرها، وليلحق بها كل ما كان من نوعها في الاسكار والتخدير من سائر انواع الكحول والنشوق اذا كان مفعوله كمفعولها في غير الحد لانه لا يثبت بالقياس كما قرر في الاصول فليعتبر المؤمن بهذا وليتق الله ربه . وما الله بغافل عما يعملون

محمد الهادي ابن القاضي

سعادة الامة بتعاون افرادها

بقية المنشور بصفحة ٤٠٠

ومع كل هاته الشدائد التي يقاسونها وهاته النكبات التي يلاقونها فهم ما زالوا دائبين على مواصلة الجهود لحفظ دينك القويم ولغة كتابك المبين ليقوموا بتبليغهما لابنائك اجيال العصور الاتية

فلا اخال واحدا من ابناء الامة التونسية يبخل بفرنكين في الشهر يقدمها لجمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه تخفيفا لبلواء من انقطع من ابنائهم لحفظ علوم دينهم القويم وقانون حياتهم الحكيم والذود عن حياضه

ايها التونسي النبيل بتقديمك هذا المقدار الزهيد تكون معينا على بث المعارف في قومك تكون عاملا على حفظ دينك ولغتك تكون مخففا لبعض من بلواء المصابين والخروج بهم من هاتيك التعاسة التي خيمت بكلكلها الثقيل عليهم

بتقديمك فرنكين فقط لهاته الجمعية تكون منقذا لبعض افراد امتك من داء الجهالة العمياء منقذا لهم من ظلمات مستقبلها الوخيم محققا لهم السعادة ولامتك الهناء ورغد العيش

بتقديمك فرنكين تكون دارئا عن امتك عارا يلحقها ممن لم يتذوقوا طعم العلم وتهذيب الاخلاق الذين يصبحون قذى في اعينها مجلبة الخزي والعار لها فحققوا الامال فيكم وقوموا بواجبكم

---

(١) في سنن ابن ماجة ومسند احمد الخمر مفتاح الشرور

(٢) في سنن ابي داود والترمذي وابن ماجة ومسند احمد من شرب الخمر فاجلدوه

(٣) في سنن ابي داود وابن ماجة ومسند احمد لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها

(٤) جاء فيما رواه الستة من شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة

(٥) في مسند احمد مدمن الخمر كعابد وثن وزاد الطيالسي في مسنده وجزاؤه جنهم

الوعظ والارشاد

خطبة منبرية

الحمد لله الذي امرنا بالاستقامة . وحذرنا من الوقوع في هاوية الفساد ونصب عليها علامة . فشرع لنا الاسلام وارتضاه لنا دينا . وخصنا برسوله الاعظم من بين سائر الامم الغابرة . فقام باعباء الرسالة فكان رسولا امينا . احمده سبحانه وتعالى على نعمائه . واشكره جل جلاله وأستمنحه ان يهدينا طريق اصفيائه . واشهد ان لا اله الا هو الكبير المتعال . واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله نور الجمال . وروح الجلال وبهاء الكمال . وسر الفضيلة والافضال . صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . وفي سبيل الله جاهدوا وقاوموا . وباعباء هذا الدين قاموا . فما ضعفوا ولا استكانوا . ولا ذلوا ولا استلانوا . رضي الله عنهم رضوا عنه واعد لهم اجرا عظيما .

اما بعد فيا معشر الموحدين . ما لي اراكم عن تعاليم الاسلام معرضين . وبسفاسف الامور مشتغلين . خيم عليكم الجهل فظننتم الرذيلة فضيلة . وانعكست الحقائق ولم تنتج في الاصلاح أي حياة استحسنتم تقليد الافرنج فضاعت خطاكم . واهملتم شؤونكم العامة والخاصة حتى تحكم فيها سواكم . اضعتم تراث الاجداد ثم رفعتم اصواتكم هل من مجير . وهتكت الاعراض على مرأى ومسمع من العظيم والحقير واذا خاطبت احدا اجابك ان الاقلاع عن ذلك امر عسير . وان هذا لعمري جواب من لا يحسن التدبير .

يا قوم ان الخطب قد اشتد . وبلغنا في الاستهتار بالمحارم الى ابعد حد . فما هذه الموبقات وتلك المنكرات التي تقع في كل وقت وحين . ممن ينتمون الى الدين ويدعون انهم من المسلمين . والدين من اعمالهم يتفجع . والاسلام من شناعة ما ارتكبوه يتوجع . نساء كاسيات عاريات . مائلات مميلات مازورات غير ماجورات . ورجال ماضون في ارتكاب السيئات . راضون باتيان المنكرات . وشبان مرقوا من الدين . وتركوا طريق المسلمين . وها قد حل موسم الصيف بفجائعه . وجاء زمن الحر بفظائعه . فترى الفضيلة يجهز عليها في الطرقات وسوق الرذيلة تروج على شواطىء البحار وفي المنتزهات . وفي المصائف يعتدى على الاسلام امام الآباء والاخوة والاعمام

ولا تقولوا ايها الاخوان هم المذنبون . ونحن العابدون . ولا تقولوا هم المارقون . ونحن المسلمون المخلصون . فان العذاب اذا نزل يعم الفاسق والصالح . ويشمل العابد والطالح (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)

فابحثوا معي ايها الاخوان عن الاسباب .

ما السبب في هذه الاباحة التي غمرت عقول المسلمين . ما السبب في هذه الشناعه التي اصبح خطرها يشمل غير المستهترين . ما السبب في هذه الرزايا التي عمت الشبان والشابات . ما السبب في هذه الفوضى التي تركتنا لا نتحاشى عن السيئات . يا قوم ان سببها ترك التواصي بالخيرات . والتناهي عن الشرور والآفات . واهمال الامر بالمعروف والنهي عن المنكرات . سببها التهاون بالتعليم الديني والتربية الاسلامية . حتى صار الولد ينشأ ولا يعرف من الدين شيئا فتلك هي البلية . الله الله عباد الله

راقبوا خالقكم فيما وهب لكم من البنين والبنات . وأحسنوا تربيتهم على القواعد الاسلامية ولا تزجوا بهم في مواطن المهلكات .

لقنوهم القرءان وادبوهم بآدابه . واقتدوا به صلى الله عليه وسلم فيما كان يؤدب به اصحابه وذكروهم في الله وما يقرب لديه . وانشروا بينكم سيرة رسوله (صلى الله عليه وسلم) كي يتخلقوا بها فان المرء يشيب على ما شب عليه .

ولا تاخذكم فيهم رافة وانصحوا المسلمين كافة . وقاوموا اهل الدعارة ولو كانوا من الخاصة

واخرج الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : خالفوا المشركين : وفروا اللحى واحفوا الشوارب .

وروى البخاري من طريق ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل . وشاب نشأ في عبادة ربه . ورجل قلبه معلق في المساجد . ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله . ورجل تصدق اخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

وفقني الله واياكم لصراطه المستقيم . واجارني واياكم من عذابه الاليم . وحشرنا جميعا تحت لواء رسوله الكريم . الا ان احسن در تشنفت به الاسماع . وابلغ وعظ تميل اليه الطباع . كلام مولانا العزيز المطاع . اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . يأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

صدق الله العظيم .

احتفال جمعية اعانة الضعفاء

من تلامذة الجامع الاعظم بفتح (مدرسة الهداية)

اقامت (جمعية اعانـة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم) مهرجانا كبيرا بمناسبة فتح (مدرسة الهداية) التي حبسها الفاضل الخير التقي السيد الحاج احمد بن الامين لسكنى التلامذة الذين تعولهم الجمعية المذكورة . وها نحن نـقدم لقرائنا الافاضل وصف المدرسة المحتفل بافتتاحها ووصف الاحتفال البهيج الذي اقيم بها .

وصف المدرسة

تقع المدرسة بنهج الرابطه عدد ٨٩ قرب الججامين . وهي فسيحة الارجاء . جميلة البناء . نقية الهواء . موضوعة وضعا محكما من حيث الهندسة والتقسيم وكثرة المرافق . وبها طابق سفلي ءاخر علوي . تحتوي على ستـة وعشرين بيتا معدة لسكنى التلامذة . اصغرها يكفي لسكنى ثلاثة تلامذة بغاية الراحة . واكبرها يسع ستة . فهي في مجموعها صالحة لسكنى مائـة وعشرين تلميذا وتحتوي على مطبخة كبيرة . ومحل لصنع الخبز . ومحل لاكل التلامذة . وقسم كبير ليكون مقـرا لادارة جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم

وهذا زيادة على بيوت الوضوء ومحلات الاستحمام . وبوسطها بئر معينة .

اقيمت هاتـه المدرسة في موضع دارين كانتا معدتين للسكنى . فاشتراهما السيد الحاج احمد بن الامين من ماله الخاص وهدمهما واعاد بناءهما بشكل المدرسة المذكورة . وحبسها على خصوص الفقراء من تلامذة الجامع الاعظم ادام الله عمرانـه الذين تعولهم الجمعيـة . وجعل نظر المـدرسة من حيث الادارة ومراقبة التلامذة وتوزيع البيوت راجعا للجمعية . فقبلت الجمعية منه هذا التحبيس وقدرت عمله حق قدره . واقامت احتفالا بهيجا بمناسبة فتح المدرسة وتسلمها من يد مؤسسها الفاضل

وصف الاحتفال

على الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس في ٢٣ جمادى الثانية وفي ٢١ جويلية الجارين كان موعد الاحتفال المذكور .

وقد زين صحن المدرسة بالزرابي المبثوثة والمقاعد الوثيرة . ووضعت في صدره منصة عاليـة لجلوس الشخصيات البارزة التي ستحضر بهاته الحفلة واستعد رئيس الجمعية حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد العزيز النيفر النائب الاول لشيخ الجامع الاعظم وبقية اعضائها لقبول الزائرين . فكانوا يقتبلون الزائرين بانفسهم كل واحد بما يليق به من الاكرام والمجاملة .

وقد اراد جلالة ملكنا المعظم سيدنا احمد باشا باي ابقاه الله ان يظهر عنايته بالجمعية وبهذا المشروع فارسل نيابة عنه نجله الاكبر سمو الامير سيدي الطيب باي . وبصحبته صاحب الطابع ورئيس الدائرة السنية سيدي الحبيب العلام . كما حضر صدر الدولة المولى الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة وبصحبته رئيس ديوانه نجله السيد العزيز الاخوة . وحضر فضيلة شيخ الجامع الاعظم الشيخ سيدي صالح المالقي . وفضيلة الشيخ سيدي الطيب بيرم المفتي الحنفي . وفضيلة الشيخ سيدي الطيب سياله القاضي المالكي . والشيخ سيدي محمد حمده الشريف الامام الاول بالجامع الاعظم ونقيب الاشراف . والشيخ سيدي محمود محسن الامام الثاني بالجامع الاعظم وبعض اساتذة الجامع الاعظم ومدرسيه من الطبقات الثلاث . والشيخ الحبيب بن المختار القاضي قاضي مدينة القيروان . وكثير من الاعيان والفضلاء في مقدمتهم السيد عبد الكبير درغوث الكاهية الملحق بادارة شيخ المدينة نيابة عن الهمام المفضال سيدي مصطفى صفر شيخ المدينة ومتعذرا عن تخلفه كما اعتذر بمكتوب لطيف الهمام السيد محمد سعد الله مدير الاوقاف

وعلى الساعة الخامسة والنصف وقع افتتاح الاحتفال بتلاوة ءايات من القرءان العظيم . وبعد ذلك طلع حضرة رئيس الجمعية الى المنصة واعطى الكلمة لفضيلة شيخ الجامع الاعظم وقال : ان فضيلته يعتبر الرئيس الاعلى لجميع المشاريع والاعمال العلمية

فوقف فضيلة شيخ الجامع والقى خطابا بليغا اثنى فيه على مؤسس المدرسة ودعا له بخير . وحرض الناس على الاقتداء به . وشكر جلالة الملك المعظم على اعتنائه بشان الجمعية وجميع المؤسسات العلمية حيث ارسل نجله الاكبر نائبا عنه . كما شكر دولة المولى الوزير الاكبر على اعتنائه المتواصل بشان جامع الزيتونة وما يرتبط به حيث حضر بنفسه في هذا الاحتفال . ثم شكر مشائخ المجلس الشرعي وجميع الهيئات العلمية . واثنى بالخصوص على جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وعلى الاخص رئيسها الهمام .

وبعد ما انتهى وقف حضرة رئيس الجمعية الشيخ محمد العزيز النيفر والقى خطابا نفيسا كرر فيه الثناء على مؤسس المدرسة وشكر جميع الهيئات التي شاركت في هذا الاحتفال . وخص منها بالذكر من يلزم تخصيصه . وتعرض لاعمال الجمعية باختصار وشكر سائر الناس الذين مدوا لها يد المساعدة وتعرض للاعانة الدولية فذكر ان المجلس الكبير قرر اعانة رسمية للجمعية من عام ١٩٣٧ ولكن وقع سوء تفاهم بين اعمال المجلس الكبير والحكومة نشأ عنه ان تعطلت الاعانة حتى ان الجمعية لم تتصل بها الى الآن . ورغب من الحكومة ان تلتفت للجمعية وتمد لها يد المساعدة نظرا للاعمال الجليلة التي تقوم بها .

وبعد ما انتهى اعطى الكلمة لحضرة الشيخ محمد المختار بن محمود المدرس من الطبقة الاولى

بالجامع الاعظم وكاتب الجمعية . فارتقى الى المنصة والقى خطابا استهله ببيان حاجة الامم الى العلم وانه السبب الوحيد في رقيها . ولا سيما الامم الضعيفة التي تفشى فيها الجهل مثل الامة التونسية فانه يجب عليها ان تبذل غاية جهدها وجميع قواها في سبيل نشر العلم . لا فرق بين العلوم النظرية والعلوم العملية التي بها ترقت الحضارة في هذا العصر وبلغت الى غاية الكمال . ثم تعرض لتاريخ الجمعية وما مر من الادوار على تاسيسها واتى في ذلك ببسطة تاريخية وافية . ثم بين اعمال الجمعية بغاية التفصيل والتدقيق من يوم شروعها في العمل الى شهر جويلية الجاري . ثم تعرض لما بذلته الجمعية من الجهود في جمع المال وما لاقته من المساعدات من عموم التونسيين . وبين ان مالية الجمعية قد ضاقت عن القيام باكثر من الاطعام . وتخلص من ذلك الى الثناء على مؤسس هاته المدرسة الذي سد حاجة الجمعية من هاته الناحية . ثم وجه نداء عاما لعموم الناس ليمدوا للجمعية يد المساعدة . وختم خطابه بتقديم اقتراح لجلالة ملكنا المعظم ابقاه الله بان يبني مدرسة لسكنى تلامذة الجامع اقتداء بعمل اسلافه الملوك العظام .

وبعد ما انتهى وقع الشروع في قراءة قصة المولد للبرزنجي فقرأ القسم الاول منها الشيخ حمودة ابن يحيى . وقرأ باقيها الشيخ محمد غليونجي . وكان ذلك بمشاركة الشيخ حمودة بن المهدي وجماعته الاخيار . وكانت حصة جميلة تعالت فيها الاصوات الحسنة بالاذكار والاناشيد النبوية . وسقي الحاضرون اثناء ذلك انواع المشروبات اللذيذة . واخذت عدة صور للحفلة من المصور القلعي .

وبالانتهاء من ذلك انتهى الاحتفال فودع اعضاء الجمعية ضيوفهم بمثل ما اقتبلوهم به من الاكرام والاحترام . وتبرع بعض الحاضرين على الجمعية اثر الاحتفال بما جادت به هممهم جزاهم الله خيرا .

ونحن نشكر مؤسس المدرسة الفاضل السيد الحاج احمد بن الامين على هذا العمل الجليل الذي قام به . والذي سيخلد له في صفحات التاريخ . وندعو اصحاب الهمم العالية من ابناء بلادنا الكرام الى الاقتداء بهذا المحسن الفاضل . فان افضل عمل يقدمه الانسان بين يديه يوم تجد كل نفسٌ ما عملت من خير محضرا هو فعل البر والعمل الصالح . لا سيما ماكان في سبيل نشر العلم وتسهيل سبل تحصيله .

كما نشكر المشايخ الاجلاء اعضاء مجلس جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم سيما رئيسهم الهمام على مالهم من الاخلاص نحو هذا المشروع الجليل . وعلى المجهودات القيمة التي يبذلونها دائما في سبيل نجاحه . والله الموفق لما يحبه ويرضاه .

شــذرأت نـقـديــة

على هامش المقال المدرج بصحيفة ٧٣٢ من العدد ٢٥٢ من مجلة الرسالة المصرية الفيحاء تحت عنوان آراء حرة بين العقاد والرافعي للاستاذ سيد قطب فعن لي ان علقت عليه ما ياتي ٠

لا يخفى ان ناقد الادب كناقد الذهب القائم بجهبذته على معرفة ذوقه وعياره فكما ان لنقد النضار في النظم العمرانية اثره وجدواه كذلك لنقد الشعر في تقويم العالم الادبي تحريره ومزاياه اذ به احقاق الحق وابطال الباطل وانضاج الادب واذكاء جذوته والهز من عطف ذويه حتى تنشط مواهبهم للابداع وتدب فيهم الحياة ومن احياها فكانما احي الناس جميعا

بيد ان هذا النقد لا يفعل مفعوله الا اذا سوته الامانة والنزاهة ونفخ فيه الاخلاص من روحه فاذ ذاك تتلقاه العقول بالقبول وتضل له الاعناق خاضعة

والا فما هو من عمل المصلح لما ينجم عنه من تكدير موارد الفطرة ووأد المواهب وادا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت ...؟

ما كان هذا ليذهب او ليتوارى بالحجاب عن بصارة الماسوف عليه المغفور له الاستاذ الرافعي وهو من هو علما وحكما حتى يقول في نقده لقول العقاد

التي لهن بقوسه « قزح وادبر وانصرف   فلبسن من اسلابه » شتى المطارف والطرف

فقزح لا يلقي قوسه ابدا اذ لا ينفصل منه قال في اللسان « لا يفصل قزح من قوس » فاذا امتنع فكيف ادبر وانصرف الخ

اني لاعوذ للاستاذ الرافعي بالله ان يكون هذا النقد هو ما استيقنته نفسه الكبيرة المحلقة بالحد الاعلى في البلاغة حتى يسجله في سجل النقد وهو اثمد البصائر ويتركه آية في العالمين

ولكنها العاطفة الغالبة جرف سيلها فما استطاع التخلص من غمراته

ثم من انبأك ايها الاستاذ بان المقام مقام تحقيق وحس حتى تتحرى وتهب لجلب النصوص في رد تلك الدعوى أذهب عنك ان المقام خطابي وان الشعراء يقولون ما لا يفعلون ولا يعتقدون ما كان العقاد وهو من هو ايضا ادبا ونبوغا ليتغلغل في البله والفهاهة لهاته الغاية

وانما هو شاعر تأدى به خياله على ضوء قولي الاسم والمسمى (قوس) فرأى الوصلة مستحكمة بين قوسي السحاب والنشاب فشبه ورشح وتظرف ما شاء وتماح فجعل بين قوس قزح وبين الحسان بشاطيء استانلي منافسة في الحسن والجمال افضت بهما الى المقاتلة والحراب فصال هذا بقوسه ونشابه

وصال الفريق الآخر برماح القدود (وتفاح) النهود وسيوف الاعين النجل التي هي امضى موقعا من كل هندي وكل يماني فهبت الصبا لمناصرة من باريتها رقة ولطافة فاصبحن المؤيدات الظاهرات والقى لهن القرن بسلبه ونكص على عقبيه

على ان العقاد في ذلك لم يجيء ببدع من القول فلقد سبقه اليه من يقول

يطرزها قوس السحاب باحمر ❁ على اصفر في اخضر تحت مبيض ❁ كاثواب خود أقبلت في غلائل ❁ مصبغة والبعض اقصر من البعض ❁

فهذا هو سلفه الذي استحدث هذا التشبيه والعقاد انما هو مطوره والمتصرف فيه التصرف المالوف امثاله في الصناعة

ولعمري انه لقد تظرف ما شاء في تصرفه حتى لا يكاد يشعر بالماخذ وهذا نمط من اتقان الصنعة ومهارة الصانع يخرج به التشبيه والاستعارة من حد الابتذال الى العزة والندرة ولهم فيه مئارب اخرى يتبين ذلك لمن خالط دواوين الادب وبصر بوجوه النقد

اذن فلسان حال العقاد يقول

اذا محاسني اللاتي اصول بها كانت ذنوبا فقل لي كيف اعتذر

ثم اني لا ارى تسمية العقاد عقادا الا ظاهرة من ادراك حرفة الادب التي تقعد لكل اديب بالسوي من صراطه

والا فهو حلال لاعقاد، وتسميته بذلك انما هي من اسماء الاضداد

فلقد فتح لي الوقوف على بيتيه الظريفتين الباب فتطرقت الى تشبيه ذلك القوس من ناحيتين لم اعلم لي من قبل فيهما سميا اذ قلت

كان الغواني وقوس السحا ب لدى لهوهن بشاطيء البحر
عقال حرير تخطينه بقفز فما نالهن ضرر
وتحسبه السمط احكم فتلا تدلى لينظم تلك الدرر
فما نالهن اعتقالا ونظما وفي حبلهن قلوب البشر

هذه حسنة العقاد اعترف له بها حتى اكون ممن اسكن الدار بانيها واعطى (القوس) باريها وختاما امت الى كل اديب بالصلة الادبية واستشفع اليه بذمة الادب وحرماته وبما لديه من حرص على نموه وحياته ان يربأ به عن الغايات ابقاءا عليه واكبارا لجانبه وان في عموم النواحي لمندوحة عن ناحية الادب المقدس والحق لا يخفى على ذي بصيرة

الناصر الصدام

(المدرس بجامع الزيتونة)

الادب

القى الشاعر المجيد الشيخ محمد المقداد الورتتاني قصيدة غراء على مسامع المولى الوزير الاكبر يوم سفره لفرنسا الاستشفاء بمياه بلد موندور المعدنية واليك هي

سفر الوزير موفق مامون ... ورجوعه عقب الشقا ميمون
الف الترحل مغنما وتبصرا ... والسير مضمون المنى مسنون
تسعى اربة ان يزور ربوعها ... ولها بذلك مغنم وشئون
وتود طول حياته وهباته ... ومياهها لشفائه عربون
واروبة دار العلاج لبرئنا ... لكن لها في الطائرات منون
مثل السحاب به الندى وصواعق ... والجد فيها بالغ ومجون
لحقت وفاقت من مضى بمعارف ... ولها باعمال الرقي قرون
فالاجتهاد والاتحاد شعارها ... لما النجاح عليهما مرهون

❁ ❁ ❁

ثغر التجارة في اربة باسم ... وافى به للقا الوزير الرون
وليون تقبله بقاب فرنسة ... يجري الى الترحاب فيها الصون
شحت به مندور عن فيشي واف ... يان ونعم الجوهر المكنون
واذا تموز اصهرتنا ناره ... فهواء مندور به كانون
ضنت بهاد وهو عنوان الهدى ... ان الشريف بفضله مضنون
شمخت انوف جبالها تيها بمن ... شهدت اليه الغرب والجابون
واذا اميركة سألت سفيرها ... عن صدر تونس قال واشنطون
فاذا تكلم فهو سحبان وان ... خاض السياسة فهو افلاطون
واذا يشبه بالكواكب رفعة ... فمقامه الاعلا بها نبتون
اخلاص الاخوة للامير وقطره ... بتقى الاله كلاهما مقرون

❁ ❁ ❁

متأزر بعزيمة ونزاهة ... فكانه لاميره هارون

ومناه ان حظوظنا موفورة ومدى الحيا تاج الامير مصون
حسنات احمد جمة واهمها هذا الوزير به تقر عيون
فالقطر من اعماله وخلاله ويراعه ودفاعه ممنون
لوزير تونس خلة معروفة الصدق والاخلاق والقانون
حصن الشريعة والامير حفيظها فرئيسها النعمان او سحنون
ورجا العلوم واهلها فهم كمن انسابهم زيدون او خلدون
منن الوزير كثيرة واقلها من دونه الالاف والمليون
فاعتاض من تلك الثنا ثمنا لها يا حبذا المنقود والمثمون
وامتاز شاعر تونس بمديحه وانهل منه النثر والموزون

❀ ❀ ❀

يا راكبا جفن البحار بذاته وخياله ما قد حوته جفون
يا ليتنا كنا بشيكاغو التي فيها البعيد يريه تليفون
فالصدر يرحل والصدور مقره وله صدور الساكنين حصون
ولكائد ومضادد ولحاسد فرط الاهانة واللئيم يهون
هذا القريض مخلد ذكراكم ورواته احفادنا وبنون
لا يزدري بلسان صدق بعده الا الذي بغروره مفتون
فالشعر لا تبلى سبائك تبره ونعيه من بعد السنين سنون
وتزيد في تعليقه وعلوقه حكم حوى اعلاقها وفنون
والذ مرغوب به تنويعه ان الحديث كما علمت شجون

❀ ❀ ❀

سر في حمى شرف الرسول وءاله وبهم لديكم ما تريد يكون
في منعة ووديعة اللطف الخفي ذات الوزير وفلكه المشحون
يحميه ما يتلوه قربة عابد قاف وصاد في الكتاب ونون
لاقت من الاسفار حفظا بداءها ومعادها حركاتكم وسكون



اعمال مجلس اصلاح التعليم
بالجامع الاعظم

اخبرنا في عدد صفر المنصرم بانعقاد مجلس اصلاح التعليم بالجامع الاعظم بعد انضمام عدة افراد لاعضائه الاصليين من بين رجال العلم والادارة . للنظر في المطالب الزيتونية . ولخصنا ما وقع في الجلسة الاولى من الاعمال . واشرنا الى ان جلسته الثانية تعين انعقادها ليوم السبت ١٥ صفر و١٦ افريل المنصرمين . ولكن طرأت موانع افضت الى تاخير الاجتماع عن الموعد المذكور .

ثم بعد تهيء الاسباب انعقدت الجلسة الثانية في يوم السبت ٢١ ربيع الاول و٢١ ماي المنصرمين على الساعة الرابعة مساء بدار الباي (في بيت الفطور) (١) تحت رئاسة وزير القلم والاستشارة الشيخ باش كاتب سيدي احمد بن الرايس . وحضرها من الاعضاء الشيخ سيدي صالح المالقي والشيخ سيدي محمد العزيز جعيط والشيخ سيدي بلحسن النجار والشيخ سيدي الطيب سيالة والمشايخ السادة : الصادق المحرزي ومحمد الصالح بن مراد ومحمد الزغواني ومحمد المختار بن محمود ومحمد الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي واحمد شلبي والتهامي الزهار والصادق ابو السرور وعلي التريكي والسادة محمد بن الخوجة ومحمد قاسم ومصطفى صفر ومحمد سعد الله والبشير البكري والصادق التلاتلي ومصطفى الكعاك وحضر الشيخ عبد العزيز بن شعبان والسيد محمود بن عثمان كاتبا الجلسة

وتخلف الشيخ سيدي احمد بن مراد والشيخ السيد معاوية التميمي لعذر

وقد ذكر جناب الرئيس في افتتاح الجلسة ان الغرض اليوم هو تقسيم اعمال المجلس وتكوين لجان فرعية لتنظر في المطالب المعروضة

وبعد محاورة تقسيم اللجان استقر الراي على تكوين لجنتين فرعيتين تسمى احداهما (اللجنة العلمية) وتسمى الاخرى (اللجنة المالية) وتختص الاولى بالنظر في المطالب المتعلقة بالاصلاح العلمي وما يرتبط به . وتختص الثانية بالنظر في المطالب المتعلقة بالناحية المالية وما يتعلق بها .

وكان من المتعين ان تسند رئاسة اللجنة المالية لفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط ورئاسة اللجنة العلمية للشيخ سيدي بلحسن النجار ولكن لما عرض ذلك على فضيلة الشيخين امتنعا من القبول مفضلين عدم الاشتراك في اللجان الفرعية بالمرة والاقتصار على المناقشة في اللجنة العامة . وقد الح الحاضرون على فضيلتهما بالقبول لان ادارة مثل هاته اللجان التي لها صبغة فنية علمية انما يصلح لها امثالها ولكنهما اصرا على الامتناع . وعند ذلك اقترح جناب الرئيس اسناد رئاسة اللجنة العلمية للسيد محمد ابن الخوجه واسناد رئاسة اللجنة المالية للسيد محمد سعد الله فوافق الحاضرون على ذلك .

---

(١) هذه البيت في سراية المملكة معدة للطعام عند ما تقع احتفالات رسمية يحضرها مولانا الباي المعظم وفيما سوى ذلك فهي معدة للجلسات العامة التي تعقدها الحكومة لمهمة من مهمات الدولة

ثم انتخب بعد ذلك اعضاء كل من اللجنتين . فانتخب للجنة العلمية المشايخ السادة الصادق المحرزي ومحمد الزغواني ومحمد الفاضل بن عاشور ومعاوية التميمي والصادق التلاتلي والتهامي الزهار علي التريكي

وانتخب للجنة المالية المشايخ السادة محمد الصالح بن مراد ومحمد المختار بن محمود والشاذلي بن القاضي والبشير البكري ومصطفى الكعاك واحمد شلبي والصادق بو السرور

ثم وقع النظر في جملة المطالب المعروضة على اللجنة من طرف الدولة بصفة مجملة ليرجع كل مطلب الى اللجنة المختصة به . وقد تلى كاتب الجلسة جملة المطالب التي كانت قد طبعت من قبل ووزعتها الادارة على اعضاء المجلس . وقسمت الى مطالب علميه ومطالب ماليه . وعلمت كل لجنة المطالب الراجعة اليها وانتهت الجلسة اثر ذلك

وبعد انتهاء الجلسة اجتمعت اللجنتان الفرعيتان . واتفقتا على برنامج العمل ومواعيده . وانتخبت اللجنة العلمية الشيخ الصادق المحرزي نائبا للرئيس والشيخ محمد الفاضل بن عاشور مقررا عاما وانتخبت اللجنة المالية الشيخ محمد الصالح بن مراد نائبا للرئيس والشيخ المختار بن محمود مقررا عاما

ثم توالى اجتماع اللجنتين بعد ذلك في دار الباي . ورغما عن اشتداد الحر فقد كانت الجلسات تقع باستمرار وتستغرق ساعات طويلة حرصا من اللجنتين على انجاز اعمالهما في اقرب وقت

وبعد ما انتهت كل لجنة من عملها عقدتا جلسة مشتركة على الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين ٢٩ ربيع الثاني و٢٧ جوان المنصرمين للمفاوضة في بعض المطالب التي لها شائبة تتعلق بكل لجنة

ثم سلمت كل من اللجنتين تقريرها للدولة في اوسط شهر جمادى الاولى وجويلية المنصرمين . ولم يبق الآن الا عقد الجلسة العامة لتنظر في تلك المقرارات حتى يقع عرضها على الدولة بصفة رسمية ليقع انجازها بحول الله

والى ساعة كتابة هذا لم تاذن الدولة بعقد الجلسة العامة . ونحن نرجو من الدولة ان تاذن بعقدها في اقرب وقت قبل انتهاء الراحة الصيفية حتى لا يجيء العام الدراسي الجديد الا بعد تهيئة الاسباب للعمل بمقررات المجلس . وحتى يضرب بسهم في ميزانية السنة المقبلة للمقررات التي تتوقف على تقرير اعتمادات مالية . اذ بعد امد قريب تشرع الحكومة في تقرير الميزانية الجديدة . وتقرير الاعتمادات المالية المطلوبة في صلب الميزان احسن من الحاقها من بعد في اثناء جلسات المجلس الكبير

(ملاحظة) نشرنا في العدد السابق خطبة فضيلة شيخ الجامع الاعظم التي القاها في افتتاح مجلس اصلاح التعليم . ولم ننشر الخطبة التي القاها جناب المقيم العام م . ارمان قيون في افتتاح الجلسة المذكورة ولم يكن ذلك عن اهمال منا بل كنا نود نشرها تسجيلا لجميع ما وقع في تلك الجلسة . لا سيما وخطبة جناب المقيم العام لم تكن من الخطب الادارية الجافة بل هي خطبة ذات صبغة علمية ونظرة فلسفية وفيها اعتراف بما للجامع الزيتونة من الايادي البيضاء على الثقافة العامة بهذه البلاد . ولكن الجرائد اليومية لم تنشرها فلم نتمكن من نقلها عنها . ثم طلبناها من القسم الاول فاجابنا رئيس القسم الاول بعد تكرير الطلب بانه غير ماذون بتسليمها الينا

وقد تعجبنا من ذلك كثيرا . لاننا لم نعهد ان خطابا رسميا يلقيه ممثل الحكومة الفرنسية في مجلس رسمي يقع اغفاله وعدم نشره في الصحف اليومية ثم تطلبه مجلة تريد نشره فلا يجاب طلبها .

وغالب الظن ان جناب المقيم العام عند ما يطلع على هذه الملاحظة سياذن بان يسلم لنا خطابه حتى ننشره في العدد المقبل بحول الله

بريد المجلة

تقريظ

وافانا هذا التقريظ من الاديب السيد الطاهر بن محمد وارده مذيل بقصيدة في نفس الغرض للعالم الشيخ حسن بن جمعة مقديش يطلب نشرهما ونحن نزول عند ارادته ننشرهما شاكرين للشيخ مقديش والسيد وارده عاطفتهما النبيلة

اليكم ايها السادة الفضلاء والاباء النبلاء هذه يدي ايها الاخوان امدها الى مجلتكم الفيحاء وقلبي ملؤه الايمان بهذا العمل الذي ما اسس الا للدعوة الى الله . ومن احسن قولا ممن دعى الى الله . لقد بذلتم الجهد في عمل كم صبت اليه النفس وهام به القلب بل وتعلقت باسبابه الروح فها نحن اولاء على ثمرة عملكم وعلى نور جهادكم الصادق تبصر اعيننا ما كنا نتمنى ونرجو وتلمس ايدينا ما كانت منه هواء

كلمتي اذيعها من أعماق قلبي وان يتلقاها الا قلب ملؤه التيار الذي به اتصلت - ومنه استمدت وفيه اندمجت ، ذلكم التيار القوي الذي يهز النفوس ، ويحرك الشعور ويملك الحواس ويفيض على النفس غبطة وطمأنينة . ذلكم التيار الذي لا يعرف الحياة من لا يعرف تيار الحب في الله ، والايمان بالله والاستعانة بالله .

من ذا الذي يتمارى في نور يربط القلوب شعاعه اللين الهادي وقد ارسله بدر الدهر في تمامه الى ساحة الاخوة البريئة يفيض عليها ويغمرها من بحر الرحمان الذي بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بخير الاديان

ومن ذا الذي يتمارى في نور مشرقه عامر الصدور . ذلكم النور القوي الذي اطلقه منار راسخ وقف في خضم الحياة على صخرة عاتية هي صخرة النجاة التي اسسها اخوان من المؤمنين ونخبة من العلماء العاملين . اسسوها على تقوى من الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم

ذلكم النور مبعثه هذه « المجلة الزيتونية » تشرق به في غرة كل شهر عربي على العقائد فتهتز وتربو وعلى النفوس فتحيا وتنتعش فمرحبا بها ما غدقا بين قوم عطاش ، مرحبا بها نورا مبينا في هذه الدياجي المظلمة ، مرحبا بها يدا عاملة قوية ترفع المشعل فوق الرؤوس ليدخل الناس افواجا في دين الله الحكيم وشعورا سنة سيد المرسلين الكريم .

اني ارى لزاما علي وعلى كل مسلم ان اثني على هذا المجهود المبارك وهذه المصلحة الجليلة المفيدة فجميعنا يعلم ما لهذه المجلة من خدمة الدين وبث تعاليمه كما نعلم ايضا ان هذه الصحيفة لجماعة من خيرة جامع الزيتونة المعمور . فها هي قد بسطت اجنحتها الكريمة على كثير من بلدان القطر وقرائه

فانشأت فيها فروعا واكبر الامل معقود على همتهم في بسطها على سائر المدن والقرى اعانهم الله ووفقهم الى ان يسيروا بها الى اعلى درجات الرقي « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين »

وقبل الختام ارى لزاما علي ان ادلي بهذه القصيدة في تقريظ مجلتنا الغراء وقد صاغتها قريحة وشاعرية العالم الفاضل والاديب الكامل شيخنا ومدرسنا ابقاه الله الا وهو الشيخ حسن بن جمعة مقديش حفظه الله . وها هي القصيدة المذكورة لتنشر مع هذه الكلمة على صفحات مجلتنا الغراء

يا طالب العلم الصحيح واهله ... فاسمع هديت لبغية الانسان
زيتونية الاسلام تأتي بالذي ... يشفي الغليل وسائر الاحزان
قد خصها المولى الكريم بقادة ال ... فكر الصقيل ومنبع العرفان
اني رأيت ورب زمزم والصفا ... قد ساد اهلوها على الاقران
فاعلم علوم الحق يا سامي النهى ... واشكر لفضل اولئك الاخوان
يا حبذا العلم الصحيح واهله ... أهل التقى والدين والاحسان
يكفيك ان رمت المكارم منهل ... يمح الشكوك وسائر الادران
فقه الجريدة مع فنون علومها ... فن الحديث ومعرض القرءان
لعمر ابيك ما تجاهل فضلها ... الا صريع الحسد والعدوان
قامت تروم البدر في نيل العلا ... قامت تحاكي الشمس في التبيان
خاضت بحورا قد تلاطم موجها ... جثت جذور الزيغ والبهتان
شادت حصونا يا لها من حكمة ... قد دونت في عالم الانسان
ترى سلسبيل القول من نفثاتها ... ترى عظيم الدر في الميزان
جاءت بتبر الذهب في ورقاتها ... جاءت بروح الدين في العنوان
ورق صقيل وخطوط قد بدت ... في رونق حي عظيم الشان
فلابن مقلة والمليك يسم على ... مطبعة لاولئك الاخوان
صرخت بمجد صرخة قد ارعبت ... كل العدا في حومة الميدان
جمعت جموعا لن ترى لصفوفها ... الا بنود النصر والسلطان
تاهت على العشاق بفرط جمالها ... ويراعها السحار للاذهان
مجنون ليلى ان يدم لزمانها ... ازرى بليلى ربة الغزلان
وكثير عزة لو راءها ساعة ... نسي الجمال وبهجة النسوان
خليل عنيزة ابو سعى لركابها ... صاغ القريظ وجد في الاوزان
فلست اعني الغانيات من النساء ... ولا من يضيع العمر في الخسران
فهن الفانيات بلا خلاف ... وهن اللحقات بلا توان
ولكنها شمس المعارف والعلا ... تسطو على شمس الجمال الثاني
فهيا اقبلوا ثم اجتنوا ثمارتها ... عظيما تروا في ازهد الاثمان
فقصارى القول فيها انها ... قوت القلوب وبغية الانسان
اقول صدقا انها في سيرها ... نسيج هذا العصر والديوان
كفى بسطتها للمهيمن طالبا ... بشرا يدوم لها مدى الازمان
ثم سلام الله يتلى دائما ... لمن يبل الشوق للظمئان

(تم المجلد الثاني للمجلة الزيتونية)

اصلاح اخطاء مطبعية في المجلد السابع من المجلة

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٩٦	١٣	المعتدي (مرتين)	المتعدي
»	١٦ - ١٧	لا يتعوم معناه الا بتصور	يتقوم معناه بمجرد تصور
»	١٨	وهو المعتدي	فهو المتعدي
»	٢٢	بالفعل	بالحدث
»	٢٧	لتصحيل	لتحصيل
٢٩٧	٢٣	اجيب عنه	جوابي عنه
٢٩٨	١	في الدين حرج	في الدين من حرج
»	٢١	سوءا	سوأى
»	٢٣	لانها الهداية	لان الهداية
»	٢٤	الاخري	الاخروي
»	٢٥	تعلن	تتعلق
٢٩٩	٣	فالموصول	فالاتيان بالموصول
»	٩	والقول في المطلوب (الى نهاية سطر ١٠)	(يحذف)
»	١٩	فطلب	وطلب
٢٩٩	٢٢	فترتبت	فتترتب
٣٠٠	٧	العصبية	الغضبية
»	١٦	فيجوز السماح بثبوت احدهما ولما	فيجوز ثبوت احدهما آه ولما
»	١٩	المنفي	النفي

المجلد الثاني | # فهرس العدد | الجزء ٨-٩-١٠